(فهرسة قصص الانبياء المسمى بعرائس المجالس)

صحيفة

٤٧ ذكر

صحيفة

صحيفه

١٨٤ باب

صحيفة

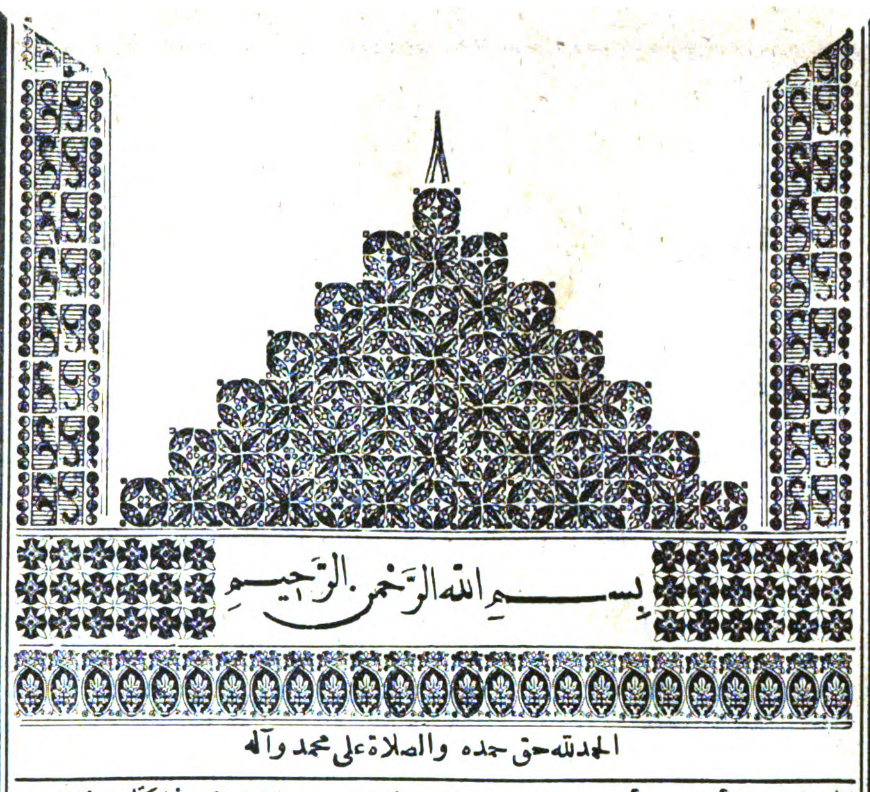
البرية بالكسر المفازة
٢ قاموس

صحيفة

صحيفة

صحيفة

كتاب قصص الانبياء المسمى بالعرائس تاليف
الامام العالم العلامة ابن اسحق احمد بن
محمد بن ابراهيم الثعلبي تغمده
الله برحمته واسكنه
فسيح جنته
امين



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده والصلاة على محمد وآله

قال الاستاذ أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي رحمه الله تعالى هذا كتاب يشتمل على قصص الانبياء المذكورة في القرآن بالشرح والله المستعان وعليه التكلان

(باب في ذكر بعض وجوه الحكمة في تقصيصه تعالى أخبار الماضين على سيد المرسلين)

قال الله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك قالت الحكماء ان الله تعالى قص على المصطفى صلى الله عليه وسلم أخبار الماضين من الانبياء والأمم الخالية لخمسة أمور رأى حكم (الحكمة الاولى منها) أنه اظهار لنبوته صلى الله عليه وسلم ودلالة على رسالته وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أميا لم يختلف الى مؤدب ولا الى معلم ولم يفارق وطنه بمدة يمكنه فيها الانقطاع الى عالم يأخذ عنه علم الاخبار ولم يعرف له طلب شئ من العلوم الى أن كان من أمره ما كان فنزل عليه جبريل عليه السلام ولقنه ذلك فأخذ يحدث الناس بأخبار من مضى من القرون وسير الانبياء الماضين والملوك المتقدمين فمن كان من قومه عاقلا موفقا صدق بما يوحى الله اليه وأخباره اياه بذلك فآمن به وصدقه وكان ذلك معجزة له ودليلا على صحة نبوته ومن كان منهم عدوا معاندا حسده وجحده وأنكر ما جاء به وقال كما أخبر الله تعالى وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قال الله تعالى تكذيبا لهم وتصديقا للنبي عليه السلام قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض (والحكمة الثانية) أنه انما قص عليه القصص ليكون له أسوة وقدوة بمكارم أخلاق الرسل والانبياء المتقدمين والاولياء والصالحين فيما أخبر الله تعالى عنهم وأثنى عليهم ولتنتهي أمته عن أمور عوقبت أمم الانبياء بمخالفتها عليها واستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب فتمم الله له بذلك معالي الاخلاق فلما امتثل امر الله تعالى واستعمل أدب الانبياء أثنى الله عليه فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولذلك قالت عائشة

رضي

رضى الله عنها حين سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن (والحكمة الثالثة) أنه انما قص عليه القصص تنبيها له واعلاما بشرفه وشرف أمته وعلو أقدارهم وذلك أنه لما نظر الى أخبار الأمم قبله علم أنه عوفى هو وامته من كثير مما امتحن الله به الانبياء والاولياء وخفف عنهم فى الشرائع ورفع عنهم الاثقال والاغلال التى كانت على الامم الماضية كما قال بعض المتأولين فى تفسير قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ان النعمة الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع قال تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وقال تعالى يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا فلما قص الله تعالى هذه القصص على نبيه رأى فضل نفسه وفضل أمته وعلم أن الله خصه هو وأمته بكرامات لم يخص بها أحدا من الانبياء والأمم فوصل قيام ليله بنهاره وصيامه بقيامه لا يفتر عن عبادة ربه أداء لشكره حتى تورّمت قدماه فقيل يا رسول الله أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ثم افتخر عليه السلام فقال بعثت بالحنيفية السمحة (والحكمة الرابعة) أنه انما قص الله تعالى عليه القصص تأديبا وتهذيبا لامته وذلك أنه ذكر الانبياء وثوابهم والاعداء وعقابهم ثم ذكر فى غير موضع تحذيره اياهم عن صنع الاعداء وحثهم على صنع الاولياء فقال تعالى لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين وقال لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب وقال وهدى وموعظة للمتقين ونحوها من الآيات وكان الشبلى رحمه الله تعالى يقول فى هذه الآيات اشتغل العام بذكر القصص واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص (والحكمة الخامسة) أنه قص عليه أخبار الانبياء والاولياء الماضين احياء لذكرهم وآثارهم ليكون المحسن منهم فى ابقائه ذكره مثبتا له تعجيل جزاء فى الدنيا حتى يبقى ذكره وآثاره الحسنة الى قيام الساعة كما رغب خليل الله ابراهيم عليه السلام فى ابقاء الثناء الحسن فقال واجعل لى لسان صدق فى الآخرين والناس أحاديث يقال ما مات ميت والذكر يحييه وقيل ما أنفق الملوك والاغنياء الاموال على المصانع والحصون والقصور الا لبقاء الذكر وأنشدنا ناصر بن محمد المروزى قال انشدنى الدريدى

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

(مجلس فى صفة خلق الارض)

قال الله تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء الآية ونظائرها كثيرة فى القرآن

* اعلم أن الكلام فى نعت خلق الارض على سبعة أبواب

(الباب الاول فى بدء خلق الارض وكيفيتها)

روت الرواة بألفاظ مختلفة ومعان متفقة أن الله تعالى لما أراد ان يخلق السموات والارض خلق جوهرة خضراء أضعاف طباق السموات والارض ثم نظر اليها نظر هيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فغلى وارتفع منه زبد ودخان وبخار وأرعد من خشية الله فمن ذلك اليوم يرعد الى يوم القيامة وخلق الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان أى قصد وعمد الى خلق السماء وهى بخار وخلق من ذلك الزبد الارض فأول ما ظهر من الارض على وجه

الماء مكة فدحا الله الارض من تحتها فلذلك سميت أم القرى يعني أصلها وهو قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما خلق الله الارض كانت طبقا واحدا ففتقها وصيرها سبعا وذلك قوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه احدى يديه في المشرق والاخرى في المغرب باسطتين قابضتين على قرار الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله تعالى من أعلى الفردوس ثورا له سبعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدمي الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فأحدر الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة من الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من اقطار الارض وهي كالحسكة تحت العرش ومنخر ذلك الثور في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة خضراء غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله الآية روى أن لقمان لما قال له هذه الكلمة انفطرت من هيبتها مرارته ومات وكانت آخر موعظته فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم اسمه لوتيا وكنيته بلهوت ولقبه بهموت فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال قال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة وثقل الدنيا وما عليها حرفان من كتاب الله تعالى قال لها الجبار كوني فكانت فذلك قوله عز وجل انما أمرنا الشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ولذلك قال بعض حكماء الشعراء

لا تخضعن لمخلوق على طمع • فان ذلك نقص منك في الدين

واسترزق الله مما في خزائنه • فان رزقك بين الكاف والنون

واستغن بالله عن دنيا الملوك كما • استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارض فوسوس اليه وقال له أتدري ما على ظهرك يا لوتيا من الامم والدواب والشجر والجبال وغيرها لو نفضتهم ألقيتهم عن ظهرك أجمع لكان ذلك أريح لك قال فهم لوتيا ان يفعل ذلك فبعث الله تعالى اليه دابة فدخلت في منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فاذن الله تعالى لها فخرجت قال كعب الاحبار فوالذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشيء من ذلك عادت كما كانت وهذا الحوت الذي أقسم الله تعالى به فقال ن والقلم وما يسطرون ثم قالوا ان الارض كانت تتكفأ على الماء كما تتكفأ السفينة على الماء فأرساها الله تعالى بالجبال وذلك قوله تعالى والجبال أرساها وقوله تعالى والجبال أوتادا وقوله تعالى وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم يعني لكي لا تتحرك بكم قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أول ما خلق الله الارض عجت وقالت يا رب تجعل علي بني آدم يعملون علي الخطايا ويلقون علي الخبائث فاضطربت فارساها الله تعالى بالجبال فأقرها وخلق الله تعالى جبلا عظيما من زبرجدة خضراء

خضرة السماء منه يقال له جبل قاف فأحاط بها كلها وهو الذى أقسم الله به فقال ق والقرآن المجيد * وقال وهب ان ذا القرنين أتى على جبل قاف فرأى حوله جبالا صغارا فقال له من أنت قال أنا قاف قال فأخبرني ما هذه الجبال التى حولك فقال هى عروقى فاذا أراد الله أن يزلزل أرضا أمرنى فحركت عرقا من عروقى فتتزلزل الارض المتصلة به فقال يا قاف أخبرنى بشئ من عظمة الله تعالى فقال ان شأن ربنا العظيم تقصر عنه الصفات وتنقضى دونه الاوهام قال فاخبرنى بأدنى ما يوصف منها قال ان وراءى أرضا مسيرة خمسمائة عام من جبال الثلج يحطم بعضها بعضا ومن وراء ذلك جبال من البرد مثلها لولا ذلك الثلج والبرد لاحترقت الدنيا من حر جهنم قال زدنى فقال ان جبريل عليه السلام واقف بين يدى الله تعالى ترعد فرائصه فيخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك وهم صفوف بين يدى الله تعالى منكسو رؤسهم لا يؤذن لهم فى الكلام الى يوم القيامة فاذا أذن الله تعالى لهم فى الكلام قالوا لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا يعنى لا اله الا الله * وروى يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن سليمان بن ابى سليمان عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما خلق الله تعالى الارض جعلت تميد فخلق الجبال وألقاها عليها فاستقامت فعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالت يا رب هل من خلقك شئ أشد من الجبال قال نعم الحديد فقالت يا رب هل من خلقك شئ أشد من الحديد قال نعم النار فقالت يا رب هل من خلقك شئ أشد من النار قال نعم الماء فقالت يا رب فهل من خلقك شئ أشد من الماء قال نعم الريح فقالت يا رب هل من خلقك شئ أشد من الريح قال نعم الانسان يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله

(الباب الثانى فى حدود الارض ومسافتها وأطباقها وسكانها)

روى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بين كل أرض الى التى تليها مسيرة خمسمائة عام وهى سبعة أطباق الارض الاولى هذه فيها سكانها والارض الثانية مسكن الريح ومنها تخرج الرياح المختلفة كما قال تعالى وتصريف الرياح وفى الارض الثالثة خلق وجوههم مثل وجوه بنى آدم وأفواههم مثل أفواه الكلاب وأيديهم كايدى الانس وأرجلهم كأرجل البقر وآذانهم كآذان المعز وأشعارهم كاصواف الضأن لا يعصون الله طرفة عين ليس لهم أثواب ليلنا نهارهم ونهارهم ليلنا والارض الرابعة فيها حجارة الكبريت التى أعدها الله لاهل النار تسجر بها جهنم قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فيها الاودية من كبريت لو أرسلت فيها الجبال الرواسى لانماعت قال وهب بن منبه هى مثل الكبريت الاحمر الصخرة منها مثل الجبل العظيم وهى التى قال الله تعالى فيها وقودها الناس والحجارة * أخبرنا أبو بكر بن عبدوس بن المزنى قال اخبرنا أبو عبد الله محمد بن يونس المقرى قال ثنا محمد بن منصور قال حدثنا أحمد بن الليث قال حدثنا أبو حفص عمر بن حفص القشيرى قال حدثنا على ابن الحسين قال سمعت منصور بن عمار يقول بينما انا أردت الحج اذ دفعت الى الكوفة ليلا وكانت ليلة مدلهمة فانفردت من اصحابى ثم دنوت الى زقاق باب دار فسمعت بكاء رجل وهو يقول فى بكائه الهى وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك ولكنى عصيتك اذ عصيتك بجهلى

وخالفتك اذ خالفتك لشقوتى فالآن من عذابك من ينقذنى وبحبل من أتصل اذا انقطع حبلك عنى واذنوباه واغوثاه بالله قال منصور فأبكانى والله فوضعت فمى على شق الباب وقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية قال فسمعت عند ذلك اضطرابا شديدا ثم خمد الصوت فوضعت حجرا على الباب لأعرف الموضع فلما أصبحت غدوت اليه فاذا بأكفان أصلحت وعجوز تدخل الدار باكية وتخرج باكية فقلت لها يا هذه ما هذا الميت لك فقالت اليك عنى يا عبد الله لا تجدد على أحزانى فقلت انى أريد هذا لوجه الله الكريم لعلك تستودعينى دعوة فانى منصور بن عمار واعظ أهل العراق قالت يا منصور هذا ولدى قلت فما كانت صفته قالت كان من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتسب ما يكتسب فيجعله أثلاثا ثلثا لى وثلثا للمساكين وثلثا يفطر عليه وكان يصوم النهار ويقوم الليل حتى اذا كان آخر ليلة أخذ فى بكائه وتضرعه فمر رجل فى هذه الليلة وتلا آية من كتاب الله تعالى فلم يزل حبيبى يضطرب حتى أصبح وقد فارق الدنيا رحمه الله تعالى * وقال منصور بن عمار دخلت يوما خربة فوجدت شابا يصلى صلاة الخائفين فقلت لنفسى ان لهذا الفتى لشأنا عظيما لعله من أولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من صلاته فلما سلمت عليه فرد على فقلت له ألم تعلم أن فى جهنم واديا يسمى لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال زدنى فقلت يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية فخر ميتا فلما كشفت ثيابه عن صدره رأيت عليه مكتوبا بقلم القدرة فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية فلما كانت الليلة الثانية نمت فرأيته فى المنام جالسا على سرير وعلى رأسه تاج فقلت له ما فعل الله بك فقال آتانى ثواب أهل بدر وزادنى فقلت له لم قال لانهم قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بسيف الملك الجبار * والارض الخامسة فيها عقارب أهل النار كامثال البغال لها أذناب كامثال الرماح لكل ذنب منها ثلثمائة وستون فقارا فى كل فقار ثلثمائة وستون فرقا من السم كل فرق منها ثلثمائة وستون قلة من سم لو وضعت قلة من ذلك السم فى وسط الارض لمات جميع اهل الدنيا من نتنه وفسد منه كل شئ وفيها أيضا حيات اهل النار كأمثال الاودية لكل حية منها ثمانية عشر ألف ناب كل ناب منها كالنخلة الطويلة فى أصل كل ناب ثمانية عشر ألف قلة من السم لو أمر الله حية منها ان تضرب بناب من أنيابها أعظم جبل فى الارض لهدته حتى يعود رميما وانها لتلقى الكافر فتسمه فتنقطع مفاصله * والارض السادسة فيها دواوين أهل النار وأعمالهم وارواحهم الخبيثة واسمها سجين قال الله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفى سجين * والارض السابعة جعلها الله منكالا لابليس وجنوده وفيها عشه فى أحد جانبيه سموم وفى الآخر زمهرير وقد احتوشته جنوده من المردة وعتاة الجن ومنها يبث سراياه وجنوده فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة لبنى آدم * و روى سلمة بن كهل عن أبى الزرقاء عن عبد الله قال الجنة اليوم فى السماء السابعة فاذا كان غدا جعلها الله حيث يشاء والنار اليوم فى الارض السفلى فاذا كان غدا جعلها الله حيث يشاء واما بعد قعر الارض فكافيك به حديث قارون حيث خسف الله به الارض وبداره وبأمواله

ففي الخبر انه يخسف به كل يوم مقدار قامة فلا يبلغ قعرها الى يوم القيامة وقال النبي عليه الصلاة والسلام بينما رجل يتبختر في برديه وينظر في عطفيه وقد أعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة

(الباب الثالث في ذكر الايام التي خلق الله تعالى فيها الارض)

قال الله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الآية قال ابو اسحق قال شيخنا يدى ابو بكر محمد بن احمد القطان قال شيخنا يدى احمد بن الحسين بن شاذان قال شيخنا يدى ابراهيم بن يحيى قال شيخنا يدى صفوان بن سليم قال شيخنا يدى ايوب بن خالد الانصاري قال شيخنا يدى عبد الله بن ابي رافع قال شيخنا يدى ابو هريرة قال شيخنا يدى ابو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم فقال خلق الله الارض يوم السبت والجبال يوم الاحد والاشجار يوم الاثنين والظلمات يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة

(الباب الرابع في ذكر أسمائها وألقابها)

قال وهب بن منبه الاولى من الارض تسمى أديما والثانية بسيطا والثالثة ثقيلا والرابعة بطحا والخامسة متناقلة والسادسة ماسكة والسابعة ثرى * وأما أسماؤها المذكورة في القرآن فهي سبعة أيضا سماها الله فراشا فقال الذي جعل لكم الارض فراشا وسماها قرارا فقال أمن جعل الارض قرارا وسماها رتقا فقال أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا وسماها بساطا فقال والله جعل لكم الارض بساطا وسماها مهادا فقال ألم نجعل الارض مهادا وسماها ذات الصدع فقال والارض ذات الصدع يعني بالنبات وسماها كفاتا فقال ألم نجعل الارض كفاتا * قال خالد بن سعيد كنت أمشي مع الشعبي بظهر الكوفة فنظر الى بيوت الكوفة فقال هذه كفات الاحياء ثم نظر الى المقبرة فقال هذه كفات الاموات (ويحكى) أن عبد الله بن طاهر لما قدم نيسابور صحبه من أولاد المجوس شاب متطبب يدعي تحقيق الكلام وأظهر مسئلة تحريق الانفس بالنار وكان يزعم أن الجسد كثيف منتن في حال الحياة فاذا مات فلا حكمة في دفنه والتسبب الى زيادة نتنه وان الواجب احراقه واذراء رماده فقيل لبعض الفقهاء ان الناس قد افتتنوا بمقالة هذا المجوسي فكتب الفقيه الى عبد الله ابن طاهر أن اجمع بيننا وبين هذا المجوسي لنسمع منه فاجتمعوا عند عبد الله فلما تكلم المجوسي بمقالته تلك قال له الفقيه أخبرنا عن صبي تدعيه أمه وحاضنته أيهما أولى به فقال له الام فقال ان هذه الارض هي الام منها خلق الخلق فهي أولى بأولادها أن يردوا اليها فأفحم المجوسي وأنشد في معناه لامية بن أبي الصلت

والارض معقلنا وكانت أمنا * فيها مقابرنا وفيها نولد

وسئل يحيى بن معاذ الرازي ان ابن آدم يدري ان الدنيا ليست بدار قرار فلم يطمئن اليها قال لانه منها خلق فهي أمه وفيها نشأ فهي عشه ومنها رزق فهي عيشه واليها يعود فهي كفاته وهي ممر الصالحين الى الجنة

(الباب الخامس في ذكر ما زين الله به الارض)

وهي سبعة أشياء الازمنة وزين الازمنة بأربعة أشهر قال الله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم فالاربعة الاشهر الحرم منها ثلاثة سرد وواحد فرد فالثلاثة السرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والفرد رجب * والامكنة وزينها بأربعة أشياء مكة والمدينة وبيت المقدس ومسجد العشار وزينها أيضا بالانبياء عليهم السلام وزين الانبياء بأربعة ابراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى الوجيه ومحمد الحبيب صلوات الله عليهم أجمعين وهم أهل الكتب وأصحاب الشرائع وأولو العزم * وزينها أيضا بآل محمد صلى الله عليه وسلم وزينهم أيضا بأربعة علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم (وروى) يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر فلما انفتل من الصلاة أقبل علينا بوجهه الكريم فقال معاشر المسلمين من افتقد الشمس فليستمسك بالقمر ومن افتقد القمر فليستمسك بالزهرة ومن افتقد الزهرة فليستمسك بالفرقدين فقيل يا رسول الله ما الشمس وما القمر وما الزهرة وما الفرقدان فقال أنا الشمس وعلي القمر وفاطمة الزهرة والحسن والحسين الفرقدان في كتاب الله تعالى لا يفترقان حتى يردا علي الحوض * وزينها أيضا بالصحابة وزينهم أيضا بأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وهم الخلفاء الراشدون والائمة المرضيون رضي الله عنهم اجمعين (وروى) عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يجتمع حب هؤلاء الاربعة الا في قلب مؤمن قال أنس قد اجتمع حبهم في قلبي والحمد لله * وزينها أيضا بالمؤمنين وزينهم بأربعة العلماء والقراء والغزاة والعباد * وزينها أيضا بانواع الحيوانات والنباتات والجمادات

(الباب السادس في عاقبتها ومآلها وآخر حالها)

اعلم أن الله تعالى وعدها بسبعة أشياء احدها التبديل وهو قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وفي الخبر يؤتى بأرض بيضاء من فضة كالخبز النقي الحواري لم يعص عليها قط طرفة عين ولا وصم فيها ولا قصم مستوية كالصلب المهند * والثاني الزلزلة قال تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل وتظهر الفتن ويكثر الهرج قيل وما الهرج يا رسول الله قال القتل فاذا أكلت أمتي الربا كانت الزلزلة واذا جاروا في الحكم اجترأ عليهم العدو واذا ظهرت الفاحشة كان الوباء والموت واذا منعوا الزكاة قحطوا ولولا البهائم لم يمطروا * وفي الحديث ان الارض تزلزلت على عهد عمر رضي الله عنه فأخذ بعضادتي منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أهل المدينة انكم رجفتم وان الرجف من كثرة الربا والزنا ونقصان الثمر من قلة الصدقة وانكم أحدثتم أشياء حتى أعجلتم فهل أنتم منتهون أو يفرق عمر من بين أظهركم * والثالث البروز قال الله تعالى وترى الارض بارزة يعني لفصل القضاء * والرابع الرج قال الله تعالى اذا رجت الارض رجا قال المفسرون كارتجاج الصبي في المهد حتى ينكسر كل شيء عليها فرقا من ربها * والخامس الرجف قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال * والسادس المد حتى تخلى وتلقي ما في بطنها قال تعالى واذا الارض مدت وألقت ما فيها وتخلت * والسابع الدك قال تعالى اذا دكت

الارض

الارض دكا وقال تعالى فدكتا دكة واحدة ويحكى ان الربيع بن خيثم كان اذا قرأ هذه الآية أخذ بجلد ذراعيه ويقول يا لهاه ويا دماه أين أنتما ومنذ

(الباب السابع فى وجوه الارض المذكورة فى القرآن)

وهى سبعة أولها مكة خاصة قال الله تعالى فى الرعد والانبياء أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من اطرافها يعنى أرض مكة والوجه الثانى أرض المدينة قال تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها يعنى أرض المدينة وقال تعالى ان أرضى واسعة وقال تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها والثالث أرض الشام وذلك قال تعالى ادخلوا الارض المقدسة الآية يعنى بلاد الشام وقوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين والوجه الرابع أرض مصر قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض أى أرض مصر وقوله تعالى اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم وقوله فلن ابرح الارض أى أرض مصر وقوله تعالى ان فرعون علا فى الارض وقال ويستخلفكم فى الارض أى أرض مصر والخامس أرض المشرق فذلك قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض والسادس الارضون كلها وذلك قوله تعالى ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها وقوله تعالى ومامن دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم يعنى بالامم فى التصاوير أمثالكم فى التسخير وقال تعالى ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام وقال تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والسابع ارض الجنة فذلك قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون وقوله تعالى وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين

(مجلس فى ذكر خلق السموات وما يتصل به)

وترتيب الكلام فى هذا المجلس ايضا على سبعة أبواب لقول وهب بن منبه كادت الاشياء أن تكون سبعا فالسموات سبع والارضون سبع والجبال سبع والبحار سبع وعمر الدنيا سبعة آلاف عام والايام سبعة والكواكب سبعة وهى السيارة والطواف بالبيت سبعة أشواط والسعى بين الصفا والمروة سبعة ورمى الجمار سبعة وأبواب جهنم سبعة ودركاتها سبعة وامتحان يوسف عليه السلام سبع سنين قال تعالى فلبث فى السجن بضع سنين واتاه ملك مصر سبع سنين وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان وكرامة الله للمصطفى صلى الله عليه وسلم سبع قال الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم والقرآن سبعة أسباع وتركيب ابن آدم على سبعة أعضاء وخلقه من سبعة أشياء قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله فتبارك الله أحسن الخالقين ورزق الانسان وغذاؤه من سبعة أشياء قال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الى قوله متاعا لكم ولانعامكم وامر بالسجود على سبعة أعضاء

(الباب الاول فى بدء خلق السموات)

يروى فى الاخبار المشهورة المأثورة أن الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة مثل السموات السبع والارضين السبع ثم نظر اليها نظر هيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فغلا وارتفع وعلاه زبد ودخان فخلق من الزبد الارض ومن الدخان السماء

وذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان أي قصد ثم فتقها بعد أن كانت طبقة واحدة فصيرها سبع سموات قال الله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما

(الباب الثاني في جواهرها وأجناسها)

قال الربيع بن أنس سماء الدنيا موج مكفوف والثانية من صخرة والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة بيضاء

(الباب الثالث في هيئتها وحدودها)

قال الله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال ابن عباس رحمه الله تعالى خلق الله السموات مثل القباب فسماء الدنيا قد شدت أقطارها بالثانية والثانية بالثالثة وكذلك الى السابعة والسابعة بالعرش فذلك قوله تعالى بغير عمد ترونها وعمادها من فوقها وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يتفكرون فقال فيم أنتم تتفكرون قالوا نتفكر في الخالق فقال لهم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة تفكروا في أن الله خلق السموات سبعا والارضين سبعا وتحت كل أرض خمسمائة عام وبين السماء والارض خمسمائة عام وتحت كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماء بين خمسمائة عام وفي السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يجاوز الماء كعبه

(الباب الرابع في أسمائها وألقابها)

قال وهب بن منبه أولها سماء الدنيا دنياح والثانية ديقا والثالثة رقيع والرابعة فيلون والخامسة طقطاف والسادسة سماق والسابعة سحاقائل * وأما أسماؤها المذكورة في القرآن فسبعة أولها البناء قال الله تعالى والسماء بناء والسقف قال الله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا والطرائق قال الله تعالى وجعلنا فوقكم سبع طرائق والطباق قال الله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا والشداد قال الله تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا والرتق والفتق قال الله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما والدخان قال الله ثم استوى الى السماء وهي دخان وروى ان الملائكة قالت يارب لو أن السماء والارض حين أمرتهما عصياك ما كنت صانعا بهما قال كنت آمر دابة من دوابي فتبتلعهما قالت يارب فأين تلك الدابة قال في مرج من مروجي قالت يارب فأين ذلك المرج قال في علم من علومي قالت الملائكة سبحان ذي البسط القوي وقد ورد عن الضحاك بن مزاحم الهلالي حديث غريب حسن جامع لما تقدم من الابواب في صفة السموات وحدودها وهيئتها وما فيها وأهلها وسكانها واسمائها وألقابها وهو ما اخبرنا ابو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين العدل حدثنا محمد بن جعفر قال اخبرنا الحسن ابن علوية قال ثنا اسمعيل بن عيسى قال ثنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك ومقاتل قالا خلق الله عز وجل سماء الدنيا وزينها وهي ماء ودخان وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين الارض مسيرة خمسمائة عام ولونها كلون الحديد المجلي واسمها برقيعا وبينها وبين السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة خلقوا من نار وريح وعليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقول سبحان ذي الملك والملكوت وخلق السماء الثانية على لون

النحاس

النحاس وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة
على الوان شتى صفوف لو قيست شعرة بين مناكبهم لما انقاست رافعون أصواتهم يقولون
سبحان ذى العزة والجبروت واسمها قيدوم وخلق الله فيها ملكا يقال له حبيب نصفه من نار
ونصفه من ثلج وبينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو يقول يا من ألف
بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك ومنها الى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ولون السماء
الثالثة كلون الشبه وغلظها مسيرة خمسمائة عام واسمها الماعون وفيها ملائكة ذووا أجنحة
الملك منهم له جناحان وله أربعة أجنحة وله ستة أجنحة ووجوه شتى وأصوات شتى رافعون
أصواتهم بالتسبيح يقولون سبحان الحى الذى لا يموت أبدا صفوف قيام كأنهم بنيان مرصوص
لو قيست شعرة بين مناكبهم ما انقاست لا يعرف أحدهم لون صاحبه من خشية الله تعالى
وخلق الله السماء الرابعة وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وغلظها خمسمائة عام
ولونها كلون الفضة البيضاء واسمها افيلون وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة السماء الثالثة
وكذلك أهل كل سماء اكثر عددا من السماء التى تليها الى الضعف وفى السماء الرابعة ملائكة
لا يحصى عددهم الا الله تعالى وهم كل يوم فى زيادة وذلك قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو
قال وهم قيام وركوع وسجود على الوان شتى من العبادة يبعث الله تعالى الملك منهم فى امر من
اموره فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذى الى جانبه من شدة العبادة وهم يقولون
سبوح قدوس ربنا الرحمن الذى لا اله الا هو قال وخلق الله السماء الخامسة وغلظها مسيرة
خمسمائة عام ولونها على لون الذهب واسمها اللاحقون ومنها الى السماء السادسة مسيرة خمسمائة
عام وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة الاربع سموات وهم ركوع وسجود لم يرفعوا أبصارهم
ولا يرفعونها الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة قالوا ربنا لم نعبدك حق عبادتك وخلق الله
السماء السادسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ومنها الى السماء السابعة مسيرة خمسمائة عام وفيها
جند الله الاعظم الاكبر الكروبيون لا يحصى عددهم الا الله تعالى وعليهم ملك جنده سبعون
ألف ملك وكل ملك منهم جنود سبعون ألف ملك وهم الذين يبعثهم الله فى أموره الى أهل الدنيا
رافعو أصواتهم بالتهليل والتسبيح واسمها عاروس وهى من ياقوتة حمراء ثم خلق الله السماء
السابعة غلظها مسيرة خمسمائة عام فيها جنود الله تعالى من الملائكة وعليهم ملك وهو على
سبعمائة ألف ملك كل ملك منهم له من الجنود مثل قطر السماء وتراب الثرى والسهل والرمل
وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق فى سبع سموات وسبع أرضين ويخلق الله سبحانه وتعالى
فى كل يوم ما يشاء واسمها الرقيع وهى من درة بيضاء ومن السماء السابعة الى مكان يقال له
مرهونا مسيرة خمسمائة عام وعليه جنود الله من الملائكة وهم رؤساء الملائكة وهم أعظمهم
سوى الروح وحملة العرش الملك منهم له وجوه شتى وأجنحة شتى وأنوار شتى فى جسده لا يشبه
بعضهم بعضا رافعو أصواتهم بالتهليل ينظرون الى العرش لا يطرفون لو أن الملك منهم نشر
جناحه لطبق الدنيا بريشة من جناحه ولا يعلم عددهم الا الله تعالى ومن فوق ذلك غمامة غلظها
كغلظ سبع سموات وسبع أرضين ومن السماء السابعة اليها كما بين سبع سموات وسبع
أرضين والعرش فوق ذلك فى عليين لا يعلم منتهاه الا الله تعالى

(الباب الخامس فى ذكر الايام التى خلق الله الاشياء فيها)

روت الرواة أن الله تعالى ابتدأ خلق الاشياء يوم الاحد الى يوم الخميس وخلق فى يوم الخميس ثلاثة أشياء السموات والملائكة والجنة الى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعة فخلق فى الساعة الاولى الاوقات والآجال وفى الثانية الارزاق وفى الثالثة آدم عليه الصلاة والسلام وذلك قوله عز وجل فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها الآية .

(الباب السادس فى ذكر ما زين الله به السموات)

وهى عشرة أشياء * الشمس قال الله تعالى وجعل الشمس سراجا وقال تعالى سراجا وهاجا * والقمر قال الله تعالى وجعل القمر فيهن نورا * والكواكب قال الله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وهى على ضربين منها معلق كتعليق القناديل فى المساجد ومنها مركب كتركيب الفص فى الخاتم وهى مع كثرتها مختلفة الصور ما خلق الله تعالى منها كوكبا على مثال كوكب وفى بعض الاخبار ما يكون من حيوان فى الارض ولا دابة تدب دون العرش الا وفى خلق الكواكب مثلها * والعرش قال الله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش روى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال فى العرش تمثال جميع ما خلق الله تعالى فى البر والبحر وقال هذا تأويل قوله تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وان ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية لخفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشيا كلها فى العرش كحلقة ملقاة فى فلاة وان لله ملكا يسمى خرقيائيل له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام فخطر له خاطر هل يقدر أن ينظر الى العرش فزاده الله تعالى فى الاجنحة مثلها فكان له ستة وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام ثم أوحى الله تعالى اليه أيها الملك طر فطار مقدار عشرين ألف سنة فلم يبلغ قائمة من قوائم العرش ثم ضاعف الله تعالى له فى الاجنحة والقوة وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف سنة فلم يبلغ رأس قائمة من قوائم العرش فأوحى الله تعالى اليه أيها الملك لو طرت الى أن ينفخ فى الصور مع أجنحتك وقوتك ما تبلغ ساق عرشى فقال الملك سبحان ربى الاعلى فأنزل الله سبحانه وتعالى سبح اسم ربك الاعلى فقال النبى صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى سجودكم * وقال كعب الاحبار لما خلق الله تعالى العرش قال لم يخلق الله تعالى شيأ أعظم منى فاهتز فطوقه الله بحية لها سبعون ألف جناح فى كل جناح سبعون ألف ريشة فى كل ريشة سبعون ألف وجه فى كل وجه سبعون ألف فم فى كل فم سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها فى كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وورق الشجر وعدد الحصى والثرى وعدد أيام الدنيا والملائكة أجمع فالتفت الحية بالعرش فالعرش الى نصف الحية وهى ملتوية به * والكرسى قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض وروى على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الكرسى لؤلؤة طولها حيث لا يعلمه العالمون وقد جعل الله آية الكرسى أمانا لاهل الايمان من شر الشيطان (وروى) اسمعيل بن مسلم عن أبى المتوكل الباجى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوما ففتح الباب فاذا التمر قد أخذ منه مل‍ء

الكف ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد أخذ منه مثل ذلك ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد أخذ منه مثل ذلك فذكر ذلك أبو هريرة رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام أيسرك ان تأخذه قال نعم قال اذا فتحت الباب فقل سبحان من سخرك لمحمد فذهب ففتح الباب وقال ذلك فاذا هو قائم بين يديه فقال له يا عدو الله أنت صاحب الفعل قال نعم ثم قال لا أعود ما كنت أخذت منه الا لاهل بيت فقراء من الجن فتركه ثم عاد فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال أيسرك أن تأخذه قال نعم قال فاذا فتحت الباب فقل مثل ذلك أيضا ففتح الباب وقال سبحان من سخرك لمحمد فاذا هو قائم بين يديه فقال له يا عدو الله أليس قد عاهدتنى أن لا تعود فقال دعنى هذه المرة فانى لا أعود فتركه ثم عاد فأخذه الثالثة فقال أليس قد عاهدتنى أن لا تعود لا أدعك اليوم حتى اذهب بك الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فانك ان تدعنى علمتك كلمة اذا قلتها لم يقربك أحد من الجن لا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى قال له لتفعلن ان تركتك قال نعم قال فما هى قال الله لا اله الا هو الحى القيوم حتى ختمها فتركه فذهب فلم يعد فذكر ذلك أبو هريرة للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له أما علمت يا أبا هريرة هذه انه كذلك صدق الخبيث * واللوح والقلم قال الله تعالى وكل شئ أحصيناه فى امام مبين وقال تعالى ن والقلم وما يسطرون وقال ابن عباس ان مما خلق الله تعالى لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء كتابته نور وقلمه نور وعرضه كما بين السماء والارض ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة منها يخلق ويرزق ويحيى ويميت ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو فى شان (ويروى) ان أول ما خلق الله القلم فنظر اليه نظرة هيبة وكان طوله كما بين السماء والارض فانشق نصفين وقال اكتب فقال يا رب وما أكتب قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة (ويحكى) أن ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجده مغموما فقال له روح عنى يا ابن الزيات فانشأ يقول

الهم فضل والقضا غالب * وكائن ما خط فى اللوح
فالتمس الروح وأسبابه * أيأس ما كنت من الروح

* والبيت المعمور وروى الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى سماء الدنيا بيتا يقال له البيت المعمور بحيال الكعبة وان فى السماء السابعة بحرا من نور يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل عليه السلام كل غداة فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة فيخرج منه سبعون ألف قطرة من نور فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا فيؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيأتونه فيدخلونه ويصلون فيه ثم يخرجون فلا يعودون اليه الى يوم القيامة * وسدرة المنتهى قال الله تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى قال كعب وغيره دخل حديث بعضهم فى بعض هى شجرة فى السماء السابعة مما يلى الجنة أصلها نابت فى الجنة وعروقها تحت الكرسى وأغصانها تحت العرش اليها ينتهى علم الخلائق كل ورقة منها تظل أمة من الامم يغشاها ملائكة كأنهم فراش من ذهب وعليها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى ومقام جبريل عليه السلام وسطها والله أعلم * والجنة قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة كيف

هي قال من يدخل الجنة يحيى لا يموت وينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه قيل يا رسول الله كيف بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة بلاطها مسك أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران (وروى) مجاهد عن مسروق عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السماء أطت وحق لها أن تئط ليس منها موضع أربع أصابع الا وفيه ملك ساجداً وراكع أو قائم أو قاعد يذكر الله تعالى لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصحراء تجأرون الى الله تعالى

(الباب السابع في ذكر مآلها وآخر حالها)

اعلم أن الله تعالى وعد السماء بسبعة أشياء أحدها المور قال الله تعالى يوم تمور السماء مورا يعني تدور كدوران الرحا من هول يوم القيامة والثاني أخبر أنها تصير كالمهل فقال تعالى يوم تكون السماء كالمهل يعني بالمهل دردي الزيت والثالث أخبر أنها تصير وردة كالدهان قال الله تعالى فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان والرابع الانشقاق قال الله تعالى اذا السماء انشقت والخامس الانفطار قال الله تعالى اذا السماء انفطرت والسماء منفطر به والانفطار أكثر من الانشقاق والسادس الانفراج قال الله تعالى واذا السماء فرجت والسابع الكشط قال تعالى واذا السماء كشطت اى نزعت من مكانها وطويت طيا قال الله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب الآية وأحسن الشاعر حيث قال

اذا قيل من رب هذا السما * فليس سواه له مضطرب
ولو قيل رب سوى ربنا * لقال العباد جميعا كذب

(مجلس في ذكر خلق الشمس والقمر وصفة سيرهما وبدء أمرهما ومعادهما)

وهو ما أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون الثقة الامين بقراءتي عليه في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة قال أخبرني أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقي الحافظ قال ثنا أبو الحسن احمد بن يوسف السلمي قال ثنا أبو عصمة يحيى بن أبي مريم الخراساني قال نا مقاتل عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينما هو جالس ذات يوم من الايام اذ أتاه رجل فقال يا ابن عباس اني سمعت العجب من كعب الاحبار يذكر في الشمس والقمر وكان ابن عباس متكئا فاحتفز ثم قال وماذا قال قال زعم كعب الاحبار أنه يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان في النار قال عكرمة فطارت من ابن عباس شظية ووقعت أخرى غضبا ثم قال كذب كعب الأحبار قالها ثلاثا بل هذه يهودية يريد ادخالها في الاسلام والله تعالى أكرم وأجل من أن يعذب أهل طاعته ألم تر الى قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يعني دأبهما في طاعته فكيف يعذب عبدين أثنى عليهما أنهما دائبان في طاعته قاتل الله هذا الحبر وقبح حديثه ما أجرأه على الله وأعظم فريته على هذين العبدين المطيعين لله تعالى ثم استرجع مرارا ثم أخذ عودا من الارض فجعل ينكت به في الارض وظل كذلك ما شاء الله ثم انه رفع رأسه ورمى بالعود وقال ألا أحدثكم بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما قلنا بلى يرحمك

الله

الله تعالى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال ان الله تعالى لما اتقن
خلقه احكاما ولم يبق الا آدم خلق شمسين من نور عرشه فأما ما كان من سابق علم الله تعالى
أن يدعها شمسا فانه خلقها مثل الدنيا من مشارقها ومغاربها وأما ما كان من سابق علم الله أن
يطمسها ويحولها قمرا فانه خلقها دون الشمس فى العظم ولكن انما يرى صغرها من شدة ارتفاع
السماء وبعدها عن الارض فلو ترك الله تعالى الشمس كما كان فى بدء الامر لم يعرف الليل من
النهار ولا النهار من الليل ولا يدرى الاجير متى يعمل ولا متى يأخذ أجرته ولا يدرى الصائم الى متى
يصوم ومتى يفطر ولا تدرى المرأة كيف تعتد ولا يدرى المسلمون متى وقت صلاتهم ومتى
وقت حجهم ولا يدرى المدينون متى يحل دينهم ولا يدرى الناس متى يزرعون ومتى يسكنون
راحة لابدانهم وكان الله أنظر لعباده وأرحم بهم فأرسل جبريل عليه السلام فأمر جناحه على
وجه القمر وهو يومئذ مثل الشمس ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقى فيه النور فذلك
قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فالسواد الذى
فى جوف القمر مثل الخطوط فيه انما هو أثر المحو ثم خلق الله تعالى الشمس من ضوء نوره ثم خلق
الله تعالى للشمس عجلة فيها ثلثمائة وستون عروة ووكل بالشمس وعجلتها ثلثمائة وستين ملكا من
الملائكة من أهل سماء الدنيا قد تعلق كل منهم بعروة من تلك العرا وخلق الله تعالى مشارق
ومغارب فى أقطار الارض وكنفى السماء ثمانين ومائة عين فى المشرق من طينة سوداء وثمانين
ومائة عين فى المغرب مثل ذلك من طينة سوداء يفور غليانها كغلى القدر اذا ما اشتد غليانها
وذلك قوله تعالى وجدها تغرب فى عين حمئة ومعنى حمئة سوداء من طين فكل يوم وليلة لها مطلع
جديد ومغرب جديد ما بين أولها مطلعا وأولها مغربا أطول ما يكون النهار فى الصيف وآخرها
مطلعا مشرقا ومغربا أقصر ما يكون النهار فى الشتاء فذلك قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين
يعنى آخرها ههنا وأولها ههنا وترك ما بين ذلك من المشارق والمغارب ثم جمعها بعد ذلك فقال رب
المشارق والمغارب فذلك عدة تلك العيون كلها ثم خلق الله تعالى بحرا دون سماء الدنيا بمقدار ثلاثة
فراسخ فهو موج مكفوف قائم فى الهواء باذن الله تعالى لا يقطر منه قطرة والنجوم كلها ساكنة
فى ذلك البحر وهو جار فى سرعة السهم وانطلاقه فهو فى الهواء مستو كأنه جبل ممدود ما بين
المشرق والمغرب وتجرى الشمس والقمر والخنس فى سرعة دوران الرحا من أهوال يوم القيامة
وزلازلها فى ذلك البحر فذلك قوله تعالى وكل فى فلك يسبحون والفلك فى دوران العجلة فى لجة
غمرة ماء ذلك البحر والذى نفس محمد بيده لو بدت الشمس من دون ذلك البحر لأحرقت كل شئ
على وجه الارض حتى الصخور والحجارة ولو بدا القمر من دون ذلك البحر لافتتن به أهل الارض
حتى يعبدونه من دون الله تعالى الا من شاء الله أن يعصمه من أوليائه وأهل طاعته * قال ابن
عباس رضى الله عنه قال على بن أبى طالب رضى الله عنه بأبى أنت وأمى يا رسول الله ذكرت
مجرى الخنس مع الشمس والقمر وقد أقسم الله تعالى بالخنس فى القرآن مثل ما كان ذكرك
اليوم فما الخنس فقال عليه السلام يا على هن الكواكب الخمسة البرجيس وهو المشترى وزحل
وعطارد وبهرام والزهرة فهذه الكواكب الخمسة الطالعات الجاريات مع الشمس والقمر
فى الفلك وأما سائر الكواكب فكلها معلقات فى السماء كتعليق القناديل فى المساجد وهى

تدور مع السماء دورا نابالتسبيح والتقديس والصلاة لله تعالى ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم وان أحببتم أن تستبينوا ذلك فانظروا دوران الفلك مرة من ههنا ومرة من ههنا وان لم تستبينوا الفلك فالمجرة وبياضها مرة من ههنا ومرة من ههنا فذلك دوران الشمس والقمر ودوران الكواكب معا كلها سوى هذه الخمسة ودورانها اليوم كما ترون فذلك صلاتهم ودورانها يوم القيامة في سرعة دوران الرحا من أهوال يوم القيامة فذلك قوله تعالى يوم تمور السماء مورا يعني تدور دورانا وتسير الجبال سيرا فاذا طلعت الشمس فانها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلثمائة وستون ملكا ناشرى أجنحتهم يجرونها في الفلك بالتسبيح والتقديس لله تعالى على قدر ساعات النهار والقمر كذلك على قدر ساعات الليل ما بين الطول والقصر في الشتاء كان ذلك أو في الصيف أو ما بينهما من الخريف والربيع فاذا أحب الله ان يبتلى القمر والشمس ويرى العباد آية من الآيات يستعتبهم رجوعا عن معاصيه واقبالا على طاعته تحركت الشمس عن العجلة وقال مرة خرت الشمس عن العجلة فتقع في غمر ماء ذلك البحر وهو الفلك فاذا أراد الله تعالى أن يعظم تلك الآية ليشتد تخوف العباد وقعت الشمس كلها فلا يبقى على العجلة شيء منها فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم وذلك هو المنتهى من كسوفها فاذا أراد الله أن يجعل آية دون آية وقع النصف منها أو الثلث أو الثلثان في الماء ويبقى ما بقي على العجلة وهو كسوف دون كسوف وابتلاء الشمس والقمر وذلك تخويف للعباد واستعتاب من الله تعالى فأي ذلك كان صارت الملائكة الموكلة بعجلتها فرقتين فرقة منهم يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة والفرقة الاخرى تقبل على العجلة فتجرها الى الشمس وهم في ذلك يقودونها في الفلك على مقادير ساعات النهار أو ساعات الليل ليلا كان أو نهارا لكيلا يزيد في طولها شيء وقد ألهمهم الله تعالى علم ذلك وجعل لهم تلك القوة فالذي ترون من خروج الشمس والقمر بعد الكسوف قليلا قليلا من ذلك السواد الذي يعلوه فهو من غمر ماء ذلك البحر وهو خروجهما من ذلك الماء فاذا أخرجوها كلها اجتمعت الملائكة كلهم فاحتملوها حتى يضعوها على العجلة وذلك حين تنجلي للعالم حتى يحمدوا الله تعالى على ما قواهم لذلك ويتعلقون بعرا العجلة حتى يجروها باذن الله تعالى في لجة ذلك البحر حتى اذا بلغوا بها المغرب أدخلوها من بعض تلك العيون فتسقط من أفق السماء في العين ثم قال صلى الله عليه وسلم عجبت من خلق الله وما بين من القدرة فيما لم يخلق أعجب منه ومن ذلك قول جبريل عليه السلام لسارة أتعجبين من أمر الله وذلك أن الله تعالى خلق مدينتين احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب على كل مدينة منها عشرة آلاف باب ما بين كل باب الى الآخر مسيرة فرسخ فأهل المدينة التي بالمشرق من بقايا عاد من نسل مؤمنيهم الذين كانوا آمنوا بهود عليه السلام واسمها بالسريانية برقيشا وبالعبرانية جابلق واسم المدينة التي بالمغرب بالسريانية برجيسا وبالعبرانية جابرسا نيوت على كل باب من هاتين المدينتين كل يوم عشرة آلاف رجل في الحراسة عليهم السلاح ومعهم الكراع لا تنوبهم تلك الحراسة بعد ذلك اليوم الى يوم ينفخ في الصور والذي نفس محمد بيده لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج أصواتهم لسمع أهل الدنيا وقع هذه الشمس حين تطلع وحين تغرب ومن ورائهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم الا الله تعالى وهم منسك وتارس وتاويل ومن ورائهم يأجوج

ومأجوج

ومأجوج وان جبريل عليه السلام انطلق بى اليهم ليلة أسرى بى الى السماء فدعوت يأجوج ومأجوج الى الله تعالى والى دينه وعبادته فأبوا أن يجيبونى فهم فى النار مع من عصى الله من ولد آدم وولد ابليس ثم انطلق بى الى هاتين المدينتين فدعوتهم الى الله تعالى والى دينه وعبادته فأجابوا وأنابوا فهم اخواننا فى الدين من أحسن منهم فهو مع المحسنين ومن أساء فهو مع المشركين ثم انطلق بى الى الامم الثلاث فدعوتهم الى دين الله وعبادته فأبوا على وكفروا بالله وكذبوا برسله فهم مع يأجوج ومأجوج وسائر من عصى الله تعالى فى النار فاذا ما غربت الشمس رفع بها الى السماء السابعة فى سرعة طيران الملائكة وتحبس تحت العرش فتستأذن من أين تؤمر بالطلوع من مغربها أم من مطلعها وتكسى ضوأ وان كان القمر فنورا على قدر ساعات الليل والنهار ثم ينطلق بها الى ما بين السماء السابعة وما بين أسفل درجات الجنان فى سرعة طيران الملائكة فتنحدر حيال المشرق من سماء الى سماء فاذا وصلت الى هذه السماء فذلك حين ينفجر الفجر عن الصبح فاذا انحدرت من بعض تلك العيون فذلك حين يضىء الصبح فاذا وصلت الى هذا الوجه من السماء فذلك حين يضىء النهار فتلك مطالعها ومغاربها ما بين أولها عينا الى آخرها عينا فى الطلوع والغروب فذلك تمام ستة أشهر ثم اذا رجعت كذلك من عين الى عين فى الطلوع والغروب الى آخرها عينا فذلك تمام السنة فعدة أيامها ولياليها ثلثمائة وستون ليلة وخلق الله تعالى عند المشرق حجابا من الظلمة فوضعه على البحر السابع مقدار عدة الليالى فى الدنيا منذ خلقها الله تعالى الى يوم تنصرم فاذا كان عند غروب الشمس أقبل ملك من الملائكة الذين قد وكلوا بالليل فيقبض قبضة من ظلمة ذلك الحجاب ثم يستقبل المغرب فلا تزال تلك الظلمة تخرج من خلال أصابعه قليلا قليلا وهو يراعى الشفق فاذا غاب الشفق أرسل الظلمة جميعها ثم ينشر جناحيه فيبلغان قطرى الارض وكنفى السماء ويجاوزان ما شاء الله خارجا فى الهواء فيسوق ظلمة الليل بجناحيه بالتسبيح والتقديس حتى يبلغ المغرب على قدر ساعات الليل فاذا بلغ المغرب أسفر الصبح من المشرق فضم جناحيه ثم يضم الظلمة كلها بعضها الى بعض فيقبضها بكفيه ثم يقبض عليها بكف واحد نحو قبضته التى تناولها من الحجاب بالمشرق ثم يضعها عند المغرب على البحر السابع فمن هنالك ظلمة الليل اذا ما نقل ذلك الحجاب الى المشرق والى المغرب فاذا نفخ فى الصور انقضت أيام الدنيا فنور النهار من ضوء الشمس وظلمة الليل من قبل ذلك الحجاب فلا تزال الشمس والقمر كذلك من مطلعهما الى مغربهما الى ارتفاعهما الى السماء السابعة الى محبسهما تحت العرش حتى يأتى الوقت الذى وقته الله تعالى لتوبة العباد وتكثر المعاصى فى الارض ويذهب المعروف ولا يأمر به أحد ويفشو المنكر فلا ينهى عنه أحد فاذا فعلوا ذلك حبست الشمس مقدار ليلة تحت العرش وكلما سجدت واستأذنت ربها من أين تطلع فلا يؤذن لها ولا يرد لها جواب حتى يوافيها القمر فيسجد معها ويستأذن من أين يطلع فلا يؤذن لهما ولا يرد اليهما جواب حتى يحبسا مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف طول تلك الليلة الا المتهجدون فى الارض وهم يومئذ عصابة قليلة فى الارض فى كل بلد من بلاد المسلمين فى هوان بين الناس وذلة فى أنفسهم فينام أحدهم تلك الليلة مقدار ما كان ينام قبلها من الليل ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاه فيصلى ورده ولا

يصبح نحوما كان يصبح كل ليلة قبل ذلك فينكر ذلك ويخرج فينظر الى السماء فاذا هو بالليل مكانه والنجوم قد استدارت فى السماء وصارت فى أماكنها من أول الليل فينكر ذلك ويظن فيها الظنون ويقول أخففت قراءتى أم قصرت صلاتى أم قمت قبل حينى قال ثم يقوم فيعود الى مصلاه فيصلى نحو صلاته ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج أيضا فاذا هو بالليل مكانه فيزيده ذلك انكارا ويخالطه الخوف ويظن فى ذلك الظنون من السوء ثم يقول لعلى قصرت صلاتى أو خففت قراءتى أو قمت فى أول الليل ثم يعود وهو وجل خائف مشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة فيقوم فيصلى أيضا مثل ورده كل ليلة قبل ذلك ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج الثالثة فينظر الى السماء فاذا هو بالنجوم قد استدارت مع السماء فصارت فى أماكنها أول الليل فيشفق عند ذلك شفقة المؤمن العارف لما كان يحذر فيلحقه الخوف وتلحقه الندامة ثم ينادى بعضهم بعضا وهم قبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون فيجتمع المتهجدون من اهل كل بلدة فى تلك الليلة فى مسجد من مساجدهم يجأرون الى الله تعالى بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة فاذا ما تم لهما مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام اليهما فيقول لهما ان الرب تعالى يأمركما أن ترجعا الى مغربكما فتطلعا منه انه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيبكيان عند ذلك وجلا من الله تعالى وخوف يوم القيامة بكاء يسمعه أهل السبع سموات ومن دونها واهل سرادقات العرش ومن فوقها فيبكون جميعا لبكائهما لما خالطهم من خوف الموت وخوف يوم القيامة فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما قال فبينما المتهجدون يبكون ويتضرعون الى الله تعالى والغافلون فى غفلتهم اذ نادى مناد ألا ان الشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس فاذا هم بهما أسودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما فى كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى وجمع الشمس والقمر وقوله تعالى اذا الشمس كورت فيرتفعان كذلك مثل البعيرين القرنين ينازع كل واحد منهما صاحبه استباقا ويتصارخ أهل الدنيا وتذهل الامهات عن أولادها والاحبة عن ثمرات فؤادها فتشتغل كل نفس عما كسبت فأما الصالحون والابرار فانه ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم ذلك عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم ويكتب عليهم حسرة فاذا ما بلغ الشمس والقمر سرة السماء وهى منتصفها جاءهما جبريل عليه السلام فيأخذ بقرونهما ويردهما الى المغرب فلا يغربهما من مغاربهما من تلك العيون ولكن يغربهما من باب التوبة فقال عمر بأبى أنت وأمى يا رسول الله وما باب التوبة فقال يا عمر خلق الله تعالى بابا للتوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب مكللان بالدر والجوهر ما بين المصراع الى المصراع أربعون سنة للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله تعالى الخلق الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما ولم يتب عبد من عباد الله تعالى توبة نصوحا منذ خلق الله الدنيا الى ذلك اليوم الا ولجت تلك التوبة فى ذلك الباب ثم ترفع الى الله تعالى فقال معاذ بن جبل بأبى أنت وأمى يا رسول الله وما التوبة النصوح قال أن يندم العبد على الذنب الذى أصاب فيعتذر الى الله تعالى ثم لا يعود اليه كما لا يعود اللبن الى الضرع قال فيغربهما جبريل عليه السلام من ذلك الباب ثم يرد المصراعين ثم يلتئم ما بينهما فيصير كأنه لم يكن فيما بينهما صدع قط واذا أغلق باب

التوبة لم يقبل للعبد بعد ذلك توبة ولا تنفعه حسنة يعملها فى الاسلام الا من كان قبل ذلك محسنا فانه يجرى عليه ما كان يجرى عليه قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل اوكسبت فى ايمانها خيرا فقال ابى ابن كعب بأبى أنت وأمى يارسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا فقال ياأبى ان الشمس والقمر يكسيان النور والضوء بعد ذلك ثم يطلعان ويغربان كما كانا قبل ذلك وأما الناس فانهم مع ما رأوا من فظاعة تلك الآية وعظمتها يلحون على الدنيا ويجرون فيها الانهار ويغرسون فيها الاشجار ويبنون فيها البنيان وأما الدنيا فلو نتج الرجل منهم فيها مهرلم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها الى أن ينفخ فى الصور فقال حذيفة جعلنى الله فداءك يارسول الله فكيف بهم عند النفخ فى الصور قال ياحذيفة والذى نفسى بيده لينفخن فى الصور ولتقومن الساعة والرجل قد لاط حوضه فلا يشرع فيه الماء ولتقومن الساعة وقد أخذ لبن لقحته من تحتها فلا يشرب به ولتقومن الساعة والثوب بين الرجلين فلا ينشرانه ولا يطويانه ولا يبيعانه ولتقومن الساعة والرجل قد رفع لقمته الى فيه فلا يطعمها ثم تلا هذه الآية وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون فاذا قامت الساعة قضى الله تعالى بين أهل الدارين وميز بين الفريقين أهل الجنة والنار وقبل أن يدخلوهما يدعو الله تعالى بالشمس والقمر فيجاء بهما أسودين لا نور لهما مكدرين قد وقعا فى الزلازل والبلابل وفرائصهما ترعد من هول يوم القيامة وهول ذلك اليوم ومن مخافة الرحمن تعالى فاذا كانا حذاء العرش خرا ساجدين لله تعالى ويقولان ياالهنا قد علمت طاعتنا لك ودأبنا فى طاعتك وسرعتنا للمضى فى أمرك أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين ايانا فقد علمت انا لم ندعوهم الى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك فيقول الله تعالى صدقتما انى قد قضيت على نفسى أن أبدئ وأعيد انى معيد كما الى ما بدأتكما منه فارجعا الى ما خلقتكما منه فيقولان ربنا مم خلقتنا فيقول خلقتكما من نور عرشى فارجعا اليه فيتلمع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الابصار نورا فيختلطان بنور العرش فذلك قوله تعالى يبدئ ويعيد (قال عكرمة) فقمت مع النفر الذين حدثوا عن كعب ما حدثوا به من أمر الشمس والقمر حتى أتيناه فأخبرناه بغضب ابن عباس وما وجده من حديثه وبما حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما من مبدئهما الى معادهما (فقال كعب الاحبار) انى حدثت عن كتاب دارس منسوخ قد تداولته الايدى وابن عباس حدث عن كتاب حديث العهد بالرحمن جل جلاله ناسخ للكتب وعن سيد الانبياء والمرسلين خير البشر ثم قام فمشى الى ابن عباس فقال بلغنى ما كان من وجدك من حديثى وما حدثت به من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا وانى أستغفر الله من ذلك مع أنى لم أتقوله من تلقاء نفسى ولكن حدثت عن كتاب دارس فلا أدرى ما كان فيه من تبديل الكفار واليهود وأنت حدثت ما حدثت عن كتاب حديث العهد بالرحمن ناسخ للكتب وعن سيد المرسلين وأنا احب أن تحدثنى بما حدثت به أصحابك من حديث الشمس والقمر فاحفظ عنك الحديث فاذا حدثت بشئ من أمر الشمس والقمر فيما بعد هذا اليوم كان هذا الحديث الذى تحدثنى به مكان حديثى الاول قال عكرمة فوالله لقد أعاد عليه ابن عباس الحديث وانى لاستقريه فى قلبى بابا بابا فما زاد شيأ

ولا نقص شيأ ولا قدم ولا أخر فزادنى ذلك فى ابن عباس رغبة وللحديث حفظا والله أعلم

(مجلس فى قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة)

(الباب الاول فى ذكر وجوه من الحكمة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام) قال الحكماء خلق الله تعالى الخلق ليظهر وجوده ولو لم يخلق لما عرف أنه موجود وليظهر كال علمه وقدرته بظهور أفعاله المتقنة المحكمة لانها لا تتأتى الا من قادر حكيم وليعبد فانه يحب عبادة العابدين ويثيبهم عليها على قدر فضله لا على قدر أفعالهم وإن كان غنيا عن عبادة خلقه لا يزيد فى ملكه طاعة المطيعين ولا ينقص من ملكه معصية العاصين قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وليظهر احسانه لانه محسن فأوجدهم ليحسن اليهم وليتفضل عليهم فيعامل بعضا بالعدل وبعضا بالفضل وخلق المؤمنين خاصة للرحمة كما قال عز وجل وكان بالمؤمنين رحيما وقال تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال جعفر بن محمد الصادق والضحاك ابن مزاحم أى للرحمة خلقهم وليحمدوه لانه يحب الحمد (ويروى) أن آدم عليه السلام لما خلقه الله تعالى وعرض عليه ذريته وجد فيهم الصحيح والسقيم والحسن والقبيح والاسود والابيض فقال يارب هلا سويت بينهم فقال الله تعالى انى أحب أن أشكر (قال) أبو الحسن القنال خلق الله تعالى الملائكة للقدرة وخلق الاشياء للعبرة وخلقك للمحنة قال الله تعالى الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم (قال العلماء) خلقكم لاظهار القدرة ثم رزقكم لاظهار الكرم ثم يميتكم لاظهار القهر والجبروت ثم يحييكم لاظهار العدل والفضل والثواب والعقاب ومنهم من قال خلق الخلق جميعهم لاجل محمد صلى الله عليه وسلم عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ياعيسى آمن بمحمد وأمر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن وقيل خلقهم لامر عظيم غيبه عنهم لا يجليه حتى يحل بهم ما خلقهم له قال الله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون * وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه يا أيها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثا فيلهو ولا أهمل سدى فيلغو * وقال الاوزاعى بلغنى أن فى السماء ملكا ينادى كل يوم ألا ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا عرفوا ما خلقوا له * وقال بعضهم اذا ما بوا ثم خلقوا اعلموا ماذا خلقوا له وجلسوا فتذاكروا ماذا عملوا * وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول فى مناجاته الهى غيبت عنى أجلى وأحصيت على عملى ولا أدرى الى أى الدارين منقلبى لقد أوقفتنى وقفة المحزونين أبدا ما أبقيتنى * وقال ابو القاسم الحكيم ان الله تعالى جعل ابن آدم بين البلوى والبلى فما دام الروح فى جسده فهو فى البلوى فاذا فارق الروح الجسد فهو فى البلى فأنى له السرور وهو بين البلوى والبلى * وقال بعض الحكماء يا ابن آدم انظر الى خطر مقامك فى الدنيا ان ربك حلف فقال لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وان ابليس حلف فقال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وأنت يا مسكين بين الله تعالى وبين ابليس مطروح ساه لاه والله أعلم

(الباب الثانى فى خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصنعته)

قال

قال المفسرون بألفاظ مختلفة ومعان متفقة ان الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه الصلاة والسلام
أوحى الله الى الارض انى خالق منك خلقا منهم من يطيعنى ومنهم من يعصينى فمن أطاعنى منهم
أدخلته الجنة ومن عصانى أدخلته النار ثم بعث اليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من ترابها
فلما أتاها جبريل ليقبض منها القبضة قالت له الارض انى أعوذ بعزة الله الذى أرسلك أن تأخذ
منى شيأ يكون فيه غدا للنار نصيب فرجع جبريل عليه السلام الى ربه ولم يأخذ منها شيأ وقال
يارب استعاذت بك فكرهت أن أقدم عليها فأمر الله عز وجل ميكائيل عليه السلام فأتى الارض
فاستعاذت بالله أن يأخذ منها شيأ فرجع الى ربه ولم يأخذ منها شيأ فبعث الله تعالى اليها ملك الموت
فأتى الارض فاستعاذت بالله أن يأخذ منها شيأ فقال ملك الموت وانى أعوذ بالله أن اعصى له أمرا
فقبض قبضة من زواياها الاربع من أديمها الاعلى ومن سبختها وطينها وأحمرها وأسودها وأبيضها
وسهلها وحزنها فكذلك كان فى ذرية آدم الطيب والخبيث والصالح والطالح والجميل والقبيح
ولذلك اختلفت صورهم وألوانهم قال الله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف
ألسنتكم وألوانكم ثم صعد بها ملك الموت الى الله تعالى فأمره أن يجعلها طينا ويخمرها فعجنها
بالماء المر والعذب والملح حتى جعلها طينا وخمرها فلذلك اختلفت أخلاقهم ثم أمر جبريل عليه
السلام أن يأتيه بالقبضة البيضاء التى هى قلب الارض وبهاؤها ونورها ليخلق منها محمدا صلى الله
عليه وسلم فهبط جبريل عليه السلام فى ملائكة الفردوس المقربين الكروبيين وملائكة الصفح
الاعلى فقبض قبضة من موضع قبر النبى صلى الله عليه وسلم وهى يومئذ بيضاء نقية فعجنت بماء
التسنيم ورعرعت حتى صارت كالدرة البيضاء ثم غمست فى أنهار الجنة كلها فلما أخرجت من
الانهار نظر الحق سبحانه وتعالى الى تلك الدرة الطاهرة فانتفضت من خشية الله تعالى فقطر منها
مائة ألف قطرة وأربعة وعشرون ألف قطرة خلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبيا فكل
الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم من نوره خلقوا صلى الله عليه وسلم ثم طيف بها فى السموات
والارض فعرفت الملائكة حينئذ محمدا صلى الله عليه وسلم قبل أن تعرف آدم ثم عجنها بطينة
آدم عليه الصلاة والسلام ثم تركها أربعين سنة حتى صارت طينا لازبا لينا ثم تركها اربعين
عاما حتى صارت صلصالا كالفخار وهو الطين اليابس الذى اذا ضربته بيدك صلصل أى صوت
ليعلم أن أمره بالصنع والقدرة لا بالطبع والحيلة فان الطين اليابس لا ينقاد ولا يتأتى تصويره
ثم جعله جسدا وألقاه على طريق الملائكة التى تهبط الى السماء وتصعد منه أربعين سنة فذلك
قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر الآية قال ابن عباس الانسان آدم والحين
أربعون سنة كان آدم جسدا ملقى على باب الجنة وفى صحيح الترمذى بالاسناد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى تفسير أول البقرة ان الله خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع
الارض من السهل والجبل والاسود والابيض والاحمر فجاءت الاولاد على ألوان الارض
وسأل عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف خلق الله آدم عليه السلام فقال
خلق رأس آدم وجبهته من تراب الكعبة وصدره وظهره من بيت المقدس وفخذيه من أرض
اليمن وساقيه من أرض مصر وقدميه من أرض الحجاز ويده اليمنى من أرض المشرق ويده
اليسرى من أرض المغرب ثم ألقاه على باب الجنة فكلما مر عليه ملأ من الملائكة عجبوا من

حسن صورته وطول قامته ولم يكونوا قبل رأوا شيأ يشبهه من الصور فمر به ابليس فرآه فقال لامر ما خلقت ثم ضرب بيده فاذا هو جوف فدخل فى فيه وخرج من دبره وقال لاصحابه الذين معه من الملائكة هذا خلق أجوف لا يثبت ولا يتماسك ثم قال لهم أرأيتم ان فضل هذا عليكم فما أنتم فاعلون قالوا نطيع ربنا فقال ابليس فى نفسه والله لئن فضل هذا على لاعصينه ولئن فضلت عليه لاهلكنه فذلك قوله تعالى وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون يعنى ما أظهرت الملائكة من الطاعة وأسر ابليس من المعصية وقوله تعالى الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وفى الخبر ان جسد آدم عليه الصلاة والسلام كان ملقى أربعين سنة يمطر عليه مطر الحزن ثم أمطر عليه السرور سنة واحدة فلذلك كثرت الهموم فى أولاده وتصير عاقبتها الى الفرج والراحة وأنشدنا فى هذا المعنى أبو عوانة المهرجانى

يقولون ان الدهر يومان كله * فيوم محبات ويوم مكاره

وما صدقوا فالدهر يوم محبة * وأيام مكروه كثير البدائه

وأنشدنى ابن الاعرابى فقال

محن الزمان كثيرة لا تنقضى * وسروره يأتيك بالفلتات

وأنشدنى أبو بكر الصولى لابن المعتز

أى شئ يكون أعجب من ذا * لو تفكرت فى صروف الزمان

حادثات السرور توزن وزنا * والبلايا تكال بالقفزان

(الباب الثالث فى صفة نفخ الروح) *

قال العلماء لما أراد الله تعالى أن ينفخ فى آدم عليه السلام الروح أمرها أن تدخل فى فيه فقالت الروح مدخل بعيد القعر مظلم المدخل فقال للروح ثانية فقالت مثل ذلك وكذلك ثالثة الى أن قال فى الرابعة ادخلى كرها واخرجى كرها فلما أمرها الله تعالى بذلك دخلت فى فيه فأول ما نفخ فيه الروح دخلت دماغه فاستدارت فيه مقدار مائتى عام ثم نزلت فى عينيه (والحكمة فى ذلك) أن الله تعالى أراد أن يرى آدم بدء خلقه وأصله حتى اذا تتابعت عليه الكرامات لا يدخله الزهو ولا العجب بنفسه ثم نزلت فى خياشيمه فعطس فحين فراغه من عطاسه نزلت الروح الى فيه ولسانه فلقنه الله تعالى أن قال الحمد لله رب العالمين فكان ذلك أول ما جرى على لسانه فأجابه ربه عز وجل فقال يرحمك ربك يا آدم للرحمة خلقتك قال تعالى سبقت رحمتى غضبى ثم نزلت الروح الى صدره وشراسيفه فأخذ يعالج القيام فلم يمكنه ذلك وذلك قوله تعالى وكان الانسان عجولا وقوله تعالى خلق الانسان من عجل فلما وصلت الروح الى جوفه اشتهى الطعام فهو أول حرص دخل جوف آدم عليه الصلاة والسلام وفى بعض الاخبار ان آدم عليه السلام لما قال له ربه يرحمك ربك يا آدم مد يده ووضعها على أم رأسه وقال أوه فقال الله مالك يا آدم فقال انى أذنبت ذنبا فقال من أين علمت ذلك فقال لان الرحمة للمذنبين فصارت تلك سنة فى أولاده اذا أصاب أحدهم مصيبة أو محنة وضع يده على رأسه وتأوه ثم انتشرت الروح فى جسده كله فصار لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا ثم كساه الله تعالى لباسا من ظفر وجعل يزداد كل يوم حسنا فلما قارف الذنب بدل بهذا الجلد وبقيت منه بقية فى أنامله ليتذكر به أول حاله (قال عبد الله بن الحرث)

كانت الدواب تتكلم قبل خلق الله تعالى آدم عليه السلام وكان النسر يأتى الحوت فى البحر فيخبره بما فى البر ويخبره الحوت بما فى البحر فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام جاء النسر الى الحوت فقال لقد خلق الله اليوم خلقا ورأيت اليوم شيأ لينزلنى من وكرى وليخرجنك من البحر فلما أتم الله خلق آدم عليه الصلاة والسلام ونفخ فيه الروح قرطه وشقه وصوره وختمه ومنطقه وألبسه من لباس الجنة وزينه بأنواع الزينة يخرج من ثناياه نور كشعاع الشمس ونور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى جبينه كالقمر ليلة البدر ثم رفعه على سرير وحمله على أكناف الملائكة وقال لهم طوفوا به فى سمواتى ليرى عجائبها وما فيها فيزداد يقينا فقالت الملائكة لبيك ربنا سمعنا واطعنا فحملته الملائكة على اعناقها وطافت به السموات مقدار مائة عام حتى وقف على كل شئ من آياتها وعجائبها ثم خلق الله فرسا من المسك الاذفر يقال له الميمون له جناحان من الدر والجواهر فركبه آدم عليه الصلاة والسلام وجبريل آخذ بلجامه وميكائيل عن يمينه واسرافيل عن شماله فطافوا به السموات كلها وهو يقول السلام عليكم يا ملائكة الله فيقولون وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال الله تعالى يا آدم هذه تحيتك وتحية المؤمنين من ذريتك فيما بينهم الى يوم القيامة ثم علمه الله تعالى الاسماء كلها واختلف العلماء فى هذه الاسماء فقال الربيع بن أنس أسماء الملائكة كلهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أسماء ذريته وقال ابن عباس وأكثر الناس علمه اسم كل شئ حتى القصعة والقصيعة ثم أمر الملائكة بالسجود له كما قال تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وأكثر العلماء على أن الامر بالسجود لآدم انما توجه على الملائكة الذين كانوا مع ابليس خاصة دون سائر الملائكة وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة فلما أمرهم بالسجود سجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين

(الباب الرابع فى صفة خلق حواء رحمها الله تعالى)

قال المفسرون لما أسكن الله تعالى آدم الجنة كان يمشى فيها وحشيا لم يكن له من يجالسه ويؤانسه فألقى الله تعالى عليه النوم فنام فأخذ الله ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر يقال له القصيرى فخلق منه حواء من غير أن أحس آدم بذلك ولا وجد له ألما ولو ألم آدم من ذلك لما عطف رجل على امرأة ثم ألبسها من لباس الجنة وزينها بأنواع الزينة وأجلسها عند رأسه فلما هب آدم من نومه رآها قاعدة عند رأسه فقالت الملائكة لآدم يمتحنون علمه ما هذه يا آدم قال امرأة قالوا وما اسمها قال حواء قالوا صدقت ولم سميت حواء بذلك قال لانها خلقت من شئ حى قالوا ولماذا خلقها الله تعالى قال لتسكن الى وأسكن اليها وذلك قوله تعالى هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها قال النبى صلى الله عليه وسلم خلقت المرأة من ضلع أعوج فان تقمها تكسرها وان تتركها تستمتع بها على عوجها وقيل الحكمة فى ان الرجال يزيدون على مرور الايام والاعوام حسنا وجمالا لانهم خلقوا من التراب والطين يزداد كل يوم جدة وجمالا والنساء يزددن على مرور الايام قبحا لانهن خلقن من اللحم واللحم يزداد على مرور الايام فسادا وفى بعض الاخبار أن آدم عليه السلام لما رأى حواء مد يده اليها فقالت

الملائكة مه يا آدم فقال ولم وقد خلقها الله تعالى لي فقالت الملائكة حتى تؤدي مهرها قال وما مهرها قالوا أن تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال ومن محمد قالوا آخر الانبياء من ولدك ولولا محمد ما خلقت وروى سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله أن يخلق جارية بعث اليها ملكين أصفرين مكللين بالدر والياقوت فيضع أحدهما يده على رأسها ويضع الآخر يده على رجلها ويقولان بسم الله وبنا وربك الله ضعيفة خلقت من ضعيفة المنفق عليها معان الى يوم القيامة

(الباب الخامس في ذكر امتحان الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام وما كان منه في ذلك)

قال أهل التاريخ لما أسكن الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام الجنة أباح لهما نعيم الجنة كلها الا شجرة واحدة وذلك قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة الى قوله فتكونا من الظالمين واختلفوا في هذه الشجرة التي هي شجرة المحنة ماهي فقال علي رضي الله عنه هي شجرة الكافور وقال قتادة هي شجرة العلم وفيها من كل شيء علامة وقال محمد بن كعب ومقاتل هي السنبلة وقيل هي الحنطة وهي الكرمة فوسوس لهما الشيطان حتى زين لهما الشجرة فأكلا منها هما وربهما عن أكلهما من ثمرة تلك الشجرة وحسن لهما معصية الله تعالى في ذلك حتى أكلا منها وكان وصول عدو الله ابليس اليهما وتزيينه ذلك لهما على ما ذكره أصحاب الاخبار أن ابليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة من ذلك فأتى الحية وكانت من أحسن الدواب التي خلقها الله تعالى لها أربعة قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة وكانت لابليس صديقة فسألها أن تدخله الجنة في فيها فأدخلته في فيها ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة وكان قد دخل مع آدم الجنة لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم والكرامة فقال طيب لو كان خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه فأتاه من قبل الخلد وقيل ان ابليس لما سمع بدخول آدم الجنة حسده وقال يا ويلاه أنا أعبد الله منذ كذا وكذا الف سنة ولم يدخلني الجنة وهذا خلق خلقه الله تعالى الآن فأدخله الجنة فاحتال في اخراج آدم عليه السلام من الجنة فوقف على باب الجنة وتعبد ثلثمائة سنة هنالك حتى اشتهر بالعبادة وعرفوه بها وهو في كل ذلك ينتظر خروج خارج من الجنة يتوصل به الى آدم فمكث على باب الجنة ثلثمائة سنة لا يأذن الله تعالى في خروج خلق منها فبينما هو كذلك اذ خرج اليه الطاوس وكان سيد طيور الجنة فلما رآه ابليس قال له أيها الخلق الكريم من أنت وما اسمك فما رأيت من خلق الله أحسن منك قال أنا طير من طيور الجنة اسمي طاوس فبكى ابليس فقال له الطاوس من أنت ومم بكاؤك فقال له ابليس أنا ملك من الملائكة الكروبيين وانما بكيت تأسفا على ما يفوتك من حسنك وكمال خلقتك فقال له الطاوس أيفوتني ما أنا فيه قال بلى وانك تفنى وتبيد وكل الخلائق يبيدون الا من تناول من شجرة الخلد فانهم هم المخلدون من تلك الخلائق فقال الطاوس وأين تلك الشجرة قال ابليس هي في الجنة قال الطاوس ومن يدلنا بمكانها قال ابليس أنا أدلك عليها ان أدخلتني الجنة قال الطاوس كيف لي بادخالك الجنة ولا سبيل الى ذلك لمكان رضوان فانه لا يدخل الجنة أحد ولا يخرج منها أحد الا باذنه ولكني سأدلك على



خلق من خلق الله تعالى يدخلكها فانه ان قدر على ذلك أحد فهو هو دون غيره فانه خادم خليفة الله تعالى آدم قال ومن هو قال الحية قال لها ابليس فبادر اليها فان لنا فيه سعادة الابد لعلها تقدر على ذلك فجاء الطاوس الى الحية وأخبرها بمكان ابليس وما سمع منه وقال انى رأيت بباب الجنة ملكا من الكروبيين من صفته كيت وكيت فهل لك أن تدخليه الجنة ليدلنا على شجرة الخلد فأسرعت الحية نحوه فلما جاءته قال لها ابليس نحوا من مقالته للطاوس فقالت كيف لى بادخالك الجنة ورضوان اذا رآك لم يمكنك من دخولها فقال لها أتحول ريحا فتجعليني بين أنيابك قالت نعم فتحول ابليس لعنه الله ريحا ودخل فى فم الحية فأدخلته الجنة فلما دخل ابليس الجنة أراها الشجرة التى نهى الله تعالى عنها آدم وجاء حتى وقف بين يدى آدم وحواء عليهما السلام وهما لا يعلمان أنه ابليس فناح عليهما نياحة أحزنتهما فبكيا وكان اول من ناح فقالا له ما يبكيك قال ابكى عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعيم والكرامة فوقع ذلك فى أنفسهما واغتما لذلك وبكى ابليس ومضى ثم ان ابليس أتاهما بعد ذلك وقد أثر قوله فيهما فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى قال نعم قال كل من هذه الشجرة شجرة الحنطة فقال نهانى ربى عنها فقال ابليس ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فأبى ان يقبل منه فاقسم لهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغترا بذلك وما كانا يظنان أن أحدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم زينت لآدم حتى أكلها * روى محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت أبى يقول سمع جدى يقول سمعت سعيد بن المسيب يحلف بالله ولا يستثنى ان آدم ما أكل من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى اذا سكر قادته اليها فأكل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر مجمع الخبائث وأم الذنوب ويقال لما قال الله تعالى لآدم وحواء لا تقربا هذه الشجرة قالا نعم لا نقربها ولا نأكل منها ولم يستثنيا فى قولهما بمشيئة الله تعالى فوكلهما الله تعالى الى أنفسهما حتى أكلا المنهى عنها وقال سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت ابراهيم بن الأشعث يقول سمعت ابراهيم بن أدهم يقول لقد أورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا وقال الشبلى أول الدق دردى هذا أبونا آدم باع ربه بكف من حنطة فلما أكل من الشجرة المنهى عنها ابتلاه الله بعشرة أشياء الأولى معاتبته اياهما على ذلك بقوله ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين والثانية الفضيحة فانه لما أصابا الذنب بدت لهما سوآتهما وتهافت عنهما ما كان عليهما من لباس الجنة فتحير آدم وصار هاربا فى الجنة فتلقته شجرة العناب فأخذت بناصيته وناداه ربه أفرارا منى يا آدم قال بلى يارب ولكن حياء منك ولذلك قيل كفى بالمقصر حياء يوم القيامة ويروى ان آدم لما بدت سوأته وظهرت عورته طاف باشجار الجنة يسأل منها ورقة يغطى بها عورته فزجرته أشجار الجنة حتى رحمته شجرة التين فأعطته ورقة فطفقا يعنى آدم وحواء يخصفان عليهما من ورق الجنة فكافأ الله التين بأن سوى ظاهره وباطنه فى الحلاوة والمنفعة وأعطاه الله ثمرتين فى كل عام والثالثة أوهن جلده وصيره مظلما بعد أن كان جلده كله كالظفر وأبقى عليه من ذلك قدرا يسيرا على أنامله ليتذكر بذلك أول حاله والرابعة أخرجه من جواره ونودى انه لا ينبغى أن يجاورنى من عصانى فذلك قوله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم

قوله حتى اذا سكر فيه نظر اذ الجنة منزهة عن السكر لان فيها غول اهـ

فى الارض مستقر الآية يعنى آدم وحواء وابليس والحية والطاوس فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند وقيل على جبل من أرض الهند يقال له نود وقيل واسم وحواء بجدة بلد من أرض الحجاز وابليس بالابلة من أرض العراق وهى بالبصرة وقيل مشان والحية باصبهان والطاوس بارض بابل ويقال ان الحكمة فى اخراج آدم من الجنة أنه كان فى صلبه من لا يستحق الولاية ولا يصلح لحظيرة القدس فاذا أخرجهم من صلبه أعاده الله اليها خالدا فيها ويقال ان الله تعالى أخرج آدم من الجنة قبل ان يدخله فيها وذلك قوله انى جاعل فى الارض خليفة ولم يقل فى الجنة (أخبرنى) نافل بن أذفر بن أحمد باسناده عن عثمان بن علية قال سمعت الوضين بن عطاء يذكر أن آدم قال كانسلا من نسل الجنة فسبانا ابليس بالخطيئة الى الارض فلا ينبغى لنا الفرح فى الدنيا ولكن الحزن والبكاء مادمنا فى دار السباء حتى نرد الى الدار التى سبينا منها وقال الشاعر

يا ناظرا يرنو بعينى راقد * ومشاهد الايام غير مشاهد
منتك نفسك وصلة فابحتها * سبل الرجاء وهن غير قواصد
تصل الذنوب الى الذنوب وترتجى * درج الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدما * منها الى الدنيا بذنب واحد

والخامسة الفرقة فرق بينه وبين حواء مائة سنة هذا بالهند وهذه بجدة فجاء كل واحد منهما يطلب صاحبه حتى قرب أحدهما من صاحبه فازدلفا فسميت المزدلفة واجتمعا بجمع فسمى جمعا وتعارفا بعرفة فى يوم عرفة فسمى الموضع عرفات واليوم عرفة والسادسة العداوة ألقى بينهم العداوة والبغضاء كما قال الله تعالى بعضكم لبعض عدو فالانسان عدو الحية يشدخ رأسها حيث يراها والطاوس عدوه والحية عدوته تلدغه اذا امكنها وابليس عدو لهم جميعا وفيه اشارة الى ان الاحباب اذا اجتمعوا وتعاونوا على معصية أعقبت معصيتهم عداوة كما قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين والسابعة النداء عليه باسم العصيان فقال تعالى وعصى آدم ربه فغوى * وروى أن ابراهيم عليه السلام تفكر ذات ليلة من الليالى فى أمر آدم فقال يارب خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من روحك وأسجدت له ملائكتك وأسكنته جنتك بلا عمل ثم بزلة واحدة ناديت عليه بالمعصية وأخرجته من جوارك من الجنة فأوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب أمر شديد والثامنة تسلط العدو على أولاده وهو قوله تعالى وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم الآية والتاسعة جعل الدنيا سجنا له ولاولاده وابتلاءه بهواء الدنيا ومقاساة البرد والحر فيها ولم يكن له بها عهد لتعوده هواء الجنة وهو كما قال الله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة سجسج لا حر فيها ولا قر العاشرة التعب والشقاء وذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فهو أول خلق عرق جبينه من التعب والنصب

(فصل) * وابتليت حواء وبناتها بهذه الخصال وبخمس عشرة خصلة سواهن الاولى الحيض يروى أنها لما تناولت الشجرة دميت الشجرة قال الله تعالى ان لك على أن أدميك أنت وبناتك فى كل شهر مرة كما أدميت هذه الشجرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحيض ان هذا شئ

كتبه الله تعالى على بنات آدم الثانية ثقل الحمل الثالثة الطلق وألم الوضع قال الله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها وفى الخبر لولا الزلة التى أصابت حواء كان النساء لم يحضن ولكن حليمات وكن يحملن سرا ويضعن سرا الرابعة نقصان دينها الخامسة نقصان عقلها * عن أبى سعيد فى حديث ذكره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من احداكن فقلن له وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله قال أليس شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل فذلك نقصان عقلها أوليس اذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم قلن بلى قال فذلك نقصان دينها السادسة أن ميراثها على النصف من ميراث الرجل قال الله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين السابعة تخصيصهن بالعدة الثامنة جعلهن تحت أيدى الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم التاسعة ليس لهن من الطلاق شئ ولا يملكن ذلك وانما هو للرجال العاشرة حرمن الجهاد الحادية عشر ليس منهن نبى الثانية عشر ليس منهن سلطان ولا حاكم الثالثة عشر لا تسافر احداهن الا مع ذى رحم محرم الرابعة عشر لا تنعقد بهن الجمعة الخامسة عشر لا يسلم عليهن * وعاقب ابليس لعنه الله تعالى بعشرة أشياء أولها عزله عن الولاية وكان له ملك الارض وملك سماء الدنيا وكان خازن الجنة الثانية أخرجه من جواره وأهبطه الى الارض الثالثة مسخ الله صورته فصيره شيطانا بعدما كان ملكا الرابعة غير اسمه وكان اسمه عزازيل فسماه ابليس لانه أبلس من رحمة الله تعالى الخامسة جعله امام الاشقياء السادسة لعنه الله السابعة نزع منه المعرفة الثامنة أغلق عنه باب التوبة التاسعة جعله مريدا أى خاليا من الخير والرحمة العاشرة جعله خطيب أهل النار * وعاقب الحية بخمسة أشياء قطع قوائمها وامشاها على بطنها ومسخ صورتها بعد أن كانت أحسن الدواب وجعل غذاءها التراب وجعلها تموت كل سنة بالشتاء وجعلها عدوة بنى آدم وهم أعداؤها حيثما يرونها يقتلونها وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها فى الصلاة وفى حال الاحرام عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سالمناهن منذ حاربناهن من ترك شيأ منهن خيفة منه فليس منى يعنى الحيات (أخبرنا) ابن قال حدثنا عبد الله بن يونس قال أخبرنا داود عن محمد عن أبى الاعين العبدى عن أبى الاحوص الحسنى قال بينما ابن مسعود يخطب ذات يوم فاذا هو بحية تمشى على الجدار فقطع خطبته ثم ضربها بقضيب حتى قتلها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قتل حية فكأنما قتل رجلا مشركا قد حل دمه

(الباب السادس فى حال آدم بعد هبوطه الى الارض وما كان منه)

قال ابن عباس رضى الله عنهما لما اهبط آدم الى الارض على جبل سرنديب وذكر أن ذروته أقرب من ذرا جبال الارض الى السماء وكانت رجل آدم على الجبل ورأسه فى السماء يسمع دعاء الملائكة وتسبيحهم وكان آدم يأنس بذلك فهابته الملائكة واشتكت الى ربها فحطت قامته الى ستين ذراعا وكان قبل ذلك يمس رأسه السحاب فصلع وأخذ أولاده الصلع فلما نقص من قامته ذلك قال رب كنت جارك فى دارك ليس لى رب سواك ولا رقيب دونك آكل فيها رغدا وأسكن حيث

أحببت فاهبطتني الى هذا الجبل وكنت أسمع أصوات الملائكة وأراهم كيف يحفون بعرشك وأجد ريح الجنة وطيبها ثم أهبطتني الى الارض وحططتني الى ستين ذراعا فقد انقطع عني الصوت والنظر وذهبت عني رائحة الجنة فأجابه الله تعالى بمعصيتك يا آدم فقال آدم ذلك بك يارب * وقال وهب بن منبه لما اهبط الله آدم من الجنة واستقر جالسا على الارض عطس عطسة فسال انفه دما فلما رأى سيلان الدم من انفه ولم يكن رأى قبل ذلك دما هاله مارأى ولم تشرب الارض الدم فاسود على وجهها كالحمم ففزع آدم من ذلك فزعا شديدا فذكر الجنة وما كان من الراحة فخر مغشيا عليه وبكى أربعين عاما فبعث الله اليه ملكا فمسح ظهره وبطنه وجعل يده على فؤاده فذهب عنه الحزن والغشي فاستراح مما كان يصيبه من الغم * قال شهر بن حوشب بلغني أن آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بكى آدم وحواء على مافاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين سنة ولم يقرب آدم حواء مائة سنة فلما أراد الله تعالى ان يرحم عبده آدم لقنه كلمات كانت سبب قبول توبته كما قال تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه الآية * واختلفوا في تلك الكلمات ماهي فقال ابن عباس هي ان آدم عليه السلام قال يارب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال ألم تنفخ فيّ من روحك قال بلى قال ألم تسبق لي رحمتك قبل غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال فلم أخرجتني منها قال لشؤم معصيتك قال أي رب أرأيت ان أنا تبت وأصلحت ترجعني الى الجنة فهي الكلمات * وقال عبد الله بن عمران آدم قال يارب أرأيت ماأتيته شيء ابتدعته من تلقاء نفسي أو شيء قدرته علي قبل أن تخلقني بيدك قال لا بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته علي فاغفرلي * وقال محمد بن كعب القرظي هي قول لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسي فتب علي انك أنت التواب الرحيم لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفرلي انك انت الغفور الرحيم لا اله الا انت سبحانك اللهم وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فارحمني انك أنت أرحم الراحمين وقال سعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة هي قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية ثم أنزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة ووضعها موضع البيت على قدر الكعبة لها بابان باب شرقي وباب غربي وفيها قناديل من نور ثم أوحى الله تعالى الى آدم ان لي حرما بحيال عرشي فأته وطف به كما يطاف حول عرشي وصل عنده كما يصلي عند عرشي فهنالك أستجيب دعاءك فانطلق آدم من أرض الهند الى أرض مكة لزيارة البيت وقيض الله ملكا يرشده فكان كل موضع يضع عليه قدمه عمرانا وماتعداه مفاوز وقفارا فلما وقف بعرفات وكانت حواء طلبته وقصدته من جدة فالتقيا بعرفات يوم عرفة فسمي ذلك الموضع عرفات فلما انصرفا الى منى قيل لآدم تمن فقال أتمنى المغفرة والرحمة فسمي ذلك الموضع منى وغفر ذنبهما وقبل توبتهما ثم انصرفا الى أرض الهند * قال مجاهد حدثني ابن عباس أن آدم حج من أرض الهند أربعين حجة على رجليه فقيل لمجاهد ياأبا الحجاج الا كان يركب قال وأي شيء كان يحمله فوالله ان خطوته لمسيرة ثلاثة أيام * وقال ابن عمر لما حج آدم عليه السلام البيت وقضى المناسك كلها تلقته الملائكة يهنؤنه بالحج وقبول التوبة فقالوا بر حجك يا آدم فدا خله من ذلك شيء

قوله فداخله الخ فيه ان الانبياء معصومون من العجب اهـ

فلما رأت الملائكة منه ذلك قالوا يا آدم انا قد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام فتقاصرت الى آدم نفسه وقال ابو العالية خرج آدم من الجنة ومعه عصا من شجرة الجنة وعلى رأسه تاج من شجر الجنة فلما صار الى الأرض يبس ذلك الاكليل وتحات الورق فنبت منه أنواع الطيب فلذلك كان أصل كل طيب بالهند * وقال ابن عباس رضى الله عنهما نزل آدم من الجنة ومعه طيب فزرع آدم شجر الهند فى أوديتها وكان أصله من الجنة فامتلأ ماهنالك طيبا فمن ثم يؤتى بالطيب من الهند وأصله من ريح آدم عليه السلام وريحه من ريح الجنة وأنزل الله معه الحجر الاسود وكان أشد بياضا من الثلج وعصا موسى عليه السلام وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى وقيل كانت من البان وروى سفيان عن منصور بن معمر عن ربعى بن خراش عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما أهبط آدم من الجنة الى أرض الهند وعليه ذلك الورق الذى كان لباسه من الجنة فيبس وتطاير بأرض الهند فعبق شجر العود والصندل والمسك والعنبر والكافور من ذلك الورق فقالوا يا رسول الله المسك هو من الدواب أم من الشجر قال أجل انما هى دابة تشبه الغزال رعت من ذلك الشجر فصير الله المسك فى سرتها فاذا رعت الربيع جعله الله مسكا وتساقط فينتفع به الآدميون قالوا يا رسول الله فأين يقع قال قال لى جبريل فى ثلاث كور لا يكون فى شئ من الارض الا فيها أرض الهند وأرض السعدى وأرض التبت قالوا يا رسول الله العنبر انما هى دابة فى البحر قال أجل كانت هذه الدابة بأرض الهند ترعى فى البر فبعث الله اليها جبريل عليه السلام فساقها وما معها فقذفها فى البحر وهى اعظم ما تكون من الدواب غلظها ألف ذراع وانما ترمى به كما ترمى البقر أخثاءها فربما يخرج من جوفها العنبرة وزنها ألف رطل وخمسمائة رطل ونحو ذلك * ثم ان آدم وجد ضربانا فى رأسه وجسده فشكا ذلك الى الله تعالى فنزل عليه جبريل بشجرة الزيتون فأمره أن يأخذ ثمرها ويعصره فقال ان فى هذه الشجرة شفاء من كل داء الا السام ودله جبريل عليه السلام على شجرة الاهليلج الابيض والاسود والاصفر فقال له ان ربك يقرئك السلام ويقول لك كل من هذه فانك لن تتداوى أنت وذريتك بدواء افضل منها فيها شفاء من كل داء ان بقى فى جوفك لم تخف منه وان خرج أخرج الداء كله وأبرأه فأكله آدم فبرئ قال أهل الاخبار ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض وأصاب جسده أذى الهواء وأحس به اشتكى وحشة بجسده وكان قد اعتاد هواء الجنة فشكا ذلك الى جبريل فقال انك تشكو العرى فأنزل الله عليه ثمانية أزواج المذكورة فى سورة الانعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ثم أمره أن يذبح كبشا منها فذبحه ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم فجعل منه جبة لنفسه وجعل لحواء درعا وخمارا فلبساه وبكيا على ما فاتهما من لباس الجنة فحواء أول من غزلت وآدم أول من نسج ولبس الصوف * عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما تقول فى حرفتى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما حرفتك فقال انا رجل حائك قال حرفتك حرفة ابينا آدم عليه السلام وكان أول من نسج آدم وكان جبريل يعلمه وآدم تلميذه ثلاثة أيام وان الله عز وجل يحب حرفتك فانها حرفة يحتاج اليها الاحياء والاموات فمن قال منكم القبيح فأبونا آدم خصمه ومن أنف منكم فقد أنف من آدم ومن لعنكم فقد لعن آدم ومن اذاكم

فقد آذى آدم وهو خصمهم يوم القيامة فلا تخافوا وأبشروا فان حرفتكم حرفة مباركة ويكون آدم قائدكم الى الجنة * وعن أبى أمامة الباهلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بلباس الصوف تجدون قلة الاكل عليكم بلباس الصوف تعرفون به فى الآخرة وان النظر فى الصوف ليورث القلب التفكر والتفكر يورث الحكمة والحكمة تجرى فى الجوف مجرى الدم فمن كثر تفكره قل طمعه وكل من قل تفكره كثر طمعه وعظم بدنه وقسا قلبه والقلب القاسى بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار * قالوا ثم ان آدم عليه الصلاة والسلام بعد ستر عورته اشتكى فقال له جبريل ما الذى اصابك فقال أجد فى نفسى قلقا واضطرابا ولا اجد الى العبادة منه سبيلا وانى اجد بين لحمى وجلدى دبيبا كدبيب النمل قال له جبريل ذلك يسمى الجوع قال وكيف الخلاص من ذلك قال سوف أهديك الى ذلك فغاب عنه ثم جاءه بثورين احمرين والعلاة يعنى السندان والمطرقة والمنفخة والكلبتين ثم جاءه بشرر من جهنم فوقع فى يد آدم فطار منه شرارة فوقعت فى البحر فدخل جبريل اليها واتى بها فدفعها الى آدم فطارت منه أيضا حتى فعل ذلك سبع مرات فذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم ان ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم بعد أن غسلت بالماء سبع مرات فلما جاء بها فى الثامنة نطقت النار فقالت يا آدم انى لا أطيعك وانى منتقمة من عصاة اولادك يوم القيامة فقال جبريل يا آدم انها لن تطيعك ولكنى اسجنها لك ولاولادك ليكون لك ولاولادك فيها المنافع فسجنها فى الحجر والحديد فذلك قوله تعالى أفرأيتم النار التى تورون أأنتم الآية ويروى ان آدم لما اخذ النار احترقت يده فخلى عنها فقال لجبريل مالها تحرق يدى ولا تحرق يدك قال لانك عصيت الله وانى لم اعصه ثم أمره جبريل باتخاذ آلة الحرث فهو أول من عمل الحديد ثم أتاه بصرة من حنطة فيها ثلاث حبات من الحنطة فقال يا آدم لك حبتان ولحواء حبة فلذلك صار للذكر مثل حظ الانثيين وكان وزن الحبة مائة ألف درهم وثمانين ألف درهم فقال آدم ما أصنع بهذا كله فقال يا آدم خذها فانها سبب سد جوعتك وبها أخرجت من الجنة وبها تحيا فى الدنيا وبها تلقى الفتنة انت وأولادك الى ان تقوم الساعة ثم امره أن يشد الثورين ويكسر من الخشب ويضعه عليهما ففعل ذلك وجعل يحرث الارض عليهما فهو اول من حرث الارض وبكى الثوران على مافاتهما من راحات الجنة فقطرت دموعهما على الارض فنبت منها الجاورس وبالا فنبت منه الحمص وراءنا فنبت منه العدس ثم كسر جبريل تلك الحبوب حتى كثرها ثم بذرها فنبتت من ساعته فقال آدم عليه الصلاة والسلام آكله فقال لا اصبر حتى يدرك فلما سنبل وأفرك قال آكله قال لا وعلمه الحصاد فلما حصد قال آكله قال لا وعلمه الدياس فلما داس قال آكله قال لا وعلمه التنقية فلما انقاه قال آكله قال لا وجاءه بحجرين وعلمه الطحن فلما طحنه قال آكله قال له لا وعلمه العجن ويقال ان آدم عليه الصلاة والسلام لما نخل دقيقه فأمره جبريل أن يبث النخالة فى الارض المستحصدة فنبت فيها الشعير فلما عجن قال له آكله قال لا فأمره أن يحتفر حفيرة ويضع الحطب فيها ويوقد عليها نارا ففعل ذلك حتى جعله خبز ملة ثم وضع عجينه عليه فخبز فهو أول من خبز فلما اخرجه قال آكله قال لا حتى يبرد فلما برد أكله فلما أكله دمعت عينا آدم عليه السلام وقال ما هذا التعب والنصب قال له هذا وعد الله الذى وعدك فذلك قوله

تعالى

تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى أما آن لك ان تأكل من كد يمينك وعرق جبينك أنت وذريتك فلما استوفى آدم من الطعام شكا من بطنه ولم يدر ما هو فشكا ذلك الى جبريل عليه السلام فقال ذلك العطش قال فبم أسكنه فغاب عنه ثم عاد اليه ومعه المعول وقال له احتفر الارض فما زال يحفر حتى بلغ الى ركبتيه فنبع الماء من تحت رجليه ماء زلالا أبرد من الثلج وأحلى من العسل وقال يا آدم اشرب منه شربة فشربها فاطمأن ثم انه بعد ذلك وجد تشكيا أشد من الاول والثانى فقال لجبريل ما هذا الذى أجده قال لا أدرى فبعث الله اليه ملكا ففتق قبله ودبره ولم يكن قبل ذلك للطعام مخرج فلما خرج منه ما آذاه ووجد ريحه بكى على ذلك سبعين سنة * قالوا لما أنزل الله الى ادم الحديد نظر الى قضيب من حديد نابت على الجبل فقال هذا من هذا فجعل يكسر اشجارا قد عتقت ويبست فأوقد على ذلك الحديد حتى ذاب وكان اول شئ ضرب منه مدية فكان يعمل بها ثم ضرب التنور الذى ورثه نوح عليه الصلاة والسلام وهو الذى فار بالعذاب بالهند * قالوا لما أهبط الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أخرج معه من الجنة قطعة من ذهب فلذلك يبقى الذهب لا يبلى بالثرى ولا يصدأ من الندى ولا تنقصه الارض ولا تأكله النار لانه من الجنة جل وقيل ان الله تعالى زود آدم حين أهبطه الى الارض من الثمار ثلاثين نوعا عشرة منها فى القشور وعشرة لها نوى وعشرة لا قشور لها ولا نوى فاما التى هى فى القشور فالجوز واللوز والفستق والبندق والخشخاش والبلوط والشاه بلوط والنارنج والرمان والموز وأما التى لها نوى فالخوخ والمشمش والاجاص والعناب والفرسك والرطب والغبيراء والنبق والزعرور والمقل واما التى لا قشر لها ولا نوى فالتفاح والسفرجل والكمثرى والعنب والتوت والتين والاترج والخروب والخيار والبطيخ * وقال ابن جريج اهبط الله تعالى آدم عليه السلام ومعه آنية فيها بزر عريشة من عنب وريحانة فغرس آدم العريش فلما اطلعت جاء ابليس فسرق ثمرها فقال له آدم ويلك أخرجتنى من الجنة ولا تريد أن تجعل لى رزقا فقال له ان لى فيها حقا قال وما حقك قال نشوها ولكم سائرها وقال ابن عباس هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء الآسة وهى سيدة رياحين الدنيا والسنبلة وهى سيدة طعام أهل الدنيا والعجوة وهى سيدة ثمار الدنيا وروى ابن عباس وعائشة وأبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان العجوة من غراس الجنة وفيها شفاء وانها ترياق اول البكرة وعليكم بالتمر البرنى فكلوه فانه يسبح فى شجره ويستغفر لآكله وقال ابن عباس لما أهبط آدم الى الارض كان أول شئ أكله من الثمار التين وقال كعب أول من ضرب الدينار والدرهم آدم وقال لا تصلح المعيشة الا بهما وقال وهب بن منبه ان آدم لما أهبط الى الارض ورأى سعتها ولم ير فيها أحدا غيره فقال يارب أما لارضك هذه من عامر يسبحك ويحمدك ويقدسك غيرى قال الله تعالى ساجعل فيها من ولدك من يسبحنى ويحمدنى ويقدسنى وسأجعل فيها بيوتا ترفع بذكرى ويسبح فيها خلقى ويذكر فيها اسمى وساجعل من ولدك يا آدم من يعبدنى حق عبادتى وساجعل من تلك البيوت بيتا أخصه بكرامتى وأوثره باسمى فاسميه بيتى وأنطقه بعظمتى وعليه وضعت جلالى واجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمته من حوله ومن فوقه ومن تحته فمن حرمه بحرمتى استوجب بذلك كرامتى ومن

أخاف أهله فيه فقد خفر ذمتي وأباح حرمتي واستوجب بذلك عذابي وعقابي وسأجعل هذا البيت أول بيت وضع للناس ببطن مكة مباركا يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجا ويضجون بالبكاء ضجيجا ويعجون بالتكبير عجيجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد وفد الي وزارني واستضافني فحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وأن يسعف كلا بحاجته يا آدم تعمره مادمت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن ثم ان الله تعالى مسح ظهر آدم بيده وأخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة كالذر بنعمان من عرفة قرية بمكة ثم أخذ عليهم الميثاق وكلمهم وقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وسئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق آدم ومسح ظهره فاستخرج منه ذرية وقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج ذرية وقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على ذلك فهو من أهل النار وقال وهب بن منبه رحمه الله أوحى الله الى آدم بعد ما تاب عليه يا آدم اني اجمع لك العلم كله في اربع كلمات واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة فيما بينك وبين الناس فاما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيأ وأما التي لك فأجزيك بعملك أحوج ما تكون اليه وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء ومني الاجابة وأما التي بينك وبين الناس فأن ترضى لهم ما ترضى لنفسك فقال آدم يارب شغلت بطلب المعيشة والرزق عن التسبيح والعبادة ولست أعرف ساعات التسبيح في أيام الدنيا فأهبط الله تعالى اليه ديكا فأسمعه أصوات الملائكة بالتسبيح فهو أول داجن اتخذه آدم من الخلق فكان الديك اذا سمع التسبيح في السماء سبح في الارض فيسبح آدم بتسبيحه * ويروى أن الله تعالى أوحى الى آدم لما أراد أن يهبطه الى الارض يا آدم اني منزلك أنت وذريتك دارا مبنية على أربع قواعد أما الاولى فاني اقطع ما تصلون وأما الثانية فاني افرق ما تجمعون وأما الثالثة فاني أخرب ما تبنون والرابعة اميت ما تلدون ولذلك قيل

لدوا للموت وابنوا للخراب * وكلكمو يصير الى ذهاب

(الباب السابع في ذكر هبوط ابليس لعنه الله الى الارض وحاله فيها بعد اللعنة)

قال الله تعالى قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو الآية قال الشعبي انزل ابليس من السماء عليه عمامة لبس تحت ذقنه منها شيء أعور في احدى رجليه نعل * وروى ابن المبارك عن خالد عن حميد ابن هلال انما كره أن يتخصر في الصلاة لان ابليس هبط متخصرا * روى حماد عن ثابت وحميد وعن عبد الله بن عبيد بن عمير ان ابليس قال يارب أخرجتني من الجنة من أجل آدم واني لا أستطيعه الا بسلطانك قال فانت مسلط عليه قال يارب زدني قال لا يولد له ولد الا ولد لك مثلاه قال يارب زدني قال صدورهم مساكن لك وتجري منهم مجرى الدم قال يارب زدني قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا قال

آدم يارب قد سلطته على وانى لا أمتنع منه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يارب زدنى قال الحسنة بعشرة أمثالها وأزيدها والسيئة بمثلها واحدة وأمحوها قال يارب زدنى قال قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية قال يارب زدنى قال التوبة لا أنزعها من ولدك ما كانت الروح فيهم قال يارب زدنى قال اغفر ولا أبالى قال حسبى * وروى أن ابليس قال يارب لعنتنى واخرجتنى من الجنة وجعلتنى شيطانا رجيما مذموما مدحورا وبعثت فى بنى آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما رسلى قال الكهنة قال فما كتبى قال الوشم قال فما حديثى قال حديثك الكذب قال فما قراءتى قال قراءتك الشعر قال فما مؤذنى قال مؤذنك المزمار قال فما مسجدى قال مسجدك السوق قال فما بيتى قال بيتك الحمام قال فما طعامى قال طعامك مالم يذكر اسمى عليه قال فما شرابى قال شرابك كل مسكر قال فما مصايدى قال مصايدك النساء * وروى مقاتل وجويبر عن الضحاك عن ابن عباس أن ابليس لما خرج من الجنة التى الله تعالى عليه الحرقة والغلمة فنكح نفسه فباض اربع بيضات فمنها ذريته * وروى اسحق بن بشر عن محمد بن اسحق قال بلغنى ان ابليس تزوج الحية التى دخل فى فيها حين كلم آدم عليه السلام بعد ما أخرج من الجنة فمنها ذريته

(الباب الثامن فى ذكر ماروى من الاخبار فيمن تراءى له ابليس فرآه عيانا وكلمه شفاها)

روى أن آدم التقى بابليس فى أرض فلاة فلامه على صنيعه وقال له ياملعون أى شئ هذا الذى أحللت بى غررتنى واخرجتنى من الجنة وفعلت بى مافعلت قال فبكى ابليس وقال ياآدم انى فعلت بك ماتقول وأنزلتك هذه المنزلة فمن فعل بى ما انا فيه واحلنى هذه المنزلة وروى ان ابليس تصور لفرعون فى صورة الانس بمصر فى الحمام فانكره فرعون فقال له ابليس ويحك اما تعرفنى فقال لا قال فكيف وانت خلقتنى الست القائل انا ربكم الاعلى * وروى ان سليمان عليه الصلاة والسلام سأل ابليس فقال اى الاعمال احب اليك وابغض الى الله تعالى فقال لولا منزلتك عند الله تعالى ما أخبرتك انى لست اعلم شيأ أحب الى وابغض الى الله تعالى من استغناء الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة * ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال مامن آدمى الا وقد عمل خطيئة أوهم بها الا يحيى بن زكريا فانه ماعمل خطيئة ولاهم بها واتقد قال رب أرنى ابليس كما هو واعزم عليه ان لا يكتمنى شيأ سألته عنه فاوحى الله تعالى الى ابليس أن ائت عبدى يحيى بن زكريا كما هبطت الى الارض ولا تكتمه شيأ يسألك عنه فأتاه فقال يايحيى أنا ابليس أمرنى ربى أن آتيك كما هبطت الى الارض فنظر اليه يحيى فاذا على رأسه خطاطيف تطير وحقواه محفوفتان باكوار كور ههنا وكور ههنا وفى رجليه خلاخيل فقال ماهذه الخطاطيف التى تطير على رأسك قال بها أخطف عقول بنى آدم قال فما هذه الخلاخيل التى فى رجليك قال احركها للنبى آدم حتى يغنى أو يغنى له قال فاى ساعة أنت على ابن آدم اقدر قال حين يملى شبعا وريا قال فهل وجدت فى نفسى شيأ قال لا قال ولا على حال قال نعم قدم اليك طعامك ذات ليلة وكنت قد صمت فشهيته اليك حتى أكلت أكثر من عادتك فتثاقلت عن وردك وعادتك فقال يحيى لاجرم لا أشبع أبدا فقال ابليس لاجرم لا أنصح آدميا أبدا * وقيل لما مات رسول الله صلى

الله عليه وسلم وأخذوا في جهازه وخرج الناس وخلا الموضع قال ابن عباس قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما وضعته صلى الله عليه وسلم على المغتسل اذا بهاتف يهتف من زاوية البيت يا علي لا تغسلوا محمدا فانه طاهر مطهر قال فوقع في قلبي من ذلك شئ وقلت ويلك من أنت فان النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بهذا وهذه سنته واذا بهاتف آخر يهتف يا علي صوته غسله يا علي فان الهاتف الاول كان الشيطان حسد محمدا صلى الله عليه وسلم أن يدخل قبره مغسلا قال علي جزاك الله خيرا قد اخبرتني أن ذلك ابليس فمن أنت قال أنا الخضر حضرت جنازة محمد صلى الله عليه وسلم ويحكى ان قوما من بني اسرائيل تراءى لهم ابليس فقالوا له قف موقفا كنت تقفه بين يدي الله تعالى حسبما كنت تقف قبل ان عصيت ربك فقال انكم لا تطيقون رؤية ذلك فألحوا عليه فوقف وقفة فلما نظروا اليه والى خشوعه وخضوعه ماتوا عن آخرهم (ويروى) أن رجلا كان يلعن ابليس كل يوم ألف مرة فبينما هو ذات يوم نائم اذ أتاه شخص فأيقظه وقال قم فان الجدار ها هو يسقط فقال له من أنت الذي أشفقت علي هذه الشفقة فقال له أنا ابليس فقال كيف هذا وأنا ألعنك كل يوم ألف مرة فقال هذا لما علمت من محل الشهداء عند الله تعالى فخشيت ان تكون منهم فتنال معهم ما ينالون

(الباب التاسع في قصة قابيل وهابيل)

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا الى آخر القصة قال أهل العلم بقصص النبيين وأخبار الماضين ان حواء كانت تلد لآدم توأمين في كل بطن غلاما وجارية الا شيثا فانها ولدته منفردا وكان جميع من ولدته حواء أربعين من ذكر وأنثى في عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته اقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ثم كثر الله في نسل آدم كما قال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة الآية (قال ابن عباس) لم يمت آدم حتى رأى من ولده وولد ولده أربعين ألفا ورأى آدم فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد واختلف العلماء في وقت مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي آدم حواء بعد هبوطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما في بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا في بطن واحد وقال محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن تهبط الى الارض فحملت له بقابيل وتوأمته فلم تجد عليهما وحما ولا نصبا ولا طلقا حين ولدتهما ولم تر معهما دما لطهارة الجنة فلما هبطا الى الارض واطمأنا بها تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته لبودا فوجدت فيهما الوحم والنصب والطلق والدم حتى اذا شب أولاده زوج غلام هذا البطن جارية البطن الآخر وزوج جارية هذا البطن غلام البطن الآخر وكان الرجل منهم يتزوج أي أخواته شاء الا توأمته التي ولدت معه فانها لا تحل له وذلك أنه لم يكن نساء يومئذ الا أخواتهم وأمهم حواء فلما ولد قابيل وتوأمته اقليما في بطن واحد وهابيل وتوأمته لبودا في بطن واحد وكان بينهما سنتان في قول الكلبي وأدركوا أمر الله تعالى آدم ان ينكح لبودا أخت هابيل قابيل وينكح هابيل اقليما أخت قابيل وكانت أخت قابيل من أجمل النساء وأحسنهن خلقا فذكر آدم ذلك لولده هابيل فرضي وسخط قابيل وقال هي أختي ولدت معي في بطن وهي أحسن من

أخت

أخت هابيل فانا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الارض فانا أحق بأختى فقال
له أبوه انها لا تحل لك فأبى أن يقبل ذلك منه وقال ان الله تعالى لم يأمره بذلك وانما هو من رأيه
فقال لهما آدم قربا قربانا فأيكما يقبل قربانه فهو أحق بها (وقال معاوية بن عمار) سألت جعفرا
الصادق أكان آدم زوج ابنته من ابنه فقال معاذ الله لو فعل ذلك آدم لما رغب عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا كان دين آدم الا دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اهبط آدم
وحواء الى الارض وجمع بينهما وولد له بنت فسماها عناق فبغت وهى أول من بغى فى الارض
فسلط الله عليها من قتلها فولد لآدم على اثرها قابيل ثم ولد له هابيل فلما أدرك قابيل أظهر الله
تعالى جنية من الجن يقال لها جمالة فى صورة انسية وخلق لها رحما وأوحى الله الى آدم أن
زوجها من قابيل فزوجها منه فلما أدرك هابيل أهبط الله الى آدم حوراء فى صورة انسية وخلق
الله تعالى لها رحما وكان اسمها تركة فلما نظر اليها هابيل ورمقها أوحى الله الى آدم أن زوجها
من هابيل ففعل فقال قابيل يا ابت ألست أكبر من أخى وأحق بما فعلت به منه فقال يا بنى ان
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فقال لا ولكنك آثرته على بهواك فقال له ان كنت تريد أن تعلم ذلك
فقربا قربانا فأيكما يقبل قربانه فهو أولى بها من صاحبه قالوا وكانت القرابين حينئذ اذا قبلت
نزلت نار من السماء فأكلتها واذا لم تقبل لم تنزل نار لاكلها وتأكلها السباع فخرجا ليقربا وكان
قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من الطعام من أردا زرعه وأضمر فى نفسه ما أبالى أيقبل منى
أم لا لا يتزوج أختى أبدا وكان هابيل راعيا صاحب ماشية فقرب كبشا سمينا من خيار ماشيته
ولبنا وزبدا وأضمر فى نفسه الرضا بالله والتسليم لامره وقال اسمعيل بن رافع ان هابيل نتج له
كبش فى غنمه فلما كبر لم يكن له مال أحب اليه منه وكان يحمله على ظهره فلما أمر بالقربان قربه
قال فوضعا قربانهما على الجبل فنزلت نار من السماء فأكلت الكبش والزبد واللبن ولم تأكل من
قربان قابيل حبة لانه لم يكن بزاكى القلب وقبل قربان هابيل لانه كان زاكى القلب فما زال
الكبش يرتع فى الجنة حتى فدى به ابن ابراهيم فذلك قوله تعالى فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من
الآخر الى قوله من المتقين فنزلوا عن الجبل وتفرقوا وقد غضب قابيل لما رد الله قربانه وظهر فيه
الحسد والبغى وكان يضمرهما قبل ذلك فى نفسه الى أن أتى آدم مكة ليزور البيت فلما أراد أن يأتى
مكة قال للسماء احفظى ولدى بالامانة فأبت فقال ذلك للارض والجبال فأبيا فقال ذلك
لقابيل فقال نعم ترجع وتراه كما يسرك فرجع آدم وقد قتل قابيل هابيل فذلك قوله تعالى انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان
ظلوما جهولا يعنى قابيل حين حمل أمانة أبيه ثم خانه قالوا فلما غاب آدم أتى قابيل الى هابيل وهو
فى غنمه فقال لاقتلنك قال ولم قال لان الله قبل قربانك ولم يقبل قربانى وتنكح أختى الحسناء
وأنكح أختك الذميمة فيتحدث الناس انك خير منى وأفضل ويفتخر ولدك على ولدى فقال له
هابيل وما ذنبى انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك
لاقتلك انى أخاف الله رب العالمين قال عبد الله بن عمران المقتول كان أشد ولكنه منعه
التحرج أن يبسط الى أخيه يده قال الله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله الآية اى طاوعته
وساعدته فقتله قال السدى لما قصد قابيل قتل هابيل راغ هابيل فى رؤس الجبال ثم أتاه يوما من

الايام وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات وقال ابن جريج لم يدر قابيل كيف يقتل أخاه فتمثل له ابليس وأخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا فى مصرعه وموضع قتله فقال ابن عباس على جبل نود وقال بعضهم على عقبة حراء وحكى محمد بن جرير الطبرى قال جعفر الصادق بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم فلما قتله تركه ولم يدر ما يصنع به لانه كان أول ميت على وجه الارض من بنى آدم فقصدته السباع فحمله فى جراب على ظهره سنة حتى تروّح وعكفت عليه الطير والسباع ينظرن أين يرمى به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ورجليه حتى مكن له فى الارض ثم ألقاه فى الحفرة وواراه وقابيل ينظر اليه فلما رأى ذلك قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين يعنى على حمله لا على قتله وروى عن الاوزاعى قال حدثنى المطلب بن عبد الله المخزومى قال لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الارض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الارض دمه كما تشرب الماء فناداه الله أين أخوك هابيل قال ما أدرى ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم أخيك ليناديني من الارض فلم قتلت أخاك قال فأين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا وعن الضحاك عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل وآدم بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وتحمضت الفواكه وأمرّ الماء واغبرت الارض فقال آدم قد حدث فى الارض حدث فأتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل فأنشأ يقول وهو أول شعر قيل

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح

وروى عن ابن عباس أنه قال من قال ان آدم قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى آدم بالمأثم وان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم فى النهى عن الشعر سواء قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سريانى وانما يقول الشعر من تكلم بالعربية فلما قال آدم مرثيته فى ابنه هابيل وهو أول شهيد على وجه الارض قال آدم لشيث يابنى انك وصيى فاحفظ هذا الكلام ليتوارثه الناس فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام وكان يتكلم بالسريانية والعربية وهو أول من ركب الخيل وتكلم بالعربية وقال الشعر فنظر فى المرثية فاذا هو سجع فقال ان هذا ليقوم شعرا فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا ما زاد فيه ولا نقص حرفا من ذلك فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح
وقابيل أذاق الموت هابيل * فواحزنا لقد فقد المليح
ومالى لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
وجاءت شعلة ولها رنين * لهابيلها وقابلها يصيح
لقتل ابن النبى بغير جرم * فقلبى عند قتلته جريح
تجاورنا لعين ليس يفنى * عدوّ لا يموت فنستريح

وقالت

اشدخ كالمنع الكسر كل رطب وقيل يابس ٢ق مو بيم

اغبر اليوم غبار اشتد غباره ٢ قاموس

سكب الماء سكبا صبه ٢ قاموس

الصباحة الجمال فهو صبيح ٢ قاموس

الضريح القبر او الشق وسطه وبلا لحد ٢ قاموس

وقالت حواء

ذع الشكوى فقد هلكا جميعا * بموت ليس بالثمن الربيح
وما يغني البكاء عن البواكي * اذا ما المرء غيب في الضريح
فبك النفس وانزل عن هواها * فلست مخلدا بعد الذبيح

فأجابهما ابليس لعنه الله شامتا بهما

تنح عن البلاد وساكنيها * ففي الجنات ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في رخاء * وقلبك من أذى الدنيا مريح
فمازالت مكايدتي ومكري * الى ان فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الجبار أضحى * بكفك من جنان الخلد ريح

وقال سالم بن ابي الجعد لما قتل قابيل هابيل مكث آدم مائة سنة لا يضحك ثم أتى فقيل له حياك الله وأضحكك ولا أبكاك قال ولما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد ما قتل قابيل هابيل بخمس سنين ولد له شيث وتفسيره هبة الله يعني أنه خلف الله من هابيل وعلمه الله ساعات الليل والنهار وعبادة الخلق في كل ساعة منها وأنزل الله عليه خمسين صحيفة وكان وصي آدم وولي عهده وأما قابيل فقيل له اذهب فذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا يأمن من رآه فأخذ بيد أخته اقليما وذهب بها الى عدن من أرض اليمن فأتى اليه ابليس وقال له انما أكلت النار قربان أخيك لانه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أيضا أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من نصب النار وعبدها قال وكان لا يمر به أحد من ولده الا رماه وكان لقابيل ولد أعمى ومعه ابن له فقال ابن الاعمى لابيه هذا أبوك قابيل فرمى الاعمى أباه قابيل فقتله قال فقال ابن الاعمى انه ابوك فرفع يده فلطمه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت أبي برميتي وقتلت ابني بلطمتي قال مجاهد فعلقت احدى يدي قابيل الى فخذها وساقها وعلقت من يومئذ الى يوم القيامة ووجهت الى الشمس حيثما دارت وعليه في الصيف حظيرة نار وفي الشتاء حظيرة ثلج قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من أنواع الطبول والمزامير والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر والزنا وعبادة النار والاوثان والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان في زمن نوح عليه السلام وبقي نسل شيث عليه السلام والله أعلم

(الباب العاشر في ذكر وفاة آدم عليه السلام)

ذكر أهل التاريخ وأصحاب الاخبار أن آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوما وأوصى الى ابنه شيث وكتب وصيته ودفعها الى شيث وأمره أن يخفي ذلك من ولد قابيل لان قابيل كان قد قتل هابيل حسدا منه له حين خصه آدم بتزويج اخته اقليما فخاف عليه أيضا أن يقتله حين خصه آدم بالعلم فأخفى شيث وولده ما عندهم من الوصية فلم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به (وروى) أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أخرج الله ذرية آدم من ظهره جعل يعرضهم على آدم فاذا قوم عليهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين عليهم النور قال هؤلاء الانبياء والرسل واذا فيهم رجل يزهو وهو أضوؤهم نورا فقال يارب من

دشرة نفر فهو شارد
والشريد الطريد ... ٢ قاموس
والحظيرة ... ٢ قاموس
الحظيرة ... ٢ قاموس

هذا فقال ذلك داود فقال يارب كم عمره قال ستون سنة قال يارب زده في عمره قال لا الا ان تزيد أنت من عمرك فقد جف القلم بأعمار بني آدم وكان عمر آدم ألف سنة فوهب له من عمره أربعين سنة فكتب الله عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة فلما مضى من عمره تسعمائة وستون سنة جاء اليه ملك الموت ليقبضه فقال آدم عجلت على ياملك الموت قال مافعلت بل أنت استوفيت أجلك قال آدم قد بقي من عمري أربعون سنة قال انك قد وهبتها لابنك داود قال مافعلت ولا وهبت له شيأ فانزل الله الكتاب وأقام الملائكة شهودا ثم ان الله تعالى اكمل لآدم ألف سنة واكمل لداود مائة سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نسي آدم فنسيت ذريته وجحد فجحدت ذريته فأمر الله بالكتاب والشهود من يومئذ قال ابن اسحق وغيره ثم ان آدم مات واجتمعت عليه الملائكة لانه صفي الرحمن فدفنته الملائكة وشيث واخوته في مشارق الفردوس عند قرية هي اول قرية كانت في الارض وكسفت عليه الشمس والقمر ستة أيام بلياليهن فلما اجتمعت عليه الملائكة بعث الله اليه بحنوط وكفن من الجنة وولبت الملائكة غسله ودفنه فغسلته بالسدر والماء وترا وكفنوه في ثلاث ثياب ثم لحدوا له ودفنوه ثم قالوا هذا سنة ولد آدم من بعده قال ابن عباس فلما مات آدم قال شيث لجبريل صل على آدم فقال له جبريل تقدم أنت فصل على أبيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة فاما خمس فهي الصلاة واما خمس وعشرون فهي تفضيل لآدم وقد اختلف في موضع قبره فقال ابن اسحق في مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة وقيل في غار أبي قبيس وهو غار يقال له الغار الكبير وروى ابو صالح عن ابن عباس أنه قال مات آدم على جبل نود بالهند وقال ابن عباس لما كان أيام الطوفان حمل نوح تابوت آدم في السفينة فلما خرج من السفينة دفن آدم ببيت المقدس وكان وفاة آدم يوم الجمعة وعاشت حواء بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع آدم عليهما السلام والله أعلم

*(باب في الخصائص التي خص الله بها آدم عليه السلام)

قال الاستاذ خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقه وخلقه في أحسن صورة وأقسم عليه فقال عز من قائل والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ولقنه الحمد حين عطس ثم قال له يرحمك ربك فسبقت له رحمته غضبه وأسكنه بعد خلقه الجنة بلا عمل وأباح له جميع الجنة الا شجرة واحدة وعلمه الاسماء كلها وامر ملائكته بالسجود له وأمرهم بالتلقين وجعله أبا البشر وجعله خليفته في الارض وعرف الملائكة فضله عليهم ولعن ابليس من أجله مع كثرة عبادته وعاتب الملائكة بسببه وهو أول حامد وأول تائب وأول مجتبى وأول مصطفى وأول خليفة الله في الارض وهو المميز للارواح الخبيثة من الطيبة وهو الباعث يوم القيامة بعث النار من ذريته فهذه ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم والله أعلم

(مجلس في ذكر النبي ادريس عليه السلام) قال الله تعالى واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا (قال أهل العلم) بأخبار الماضين وقصص النبيين هو ادريس بن برد وقيل يارد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن ادم واسمه أخنوخ وسمي ادريس لكثرة درسه

الكتب وصحف آدم وشيث وأمه أشوت وكان ادريس أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب
ولبس المخيط وأول من نظر فى علم النجوم والحساب بعثه الله الى ولد قابيل ثم رفعه الى السماء
وكان سبب رفعه الى السماء على ما قال ابن عباس وأكثر الناس أنه سار ذات يوم فأصابه وهج
الشمس فقال يارب انى مشيت فى الشمس يوما فتأذيت فكيف بمن يحملها خمسمائة عام فى يوم
واحد اللهم خفف عنه ثقلها واحمل عنه حرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها
مالا يعرف فقال يارب خففت عنى حر الشمس فما الذى قضيت على فيه فقال تعالى ان عبدى
ادريس سألنى أن أخفف عنك ثقلها وحرها فأجبته الى ذلك فقال يارب اجمع بينى وبينه واجعل
بينى وبينه خلة فأذن الله له فكان ادريس يسأله وكان مما سأله أن قال اخبرت انك أكرم الملائكة
على ملك الموت وأمكنهم عنده فاشفع لى اليه ليؤخر أجلى فازداد شكرا وعبادة فقال
الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها قال قد علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسى فقال أنا مكلمه
لك وما كان يستطيع أن يفعل لاحد من بنى آدم فهو فاعله لك ثم حمله الملك على جناحه حتى
رفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم انه أتى الى ملك الموت فقال له لى اليك حاجة
فقال له افعل لك كل شئ استطيعه فقال لى صديق من بنى آدم تشفع بى اليك لتؤخر أجله فقال
ليس ذلك الى ولكن ان أحببت أعلمته أجله ومتى يموت فيتقدم فى نفسه قال نعم فنظر فى ديوانه
فأخبره باسمه وقال انك كلمتنى فى انسان ما أراه يموت أبدا قال وكيف ذلك قال انى لا أجده يموت
عند مطلع الشمس قال فانى أتيتك وتركته هناك فقال له فانطلق فلا أراك تجده الا وقد مات
والله ما بقى من أجل ادريس شئ فرجع الملك فوجده ميتا (وقال وهب) كان يرفع له كل
يوم من العبادة مثل ما يرفع لاهل الارض جميعهم فى زمانه فعجبت منه الملائكة واشتاق اليه
ملك الموت فاستأذن الله فى زيارته فاذن له فأتاه فى صورة بنى آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما
كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فأبى أن يأكل وفعل ذلك ثلاث ليال فأنكره وقال له فى الليلة
الثالثة انى اريد ان أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربى أن أزورك واصاحبك
فأذن لى فى ذلك فقال له ادريس لى اليك حاجة قال وماهى قال اقبض روحى فأوحى الله تعالى
اليه ان اقبض روحه فقبض روحه ثم ردها الله عليه بعد ساعة فقال له ملك الموت فما الفائدة
فى سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمه فأكون له أشد استعدادا ثم قال له لى اليك
حاجة أخرى قال وماهى قال ترفعنى الى السماء لانظر اليها والى الجنة فأذن له فى ذلك فلما قرب
من النار قال لى اليك حاجة قال وما تريد قال تسأل مالكا يفتح لى أبواب النار حتى أردها ففعل
ذلك ثم قال فكما أريتنى النار فأرنى الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتحها ففتحت له أبوابها
فدخلها فقال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها فبعث الله
ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد
ذقته وقال تعالى وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال تعالى وما هم منها بمخرجين فلست
أخرج فقال الله تعالى لملك الموت دعه فانه باذنى دخل الجنة وبأمرى لا يخرج فهو حى هناك
فتارة يتعبد الله فى السماء الرابعة وتارة يتنعم فى الجنة والله أعلم

(قصة هاروت وماروت)

قال الله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان الآية قال أهل التفسير ان الشياطين
كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف فى مدة زوال ملك سليمان هذا ما علم آصف بن
برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت مصلاه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها من
تحت مصلاه وقالوا للناس ما ملككم سليمان الا بهذه قال السدى وذلك ان شيطانا تمثل على
صورة انسان فأتى نفرا من بنى اسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لا ينفد أبدا قالوا نعم قال
فاحفروا تحت كرسى سليمان وذهب معهم فأراهم المكان وقام ناحية فقالوا له ادن فقال لا ولكنى
ههنا فان لم تجدوه فاقتلونى وذلك انه لم يكن أحد من الشياطين يدنو من الكرسى الا احترق
فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها قال الشيطان ان سليمان كان يضبط الجن والانس
والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وذهب فأما علماء بنى اسرائيل وصلحاؤهم فقالوا معاذ
الله أن يكون هذا علم سليمان فان كان هذا علمه فقد هلك سليمان وأما الجهال والسفلة فأقبلوا على
تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم فانزل الله هذه الآية اظهارا لعذر سليمان وبيانا لبراءته فهذه قصة
الآية * وأما قصة هاروت وماروت فقال المفسرون ان الملائكة لما رأوا ما يصعد الى السماء
من أعمال بنى آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة وذلك فى زمن ادريس النبى عليه السلام عيروهم
بذلك وأنكروا عليهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم خلفاء فى الارض واخترتهم فهم يعصونك فقال
تعالى لو أنزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لفعلتم مثل ما فعلوا قالوا سبحانك ربنا
ما كان ينبغى لنا أن نعصيك قال الله تعالى اختاروا ملكين من خياركم أهبطهما الى الارض
فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلح الملائكة واعبدهم قال الكلبى قال الله تعالى
اختاروا ثلاثة منكم فاختاروا عزا وهو هاروت وعزابيا وهو ماروت وعزرائيل وانما غير
اسمهما لما اقترفا الذنب كما غير الله اسم ابليس وكان اسمه عزازيل فركب الله تعالى فيهم الشهوة
التى ركبها فى بنى آدم وأهبطهم الى الارض وأمرهم ان يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن
الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فاما عزرائيل فانه لما وقعت الشهوة فى قلبه
استقال ربه وسأله أن يرفعه الى السماء فأقاله ورفعه وسجد أربعين سنة ثم رفع رأسه ولم يزل
بعد ذلك مطأطئا رأسه حياء من الله تعالى وأما الآخران فانهما ثبتا على ذلك يقضيان بين
الناس يومهما فاذا أمسيا ذكرا اسم الله تعالى الاعظم وصعدا الى السماء (قال قتادة) فما مر
عليهما شهر حتى افتتنا وذلك أنه اختصم اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء قال على
رضى الله عنه كانت من أهل فارس وكانت ملكة فى بلدها فلما رأياها أخذت بقلوبهما
فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت فى اليوم الثانى ففعلا مثل ذلك فقالت لا الا أن
تعبدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء
فان الله قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت فى اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفى نفسها من
الميل اليهما ما فيها فراوداها عن نفسها فأبت وعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة
لغير الله أمر عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا
بالمرأة وزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه قال الربيع بن أنس وسجدا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكبا
وقال على رضى الله عنه والسدى والكلبى انها قالت لا تدركانى حتى تعلمانى الذى تصعدان به

الى

الى السماء فقالا نصعد باسم الله الاكبر فقالت فما انتما بمدركي حتى تعلمانيه قال احدهما لصاحبه علمها فقال انى اخاف الله فقال الآخر فاين رحمة الله تعالى فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله تعالى كوكبا (قال الاستاذ) فعلى قول هؤلاء هى الزهرة بعينها وقال آخرون هى هذا الكوكب الاحمر واسمها بالفارسية ناهيد وبالقبطية بادخت يدل على صحة هذا القول ما أخبرنا به يحيى بن اسمعيل باسناده عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رأى سهيلا قال لعن الله سهيلا انه كان عشارا باليمن ولعن الله الزهرة فانها افتنت ملكين هاروت وماروت وقال مجاهد كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لى ارمق الكوكب يعنى الزهرة فاذا طلعت فايقظنى فلما طلعت أيقظته فلما نظر اليها سبها سبا شديدا فقلت يرحمك الله تسب نجما سامعا مطيعا فقال ان هذه كانت بغيا فلقى الملكان منها ما لقيا وكذلك قال ابن عباس وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التى جعلها الله تعالى قواما للعباد وأقسم بها فقال تعالى فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس وانما كانت التى فتنت هاروت وماروت امرأة تسمى زهرة لجمالها فلما زنت مسخها الله شهابا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر تلك المرأة الموافقة لهذا الاسم فلعنها وكذلك سهيل العشار كان رجلا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا النجم الموافق اسمه لاسم هذا الرجل لعنه يدل عليه ما روى قيس بن عباد عن ابن عباس فى هذه القصة قال كانت امرأة فضلت على النساء بالحسن والجمال كما فضلت هذه الزهرة على سائر الكواكب قالوا فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا الى ادريس عليه السلام فأخبراه بامرهما وسألاه أن يشفع لهما الى الله تعالى وقالا له انا رأينا يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الارض فاشفع لنا الى الله تعالى قال ففعل ادريس ذلك فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لانه ينقطع فهما ببابل يعذبان (واختلف العلماء فى كيفية عذابهما) فقال ابن مسعود هما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقال مقاتل كبلا من أقدامهما الى أصول أفخاذهما وقال مجاهد ملئ جب نارا فجعلا فيه وقال عمرو بن سعيد هما معلقان منكسان فى السلاسل يضربان بسياط الحديد (وروى) أن رجلا قصدهما لتعلم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهما مزرقة أعينهما مسودة وجوههما ليس بين ألسنتهم وبين الماء الا أربعة أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله الا الله من أنت قال رجل من الناس قالا له ومن أى أمة أنت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قالا أو بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فحمدا الله تعالى وأظهرا الاستبشار فقال الرجل ومم استبشاركما قالا انه نبى الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا (وروى) هشام عن عائشة أنها قالت قدمت امرأة من دومة الجندل جاءت تبتغى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته تسأله عن شئ دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به فقالت عائشة لعروة يا ابن أختى فرأيتها تبكى حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تبكى حتى رحمتها ثم قالت انى لاخاف أن أكون قد هلكت ثم قالت كان لى زوج غاب عنى فدخلت

على عجوز فشكوت لها ذلك فقالت ان فعلت ما آمرك به جعلته يأتيك فلما كان الليل جاءتني بكلبين اسودين فركبت أحدهما وركبت هي الآخر فلم يكن كثير حتى وقفنا ببابل واذا برجلين معلقين بأرجلهما فقالا ما جاء بك فقالت أتعلم السحر فقالا انما نحن فتنة فلا تكفري فارجعي من حيث أتيت فقلت لا فقالا فاذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت لابول ففزعت فلم أفعل فرجعت فقالا افعلت قلت نعم فقالا هل رأيت شيأ فقلت لم أر شيأ فقالا لم تفعلي شيأ فارجعي الى بلادك ولا تكفري فأبيت فقالا اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت فاقشعر جلدي وخفت ثم رجعت اليهما فقلت قد فعلت فقالا ما رأيت قلت لم أر شيأ فقالا كذبت لم تفعلي فارجعي الى بلادك ولا تكفري فانك على رأس أمرك فقلت لا فقالا لي اذهبي الى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت اليه فبلت فيه فرأيت فارسا مقنعا بحديد خرج مني حتى ذهب في السماء وغاب حتى ما أراه فجئتهما فقلت قد فعلت قالا فما رأيت قلت رأيت فارسا مقنعا بالحديد خرج مني وذهب في السماء فلم أره قالا صدقت ذلك ايمانك خرج منك فاذهبي فقلت للمرأة والله ما أعلم شيأ ولا قالا لي شيأ فقالت لا تريدين شيأ الا كان خذي هذا القمح فابذري به فبذرته ثم قلت لها اطلع فطلع فقلت له احصد فحصد فقلت افرك ففرك ثم قلت اطحن فطحن ثم قلت اخبز فخبز فلما رأيت أني لا أريد شيأ الا كان سقط في يدي فرجعت وندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيأ قط ولا أفعله أبدا * قال الاوزاعي بلغني أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل صف لي النار فقال ان الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يطفأ جمرها ولا يخمد لهبها والذي بعثك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار ظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو أن ذنوبا من شرابها صب في ماء الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو أن حلقة من السلسلة التي ذكرها الله وضعت على جبال أهل الارض جميعها لذابت وما استقلت ولو أن رجلا دخل النار وخرج لمات أهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل لبكائه وقال أتبكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وبكى جبريل فقال يا جبريل أتبكي وأنت الروح الامين أمين الله على وحيه قال أخاف أن أبتلى بما ابتلي به هاروت وماروت فهذا الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نودي من السماء يا جبريل ويا محمد ان الله تعالى قد امنكما من غضبه فلا يعذبكما وان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة

(مجلس في قصة نوح عليه السلام)

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه الآية وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث عليه السلام وأمه قينوش بنت راكيل وقيل بنت كابيل بن محوئيل بن أخنوخ أرسله الله تعالى الى ولد قابيل ومن تابعهم من ولد شيث قال ابن عباس وكان بطنان من ولد آدم أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان في رجال الجبل صباحة وفي نسائهم دمامة وكان في نساء السهل صباحة وفي الرجال دمامة

وان ابليس أتى رجلا من أهل السهل فى صورة غلام فآجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذ ابليس
شيأ مثل الذى يزمر به الرعاة فجاء منه بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فاتوهم
مستمعين اليه واتخذوه عيدا يجتمعون اليه فى السنة فتتبرج النساء للرجال والرجال لهن وان
رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم فى عيدهم فرأى النساء وصباحتهن فجاء الى اصحابه فاخبرهم
بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهم وهو قول الله تعالى ولا تبرجن تبرج
الجاهلية الاولى (قال ابن عباس) كان آدم اوصى ان لا ينا كح بنو شيث بنى قابيل فجعل بنو شيث
آدم فى مغارة وجعلوا عليه حفاظا لئلا يقرب به احد من أولاد قابيل وكان الذى يأتونه ويستغفر
لهم بنو شيث فقال مائة من بنى شيث صباح لو نظرنا ما فعل بنو عمنا يعنون بنى قابيل فهبطت
المائة الى نساء السهل صباح الوجوه من بنى قابيل فاحتبس النساء الرجال ثم مكثوا ما شاء الله
فقال مائة اخرى لو نظرنا ما فعل اخوتنا فهبطوا من الجبل اليهم فاحتبستهم النساء ثم هبط بنو
شيث كلهم فظهرت المعصية وتناكحوا واختلطوا وكثر بنو قابيل حتى ملؤا الارض وأكثروا
الفساد فبعث الله اليهم نبيهم نوحا وهو ابن خمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم
الى الله تعالى ويخوفهم بأسه ويحذرهم سطوته كما أخبر الله تعالى بقوله قال رب انى دعوت
قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى
وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين وروى الضحاك عن ابن عباس انه قال ان
نوحا كان يضرب ثم يلف فى لبد ثم يلقى فى بيته فيرون انه قد مات ثم يخرج فيدعوهم حتى أيس من
ايمان قومه فبعد ذلك جاء رجل ومعه ابنه يتوكأ على عصا فقال يابنى انظر الى هذا الشيخ اياك أن
يغرك فقال ياأبت مكنى من العصا فأعطاه العصا فقال ضعنى فى الارض فوضعه فمشى اليه
فضربه بالعصا فقال نوح رب قد ترى ما يصنع بى عبادك فان يكن لك فى عبادك حاجة فاهدهم وان
يكن غير ذلك فصبرنى الى أن تحكم بينى وبينهم وأنت خير الحاكمين فأوحى الله اليه انه لن يؤمن
من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فآيسه من ايمان قومه واخبره أنه لم يبق
فى اصلاب الرجال ولا أرحام النساء مؤمن فعند ذلك دعا عليهم وقال رب انهم عصونى الآية
الى قوله ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا وهى اسماء اصنام
لهم كانوا يعبدونها من دون الله وقوله تعالى رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك
ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقوله تعالى ولا تزد الظالمين الا تبارا أى
هلاكا ودمارا فأجاب الله دعاءه وأمره أن يصنع الفلك كما قال تعالى واصنع الفلك بأعيننا
ووحينا الآية قال نوح يارب وما الفلك قال بيت من خشب يجرى على وجه الماء حتى أغرق
أهل المعصية وأريح أرضى منهم قال نوح يارب أين الماء قال يانوح انى على ما أشاء قدير قال
نوح يارب وأين الخشب قال اغرس الشجر فغرس الساج وأتى على ذلك أربعون سنة وكف
فى تلك المدة عن الدعاء فلم يدعهم فاعقم الله تعالى ارحام نسائهم فلم يولد لهم ولد فلما أدرك الشجر
أمره ربه أن يقطع الشجر فقطعه وجففه ثم قال يارب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله أزور
على ثلاث صور رأسه كرأس الديك وجوفه كجوف الطير وذنبه كذنب الديك مائلا واجعلها
مطبقة واجعل أبوابها فى جنبيها واجعلها ثلاث طبقات واجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها

خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب هذا قول أهل الكتاب ثم بعث الله جبريل يعلم نوحا صنعة الفلك وكان نوح يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره وكان قومه يمرون عليه وهو في عمله فيسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة ثم يقولون ألا ترون الى هذا المجنون يتخذ بيتا يسير به على الماء ويضحكون منه وذلك قوله تعالى ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فيقول نوح ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم وأوحى الله الى نوح أن عجل صنعة الفلك فقد اشتد غضبي على من عصاني فاستأجر نوح اجراء يعملون معه وأولاده سام وحام ويافث ينحتون معه السفينة فجعل السفينة طولها ستمائة ذراع وستون ذراعا وعرضها ثلثمائة وثلاثون ذراعا وطولها في السماء ثلاثة وثلاثون ذراعا هذا قول ابن عباس في رواية الضحاك وطلاها بالقار داخلها وخارجها وشدها بالدسر وهي مسامير الحديد وذلك قوله تعالى وحملناه على ذات ألواح ودسر وفجر الله له عين القار بجنب السفينة تغلي غليانا حتى طلاها به فلما فرغ من صنع السفينة أوحى الله اليه أن احمل فيها من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كلها حتى لا ينقطع نسلهم وحشرها الله اليهم من البر والبحر والسهل والجبل وقد جعل الله فوران التنور آية بينه وبين نوح وعهد الله اليه فقال اذا رأيت التنور قد فار فاركب أنت ومن معك على الفلك واحمل فيها من كل زوجين اثنين كما قال الله تعالى حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور رأى عذابنا وهو الطوفان قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين الآية واختلف العلماء في قوله تعالى وفار التنور فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعني طلع الفجر ونور الصبح وقال ابن عباس انبجس الماء من وجه الارض والعرب تسمي وجه الارض تنورا وقال قتادة التنور أشرف موضع في الارض وأعلى مكان فيها وقال الحسن أراد بالتنور الذي يخبز فيه وكان تنورا من حجارة وكان لآدم ثم انتقل الى نوح فقيل له اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت واصحابك فنبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فاخبرته واختلفوا في موضعه فقال مجاهد كان ذلك في ناحية الكوفة وروى السدي عن الشعبي أنه كان يحلف بالله ما فار التنور الا في ناحية الكوفة وقال اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان التنور عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان فوران الماء علما لنوح ودليلا على هلاك قومه وقال مقاتل ذلك تنور آدم وانما كان بالشام في موضع يقال له عين ورد وقال ابن عباس كان التنور بالهند والفوران هو الغليان فلما رآه نوح أيقن بنزول العذاب فحمل من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كما أمره الله تعالى قال ابن عباس أرسل الله المطر أربعين يوما وليلة فأقبلت الوحوش والطير والدواب الى نوح حين أصابها المطر وسخرت له فحمل منها من كل زوجين اثنين فكان أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب الذرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار بصدره تعلق ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه فجعل نوح يقول ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زل بها لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك يا عدو الله فقال ألم تقل ادخل ولو كان الشيطان معك قال اخرج يا عدو الله قال ما أخرج وما كان بد لك أن تحملني

معك وكان فيما يزعمون على ظهر الفلك قال مالك بن سليمان الهروى ان الحية والعقرب اتيا نوحا فقالا احملنا فقال انكما سبب الضر والبلاء فلا احملكما فقالا احملنا ونحن نضمن لك أن لا نضر أحدا اذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لم يضراه * عن وهب بن منبه قال لما أمر الله تعالى نوحا أن يحمل من كل زوجين اثنين قال كيف أصنع بالاسد والبقر وكيف أصنع بالعناق والذئب وكيف أصنع بالحمام والهر قال الله تعالى له من ألقى بينهم العداوة قال أنت يارب قال فأنا أؤلف بينهم حتى لا يتضاروا فحمل نوح السباع والدواب فى الطبقة الاولى فألقى الله على الاسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب والبقر ولذلك قيل

وما الكلب محموما وان طال عمره * لعمرك ما المحموم دوما سوى الاسد

وجعل الوحوش فى الطبقة الثانية وركب هو ومن معه من أولاد آدم فى الطبقة العليا وجعل الدرة معه فى الطبقة العليا شفقة عليها لئلا يقتلها شئ واختلفوا فى أهل السفينة الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله تعالى وأهلك الا من سبق عليه القول منهم قال الضحاك كان نوح اذا اراد ان ترسو السفينة قال بسم الله فرست واذا أراد ان تجرى قال بسم الله فجرت على الماء فذلك قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها الآية ومن آمن وما آمن معه الا قليل من هم وكم هم قال قتادة لم يكن فى السفينة الا نوح وامرأته وثلاثة من بنيه سام وحام ويافث ونساؤهم فجميعهم ثمانية فأصاب حام امرأته فى السفينة فدعا نوح ربه قال فتغيرت نطفته فجاء بالسودان قال الكلبى امر نوح أن لا يقرب ذكر انثى مادام فى السفينة فوثب الكلب على الكلبة فدعا عليه نوح فقال نوح اللهم اجعله عسرا وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين وثلاث كنائن له وقال ابن اسحق كانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة أناس ممن كانوا آمنوا معه وأزواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا سبعين ونوح وامرأته وبنوه الثلاثة ونساؤهم فكان الجميع ثمانية وسبعين نفسا نصفهم نساء ونصفهم رجال وقال ابن عباس كانوا ثمانين انسانا وحمل نوح جسد آدم معه وجعله معرضا حاجزا بين الرجال والنساء قالوا فلما ركب نوح فى الفلك وادخل معه كل من آمن كان ذلك فى شهر آب بالرومية فلما دخلها وحمل معه من حمل تحركت ينابيع الارض والغوط الاكبر وامطرت السماء كأفواه القرب كما قال تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر يعنى التقى ماء السماء وماء الارض فجعل الماء ينزل من السماء وينبع من الارض حتى كثر واشتد وكان بين ارسال الماء وبين احتمال الماء الفلك أربعين يوما وليلة ثم احتمل الماء الفلك وكان كنعان بن نوح تخلف عن أبيه قال قتادة لم يركب فى السفينة فناداه نوح وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وكان عهد كنعان الجبال أنها تحصن من المطر فظن ذلك كما كان فقال نوح لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وكثر الماء فارتفع فوق الجبال قال ابن عباس ارتفع على أعلى جبل فى الارض خمسة عشر ذراعا وروت عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو رحم الله أحدا من قوم نوح لرحم المرأة أم الصبى وذلك انها اخشيت عليه من

الماء وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت قلته فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل وحملت الصبى فلما بلغ رقبتها رفعته بيدها حتى ذهب بهما الماء فلو رحم الله أحدا منهم لرحم هذه قالوا ثم طافت السفينة بأهلها الارض كلها فى ستة أشهر لا تستقر على شئ حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعا وقد رفع الله البيت الذى كان يحجه آدم صيانة له من الغرق وهو البيت المعمور وخبأ جبريل الحجر الاسود فى جبل أبى قبيس فلما طافت السفينة بالحرم ذهبت فى الارض تسير بهم حتى انتهت الى الجودى وهو جبل حصين من أرض الموصل فاستقرت عليه قال مجاهد تشامخت الجبال وتطاولت لئلا ينالها ماء فعلا الماء فوقها خمسة عشر ذراعا وتواضع لامر ربه الجودى فلم يغرق فأرست السفينة عليه فذلك قوله تعالى واستوت على الجودى وقال ابن عباس استوت السفينة على الجودى وقد بادما على وجه الارض من الكفار ومن كل شئ فيه الروح والاشجار فلم يبق شئ من الحيوانات الا نوح ومن معه فى الفلك والا عوج بن عنق فذلك قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين أى هلاكا قال ابن عباس كان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب منه من طوله ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله فقال لنوح احملنى معك فقال اخرج يا عدو الله فانى لم أومر بحملك وطبق الله الماء على وجه الارض والجبال وما بلغ ركبتى عوج بن عنق فلما استوت السفينة على الجودى قيل يا أرض ابلعى ماءك أى انشفى ويا سماء اقلعى أى احبسى ماءك وغيض الماء أى ذهب ونقص فصار ما نزل من السماء هذه البحور التى فى الارض لانها آخر ما بقى فى الارض من ماء الطوفان وبقى فى الارض أربعين سنة ثم ذهب وروى عن على بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى بهم الى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب سام بن نوح قال ثم ضرب الكثيب بعصاه وقال له قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى أهكذا هلكت قال لا بل مت وأنا شاب ولكنى ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت فقال له حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الانس وطبقة فيها الطير فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله الى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث فأكلاه فلما كثر الفار فى السفينة وجعل يقرض حبالها وذلك أنه توالد فى السفينة أوحى الله تعالى الى نوح أن اضرب بين عينى الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفار فأكلاه فقال له عيسى كيف علم نوح أن البلاد قد يبست قال بعث نوح غرابا يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها واشتغل عن الرجوع فدعا عليه نوح بالخوف فلذلك لا يألف البيوت ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها فعلم أن البلاد قد جفت قال فطوقها بالخضرة التى فى عنقها ودعا لها أن تكون فى أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت فقالوا يا رسول الله الا تنطلق به الى أهلنا فيجلس معنا ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لا رزق له ثم قال له عد باذن الله تعالى فعاد ترابا قال أهل التاريخ أرسل الله الطوفان لثلاثة عشر بوما خلت من آب ومضى

ستمائة

ستمائة سنة من عمر نوح ولتمة ألفى سنة ومائتى سنة وست وخمسين سنة من لدن أهبط آدم الى الارض وركب نوح ومن معه فى السفينة لعشر خلون من رجب وخرجوا منها فى العاشر من المحرم فلذلك سمى يوم عاشوراء وأقاموا فى الفلك ستة أشهر فلما هبط نوح ومن معه من الفلك سالمين صام نوح وأمر جميع من معه من الانس والوحوش والدواب والطير فصاموا شكر الله تعالى ويقال ان نوحا وقومه كانت قد أظلمت عليهم أعينهم فى السفينة من دوام النظر الى الماء فأمروا بالاكتحال يوم عاشوراء الذى خرجوا فيه من السفينة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه أبدا فلما خرج نوح ومن معه من السفينة اتخذ فى ناحية من أرض الجزيرة موضعا وابتنى هنالك قرية سموها سوق ثمانين لانه كان ابتنى فيها لمن آمن معه وهم ثمانون فهى اليوم تسمى سوق ثمانين فأوحى الله تعالى الى نوح أنه لا يعود الطوفان الى الارض أبدا وعاش نوح بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة فكان جميع عمره ألف سنة الا خمسين عاما ثم قبضه الله تعالى اليه هذا هو أكثر أقاويل العلماء وكذلك هو فى التوراة وقال عون بن ابى شداد عاش نوح بعد الطوفان الف سنة الا خمسين عاما وقبله ثلثمائة وخمسين سنة فعلى هذا القول يكون مبلغ عمر نوح ألفا وثلثمائة سنة ويروى أنه قيل لنوح لما احتضر كيف وجدت الدنيا قال كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر ولما حضرته الوفاة أوصى ابنه ساما وجعله ولى عهده وكان ولد لسام قبل الطوفان بثمان وسبعين سنة وقيل لما حضرته الوفاة دعا ابنه ساما وهو بكره فقال يا بنى أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين فاما اللذان أنهاك عنهما فالاشراك بالله والكبر فانه لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة من الشرك والكبر وأما اللذان أوصيك بهما فانى رأيتهما يكثران الولوج الى الله تعالى قول لا اله الا الله وسبحان الله فان قول لا اله الا الله لو جعلت السموات السبع والارضون السبع لخرقتهما حتى تبلغ الى ربها ولو جعلت لا اله الا الله فى كفة ميزان لرجحت بالسموات السبع والارضين السبع وما فيها وأوصيك بسبحان الله فانها صلاة الخلق وبها يرزقون

(ذكر خصائص نوح عليه السلام)

وهى خمس عشرة خصلة لم يسم أحد من الانبياء باسمه وسمى بذلك لكثرة نوحه على نفسه وكان أول نبى من أنبياء الشريعة وأول داع الى الله تعالى وأول نذير عن الشرك وأول من عذبت امته لردهم دعوته وأهلك أهل الارض كلهم بدعائه ويقال ان الله تعالى أوحى اليه بعد الطوفان انى خلقت خلقى وأمرتهم بطاعتى فانتهكوا معصيتى فاشتد لذلك غضبى فعذبت بذنوب العاصين من لم يعصنى وعذبت بذنوب بنى آدم جميع خلقى فبى حلفت أنى لا أعذب بمثل هذا العذاب أحدا من خلقى بعدها ولكن اجعل الدنيا دولا بين عبادى ثم أجزيهم باعمالهم اذا اجتمعوا عندى وكان عليه السلام أطول الانبياء عمرا وقيل له أكبر الانبياء وشيخ المرسلين وجعل معجزته فى نفسه لانه عمر ألف سنة ولم ينقص له سن ولم تنقص له قوة ولم يبالغ أحد من الرسل فى الدعوة مثل ما بالغ وكان يدعو قومه ليلا ونهارا واعلانا واسرارا ولم يلق نبى من امته من الضرب والشتم وأنواع الاذى والجفاء ما لقى فلذلك قال الله تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين وجعل ثانى المصطفى

فى الميثاق والوحى قال الله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقال تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وفى البعث هو أول من تنشق عنه الارض يوم القيامة بعد محمد صلى الله عليه وسلم وأعطاه الفلك وعلمه صنعته وحفظه بما فيه وأجراه فوق الماء وسماه شكورا فقال تعالى ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا وأكرمه بالسلامة والبركة فقال تعالى يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك الآية قال محمد بن كعب القرظى دخل فى ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وجعل ذريته هم الباقين فهو أول البشر وأصل النسل وروى عن الحسن عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لنوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج قال عطاء ودعا نوح على حام أن لا يعدو شعر ولده آذانهم وحيثما كان ولده يكونون عبيد الولد سام ويافث فلما هبط نوح وذريته من الفلك قسم الارض بين ولده أثلاثا فجعل لسام وسط الارض ففيها بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحون وجيحون وذلك ما بين فيسون الى شرق النيل وما بين مجرى الجنوب الى مجرى الشمال وجعل لحام قسمة غربى النيل وما بين مجرى ريح الجنوب وما وراءه الى سيحون الى مجرى ريح الدبور وجعل قسم يافث من فيسون فما وراءه الى مجرى الصبا فذلك قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين

* (مجلس فى قصة هود عليه السلام) *

قال الله تعالى والى عاد أخاهم هودا الى تتقون وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهو عاد الاولى وكانوا ينزلون اليمن وكانت منازلهم منها بالشحر والاحقاف كما قال الله تعالى واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر الآية وهى رمال يقال لها رمل عالج وهى ما بين عمان الى حضرموت وكانوا مع ذلك قد فشوا فى الارض وكثروا وقهروا أهلها الفضل قوتهم التى آتاهم الله تعالى وكان قد أعطاهم الله من القوة والقامة مالم يعط غيرهم كما قال تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة أى عظما وطولا وقوة وشدة قال أبو حمزة اليمانى كان طول كل رجل منهم سبعين ذراعا وقال ابن عباس ثمانين ذراعا وقال الكلبى كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا وقال وهب كان رأس أحدهم كالقبة العظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله تعالى فنها صنم يقال له صدى وصنم يقال له هرد وصنم يقال له هبا فبعث الله اليهم هودا نبيا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا وهو هود بن عبد الله بن رباح ابن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقال محمد بن اسحق بن يسار وهود بن عابر ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وولد لشالخ عابر بعد أن مضى من عمره ثلاثون سنة فأمرهم هود أن يوحدوا الله تعالى ولا يجعلوا معه الها غيره وأن يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم فيما يذكر بغير ذلك فأبوا ذلك عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة وبنوا المصانع وبطشوا فيها بطش الجبارين كما قال تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا

بطشتم بطشتم جبارين فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى أضر بهم ذلك وكان الناس فى ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد طلبوا من الله تعالى الفرج وكان طلبهم ذلك من الله تعالى عند بيته الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة أديانهم وكلهم معظم لمكة عارف بحرمتها ومكانها عند الله تعالى وأهل مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان أباهم عمليق بن سام بن نوح وكان سيد العماليق اذ ذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية اسمها ناهدة بنت الخيبرى رجل من عاد فلما قحط المطر عن عاد جهدوا وقالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة فليستسقوا لكم فبعثوا منهم قيل بن عنز ولقيم بن هزال بن هزيل وعبيل بن ضد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما كتم اسلامه وجهلمة بن الخيبرى خال معاوية بن بكر ثم بعثوا أيضا لقمان بن عاد بن ضد بن عاد الاكبر فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فانزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمور وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون من البلاء الذى أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندى وهم ضيفى والله ما أدرى كيف اصنع بهم فأستحيى أن آمرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه فيظنون أنه ضيق منى بمقامهم عندى وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا فشكا ذلك من أمرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك يحركهم فقال معاوية بن بكر

الا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يمنحنا غماما

فتسقى أرض عاد ان عادا * قد امسوا لا يبينون الكلاما

من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما

وقد كانت نساؤهم بخير * فقد أمست نساؤهم عياما

وان الوحش يأتيهم جهارا * ولا يخشى لعادى سهاما

وأنتم هاهنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم التماما

فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود عليه السلام سرا انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وأنبتم الى ربكم سقيتم فاظهر اسلامه عند ذلك قال جلهمة بن الخيبرى خال معاوية حين سمع قوله وعرف انه قد اتبع دين هود عليه السلام

اباسعد فانك من قبيل * ذوى كرم وأمك من ثمود

فانا لا نطيعك ما بقينا * ولسنا فاعلين لما تريد

أتأمرنا لنترك دين رفد * ورمل وآل ضد والعبود

وتترك دين آباء كرام * ذوي رأي ونتبع دين هود

ثم قال لمعاوية بن بكر وأبيه بكر وكان شيخا كبيرا احبسا عنا مرثد بن سعد حتى لا يقدم معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا الى مكة يستسقون لعاد بها فلما دخلوا مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى أدركهم بمكة قبل أن يدعوا الله بشيء مما خرجوا اليه فلما انتهى قام يدعو الله ووفد عاد قد أخذوا يدعون فجعل يقول اللهم اعطني سؤلي وحدي ولا تدخلني في شيء مما يدعو به وفد عاد وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد وقد أمرهم أن يؤمنوا عليه فقال وفد عاد اللهم أعط قيلا ما سألك واجعل سؤلنا مع سؤله وكان تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد ولم يدخل في دعوتهم فقال اللهم اني جئتك وحدي في حاجتي فأعطني سؤلي وقال قيل بن عنز حين دعا واستسقى اللهم لم أجئ لمريض فأداويه ولا لاسير فافاديه اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فأنشأ الله سحائب ثلاثة واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة سوداء ثم ناداه مناد من السحاب ألا يا قيل اختر لنفسك واحدة من هذه السحاب الثلاثة فقال قيل اخترت السحابة السوداء فانها أكثر السحاب ماء فناداه المنادي يقول اخترت يا قيل رمادا رمددا لم تبق من آل عاد أحدا لا والدا تتركه ولا ولدا الا جعلتهم رمما همدا الا بنو اللويذة المهدا وبنو اللوذية رهط من هزال بن هزيل بن بكر وكانوا اسكانا بمكة مع اخوالهم لم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد الآخرة فساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها أي كل شيء مرت به وكان أول من أبصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما تبينت ما فيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا ما رأيت قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها * أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسين أنبأنا محمد بن جعفر أنبأنا الحسن بن علوة أنبأنا اسمعيل بن عيسى أنبأنا اسحق بن بشر اخبرني المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال أوحى الله تعالى الى الريح العقيم أن تخرج على قوم عاد فتنتقم له منهم فخرجت بغير كيل ولا وزن على قدر منخر ثور حتى رجفت الارض مما يلي المشرق والمغرب قال فقال الخزان يارب لن يطيقوها ولو خرجت على حالها لاهلكت ما بين مشارق الارض ومغاربها فأوحى الله اليها أن ارجعي فاخرجي على قدر خرق الخاتم وهي الحلقة قال فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أي دائمة متتابعة فلم تدع أحدا من عاد الا اهلكته وكان هود ومن معه قد اعتزلوا في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين جلودهم وتلذ به الانفس وانها من عاد لتطعن فتحملهم ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا قال محمد بن اسحق والسدي بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فتبادروا البيوت فلما دخلوها دخلت عليهم الريح فاخرجتهم منها فهلكوا فلما أهلكهم الله تعالى أرسل عليهم طيرا سودا التقطتهم في البحر فألقتهم فيه قال ابن بشار لما خرجت الريح على عاد من الوادي قال تسعة رهط منهم أحدهم الخلجان وكان رئيسهم وكبيرهم في ذلك

الزمان تعالوا حتى نقوم على رأس الوادى فنردها فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله
ثم ترمى به فتندق عنقه وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم عليهم بيوتهم وتقلعهم
فتتركهم كما قال الله تعالى كأنهم أعجاز نخل خاوية حتى لم يبق منهم الا الخلجان فمال الى الجبل فأخذ
بجانب منه فهزه فاهتز فى يده ثم انشأ يقول

لم يبق الا الخلجان نفسه ❊ يا لك من يوم دهانى أمسه
بثابت الوطء شديدا بطشه ❊ لو لم يجئنى جئته واحسه

فقال له هود ويحك يا خلجان أسلم تسلم فقال له مالى عند ربك اذا أسلمت قال الجنة قال فما هؤلاء
الذين أراهم فى السحاب كأنهم البخت قال هود تلك الملائكة قال ان أسلمت أيقيدنى ربك منهم
لقومى قال ويحك هل رأيت ملكا يقيد من جنوده فقال لو فعل ما رضيت فجاءت الريح فألحقته
بأصحابه وأهلكته وأفنى الله عادا سوى من بقى من قومهم بمكة ونواحيها ❊ اخبرنا الحسين بن
محمد الدينورى أخبرنا أحمد بن محمد بن اسحق السنى أخبرنا أبو يعلى الموصلى أخبرنا اسحق بن أبى
اسرائيل وعبيد الله بن عمر القواريرى أخبرنا جعفر بن سليمان الضبيعى أخبرنا فرقد السبخى
عن عاصم عن عمرو البجلى عن أبى أمامة الباهلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبيت قوم
من هذه الامة على طعام وشراب ولهو فيصبحون قردة وخنازير ويصيبهم خسف وقذف
فيقولون لقد خسف الليلة ببنى فلان وليرسلن عليهم الريح العقيم التى أهلكت عادا بشربهم
الخمر وأكلهم الربا واتخاذهم القينات ولبسهم الحرير وقطعهم الارحام قالوا وخرج وفد عاد
من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده اذ أقبل رجل على ناقة له فى ليلة
مقمرة من أمصار عاد فأخبرهم بهلاك عاد فقالوا له أين فارقت هودا وأصحابه قال فارقتهم
بساحل البحر فكأنهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هزيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة
ومثوب بن يعفر ابن أخى معاوية بن بكر معهم قالوا وقد قيل لمرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل
ابن عنز حين دعوا بمكة قد أعطيتم مناكم فاختاروا لانفسكم فقال مرثد اللهم أعطنى برا
وصدقا فأعطى ذلك وقال قيل أختار أن يصيبنى ما أصاب قومى فقيل له هلاك فقال لا أبالى
لا حاجة لى فى البقاء بعد قومى فأصابه الذى أصاب عادا من العذاب فهلك وقال لقمان يا رب
أعطنى عمرا فقيل له اختر لنفسك بقاء سبع بعرات سمر من أظب عفر لا يمسها القطر أو عمر سبعة
أنسر اذا مضى نسر حولت الى نسر آخر فاستحقر بقاء الابعار واختار عمر النسور فعمر
عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها لقوته فيربيه
حتى اذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل مثل ذلك حتى أتى على السابع وكان كل نسر يعيش
ثمانين سنة فلما لم يبق غير السابع قال ابن اخ للقمان يا عم لم يبق من عمرك الا هذا النسر فقال
لقمان يا ابن أخى هذا لبد ولبد بلسانهم الدهر فلما انقضى عمر لبد طارت النسور غداة من
رأس الجبل ولم ينهض لبد فيها وكانت نسور لقمان لا تغيب عنه قال فلما رأى لبدا لم ينهض
مع النسور قام الى الجبل لينظر ما فعل لبد فوجد لقمان فى نفسه وهنا ولم يكن يجده قبل ذلك فلما
انتهى الى الجبل رأى نسره لبدا واقعا بين النسور فناداه انهض لبد فذهب لينهض فلم يستطع
فسقط ومات لقمان معه وفيه جرى المثل أتى أبد على لبد وقال النابغة الذبيانى

أضحت قفارا وأضحى أهلها احتملوا * أخنى عليها الذى أخنى على لبد

وقال محمد بن اسحق قال مرثد بن سعد حين سمع قول الراكب الذى أخبر بهلاك عاد شعرا

عصت عاد رسولهم وفأمسوا * عطاشا ما تبلهم السماء
وسير وفدهم شهرا ليسقوا * فأردفهم مع العطش العناء
بكفرهم بربهم جهارا * على آثارهم عاد العفاء
ألا نزع الاله حلوم عاد * فان قلوبهم قفرا هواء
من الرب المهيمن اذ عصوه * وما تغنى النصيحة والشقاء
فنفسى وابنتاى وأم ولدى * لنفس نبينا هود فداء
أتانا والقلوب معميات * على ظلم وقد ذهب الضياء
لنا صنم يقال له صمود * يقابله صدى والهباء
فابصره الذين له أنابوا * وأدرك من يكذبه الشقاء
وانى سوف ألحق آل هود * واخوته اذا جن المساء

ثم انه لحق بهود ومن آمن معه وبقى هود ماشاء الله ثم مات وعمره مائة وخمسون سنة وقال أبو الطفيل عامر بن واثلة سمعت عليا رضى الله عنه يقول لرجل من أهل حضرموت هل رأيت كثيبا أحمر يخالطه مدرة حمراء واراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من حضرموت قال نعم يا أمير المؤمنين انك لتنعته لى نعت رجل قد رآه قال لا ولكنى قد حدثت عنه فقال الحضرمى وما شأنه يا أمير المؤمنين فقال فيه قبر النبى هود عليه السلام * أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبى العراقى أنبأنا المغيرة بن عمرو بن الوليد بمكة فى المسجد الحرام بين الركن والمقام أنبأنا المفضل ابن يحيى الجندى أنبأنا يونس بن محمد أنبأنا يزيد بن أبى حكيم عن سفيان الثورى عن عطاء عن السائب عن عبد الرحمن بن سابط أنه قال بين الركن والمقام وزمزم قبور تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم السلام فى تلك البقعة (وفى رواية) أخرى كان النبى من الانبياء اذا هلك قومه ونجا هو والصالحون معه يأتى مكة هو ومن معه يعبدون الله تعالى حتى يموتوا والله أعلم

(مجلس فى قصة صالح عليه السلام)

قال الله تعالى والى ثمود أخاهم صالحا وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وهو أخو جديس وأراد ههنا القبيلة قال أبو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها والثمد الماء القليل وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام وكان من قصتهم على ماذكر محمد بن اسحق بن يسار والسدى والكلبى ووهب بن منبه وكعب وغيرهم من أهل الكتب دخل كلام بعضهم فى بعض أن عادا الاولى لما أهلكهم الله تعالى وانقضى أمرهم عمرت ثمود بعدهم واستخلفوا فى الارض فخلوا فيها وكثروا وعمروا حتى جعل بعضهم يبنى المسكن من الحجر والمدر فينهدم وهو حى فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فنحتوا منها وجابوها وجوفوها وكانوا فى سعة من معايشهم كما قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين فخالفوا أمر الله

وعبدوا

وعبدوا غيره وأفسدوا في الارض فبعث الله اليهم صالحا نبيا وهو صالح بن عبيد بن آسف ابن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود وكانوا قوما عربا وكان صالح من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا فبعثه الله تعالى اليهم رسولا فدعاهم الى الله تعالى والى عبادته فلم يتبعه الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر عليهم التخويف والتحذير سألوه أن يريهم آية تكون مصداقا لما يقول فقال اللهم أرهم آية ليعتبروا بها ثم قال لهم أى آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون اليه بأصنامهم في يوم معلوم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا بأوثانهم الى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم فدعوا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصالح في شيء مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن جواس وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة يعني الصخرة المنفردة عن الجبال في ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ما شاكلت البخت من الابل فان فعلت ذلك صدقناك وآمنا بك فاخذ عليهم صالح الميثاق أنه ان فعل ذلك صدقوه وآمنوا به ثم ان صالحا عليه السلام صلى ودعا الله تعالى بذلك فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سألوه لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالى عظما وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا بصالح ويتابعوه فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحبا أوثانهم ورباب ابن صمعر وكانوا من أشراف ثمود وكان لجندع بن عمرو ابن عم يقال له شهاب بن خليفة فاراد أن يسلم فنهاه أولئك الرهط فاطاعهم فقال رجل من ثمود

وكانت عصبة من آل عمرو * الى دين النبي دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعا * فهمت أن يجيب ولو أجابا
لاصبح صالح فينا عزيزا * وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر * تولوا بعد رشدهم ذئابا

فلما خرجت الناقة قال صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبها في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فكانت ترد الماء يوما ولهم يوم فاذا كان يومها وضعت رأسها في بئر بأرض الحجر يقال لها بئر الناقة فيرتفع الماء اليها فما ترفع رأسها الا وقد شربت جميع ما فيها ولا تدع قطرة ماء فيها فتتفحج ثم تروح عليهم فيحلبون من لبنها ما شاؤا فيشربون ويدخرون ويملؤن أوانيهم لكن تصدر من غير الفج الذى وردت منه لانها لا تقدر أن تصدر من حيث وردت لانه يضيق عليها قال أبو موسى الاشعرى أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا فاذا كان الغد من يومهم شربوا من الماء وقد أخرجه الله تعالى لهم من البئر وادخروا ما شاؤا قدر كفايتهم في يوم الناقة وكانوا من ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة في الصيف اذا كان الحر تطلع ظهر الوادى فتهرب منها أغنامهم وبقرهم وابلهم وتهبط الى بطن الوادى في حره وجدبه فكانت المواشي تنفر منها اذا رأتها واذا كان الشتاء سبقت الناقة في بطن الوادى فتهرب مواشيهم الى ظهر الوادى في البرد

والحدّة فأضر ذلك مواشيهم للبلاء والاختبار فكان مراتعها الجبال فكبر ذلك عليهم حتى
حملوا على عقر الناقة فاحتالوا فى عقرها وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنم بن
مجلد وتكنى أم غنم وهى من بنى عبيد بن المهل وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزا
مسنة ولها بنات حسان ومال كثير من الابل والبقر والغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوق
بنت المحيا بن مهر وكانت غنية جميلة ذات مواش كثيرة وكانتا هاتان المرأتان من أشد الناس
عداوة لصالح وكانتا تحبان الان فى عقر الناقة مع كفرهما بصالح بما أضرت بمواشيهما وكانت
صدوق عند ابن خال لها يقال له صنيم بن هراوة بن سعد بن الغطريف بن هلال فاسلم وحسن
اسلامه وكانت صدوق قد فوضت اليه مالها فأنفقه على من أسلم معه من أصحاب صالح
عليه الصلاة والسلام حتى نفد المال فاطلعت صدوق على اسلامه فعاتبته على ذلك فاظهر لها
دينه ودعاها الى الله تعالى فأبت عليه وأخذت أولادها فغيبتهم فى بنى عمها الذين هى منهم فقال
لها زوجها ردى على أولادى فلما ألح عليها قالت حتى أحاكمك الى بنى عمى وذلك أن بنى عم
زوجها كانوا مسلمين فابت أن تحاكمه اليهم فقال لها بنو عمها والله لتعطينه ولده طائعة أو
كارهة فلما رأت ذلك أعطته أولاده ثم ان صدوق وعنيزة احتالتا فى عقر الناقة للشقاء الذى كتب
عليهما فدعت صدوق رجلا من ثمود يقال له الحباب فأمرته بعقر الناقة وعرضت عليه نفسها
ان هو فعل ذلك فأبى عليها ثم انها دعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها
ان هو عقر الناقة وكانت من أوفر الناس جمالا وأكثرهم مالا وأحسنهم كمالا فأجابها الى ذلك
ودعت عنيزة قدار بن سالف من أهل قدح واسم أمه قديرة وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا
ويزعمون أنه كان لزنية رجل يقال له صفوان ولم يكن لسالف ولكنه قد ولد على فراشه فقالت له
ياقدار أعطيك من بناتى أيما شئت على أن تعقر الناقة وكان قدار عزيزا فى قومه وذكره رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث أشقاها رجل عزيز فى قومه (١) مثل أبى زمعة قالوا فانطلق
قدار ومصدع فاستعانوا بغواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر وكانوا تسعة رهط كما قال
الله تعالى وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون فلقيهم هديات بن مبلع
خال قدار وكان عزيزا من أهل الجرود عربن غنم بن داعرة أخى مصدع وخمسة لم تذكر أسماؤهم
فاجتمعوا على عقر الناقة (قال السدى) وغيره أوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون
الناقة فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل ذلك فقال لهم انه سيولد فى شهركم هذا غلام يعقرها
ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا جرم لا يولد لنا فى هذا الشهر ولد الا قتلناه فولد لتسعة منهم
فى ذلك الشهر تسعة بنين فذبحوا أولادهم وولد للعاشر ابن فابى أن يذبح ابنه وكان بكره لم يولد له
قبل ذلك شئ وكان ابن العاشر أزرق أحمر فنبت نبتا سريعا وكان اذا مر بالتسعة ورأوه ندموا
على ذبح أولادهم وقالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لانه
كان سبب قتل أولادهم فتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله قالوا نخرج فترى الناس انا قد خرجنا
لسفر فنأتى الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده أتيناه فقتلناه ثم نرجع
إلى الغار فنكون فيه ثم ننصرف بعد ذلك الى رحالنا فنقول ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون
فيصدقوننا ويظنون أنا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام الليل معهم فى القرية وكان

يأوى الى مسجد يقال له مسجد صالح يبيت فيه فى الليل فاذا أصبح أتاهم ووعظهم وذكرهم فاذا أمسى خرج الى المسجد فبات فيه فلما دخلوا الغار وأضمروا أنهم يخرجون اليه بالليل فيقتلونه سقطت عليهم صخرة من الغار فقتلتهم فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على ذلك الى الغار فاذا هم رضخ فرجعوا يصيحون فى القرية يا عباد الله ما قنع صالح أن امرهم بقتل أولادهم حتى قتلهم فأجمع أهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق انما كان تقاسم التسعة على تبييت صالح عليه السلام بعد عقرهم الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب وذلك أن التسعة الذين عقروا الناقة قالوا هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا كنا عجلنا قتله وان كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته فأتوه ليلا ليبيتوه فى أهله فرمتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهم أتى أصحابهم منزل صالح فوجدوهم مشدخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم وهموا به فقامت عشيرته دونه وأخذوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبدا فقد وعدكم بان العذاب نازل بكم فى ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم الا غضبا وان كان كاذبا فأنتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك قال السدى وغيره فلما ولد ابن العاشر يعنى قدارا وكان يشب فى كل يوم شباب غيره فى الجمعة ويشب فى الجمعة شباب غيره فى الشهر ويشب فى الشهر شباب غيره فى السنة فلما كبر جلس مع أناس يصيبون من الشراب فارادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد عليهم ذلك وقالوا ما نصنع باللبن لو كنا نأخذ الماء الذى تشربه هذه الناقة فنسقيه أنعامنا وحروثنا كان خيرا لنا فقال ابن العاشر هل لكم أن أعقرها قالوا نعم وقال كعب كان سبب عقرهم الناقة امرأة يقال لها ملكا كانت قد ملكت ثمود فلما أقبل الناس على صالح وسارت الرياسة اليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامرأة أخرى يقال لها قبال وكانت معشوقة مصدع بن مهرج وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة يشربون الخمر فقالت لهما ملكا ان أتاكما الليلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما ان الملكة حزينة لاجل صالح وناقته فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة فان عقرتماها أطعناكما فلما أتياهما قالتا لهما هذه المقالة فقالا نحن نعقرها قال ابن اسحق وغيره فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار فى أصل شجرة على طريقها وكمن لها مصدع فى أصل شجرة أخرى فمرت الناقة على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت أم غنم وعنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها فتراءت لقدار وأسفرت له عن وجهها وحرضته على عقر الناقة فشد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فأرداها وطعن فى لبتها فنحرها وخرج أهل البلدة واقتسموها وأكلوا لحمها وكانت لما عقرها رغت فلما رأى سقبها ذلك انطلق حتى أتى جبلا منيعا يقال له ضوء وقيل اسمه قارة وروى ذلك مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة فأتى صالح عليه السلام فقيل له أدرك ناقتك فقد عقرت فأقبل وخرجوا يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يا نبى الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال لهم صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فلما رأوه على

الجبل ذهبوا ليأخذوه فأوحى الله الى الجبل فتطاول فى السماء حتى ما تناله الطير وجاء صالح عليه السلام فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا وانفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح عليه السلام لكل أمة أجل فتمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب ذلك وعد غير مكذوب * قال محمد بن اسحق بن يسار اتبع الفصيل أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع وأخوه ذؤاب ولدا مهرج فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه ثم جر برجله فانزله والقوا لحمه مع لحم أمه فقال لهم صالح عليه السلام انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله تعالى ونقمته فقالوا مستهزئين به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام فيوم الاحد الاول والاثنين أهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شيار وفيه يقول الشاعر

أؤمل أن أعيش وأن يومى * بأول أو بأهون أو جبار
أو المردى دبار فان أفته * فمؤنس أو عروبة أو شيار

قالوا وكان عقر الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح عليه السلام حين سألوه عن وقت العذاب وآيته انكم تصبحون غداة مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم الاول فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فأيقنوا بالعذاب وعرفوا أن صالحا قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه فخرج صالح عليه السلام هاربا منهم حتى لحق الى بطن من ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم رجل منهم يقال له نفيل ويكنى أبا هدب وهو مشرك فغيبه عنهم فلم يقدروا عليه فغدوا على أصحاب صالح يعذبونهم ليدلوهم عليه فقال رجل من أصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يا نبى الله انهم ليعذبوننا لندلهم عليك أفندلهم قال نعم فدلهم عليه مبدع فأتوا أبا هدب فكلموه فى ذلك فقال نعم هو عندى وليس لكم اليه سبيل فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما أنزل الله تعالى بهم من عذابه فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون فى وجوههم فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يوم من الاجل فلما أصبحوا اليوم الثانى اذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا أن العذاب واقع بهم فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا جميعا ألا قد حضركم العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح عليه السلام من بين أظهرهم وخرج معه من آمن حتى جاؤا الشأم فنزلوا رملة فلسطين فلما أصبح القوم تكفنوا وتحنطوا وكان حنوطهم الصبر والمر وكانت أكفانهم الانطاع ثم ألقوا أنفسهم بالارض فجعلوا يقلبون أبصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ له صوت فى الارض فقطعت قلوبهم فى صدورهم فلم يبق فيهم صغير ولا كبير الا هلك كما قال عز وجل فاصبحوا فى دارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا ان ثمودا كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ولم ينج منهم الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت ساف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فاطلق الله لها رجليها

بعد

بعدما عاينت العذاب اجمع فخرجت كأسرع شئ يكون حتى اتت قرحا وهو وادى القرى حد ما بين الحجاز والشام فاخبرتهم بما عاينت من العذاب وما أصاب ثمود ثم استسقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت * وروى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبى صلى الله عليه وسلم بالحجر فى غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن أحد منكم هذه القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذى أصابهم ثم قال أما بعد فلا تسالوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها وأراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتقى الفصيل حين ارتقى فى الغار فعتوا عن أمر ربهم وعقروها فاهلك الله تعالى من تحت أديم السماء منهم فى مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له أبو رغال وهو أبو ثقيف كان فى حرم الله تعالى فمنعه حرم الله من عذاب الله تعالى فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ودفن معه غصن من ذهب وأراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أبى رغال فنزل القوم فابتدروه باسيافهم وبحثوا عليه فاستخرجوا ذلك الغصن من الذهب ثم تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه وأسرع السير حتى جاوز الوادى وقال أهل العلم توفى صالح عليه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وذلك انه انتقل من الشام الى مكة بعد ما أهلك الله تعالى قومه وكان يعبد الله تعالى هنالك حتى مات وكان قد أقام فى قومه عشرين سنة * أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون قال أخبرنا عبد الله بن محمد بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن هاشم حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا قتيبة أبو عثمان عن أبيه عن الضحاك بن مزاحم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعلى أتدرى من أشقى الاولين قال قلت الله ورسوله أعلم قال عاقر الناقة قال ياعلى أتدرى من أشقى الآخرين قال قلت الله ورسوله أعلم قال قاتلك والله أعلم

(مجلس فى قصة ابراهيم عليه السلام والنمروذ)

وهو ابراهيم بن تارح بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن ارفخشذ ابن سام بن نوح وكان اسم أبى ابراهيم الذى سماه به أبوه تارح فلما صار مع النمروذ قيما على خزائن آلهته سماه آزر وقال مجاهد ان آزر ليس اسم أبيه وانما هو اسم صنم وقال ابن اسحق ليس هو اسم صنم بل هو لقب عيب به وهو بمعنى معوج وقيل هو بالنبطية الشيخ الهرم وولد لناحور تارح بعد ما مضى من عمره سبع وعشرون سنة وهذا المجلس يشتمل على أبواب والله أعلم

* (الباب الاول فى مولد ابراهيم عليه السلام) * اختلف العلماء فى الموضع الذى ولد فيه فقال بعضهم كان مولده بالسوس من أرض الاهواز وقال بعضهم كان مولده ببابل من أرض السواد بناحية يقال لها كوثا وقال بعضهم كان مولده بالوركاء ناحية فى حدود كسكر ثم نقله أبوه الى الموضع الذى كان به نمروذ من ناحية كوثا وقال بعضهم كان مولده بحران ولكن أبوه نقله الى أرض بابل وقال عامة السلف من أهل العلم ولد ابراهيم عليه السلام فى زمن نمروذ بن كنعان

وكان بين الطوفان وبين مولد ابراهيم عليه السلام ألف ومائتان وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم عليه السلام بثلاثة آلاف وثلثمائة وسبع وثلاثين سنة ونمروذ الذى ولد فى ملكه ابراهيم هو نمروذ بن كنعان بن سنجاريب بن كوش بن حام بن نوح وفى الحديث ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فاما المومنان فسليمان بن داود وذو القرنين عليهما السلام وأما الكافران فنمروذ وبختنصر وكان نمروذ أول من وضع على رأسه التاج وتجبر فى الارض ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد فى بلدك فى هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك فى كتب الانبياء (وقال السدي) رأى نمروذ فى منامه كان كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا ودعا السحرة والكهنة والقافة وهم الذين يخطون فى الارض وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد فى ناحيتك هذه السنة يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على يديه قال فامر نمروذ بذبح كل غلام يولد فى تلك الناحية تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا رقيبا أمينا فاذا حاضت المرأة خلى بينه وبينها اذا أمن المواقعة فاذا طهرت عزل الرجل عنها فرجع آزر أبو ابراهيم فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فوقع عليها فى طهرها فحملت بابراهيم عليه السلام وقال محمد بن اسحق بعث نمروذ الى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده الا ما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها وذلك انها كانت جارية حديثة السن لم تعرف الحبل ولم يبن فى بطنها (وقال السدى) خرج نمروذ بالرجال الى العسكر ونحاهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود أن يكون فمكث كذلك ماشاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأمن عليها أحدا من قومه الا آزر فدعاه وقال له ان لى اليك حاجة أحب أنى أوصيك بها ولم أبعثك الا لثقتى بك فاقسمت عليك أن لا تدنو من أهلك ولا تواقعها فقال آزر أنا أشح على دينى من ذلك فاوصاه بحاجته ثم بعثه فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لو دخلت الى أهلى فنظرت اليهم فلما نظر الى أم ابراهيم لم يتمالك حتى وقع عليها فحملت بابراهيم عليه السلام (قال ابن عباس) لما حملت أم ابراهيم قال الكهان للنمروذ ان الغلام الذى أخبرناك به قد حملت به أمه هذه الليلة فأمر نمروذ بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أم ابراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته فى نهر يابس ثم لفته فى خرقة ووضعته فى حلفاء ورجعت فأخبرت زوجها بابنها وانها قد ولدت وان الولد فى موضع كذا فانطلق أبوه فأخذه من ذلك المكان وحفر له سردابا عند نهر فواراه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف اليه فترضعه (وقال السدى) لما عظم بطن أم ابراهيم خشى آزر أن يذبح فانطلق بها الى أرض بين الكوفة والبصرة يقال لها وركاء فأنزلها فى سرب من الارض وجعل عندها ما يصلحها وجعل يتعهدها ويكتم ذلك من أصحابه فولدت ابراهيم عليه السلام فى ذلك السرب فشب فكان وهو ابن سنة كابن ثلاث سنين وصار من الشباب بحالة أسقطت عنه طمع الذابحين ثم ذكر آزر لاصحابه أن له ابنا كبيرا فانطلق به اليهم (قال ابن اسحق) لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة وكانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم عليه السلام وأصلحت من شانه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه فى المغارة فتجده حيا يمص ابهامه (قال

أبو زويق) كانت أم ابراهيم كلما دخلت على ابراهيم عليه السلام وجدته يمص ابهامه فقالت
ذات يوم لأنظرن الى أصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا
ومن أصبع سمنا قال ابن اسحق وكان آزر سأل أم ابراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما
فمات فصدقها وسكت عنها وكان اليوم على ابراهيم عليه السلام فى الشباب كالشهر والشهر
كالسنة فلم يمكث ابراهيم عليه السلام فى المغارة الا خمسة عشر يوما حتى جاء الى أبيه آزر فأخبره
انه ابنه وأخبرته أم ابراهيم أنه ابنه وأخبرته بما كانت صنعت فى شأنه فسر آزر بذلك وفرح
فرحا شديدا

*(الباب الثانى فى خروج ابراهيم عليه السلام من السرب ورجوعه الى قومه
ومحاجته اياهم فى الدين والقائهم اياه فى النار وما يتعلق بذلك)*

(قال أهل العلم بسير الماضين) لما شب ابراهيم عليه السلام وهو فى السرب قال لامه من ربى
قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبى قالت له نمروذ قال فمن رب نمروذ قالت له اسكت
فسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت رأيت الغلام الذى يحدث أنه يغير دين أهل الارض فانه
ابنك ثم أخبرته بما قال لها فأتاه أبوه آزر فقال له ابراهيم عليه السلام يا أبتاه من ربى قال أمك قال
فمن رب أمى قال أنا قال فمن ربك قال نمروذ قال فمن رب نمروذ فلطمه لطمة وقال اسكت وذلك قوله
عز وجل ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ثم قال لابويه أخرجانى فاخرجاه من السرب
فانطلقا به حتى غابت الشمس فنظر ابراهيم عليه السلام الى الابل والبقر والغنم والخيل يراح بها
فسأل أباه ما هذه فقال ابل وخيل وبقر وغنم فقال ما لهذه بد من أن يكون لها رب خالق ثم نظر
وتفكر فى خلق السموات والارض وقال ان الذى خلقنى ورزقنى وأطعمنى وسقانى لربى ما لى اله
غيره ثم نظر فاذا المشترى قد طلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة فى آخر شهر فرأى الكوكب
قبل القمر فقال هذا ربى فذلك قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل
قال لا أحب الآفلين ثم رأى القمر بازغا فقال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن
من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر لانه رأى ضوأها أعظم فلما أفلت
قال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا
من المشركين قالوا وكان أبوه يصنع الاصنام فلما ضم ابراهيم الى نفسه جعل يصنع
الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب بها ابراهيم عليه السلام فينادى من يشترى ما يضر
ولا ينفع فلا يشترى أحد منه فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فضرب رؤسها وقال لها اشربى
كسدتى استهزاء بقومه وبما هم عليه من الضلالة والجهالة حتى فشا عيبه اياها واستهزاؤه بها
فى قومه وأهل قريته فحاجه قومه فى دينه فقال لهم أتحاجونى فى الله وقد هدان الآيات الى
قوله عز وجل وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم حتى
خصمهم وغلبهم بالحجة ثم ان ابراهيم عليه السلام دعا أباه آزر الى دينه فقال يا أبت لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ الى آخر القصة فأبى أبوه الاجابة الى ما دعاه اليه ثم ان ابراهيم عليه
السلام جاهر قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون وأظهر دينه فقال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم

وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين قالوا فمن تعبد أنت قال رب العالمين قالوا
تعنى نمروذ فقال لا الذى خلقنى فهو يهدين الى آخر القصة ففشا ذلك فى الناس حتى بلغ نمروذ
الجبار فدعاه فقال له يا ابراهيم أرأيت الهك الذى بعثك وتدعو الى عبادته وتذكر من قدرته
التى تعظمه بها على غيره ما هو قال ابراهيم عليه السلام ربى الذى يحيى ويميت قال نمروذ أنا أحيى
وأميت قال ابراهيم كيف تحيى وتميت قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل فى حكمى فأقتل
أحدهما فأكون قد أمته ثم أعفو عن الآخر فأتركه فأكون قد أحييته فقال له ابراهيم عند
ذلك ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت عند ذلك نمروذ ولم يرجع اليه
شيأ ولزمته الحجة فذلك قوله عز وجل فبهت الذى كفر الآية ثم ان ابراهيم عليه السلام أراد
أن يرى قومه ضعف الاوثان التى كانوا يعبدونها من دون الله وعجزها الزاما للحجة عليهم فجعل
ينتهز لذلك فرصة ويحتال فيه الى أن حضرهم عيد لهم (قال السدى) كان لهم فى كل سنة
عيد يخرجون اليه ويجتمعون فيه فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا
لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى
عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم أشتكى
رجلى فتولوا عنه وهو صريع فلما مضوا نادى فى آخرهم وقد بقى ضعفاء الناس وتالله لأكيدن
أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فسمعوها منه وقال مجاهد وقتادة انما قال ابراهيم عليه
السلام هذا فى سر من قومه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد منهم وهو الذى أفشاه عليه قالوا
ثم رجع ابراهيم عليه السلام من الطريق الى بيت الآلهة فاذا فى البيت نهر مستقبل باب
النهر صنم عظيم يليه أصغر منه الى باب النهر واذا هم قد جعلوا طعاما فوضعوه بين يدى الآلهة
وقالوا اذا كان حين رجوعنا رجعنا وقد باركت الآلهة فى طعامنا أكلنا فلما نظر ابراهيم عليه
السلام الى الاصنام والى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون
فلما لم تجبه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفاس فى يده حتى
لم يبق الا الصنم الاكبر فعلق الفاس فى عنقه ثم خرج فذلك قوله عز وجل فجعلهم جذاذا الا
كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون فلما جاء القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم ورأوها بتلك الحالة
قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم هو الذى نظنه
صنع هذا فبلغ ذلك نمروذ الجبار وأشراف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون
عليه أنه هو الذى فعل ذلك وكرهوا أن يأخذوه بغير بينة قاله قتادة والسدى وقال الضحاك لعلهم
يشهدون بما نصنع به ونعاقبه فلما أحضروه قالوا له أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال ابراهيم
بل فعله كبيرهم هذا غضب من أن تعبد وامعه هذه الاصنام الصغار وهو أكبر منها فكسرهن
فاسألوهم ان كانوا ينطقون قال النبى صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث
كذبات كلها فى الله تعالى قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك الذى عرض
لسارة هى أختى فلما قال لهم ابراهيم ذلك رجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون هذا
الرجل فى سؤالكم اياه وهذه آلهتكم التى فعل بها ما فعل حاضرة فاسألوها وذلك قول ابراهيم
عليه السلام فاسألوهم ان كانوا ينطقون فقال قومه ما نراه الا كما قال وقيل انكم أنتم

الظالمون

الظالمون بعبادتكم الاوثان الصغار مع هذا الكبير ثم نكسوا على رؤسهم متحيرين فى أمره
وعلموا أنها لا تنطق ولا تبطش فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فلما اتجهت الحجة عليهم
لابراهيم عليه السلام قال لهم أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف
لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فلما الزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا
حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين (قال عبد الله بن عمر) ان الذى أشار عليهم
بتحريق ابراهيم عليه السلام بالنار رجل من الاكراد قال شعيب الجبائى اسمه هينون فخسف
الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة قال فلما أجمع نمروذ وقومه على احراق
ابراهيم عليه السلام حبسوه فى بيت وبنوا له بنيانا كالحظيرة فذلك قوله عزوجل قالوا ابنوا
له بنيانا فالقوه فى الجحيم ثم جمعوا له من اصلب الحطب وأصناف الخشب حتى ان كانت
المرأة لتمرض فتقول لئن عافانى الله تعالى لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر فى
بعض ما تطلب مما تحب أن تدركه لئن أصابته لتحتطبن حطبا وتجعله فى النار التى يحرق بها
ابراهيم احتسابا فى دينها (قال ابن اسحق) كانوا يجمعون الحطب شهرا حتى اذا كثر
الحطب وجمعوا منه ما أرادوا أشعلوا النار فى كل ناحية بالحطب فاشتعلت النار
حتى ان كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فرفعوه
على رأس البنيان وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا باشارة ابليس لعنه الله تعالى حيث لم يتمكنوا
من القائه فى النار من شدة حرها فاتخذوا المنجنيق ووضعوه فيه مقيدا مغلولا صلوات الله
عليه فضجت السموات والارض والجبال ومن فيها من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين
ضجة واحدة وقالوا أى ربنا ابراهيم ليس فى أرضك أحد يعبدك غيره يحرق فى النار فأذن
لنا فى نصرته فقال الله تعالى لهم ان استعان بشئ منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له فى ذلك
وان لم يدع غيرى فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بينى وبينه فلما أرادوا القاءه فى النار أتاه ملك المياه
فقال ان أردت أخمدت النار فان خزائن المياه والامطار بيدى وأتاه خازن الريح فقال ان شئت
طيرت النار فى الهواء فقال ابراهيم عليه السلام لا حاجة لى اليكم ثم رفع رأسه الى السماء
فقال اللهم أنت الواحد فى السماء وفى الارض ليس فى الارض أحد يعبدك غيرى (وروى)
المعتمر عن أبى بن كعب عن أرقم ان ابراهيم عليه السلام قال حين أوثقوه ليلقوه فى النار لا اله
الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به بالمنجنيق الى النار فى
موضع شاسع فاستقبله جبريل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا قال
جبريل فسل ربك فقال ابراهيم عليه السلام حسبى من سؤالى علمه بحالى حسبى الله ونعم الوكيل
وفى الخبر أن ابراهيم عليه السلام انما نجا بقوله حسبى الله ونعم الوكيل قال الله عزوجل يا نار
كونى بردا وسلاما على ابراهيم (قال السدى) كان جبريل عليه السلام هو الذى ناداها بامر
الله تعالى (قال على بن أبى طالب رضى الله عنه) وابن عباس لو لم يقل وسلاما لمات ابراهيم
من بردها ولم يبق حينئذ نار فى الارض الا طفئت ظنت أنها تعنى (قال كعب الاحبار) وقتادة
والزهرى ما انتفع أحد من الارض يومئذ بنار ولا احرقت النار يومئذ شيأ الا وثاق ابراهيم عليه
السلام ولم يبق يومئذ دابة الا طفئت عنه النار الا الوزغ فلذلك أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله

وسماه فويسقا (قال السدى) فأخذت الملائكة بضبعى ابراهيم فاقعدته على الارض فاذا عين ماء وورد أحمر ونرجس قالوا فاقام ابراهيم فى النار سبعة أيام قال المنهال بن عمرو قال ابراهيم خليل الله ما كنت أياما قط أنعم منى عيشا فى الايام التى كنت فيها فى النار (قال ابن اسحق وغيره) وبعث الله ملك الظل فى صورة ابراهيم عليه السلام فقعد فيها الى جنب ابراهيم وهو يؤنسه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير وقال له يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبابى وألبسه القميص ثم أشرف نمروذ من صرح له عال ونظر الى ابراهيم عليه السلام وما يشك أنه قد هلك فرآه جالسا فى روضة ورأى الملك قاعدا الى جنبه وحوله نار تحرق ما جمعوا من الحطب فناداه نمروذ يا ابراهيم كبير الهك الذى بلغت قدرته ان حال بينك وبين النار حتى لم تضرك يا ابراهيم فهل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال فهل تخشى ان أقمت فيها أن تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم عليه السلام يمشى فيها حتى خرج منها فلما خرج اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذى رأيت معك فى مثل صورتك قاعدا الى جنبك قال ملك الظل أرسله الى ربى ليؤنسنى فيها فقال نمروذ يا ابراهيم انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت الا عبادته وتوحيده انى ذابح له أربعة آلاف بقرة فقال له ابراهيم اذا لا يقبل الله منك شيأ ما كنت على دينك هذا حتى تفارقه الى دينى فقال يا ابراهيم لا أستطيع ترك ملكى ولكن سوف أذبحها له فذبحها وقربها ومنع العذاب عن ابراهيم ثم انه قال لا ابراهيم نعم الرب ربك يا ابراهيم (قال الشعبى) ألقى ابراهيم عليه السلام فى النار وهو ابن ست عشرة سنة وذبح اسحق وهو ابن سبع سنين وولدته سارة رضى الله عنها وهى ابنة تسعين سنة وكان مذبحه من بيت المقدس على ميلين ولما علمت سارة بما أراد باسحق بقيت يومين وماتت فى اليوم الثالث قال ابن اسحق استجاب لابراهيم عليه السلام رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله عز وجل به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمروذ وملئهم فآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارح وهاران هو أخو ابراهيم عليه السلام وكان لهما أخ ثالث يقال له ناحور ابن تارح فهاران ابو لوط وناحور ابو تنويل وتنويل ابو لابان ورفقا بنت تنويل امرأة اسحق ابن ابراهيم أم يعقوب وليا وراحيل زوجتا يعقوب عليه السلام وهما ابنتا لابان وآمنت أيضا به سارة وهى بنت عمه وهى سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم عليه السلام (وقال السدى) كانت سارة بنت ملك حران وذلك ان ابراهيم ولوطا عليهما السلام انطلقا قبل الشام فلقى ابراهيم سارة وهى ابنة ملك حران وكانت قد طعنت على قومها فى دينهم فتزوجها ابراهيم عليه السلام على أن لا يضرها قال ابن اسحق خرج ابراهيم عليه السلام من كوثا من أرض العراق مهاجرا الى ربه عز وجل وخرج معه لوط وسارة عليهما السلام كما قال الله تعالى فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى فخرج حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله تعالى أن يمكث ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج من مصر الى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين وهى برية الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وهى من السبع على مسيرة يوم وليلة فبعثه الله تعالى نبيا فذلك قوله عز وجل ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين يعنى الشام فبركتها أن بعث منها أكثر الانبياء وهى الارض المقدسة وأرض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك الله تعالى

المسيح

المسيح الدجال بباب لد وهي أرض خصبة كثيرة الاشجار والانهار والثمار يطيب فيها العيش
للغني والفقير (قال أبي بن كعب) ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت
المقدس ثم يتفرق في الارض والله أعلم

(الثالث في ذكر مولد اسمعيل واسحق عليهما السلام ونزول اسمعيل وأمه هاجر الحرم وقصة بئر زمزم)

(قال اهل العلم بسير الماضين) لما نجا الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام آمن به من آمن وتابعوه
على فراق قومهم واظهار البراءة منهم فقالوا انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم
أيها المعبودون من دون الله وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أيها العابدون حتى تؤمنوا
بالله وحده ثم خرج ابراهيم عليه السلام مهاجرا الى ربه وخرج معه لوط عليه السلام وتزوج
ابراهيم عليه السلام بابنة عمه سارة فخرج بها يلتمس القرار بدينه والامان على عبادته لربه
حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله أن يمكث ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر وبها فرعون
من الفراعنة الاولى وكانت سارة من أحسن النساء وأجملها وكانت لا تعصي ابراهيم عليه
السلام في شئ وبذلك أكرمها الله تعالى قال فاتى الجبار رجل وقال له ان ههنا رجلا معه امرأة
من أحسن النساء ووصف له حسنها وجمالها فارسل الجبار الى ابراهيم عليه السلام فجاءه فقال
له ما هذه المرأة منك فقال هي أختي وتخوف ان قال هي امرأتي أن يقتله فقال له زينها وأرسلها
الي حتى أنظر اليها فرجع ابراهيم الى سارة عليها السلام وقال لها ان هذا الجبار قد سألني عنك
فاخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده فانك أختي في كتاب الله عز وجل وانه ليس في هذه الارض
مسلم غيري وغيرك ثم أقبلت سارة الى الجبار وقام ابراهيم عليه السلام يصلي فلما دخلت عليه
ورآها أهوى اليها يتناولها بيده فيبست يده الى صدره فلما رأى الجبار ذلك أعظم أمرها وقال
لها سلي ربك أن يطلق يدي فوالله لا آذيتك فقالت سارة اللهم ان كان صادقا فاطلق له يده
فاطلق الله تعالى له يده (وفي بعض الاخبار المسندة) انه فعل ذلك ثلاث مرات يقصد أن يتناولها
فتيبس يده فلما رأى ذلك ردها الى ابراهيم ووهب لها هاجر وهي جارية قبطية فاقبلت سارة الى
ابراهيم فلما أحس بها ابراهيم انتقل من صلاته قال مهيم فقالت كفى الله كيد الفاجر وأخدمني
هاجر (قال محمد بن سيرين) كان أبو هريرة اذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فتلك أمكم يا بني ماء السماء (وفي بعض الاخبار) ان الله تعالى رفع الحجاب بين ابراهيم
وسارة حتى كان ينظر اليها من وقت خروجها من عنده الى وقت انصرافها اليه كرامة لها
وتطييبا لقلب ابراهيم عليه السلام قالوا وكانت هاجر جارية ذات هيبة فوهبتها سارة لابراهيم
فقالت اني أراها امرأة وضيئة فخذها لعل الله تعالى أن يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت
الولد حتى أسنت فوقع ابراهيم على هاجر فولدت له اسمعيل عليه السلام روى محمد بن اسحق عن
عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
افتتحتم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما قال ابن اسحق فسألت الزهري ما الرحم
الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت هاجر أم اسمعيل منهم قالوا ثم خرج ابراهيم

من مصر الى الشام وهاب ذلك الملك الذى كان بها وأشفق من شره فنزل السبع من أرض فلسطين واحتفر بها بئرا واتخذ بها مسجدا وكان ماء تلك البئر معينا ظاهرا وكانت غنمه ترد ها فأقام ابراهيم عليه السلام بالسبع مدة ثم ان أهلها آذوه فيها ببعض الاذى فخرج منها حتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وايلياء ببلد يقال لها قطة فلما خرج من بين أظهرهم نضب ماء تلك العين وذهب فندم أهل السبع جميعا على ما صنعوا وقالوا أخرجنا من بين أظهرنا رجلا صالحا فاتبعوا أثره حتى أدركوه وسألوه أن يرجع فقال ما أنا براجع الى بلد أخرجت منه قالوا ان الماء الذى كنت تشرب ونشرب معك منه قد نضب وذهب فأعطاهم سبعة أعنز من غنمه وقال اذهبوا بها معكم فانكم اذا أوردتموها البئر ظهر الماء حتى يكون معينا ظاهرا كما كان فاشربوا منها ولا تقربنها امرأة حائض فخرجوا بالاعنز فلما وقفت على البئر ظهر الماء فكانوا يشربون منها وهى على تلك الحال حتى أتتها امرأة طامث فاغترفت منها فركد ماؤها الى الذى هو عليه اليوم وأقام ابراهيم عليه السلام ببلده وكان يضيف من نزل به وقد أوسع الله تعالى عليه وبسط له من الرزق والمال والخدم فلما أراد الله تعالى هلاك قوم لوط عليه السلام بعث اليه رسله يأمرونه بالخروج من بين أظهرهم وأمرهم أن يبدؤا بابراهيم عليه السلام ويبشروه وسارة باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم عليه السلام وكان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوما حتى شق عليه ذلك وكان لا يأكل الا مع ضيف ما أمكنه فلما رآهم على صورة الرجال سر بهم ورأى ضيوفا لم يضيف مثلهم حسنا وجمالا فقال لا يخرج لهؤلاء القوم الا أنا فخرج فجاء بعجل سمين حنيذ وهو المشوى بالحجارة فقربه اليهم فامسكوا أيديهم عنه فقال لهم ألا تأكلون فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة حين لم يأكلوا من طعامه فقالوا يا ابراهيم لا نأكل طعاما الا بثمن قال فان لهذا ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله تعالى على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل عليهما السلام وقال يحق لهذا أن يتخذه ربه خليلا ثم قالوا له لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة قائمة تخدمهم وابراهيم قاعد معهم فلما أخبروه بما أرسلوا به وبشروه باسحق ويعقوب ضحكت سارة واختلف العلماء فى العلة الجالبة لضحكها ما هى فقال السدى انما ضحكت سارة حين لم يأكلوا من طعامهم وقالت يا عجبا لاضيافنا هؤلاء انا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبى ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهو فيما بين خدمه وحشمه وقال ابن عباس ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها وكانت هى بنت تسعين سنة وابراهيم ابن مائة وعشرين سنة قال السدى قالت سارة لجبريل عليه السلام لما بشرها بالولد على حالة الكبر ما آية ذلك فأخذ بيده عودا يابسا فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر فقال ابراهيم هو لله اذا ذبيح وقال مجاهد وعكرمة فضحكت أى حاضت فى الوقت تقول العرب ضحكت الارنب اذا حاضت وقال السدى وابن يسار وغيرهما من اهل الاخبار فحملت سارة باسحق وقد كانت حملت هاجر باسمعيل فوضعتا معا وشب الغلامان فبينما هما يتناضلان ذات يوم وقد كان ابراهيم عليه السلام سابق بينهما فسبق اسمعيل فأخذه وأجلسه فى حجره وأجلس اسحق الى جانبه وسارة تنظر اليه فغضبت وقالت عمدت الى ابن الامة فاجلسته فى

حجرك وعمدت الى ابنى فأجلسته الى جنبك وقد جعلت أن لا تضرنى ولا تسوانى واخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن بضعة منها ولتغيرن خلقها ثم ثاب اليها عقلها فبقيت متحيرة فى ذلك فقال لها ابراهيم عليه السلام اخفضيها واثقبى أذنيها ففعلت ذلك فصارت سنة فى النساء ثم ان اسمعيل واسحق عليهما السلام اقتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت لا تساكنينى فى بلد واحد وأمرت ابراهيم عليه السلام أن يعزلها عنها فأوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام أن يأتى بهاجر وابنها مكة فذهب بهما حتى قدم مكة وهى اذ ذاك عضاه وسلم وسمر ويحوا اليها خارج مكة ناس يقال لهم العماليق وموضع البيت يومئذ ربوة حمراء فقال ابراهيم عليه السلام لجبريل عليه السلام ههنا أمرت أن تضعهما قال نعم فعمد بهما الى موضع الحجر فأنزلهما فيه وأمر هاجر أم اسمعيل أن تتخذ عريشا ثم قال ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ثم انصرف فاتبعته هاجر وقالت الى من تكلنا فجعل لا يرد عليها شيأ فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم فقالت اذا لا يضيعنا ثم انصرف راجعا الى الشام وكان مع هاجر شنة فيها ماء فنفد الماء فعطشت وعطش الصبى فنظرت أى الجبال أدنى من الارض فصعدت الصفا وتسمعت هل تسمع صوتا أو ترى انسيا فلم تسمع شيأ ولم تر أحدا ثم انها سمعت أصوات سباع الوادى نحو اسمعيل فاقبلت اليه بسرعة لتؤنسه ثم سمعت صوتا نحو المروة فسعت وما تريد السعى كالانسان المجهود فهى أول من سعى بين الصفا والمروة ثم صعدت المروة فسمعت صوتا كالانسان الذى يكذب سمعه حتى استيقنت وجعلت تدعو سمع ابل تعنى يا الله قد أسمعتنى صوتك فاغثنى فقد هلكت وهلك من سعى فاذا هى بجبريل عليه السلام فقال لها من أنت فقالت سرية ابراهيم عليه السلام تركنى وابنى ههنا قال والى من وكلكما قالت وكلنا الى الله تعالى قال اقد وكلكما الى كريم كاف ثم جاء بهما وقد نفد طعامهما وشرابهما حتى انتهى بهما الى موضع زمزم فضرب بقدمه فغارت عين فلذلك يقال لزمزم ركضة جبريل عليه السلام فلما نبع الماء أخذت هاجر شنة لها وجعلت تستقى فيها تدخره فقال لها جبريل عليه السلام انها روى وجعلت أم اسمعيل تحبسها حبسا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انها عجلت لكانت زمزم عينا معينا وقال لها جبريل لا تخافى الظمأ على أهل هذه البلدة فانها عين يشرب منها ضيفان الله تعالى وقال لها أما ان أبا هذا الغلام سيجىء فيبنيان لله تعالى بيتا هذا موضعه قالوا ومرت رفقة من جرهم تريد الشام فرأوا الطير على الجبل فقالوا ان هذا الطير لحائم على ماء فاشرفوا فاذا هم بالماء فقالوا لهاجر ان شئت كنا معك فآنسناك والماء ماؤك فاذنت لهم فنزلوا معها وهم أول سكان مكة فلذلك كانت العرب تقول فى تلبيتها

لاهم ان جرهما عبادك * الناس طارف وهم تلادك * وهم قديما عمروا بلادك

فكانوا هنالك حتى شب اسمعيل وماتت هاجر فتزوج اسمعيل امرأة من جرهم وأخذ لسانهم فتعرب بهم فهم أولاده العرب المتعربة ثم ان ابراهيم عليه السلام استأذن سارة أن يزور هاجر وابنها فاذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فقدم ابراهيم عليه السلام مكة وقد ماتت هاجر ويقال انه قدمها راكبا البراق فلما قدمها ذهب الى بيت اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ليس

قوله قد أسمعتنى صوتك المراد بالصوت الكلام والا فكلامه تعالى منزه عن الحرف والصوت

ههنا ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع وكان مولعا بالصيد نحص بالقنص والفروسية والرمى والصراع فقال لها ابراهيم عليه السلام هل عندك ضيافة هل عندك طعام أو شراب قالت ليس عندى شئ وما عندى أحد فقال لها ابراهيم اذا جاء زوجك فاقرئيه منى السلام وقولى له فليغير عتبة بابه فذهب ابراهيم عليه السلام ودخل اسمعيل فوجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد فقالت جاءنى شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال لك قالت قال أقرئى زوجك السلام وقولى له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى فلبث ابراهيم عليه السلام ماشاء الله ثم استأذن سارة أن يزور اسمعيل فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فجاء ابراهيم عليه السلام حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجىء الآن ان شاء الله تعالى فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لهما بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر لكانت مكة أكثر أرض الله برا وشعيرا وتمرا ثم قالت له انزل حتى اغسل رأسك وشعثك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عند شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقى أثر قدمه فيه فغسلت شق رأسه الايمن ثم جعلت المقام الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولى له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد قالت نعم جاءنى شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فقال لى كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال ذلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال أنس بن مالك رأيت فى المقام أثر أصابع ابراهيم عليه السلام وعقبه وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم (وأخبرنا) محمد بن أحمد بن عبدون قال أخبرنا محمد بن حمدون بن خالد حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا هدبة بن خالد حدثنا أبو يحيى بن جابر بن مسح الحرشى قال سمعت مسافر بن شيبة يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول أشهد ثلاث مرات أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن طمس الله نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب

(الباب الرابع فى القول على بقية قصة زمزم)

روت الرواة عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال عبد المطلب بن هاشم بينا أنا نائم فى الحجر اذ أتانى آت فقال لى احفر طيبة قلت وما طيبة فذهب عنى ولم يجبنى فلما كانت الليلة الثانية جاءنى فقال احفر برة قلت وما برة فذهب عنى ولم يجبنى فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فقال احفر المضنونة قلت وما المضنونة ثم ذهب عنى فلما كان من الغد رجعت الى مضجعى فنمت فجاءنى فقال احفر زمزم قلت وما زمزم وكانت قد درست وغار ماؤها الممنت أيام اسمعيل عليه السلام قال بئر يسقى الحجيج منه عند منحر قريش عند نقرة الغراب وقرية النمل فلما تبين له قام فدل على موضعها وعرف أنه قد صدق فغدا بمعوله ومعه الحرث بن عبد المطلب ليس له ولد غيره يومئذ فلما علمت به قريش قاموا اليه فقالوا يا عبد المطلب انها من آثار اسمعيل أبينا فان لنا فيها حقا فأشركنا فيها فقال ما أنا بفاعل ان هذا شئ خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فانصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك قال فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم أخاصمكم اليه قالوا كاهنة بنى سعد بن هذيل قال نعم وكانت من أطراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى عبد مناف فركب

من

من كل قبيلة من قريش نفر قال والارض اذ ذاك مفاوز فخرجوا حتى اذا كانوا ببعض تلك المفاوز نفد ما كان معهم من الماء حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا انا بمفازة وانا نخشى على أنفسنا أن يصيبنا مثل ما أصابكم فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم قال لاصحابه ماذا ترون قالوا انا رأينا تبع لرأيك فامرنا بما شئت قال فانى أرى أن يحفر كل رجل منكم لنفسه حفرة بما يجد من القوة فكل من مات منا دونه صاحبه دفنه فى حفرته قال فحفروا وجلسوا ينتظرون الموت ثم قال عبد المطلب ومالنا لانضرب فى الارض فعسى الله تعالى أن يرزقنا ماء فارتحلوا ومن معهم من قريش ينظرون اليهم ماهم فاعلون وتقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما أن انبعثت به انفجرت من تحت حوافر دابة عبد المطلب عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب منه وشرب أصحابه حتى رووا وملؤا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلموا الى الماء فقد سقانا الله تعالى واياكم فشربوا وسقوا ثم قالوا قد والله قضى الله لك علينا يا عبد المطلب والله لانخاصمك فى زمزم أبدا ان الذى سقاك هذا الماء فى هذه الفلاة فهو ساقيك زمزم فارجع فرجع ورجعوا معه حتى وافوا مكة وخلوا بينه وبين زمزم ولما جن الليل رأى عبد المطلب فى منامه كأن قائلا يقول له

يا أيها المدلج احفر زمزم * انك ان حفرتها لم تندم

وهى تراث من أبيك الاعظم * تسقى الحجيج حافلا لم يتقم

فلما سمعه عبد المطلب قال وأين موضع زمزم قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب الاعصم قال فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحرث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عند الوثنين اساف ونائلة اللذين كانت قريش تعبدهما وتنحر عندهما فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر اليه فقامت قريش وقالوا والله لانتركك أن تحفر ها وثنانا ومنحرنا عندها وكانت قريش حسدوه على ذلك لانهم أخبروا أن جرهما لما سكنت مكة أودعت فى زمزم أموالا وأسلحة للمصطفى صلى الله عليه وسلم لما أخبرت أن الله تعالى باعث فى هذه القرية نبيا من صفته وحاله كيت وكيت ولم يكونوا عرفوا موضعها فلما أخبر بذلك عبد المطلب نازعوه فى ذلك فقال بعضهم لبعض دعوه يحفر فربما يخطئ الموضع فحفر غير بعيد فظهرت له العلامات فكبر فعرفوا انه لم يخطئ فتمادى حتى بلغ الى تمثالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنتهما جرهم ووجد فيها سيوفا ودروعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك فى هذا شركة قال لا ولكن نضرب بالقداح عليه قالوا وكيف نصنع قال اجعلوا للكعبة قدحين ولى قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلا شئ له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ثم أعطوا القداح التى تضرب بها عند هبل وقام عبد المطلب يدعو فخرج السهمان الاصفران على الغزالين للكعبة وخرج الاسودان على الاسياف والادرع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش قال فعلق عبد المطلب الاسياف والادرع بباب الكعبة وضرب فى الباب الغزالين الذهب فكان أول ذهب حليت به الكعبة وكانت الرياسة والتقدمة لعبد المطلب قبل حفر زمزم فلما حفرها وأخرج منها ما أخرج ازداد بذلك فى قريش عظما وجاها ومنزلة وعافت الحجيج المياه التى كانت بمكة ونواحيها وأقبلوا على زمزم لما كان من عذوبة مائها

لكونهما من أثر اسمعيل عليه السلام وافتخرت بذلك بنو عبد مناف على قريش وعلى سائر العرب والله أعلم •

(الباب الخامس في صفة بناء الكعبة وبدو أمرها الى وقتنا هذا)

(أخبرنا) أبو عمرو أحمد بن أبي أحمد الفراتي أخبرنا الحسن بن المغيرة بن عمر بن الوليد المغربي بمكة حدثنا أبو سعيد المفضل بن محمد بن ابراهيم بن المفضل حدثنا عبد الله بن أبي غسان اليماني حدثنا أبو همام حدثنا محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان البيت قبل هبوط آدم عليه السلام ياقوتة من يواقيت الجنة والبيت المعمور الذي في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة حذاء الكعبة الحرام وأن الله تعالى أهبط آدم عليه السلام الى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة رعدته وأنزل عليه الحجر الاسود وهو يتلألأ كأنه لؤلؤة بيضاء فأخذه آدم فضمه اليه استئناسا به ثم أخذ الله تعالى من بني آدم ميثاقهم فجعله في الحجر ثم أنزل الله تعالى على آدم العصا ثم قال يا آدم تخط فتخطى فاذا هو بأرض الهند فمكث هنالك ماشاء الله أن يمكث ثم استوحش الى البيت فقيل له حج يا آدم فأقبل يتخطى فصار موضع كل قدم قرية ومابين ذلك مفاوز حتى قدم مكة فلقيته الملائكة فقالت بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام ثم قال فما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فكان آدم اذا طاف بالبيت قال هذه الكلمات وكان آدم يطوف بالبيت سبعة أسابيع خمسة أسابيع بالليل وبالنهار اسبوعان فقال آدم يارب اجعل لهذا البيت عمارا يعمرونه من ذريتي فأوحى الله تعالى اليه اني معمره بنبي من ذريتك اسمه ابراهيم أتخذه خليلا أقضي على يديه عمارته وأنيط له سقايته وأورثه حله وحرمه ومواقفه وأعلمه مشاعره ومناسكه فلما فرغ من بنائه نادى يا أيها الناس ان الله تعالى بنى بيتا فحجوه فأسمع مابين الخافقين فأقبل من يحج هذا البيت من الناس يقولون لبيك لبيك * وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه السلام سأل ربه عز وجل فقال يارب أسألك لمن مات في هذا البيت من ذريتي لا يشرك بك شيئا أن تلحقه بي في الجنة فقال الله تعالى يا آدم من مات في الحرم لا يشرك بي شيئا بعثته آمنا يوم القيامة (وروت) الرواة بأسانيد مختلفة ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض كان رجلاه في الارض ورأسه في السماء يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم وتسبيحهم يأنس اليهم فهابته الملائكة واشتكت ذلك الى الله عز وجل فنقصه الله تعالى الى ستين ذراعا بذراع آدم فلما فقد آدم عليه السلام ما كان يسمع من أصوات الملائكة وتسبيحهم استوحش وشكا ذلك الى الله عز وجل فأنزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة فكانت على موضع البيت الآن ثم قال يا آدم اني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما كنت تصلي عند عرشي فتوجه آدم عليه السلام الى مكة ورأى البيت فطاف به (وروى) أبو صالح عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام ان لي حرما بحيال عرشي فانطلق فابن لي بيتا فيه ثم حف به كما رأيت الملائكة يحفون بعرشي فهنالك أستجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي قال آدم رب كيف لي بذلك ولا أقوى عليه ولا أهتدي اليه فقيض الله له ملكا فانطلق نحو مكة فكان آدم عليه

السلام

السلام اذا مر بروضة وبمكان يعجبه قال للملك انزل بى ههنا فيقول له الملك مكانك حتى قدم مكة
فكان كل مكان نزل فيه عمرانا وكل مكان تعداه مفاوز وقفارا ثم بنى البيت فلما فرغ من بنائه
خرج به الملك الى عرفات فأراه المناسك كلها التى يفعلها الناس كلها اليوم ثم قدم به مكة وطاف
بالبيت أسبوعا ثم رجع الى أرض الهند فمات على نود * قال أبو يحيى بائع القت قال لى مجاهد لقد
حدثنى عبد الله بن عباس أن آدم نزل حين نزل بالهند ولقد حج منها أربعين حجة على رجليه فقلت
له يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال وأى شئ كان يحمله والله ان خطوته مسيرة ثلاثة أيام * وقال
وهب بن منبه ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض فرأى سعتها ولم ير فيها أحدا غيره قال
يارب أما لهذه الارض عامر يسبح بحمدك ويقدس لك غيرى قال الله تعالى انى سأجعل فيها من
ولدك من يسبح بحمدى ويقدسنى وسأجعل فيها بيوتا ترفع بذكرى ويسبح فيها خلقى ويذكر فيها اسمى
وسأجعل من تلك البيوت بيتا أخصه بكرامتى وأوثره باسمى وأسميه بيتى أنطقه بعظمتى وعليه
وضعت جلالى ثم أجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمته من حوله ومن تحته ومن فوقه فمن
حرمه بحرمته استوجب بذلك كرامتى ومن أخاف أهله فقد ضيع دينى وخفر ذمتى وأباح حرمتى
أجعله أول بيت وضع للناس يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يرجون
بالتلبية رجيجا ويثجون بالبكاء ثجيجا ويعجون بالتكبير عجيجا فمن آثره لا يريد غيره فقد وفد الى
وزارنى وضافنى وحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وأن ينعم ويتفضل ويسعف كلا
بحاجته تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم يعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا
بعد قرن فهذا كان بدء أمر الكعبة حرسها الله تعالى ثم كانت على ذلك الى أيام الطوفان فلما
كان أيام الطوفان رفعه الله تعالى الى السماء الرابعة وبعث جبريل عليه السلام حتى خبأ الحجر
الاسود فى جبل أبى قبيس صيانة له عن الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمان ابراهيم عليه
السلام ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم بعد ما ولد له اسمعيل واسحق عليهما السلام ببناء بيت له يعبد
فيه ويذكر فلم يدر ابراهيم فى أى موضع يبنيه فسأل الله عز وجل أن يبين له ذلك * واختلف
العلماء فى كيفية بيان ذلك فقال قوم بعث الله تعالى اليه السكينة لتدله على موضع البيت كما
حدث سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة أن رجلا قام الى على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال
ألا تخبرنى عن البيت أهو أول بيت وضع للناس فقال لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة ووضع
فيه مقام ابراهيم عليه السلام ومن دخله كان آمنا وان شئت أنبأتك كيف بنى ان الله عز وجل
أوحى الى ابراهيم عليه السلام أن ابن لى بيتا فى الارض فضاق بذلك ابراهيم ذرعا فأرسل الله
عز وجل السكينة وهى ريح خجوج ولها رأسان فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهيا الى مكة
فتطوقت على موضع البيت كتطوق الحجفة وأمر ابراهيم أن يبنى حيث تستقر السكينة فبنى
بيتا وقال آخرون أرسل الله تعالى اليه سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير معه الى أن قدم مكة
فوقفت فى موضع البيت ونودى يا ابراهيم ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقال بعضهم ان الذى
خرج مع ابراهيم عليه السلام من الشام لدلالته على موضع البيت جبريل عليه السلام وذلك
قوله عز وجل واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الآية قالوا فجعل ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله
الحجارة وكان ابراهيم عبرانيا واسمعيل عربيا فألهم الله تعالى أحدهما لسان صاحبه فكان

ابراهيم عليه السلام فيقول هب لي كبنا يعني هات لي حجرا فيقول له اسمعيل هاك خذه فبنيا الكعبة
من خمسة أجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي وبنيت قواعده من حراء قال فبقي حجر
فذهب اسمعيل يبتغيه ثم رجع فوجده قد ركب الحجر في مكانه فقال يا أبت من أتاك بهذا الحجر فقال
له أتاني به من لم يكلني اليك ثم قال ابراهيم لاسمعيل ائتني بحجر حسن أضعه على الركن ليكون علما
للناس فناداه أبو قبيس يا ابراهيم ان لك عندي وديعة فهاك خذها فأخرج ابراهيم عليه السلام
الحجر الاسود من جبل أبي قبيس وركبه في موضعه فلما فرغ ابراهيم واسمعيل من بناء البيت
وأتماه دعوا ربهما فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا
انك أنت السميع العليم الى قوله وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم فأجاب الله
تعالى دعاءهما وأرسل جبريل عليه السلام اليهما ليعلمهما مناسك الحج فخرج بهما يوم التروية
الى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم بات بهما حتى أصبح فصلى بهما الصبح ثم
غدا بهما الى عرفة فقام بهما هنالك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم
راح بهما الى الموقف من عرفة فوقف بهما على الموضع الذي يقف عليه الناس اليوم فلما غربت
الشمس دفع بهما الى المزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم
صلى بهما صلاة الغداة فوقف بهما على قزح حتى اذا أسفر الصبح أفاض بهما الى منى فأراهما
كيف يرميان الجمار ثم أمرهما بالذبح وأراهما المنحر من منى وأمرهما بالحلق ثم أفاض بهما الى
البيت فأوحى الله تعالى الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من
المشركين ثم أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج فقال يارب وما يبلغ
صوتي فقال عليك الاذان وعلي البلاغ فعلا ثبيرا ونادى يا عباد الله ان ربكم قد بنى بيتا فحجوه
وأجيبوا داعي الله فسمعه ما بين السماء والارض وما بين الابحر ومن في أصلاب الرجال وأرحام
النساء فأجابه كل من آمن بالله ممن سبق في علم الله تعالى أن يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك
وقال عبد الله بن الزبير لعبيد بن عمير استقبل ابراهيم عليه السلام اليمن والمشرق والمغرب والشام
فدعا الى الحج فأجيب لبيك اللهم لبيك وذلك قوله عز وجل وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا
وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق الآيات فلم يزل البيت على ما بناه ابراهيم عليه السلام الى
سنة خمس وثلاثين من مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك قبل مبعثه بخمس سنين فهدمت
قريش الكعبة ثم بنتها * وكان السبب في ذلك على ما ذكر محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار
أن الكعبة كانت رضمة فوق القامة فأرادوا رفعها وتسقيفها وكان البحر قد رمى بسفينة الى
جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه لسقفها وكان بمكة رجل قبطي نجار
فهيأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى
لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانوا يهابونها وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد الا كشرت
وفحت فاها فكانوا يهابونها فبينا هي ذات يوم على جدار الكعبة كما كانت تصنع فبعث الله
طائرا فاختطفها فذهب بها وقالت قريش انا لنرجو أن الله تعالى قد رضي ما أردنا من عمارة بيته
وان عندنا عاملا رفيقا وخشبا وقد كفانا الله تعالى الحية وذلك بعد حرب الفجار بخمس عشرة
سنة فلما أجمعوا أمرهم على هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمرو بن عمير بن عامر بن عمرو بن مخزوم

فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يامعشر قريش لاتدخلوا في بنائها من كسبكم الا طيبا ولا تدخلوا فيها من مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ثم ان الناس هابوا هدمها فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدأكم في هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لانريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس به تلك الليلة وقالوا ننتظر فان أصيب لم نهدم منها شيأ ورددناها كما كانت وان لم يصبه شيء فقد رضي الله تعالى بما فعلنا فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم والناس معه حتى انتهى الهدم الى الاساس فأفضوا الى حجارة خضر كأنها أسنمة الابل آخذ بعضها ببعض فأدخل رجل من قريش عتلة بين حجرين منها ليقلع أحدهما فلما تحرك الحجر تحركت مكة بأسرها فعلموا انهم قد انتهوا الى الاساس وقالوا ان القبائل قد اجتمعت لبنائها فجعلت كل قبيلة تجمع على حدتها ثم بنوا فلما بلغوا في البنيان الى موضع الركن اختصموا فيه فكل قبيلة أرادت أن تضعه في صفة دون الاخرى حتى تجاوروا وتحالفوا وتواعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوأة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم فسموا لعقة الدم بذلك فمكثوا أربع ليال أو خمس ليال على ذلك ثم انهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض الرواة ان أبا أمية بن المغيرة كان حينئذ أسن قريش كلها فقال لهم يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه فرضوا بذلك وتوافقوا عليه فكان أول من دخل عليهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا محمد الامين قد رضينا به فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال هلموا الي ثوبا فأتوا به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا ذلك حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بني عليه قالوا فكانت الكعبة كذلك على ما بنته قريش الى سنة أربع وستين من الهجرة حتى حاصر الحصين بن نمير السكوني عبد الله بن الزبير فقذفوا البيت بالمنجنيق وأخذوا يرتجزون ويقولون

خطارة مثل الفنيق المزبد * ترمي بها اعواد هذا المسجد

(وقال آخر منهم)

كيف ترى صنيع أم فروة * تأخذهم من الصفا والمروة

أم فروة اسم منجنيق فمالت حيطان الكعبة مما رميت به من حجارة المنجنيق وانها مع ذلك احترقت وكان السبب فيه أنهم كانوا يوقدون حولها فأقبلت شرارة هبت بها الريح فأحرقت باب الكعبة واحترق خشب البيت * وقال الواقدي حدثني عبد الله بن زيد قال حدثني عروة بن أذينة قال قدمت مكة مع أبي يوم احترقت الكعبة وقد خلصت اليها النار ورأيت الركن قد اسود وانصدعت منه ثلاثة أمكنة فقلت ما أصاب الكعبة فأشاروا الى رجل من أصحاب ابن الزبير قالوا احترقت بسبب هذا أخذ قبسا في رأس رمح له فطارت الريح به فضربت أستار الكعبة ما بين الركن اليماني والحجر الاسود * وقال بعضهم كان السبب في ذلك ان امرأة كانت تجمر البيت فطارت شرارة من النار فاحترق البيت وكان اول ما تكلم الناس في القدر يومئذ فقال قوم هو من قدر الله وقال قوم ليس من قدر الله قالوا فهدم عبد الله بن الزبير الكعبة حتى سواها بالارض

وكان الناس يطوفون بها من وراء الاساس ويصلون الى موضعها وجعل الحجر الاسود عنده فى تابوت فى خرقة من حرير وجعل ما كان من حلى البيت وما وجد فيه من ثياب وطيب عند الحجبة فى خزانة البيت ثم أعاد بناءه وقال ان أمى أسماء بنت أبى بكر حدثتنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حداثة عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس ابراهيم فازيد فى الكعبة الحجر وان قريشا أعوزتهم النفقة فاخرجوا الحجر من البيت ولجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا فأمر به ابن الزبير فحفروا فوجدوا قلاعا أمثال الابل فحركوا منها صخرة فبرقت برقة فقال أقروها على أساسها فبناها ابن الزبير وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر فكانت الكعبة على ما بناها ابن الزبير الى سنة أربع وسبعين حتى قتل الحجاج بن يوسف الثقفى عبد الله بن الزبير وولى الحجاز من قبل عبد الملك بن مروان فنقض الحجاج بنيان الكعبة الذى كان بناه ابن الزبير بأمر عبد الملك وأعادها الى بنائها الاول بشهد مشايخ من قريش فهى اليوم على ما بناها الحجاج الا ما كان من قلع القرمطى صاحب البحرين لعنه الله الحجر الاسود عام أوقع بالحجيج بمكة فذهب به مع من أسر من الحاج الى البحرين ثم أخذ منه ورد الى موضعه وذلك على يد شيخنا أبى اسحق ابراهيم بن محمد بن يحيى البرمكى النيسابورى رحمة الله عليه

(الباب السادس فى ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده)

قال الله تعالى فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين * واختلف السلف من علماء المسلمين فى الذى أمر ابراهيم عليه السلام بذبحه من ابنيه بعد اجماع أهل الكتاب على أنه ـــــ ان اسحق عليه السلام فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعلى بن أبى طالب ومن التابعين وأتباعهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير والقاسم بن أبى برة ومسروق بن الاجدع وعبد الرحمن بن أبى سابط وأبو الهذيل والزهرى والسدى * روى شعبة عن أبى اسحق عن ابن الاحوص قال افتخر رجل عند عبد الله بن مسعود فقال أنا فلان بن فلان ابن الاشياخ الكرام فقال عبد الله ذاك يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وروى سفيان عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده قال قال موسى عليه السلام يارب يقولون يا اله ابراهيم واسحق ويعقوب فلم قالوا ذلك فقال ان ابراهيم لم يعدل بى شيأ قط الا اختارنى عليه وان اسحق جاد لى بالذبح فهو بغير ذلك أجود وان يعقوب كلما زدته بلاء زادنى حسن ظن * وروى حمزة بن الزيات عن أبى اسحق عن أبى ميسرة قال قال يوسف عليه السلام للملك مصر أترغب أن تأكل معى وأنا والله يوسف بن يعقوب نبى الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله * وقال الآخرون هو اسمعيل والى هذا القول ذهب عبد الله بن عمر وأبو الطفيل عامر ابن واثلة وسعيد بن المسيب والشعبى ويوسف بن مهران ومجاهد وكان الشعبى يقول رأيت قرنى الكبش منوطين بالكعبة وروى عمر بن عبيد عن الحسن البصرى انه كان لا يشك فى أن الذى أمر بذبحه من ابنى ابراهيم عليه السلام هو اسمعيل وهى رواية عطاء بن أبى رباح عن عبد الله ابن عباس قال المفدى اسمعيل وزعمت اليهود أنه اسحق وكذبت اليهود * وروى محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظى انه كان يقول ان الذى أمر الله تعالى ابراهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل

وانا

وانا نجد ذلك فى كتاب الله تعالى فى قصة الحق عن ابراهيم عليه السلام وما أمر به من ذبح ابنه أنه اسمعيل وذلك ان الله عزوجل يقول حين فرغ من قصة المذبوح من بنى ابراهيم وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وقال تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب يقول بابن وابن ابن فلم يكن يأمره بذبح اسحق وله فيه من الله تعالى من الموعود ماوعده وما الذى أمر بذبحه الا اسمعيل (قال) محمد بن كعب القرظى فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كنت معه بالشام فقال لى عمر ان هذا الشئ ما كنت أنظر فيه وانى لاراه كما قلت ثم أرسل الى رجل كان عنده بالشام وكان يهوديا فأسلم وحسن اسلامه وكان يرى أنه من علماء اليهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وأنا عنده فقال له أى ابنى ابراهيم الذى كان أمر بذبحه فقال اسمعيل ثم قال والله يا أمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبوكم الذى كان أمر الله بذبحه لما فيه من الفضل الذى ذكر انه كان منه بصبره على ما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق أبوهم وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا القولين ولو كان فيهما قول صح بالاجماع لم يعزه أبو عبد الله الى غيره * فأما الرواة التى روت عنه ان الذبيح اسحق فأخبرنى أبو عبد الله بن الحسين بن محمد عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أراد ابراهيم أن يذبحه اسحق * وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الذى فداه الله بذبح عظيم اسحق * وأخبرنا أبو عبد الله أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا يوسف بن عبد الله بن ماهان أخبرنا موسى بن اسمعيل أنبأنا المبارك عن الحسن عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع اسحق بعدى فيقول يارب صدقت نبيك وجدت بنفسى للذبح فلا تدخل النار من لا يشرك بك شيأ قال فيقول الله وعزتى لا أدخل النار من لا يشرك بى شيأ * وأخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن اسحق المزنى قراءة عليه سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة أنبأنا جدى أبو بكر بن محمد بن اسحق بن خزيمة امام الائمة أنبأنا على بن حجر أنبأنا عمر بن حفص عن ابان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خيرنى بين أن يغفر لنصف أمتى وبين ان أختبئ شفاعتى فاخترت شفاعتى ورجوت أن يكون ذلك أعم لامتى ولولا الذى سبقنى اليه العبد الصالح لتعجلت منها دعوتى وذلك أن الله تعالى لما فرج عن اسحق كرب الذبح قيل له يا اسحق سل تعط فقال أما والذى نفسى بيده لاتعجلنها قبل نزغة الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيأ فاغفر له وأدخله الجنة * وأما الرواة التى روت عنه صلى الله عليه وسلم أن الذبيح اسمعيل فروى عمر بن عبد الرحمن الخطابى باسناده عن الصباحى قال كنا عند معاوية بن أبى سفيان فذكروا أى الذبيح اسمعيل أو اسحق فقال على الخبير سقطتم كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فقال يا رسول الله أعد على ما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له يا أمير المؤمنين ومن الذبيحين فقال ان عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لربه ان سهل الله عليه أمرها ليذبحن أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له افد ولدك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثانى اسمعيل فهذا ما ورد من الاخبار وفى القرآن ما يدل على صحة كل واحد من القولين فاما الدليل على انه اسحق فهو ان الله تعالى أخبر عن ابراهيم عليه السلام حين فارق قومه مهاجرا

الى الشأم مع سارة ولوط وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين أنه دعا فقال رب هب لى من الصالحين يعنى ولدا صالحا من الصالحين وذلك قبل أن يعرف هاجر وقبل أن تصير له أم اسمعيل ثم اتبع ذلك الخبر عن اجابة دعوته وتبشيره اياه بغلام حليم وعن رؤيا ابراهيم أن يذبح ذلك الغلام الذى بشر به حين بلغ معه السعى وليس فى القرآن أنه بشر بولد ذكر الا باسحق وأما الدليل على أنه اسمعيل فما ذكرناه من حديث القرنين وقد صح الخبر أن قرنى الكبش كانا معلقين بالكعبة الى ان احترق البيت فاحترق القرنان فى أيام ابن الزبير والحجاج وهذا أدل دليل على أن الذبيح اسمعيل (وأما قصة الذبح) وصفته وفعل ابراهيم بابنه عليهما السلام قال السدى باسناده لما فارق ابراهيم الخليل عليه السلام قومه مهاجرا الى الشأم هاربا بدينه كما قال تعالى وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين دعا الله أن يهب له ابنا صالحا من سارة فقال رب هب لى من الصالحين فلما نزل به أضيافه من الملائكة المرسلين الى المؤتفكة بشروه بغلام حليم فقال ابراهيم لما بشر به هو اذا لله ذبيح فلما ولد الغلام وبلغ معه السعى قيل له أوف بنذرك الذى نذرت قربانا الى الله تعالى وكان هذا هو السبب فى أمر الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه فقال ابراهيم عند ذلك لاسحق انطلق نقرب قربانا الى الله تعالى وأخذ سكينا وحبلا ثم انطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا أبت أين قربانك فقال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك أى رأيت لفظه مستقبل ومعناه الماضى فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين قال ابن اسحق كان ابراهيم اذا زار هاجر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشأم فيقيل بمكة ويرجع من مكة فيبيت عند أهله بالشأم حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعى وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته رأى فى المنام أن يذبحه فلما أمر بذلك قال لابنه يا بنى خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه فى شعب ثبير أخبره بما أمر به وقال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك الآية فقال له ابنه الذى أراد أن يذبحه يا أبت اشدد رباطى حتى لا أضطرب واكفف عنى ثيابك حتى لا ينتضح عليها دمى فينتقص أجرى وتراه أمى فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع بمر السكين على حلقى ليكون أهون للموت على فان الموت شديد فاذا أتيت أمى فاقرئها منى السلام فان رأيت أن ترد قميصى اليها فافعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عنى فقال له ابراهيم نعم العون يا بنى أنت على ما أمر الله به ففعل ابراهيم ما أمره به ابنه ثم انه أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهو يبكى والابن يبكى حتى استنقع الدموع تحت خده ثم انه وضع السكين على حلقه فلم يجزع ولم تعمل السكين شيأ قال السدى وضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه فقال عند ذلك الابن يا أبت كبنى على وجهى فانك ان نظرت الى وجهى رحمتنى وأدركتك على رقة تحول بينك وبين أمر الله تعالى ففعل ابراهيم ذلك فذلك قوله تعالى فلما أسلما وتله للجبين ثم انه وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا الآية هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه فنظر ابراهيم عليه السلام فاذا هو بجبريل عليه السلام ومعه كبش أعين أملح أقرن فكبر الكبش وكبر ابراهيم وكبر ابنه فذلك قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس خرج عليه الكبش من الجنة قد رعى فيها أربعين خريفا (وروى) عنه أيضا أن الكبش الذى فدى به

عن ابن ابراهيم عليهما السلام هو الكبش الذى قربه هابيل بن آدم فتقبل منه فأرسل ابراهيم ابنه وأخذ الكبش وأتى به المنحر من منى فذبحه فو الذى نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه فى ميازب الكعبة قد وحش يعنى يبس وروى عمرو بن عبيد عن الحسن عن أبيه انه كان يقول مافدى اسمعيل الا بكبش من الاروى اهبط عليه بثبير وهى رواية أبى صالح عن ابن عباس قال كان وعلا (وروى) أبو هريرة عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجال قالوا لما رأى ابراهيم فى المنام انه يذبح ابنه قال الشيطان والله لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم والالم أفتن أحدا منهم أبدا فتمثل لهم الشيطان رجلا فأتى أم الغلام فقال لها أتدرين أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب من هذا الشعب فقال لا والله ماذهب به الاليذبحه قالت كلا هو أرحم به منى وأشد حبا له من ذلك فقال لها انه يزعم أن الله أمره بذلك فقالت له ان كان أمره بذلك فقد أحسن فى امتثال طاعة ربه وفى استسلامه لامر الله تعالى فخرج الشيطان من عندها هاربا حتى أدرك الابن وهو يمشى على اثر أبيه فقال له ياغلام هل تدرى أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال والله مايريد الا ذبحك قال ولم قال يزعم أن الله أمره بذلك قال له فليفعل ما أمره الله به فسمعا وطاعة لامر الله تعالى فلما امتنع منه الغلام أقبل على ابراهيم فقال له أين تريد أيها الشيخ قال أريد هذا الشعب لحاجة لى فقال والله انى لارى الشيطان قد جاءك فى منامك يأمرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم فقال له اليك عنى ياملعون فو الله لامضين لامر ربى فرجع ابليس لعنه الله بغيظه لم يصب من ابراهيم واهله شيأ مما أراد وقد امتنعوا منه بعون الله وتأييده (وروى) أبو الطفيل عن ابن عباس رضى الله عنهما ان ابراهيم عليه السلام لما أمر بذلك عرض له ابليس عند المشعر الحرام فسابقه فسبقه ابراهيم عليه السلام ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم عليه السلام لامر الله تعالى فهذه قصة الذبح وقال أمية بن أبى الصلت الثقفى فى ذلك شعرا

ولابراهيم الموفى بنذر * احتسابا وحامد الاجزال
بكره لم يكن ليصبر عنه * لو رآه فى معشر اقتال
ابنى انى نذرتك لله * شحيطا فاصبر فذلك حالى
واشدد الصفد عند جيذى للسكين * جيذ الاسير للاغلال
وله مدية تخايل فى اللحم * هذاما جبينه كالهلال
بينما يخلع السراويل عنه * فكه ربه بكبش حلال
خذن ذا فدا لابنك انى * للذى قد فعلتما غير قال
ربما تجزع النفوس من الامر * له فرجة كحل العقال

(الباب السادس فى هلاك النمروذ بن كنعان وما أحل الله تعالى به من نقمته وقصة الصرح)

قال الله تعالى قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون روت الرواة بأسانيد مختلفة ان أول جبار كان في الارض النمروذ بن كنعان وكان الناس يخرجون اليه ويمتارون من عنده الطعام فخرج ابراهيم يمتار مع من يمتار وكان النمروذ اذا مرّ به الناس قال لهم من ربكم قالوا أنت حتى مر به ابراهيم قال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال انا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر ورد ابراهيم بغير طعام فرجع ابراهيم الى أهله فمر بكثيب أعفر فقال لا آخذن من هذا فآتي به أهلي فتطيب به قلوبهم حين أن ادخل عليهم فأخذ ابراهيم منه فأتى به أهله فوضع متاعه ثم نام فقامت امرأته الى متاعه ففتحته فاذا هو بأجود دقيق رأته فأخذته وصنعت منه طعاما فلما أفاق قدمته اليه وكان عهد أهله ان ليس معهم شئ ولا عندهم طعام فقال لهم من أين هذا فقالت من الطعام الذي جئت به فعلم ابراهيم ان الله رزقه فحمد الله وشكره ثم ان النمروذ الجبار لما حاجه ابراهيم عليه السلام في ربه قال ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلا أنتهي حتى أعلم من في السماء فبنى صرحا عظيما ببابل ورام منه الصعود الى السماء لينظر الى اله ابراهيم فيما يزعم * قال ابن عباس ووهب كان طول الصرح من السماء خمسة آلاف ذراع وقال مقاتل وكعب كان طوله فرسخين ثم عمد الى أربعة أفراخ من النسور فعلفها اللحم والخبز وربّاها حتى شبت واستفحلت ثم قعد في تابوت ومعه غلام وقد حمل قوسه ونشابه وجعل لذلك التابوت بابا من أعلاه وبابا من أسفله ثم ربط التابوت بأرجل النسور وعلق اللحم على عصا فوق التابوت ثم خلى عن النسور فطارت وصعدت طمعا في اللحم حتى أبعدت في الهواء فقال النمروذ لفتاه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح الباب الاعلى ونظر فاذا السماء على هيئتها ثم قال افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض كيف تراها ففتح فقال ارى الارض مثل اللجة البيضاء والجبال كالدخان وطارت النسور وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لغلامه افتح البابين ففتح الاعلى فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة ونودي أيها الطاغي الباغي أين تريد قال عكرمة فأمر عند ذلك غلامه فرمى بسهم فعاد اليه السهم متلطخا بالدم فقال كفيت شغل اله السماء واختلفوا في ذلك السهم من أي شئ تلطخ فقال عكرمة من سمكة في بحر معلق في الهواء بين السماء والارض قربت نفسها لله تعالى وقال بعضهم أصاب السهم طائرا من الطير فتلطخ من دمه ثم أمر النمروذ غلامه أن يصوب العصا وينكس اللحم ففعل ذلك فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال حفيف التابوت والنسور ففزعت وظنت أنه أمر حدث في السماء وأن الساعة قد قامت فذلك قوله تعالى وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم أي جزاء مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وقرأ علي وعمرو وابن مسعود وان كان مكرهم لتزول منه الجبال بالذال ثم ان الله تعالى أرسل ريحا على صرح النمروذ فألقت رأسه في البحر فخر عليهم الباقي وانقلبت بيوتهم وأخذت النمروذ رعدة وتبلبلت ألسن الناس حين سقط صرح النمروذ من الفزع فتكلموا بثلاث وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل لتبلبل الالسنة فيها فذلك قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وذلك ان الله تعالى بعث الى النمروذ ملكا ان آمن حتى أتركك على ملكك قال فهل

رب غيري فجاء الثانية والثالثة فأبى عليه فقال له الملك اجمع جموعك الى ثلاثة أيام فجمع النمروذ جموعه وجنوده فأمر الله تعالى الملك أن يفتح عليه بابا من البعوض ففعل فطلعت الشمس ذلك اليوم فلم يروها من كثرة البعوض فبعثها الله تعالى على النمروذ وقومه فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق منهم الا العظام والنمروذ كما هو لم يصبه شئ من ذلك فبعث الله اليه بعوضة فدخلت فى منخره حتى وصلت الى دماغه فمكث أربعمائة سنة تضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من جمع يديه ثم يضرب بهما رأسه وكان جبارا أربعمائة سنة فعذبه الله أربعمائة سنة كمدة ملكه ثم ان البعوضة أكلت دماغه وأهلكه الله سبحانه وتعالى وخذله

(الباب السابع فى ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة أزواج ابراهيم وولده)

قال الله تعالى أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته الآية قال أهل العلم بأخبار الماضين ماتت سارة وهى ابنة مائة وسبع وعشرين سنة بالشأم بقرية الجبابرة من أرض كنعان فى حبرون فى مزرعة اشتراها ابراهيم عليه السلام ودفنت بها وكانت هاجر ماتت قبل سارة بمكة فدفنت فى الحجر فلما ماتت سارة تزوج ابراهيم بامرأة من بعدها من الكنعانيين يقال لها قطورا ابنة يقطان فولدت له ستة نفر يقشان وزمران ومدان ومدين وأشبق وشوخ وتزوج أيضا بامرأة أخرى من العرب اسمها حجون بنت أهيب فولدت له خمسة بنين كيسان وفروخ واهيم ولوطان ونافس فكان جميع بنى ابراهيم مع اسحق واسمعيل ثلاثة عشر وكان اسمعيل بكره وأكبر أولاده فأنزل اسمعيل بأرض الحجاز واسحق بأرض الشأم وفرق سائر ولده فى البلاد فقالوا لابراهيم ياأبانا أنزلت اسحق معك واسمعيل بقربك وأمرتنا أن ننزل بأرض الغربة والوحشة قال بذلك أمرت ثم علمهم اسما من أسماء الله تعالى فكانوا يستسقون به ويستنصرون

(الباب الثامن فى ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام)

قال أهل التاريخ والسير لما أراد الله تعالى قبض روح ابراهيم عليه السلام أرسل اليه ملك الموت فى صورة شيخ هرم قال السدى باسناده وكان ابراهيم كثير الاطعام يطعم الناس ويضيفهم فبينما هو يطعم الناس اذا هو بشيخ كبير يمشى فى الجادة فبعث اليه بحمار فركبه فلما أتاه قدم اليه الطعام فجعل الشيخ يأخذ اللقمة ويريد أن يدخلها فاه فيدخلها فى عينه مرة وفى أذنه مرة ثم اذا أدخلها فى فيه وحصلت فى جوفه خرجت من دبره وكان ابراهيم قد سأل ربه أن لا يقبض روحه حتى يكون هو الذى يسأله الموت فقال للشيخ حين رأى حاله مالك ياشيخ تصنع هكذا فقال ياابراهيم من الكبر قال ابن كم أنت قال كيت وكيت فحسب ابراهيم فوجد عمره يزيد على عمر ابراهيم بسنتين فقال له ابراهيم انما بينى وبينك سنتان فاذا بلغت عمرك صرت مثلك قال نعم فقال ابراهيم اللهم اقبضنى قبل ذلك فقام الشيخ فقبض نفسه وكان الشيخ ملك الموت وكان عمر ابراهيم مائتى سنة وقيل مائة وخمس وتسعون سنة ودفن عند قبر سارة فى مزرعة حبرون

(الباب التاسع فى ذكر خصائص ابراهيم عليه السلام)

هو ابراهيم خليل الرحمن قال الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا وهو سيد الضيفان روى فى الحديث أنه قيل للنبى صلى الله عليه وسلم ياسيد البشر قال ذاك ابراهيم وهو أبو الضيفان

وكان لا يتغدى ولا يتعشى الا مع ضيف وربما مشى ميلين أو أكثر حتى يجد ضيفا وضيافته قائمة الى يوم القيامة وهي الشجرة المباركة التي قال الله تعالى يوقد من شجرة مباركة الآية وصح أنه دعا الله تعالى أن يجعل النبوة في نسله فاستجاب له وجعل النبوة في شعبي اسمعيل واسحق عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت على ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني اسرائيل وهو المجعول له لسان الصدق في الآخرين فليس من نبي تجري ألسنة الخلق كلهم بتصديقه وتفضيله وتحبه كل أمة غيره وذلك بدعائه عليه السلام واجعل لي لسان صدق في الآخرين وهو المبتلى بأنواع البلاء والمشهود له بالوفاء قال الله تعالى واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن وقال وابراهيم الذي وفى أي بما أمر به وهو الامة القانت قال الله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين الى آخر الآية ومعنى الامة انه كان معلما للخير وقد اجتمع فيه من خلال الخير وأنواع الفضل ما يجمع في أمة كما قال الشاعر

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وهو الذي أوتي رشده من قبل بلوغه وهو امام الموحدين وجعل له لسان الحجة في التوحيد فدعا الخلق الى الحق بلسان الحجة من صغره الى كبره قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم الآية وأول من سماه الله حنيفا مسلما قال تعالى ولكن كان حنيفا مسلما وبرأه من دعاوى اليهود والنصارى وشهد له بالاسلام والاخلاص فقال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية وهو أول من اختتن قال أبو منصور الحشاري حدثنا أبو عباس المعقلي أخبرنا عبد الحكيم أخبرنا ابن وهب أخبرنا يحيى بن نصر قال قرأ على بن وهب أخبرنا ابن سمعان عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال اختتن ابراهيم عليه السلام بالقدوم وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة وأخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا محمد بن مخلد بن جعفر أخبرنا الحسن بن علويه أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان ابراهيم أول من أضاف الضيف وأول من ثرد الثريد وأول من لبس النعلين وأول من قسم الفيء وأول من قاتل بالسيف وأول من اختتن واختتن على رأس مائة وعشرين سنة من ميلاده ختن نفسه في موضع يقال له القدوم بالقدوم وهو الفأس وذلك أنه كان وقع بينه وبين العمالقة وقعة عظيمة فقتل من الفريقين خلق عظيم فلم يعرف ابراهيم أصحابه ليدفنهم فجعل الختان علامة لاهل الاسلام فاختتن يومئذ بالقدوم وهو أول من اتخذ السراويل أخبرنا الحسن الدينوري أخبرنا أحمد بن شداد بن عمر بن أحمد القطان اخبرنا محمد بن اسمعيل بن حسان أخبرنا وكيع اخبرنا جرير بن حازم عن واصل مولى ابن عيينة قال أوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انك أكرم أهل الارض علي فاذا سجدت فلا تر الارض عورتك فاتخذ السراويل وهو أول من شاب فلما رآه الله ذلك فقال يارب ما هذا قال الوقار فقال يارب زدني وقارا وهو أول من أقام المناسك وذلك بدعوته حيث قال وأرنا مناسكنا فاستجيب له وهو أول من ضحى وهو الذي بوأ الله له مكان البيت وأراه ذلك بعد دروسه حتى بناه قال الله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الآية وهو أول من ألقي في النار في الله فجعلت النار عليه بردا وسلاما وهو أول نبي أحيا الله له الموتى بسؤاله حيث قال رب أرني

كيف تحيي الموتى الآية وهو الذى كان اذا سافر وتمنى سارة واشتاق اليها رفع الله له الحجاب بينه وبينها حتى يراها حيث كان وهو الذى يكسى حلة بيضاء يوم القيامة ويوضع له منبر عن يسار عرش الرحمن قال النبى عليه السلام تحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما وأول من يكسى ابراهيم خليل الرحمن وهو الكفيل لاطفال المسلمين والقائد لاهل الجنة وهو أول من قص شاربه وأول من قلم أظفاره وأول من استحد وأول من نتف الابط وأول من استاك وأول من فرق شعره وأول من تمضمض وأول من استنشق وأول من استنجى بالماء وأول من هاجر لله قال الله تعالى فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى وجعل مقامه قبلة للناس قال الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وجعله اماما للناس قال الله تعالى انى جاعلك للناس اماما وقال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم وأمر محمدا خير الانبياء وأمته خير الامم باتباع ملته قال تعالى ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقال قل بل ملة ابراهيم حنيفا وسماه حليما منيبا أواها قال تعالى ان ابراهيم لحليم أواه منيب الحليم السيد الذى يملك نفسه عند الغضب والاواه الذى يكثر التأوه عند ذكر الذنوب والمنيب المقبل بقلبه الى ربه فهذه ستة وأربعون خصلة من خصاله التى أكرمه الله بها (ويروى) أن الله تعالى أوحى الى ابراهيم يا ابراهيم انك لما سلمت مالك الى الضيفان وابنك الى القربان ونفسك الى النيران وقلبك الى الرحمن اتخذناك خليلا (وروى) أبو ادريس الخولانى عن أبى ذر الغفارى قال قلت يا رسول الله كم كتابا أنزل الله تعالى قال مائة صحيفة وأربعة كتب أنزل تعالى على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال فقلت يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المبتلى المسلط المغرور انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكنى بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا أردها ولو كانت من كافر وكان فيها أمثال على العاقل مالم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يتفكر فيها فى صنع الله تعالى وساعة يحاسب فيها نفسه على ماقدم وأخر وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال والحرام فى المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاده ومؤنة لمعاشه ولذة فى غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن علم أن كلامه شر من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه والله عن كل محذور يغنيه

(مجلس فى ذكر بعض اخبار اسمعيل واسحق ابنى ابراهيم عليهم السلام)

وقد ذكرنا سير ابراهيم الخليل بابنه اسمعيل وهاجر الى مكة واسكانه اياهما بها ولما كبر اسمعيل وبلغ النكاح تزوج امرأة من جرهم فكان من أمرها ما قدمنا ذكره ثم طلقها بأمر أبيه ثم تزوج امرأة أخرى يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى وهى التى قال لها ابراهيم حين قدم مكة اذا جاء زوجك فاقرئيه منى السلام وقولى له قد استقامت عتبة بابك فولدت السيدة لاسمعيل اثنى عشر رجلا نابتا وقيذار وادبيل وبسام ومسمع وذوماومسا وحرا وقيما وبطور ونافس وقيدما ومن نابت وقيذار بنى اسمعيل نشر الله تعالى العرب ثم نبأ الله تعالى

اسمعيل فبعثه الى العماليق وقبائل اليمن فلما حضرت اسمعيل الوفاة أوصى الى أخيه اسحق أن يزوج ابنته من عيص بن اسحق وعاش اسمعيل مائة وسبعة وثلاثين سنة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر (وروى) عمر بن عبد العزيز أنه قال شكى اسمعيل الى ربه تعالى حر مكة فأوحى الله تعالى اليه انى فاتح لك بابا من الجنة يجرى عليك روحها الى يوم القيامة وفى ذلك المكان دفن * وأما حديث اسحق عليه السلام فانه نكح رفقا بنت بتويل فولدت له عيصا ويعقوب بعد ما مضى من عمره ستون سنة ولهما قصة عجيبة على ما ذكره السدى قال حملت رفقا فى بطن واحد بغلامين فلما أرادت أن تضع اقتتل الغلامان فى بطنها فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيص فقال عيص والله لئن خرجت قبلى لاعترضن فى بطن أمى فأقتلها فتأخر يعقوب وخرج عيص قبله فسمى عيص لانه عصى فخرج قبل يعقوب وسمى الآخر يعقوب لانه خرج آخرا بعقب عيص وكان يعقوب أكبرهما فى البطن ولكن عيصا خرج قبله فلما كبر الغلامان كان عيص أحبهما الى أبيه ويعقوب احبهما الى أمه وكان عيص صاحب صيد فلما كبر اسحق وعمى قال لعيص يا بنى اطعمنى لحم صيد واقترب منى أدع لك بدعاء دعا لى به أبى وكان عيص رجلا أشعر ويعقوب رجلا أجرد فخرج عيص يطلب الصيد فسمعت أمه الكلام فقالت ليعقوب يا بنى اذهب الى الغنم فاذبح منها شاة واشوها والبس جلدها ثم قدمها الى أبيك وقل له أنا ابنك عيص ففعل ذلك وأتى الى أبيه وقال يا أبتاه كل فقال من أنت قال أنا عيص فمسه وقال المس مس عيص والريح ريح يعقوب فقالت له امرأته هو ابنك عيص فادع له فقال قدم طعامك فقدمه فأكل منه ثم قال له ادن منى فدنا منه فدعا له أن يجعل فى ذريته الانبياء والملوك ثم قام يعقوب من عنده وجاء عيص بعده فقال يا أبت قد جئتك بالصيد الذى أردته فقال يا بنى قد سبقك أخوك يعقوب فغضب عيص وقال والله لاقتلنه فقال يا بنى قد بقيت لك دعوة فهلم أدع لك بها فتقدم اليه فدعا له فقال أن تكون ذريتك عدد التراب ولا يملكهم أحد غيرهم ثم ان أم يعقوب قالت ليعقوب الحق بخالك فكن عنده خشية عليه أن يقتله عيص فانطلق يعقوب الى خاله وكان يسرى فى الليل ويكمن فى النهار فلذلك سماه الله اسرائيل وهو أول من سرى بالليل فأتى يعقوب الى خاله وكان اسحق أمره أن لا ينكح امرأة من الكنعانيين وأمره أن ينكح امرأة من بنات خاله لبان بن ناهر وان يعقوب لما مكث عند خاله خطب ابنته راحيل وكان له ابنتان ليا وهى الكبرى وراحيل وهى الصغرى فقال له هل لك من مال فأزوجك عليه فقال لا لكن أخدمك أجيرا حتى تستوفى صداق ابنتك فقال له ان صداقها أن تخدمنى سبع حجج فقال يعقوب تزوجنى راحيل لانها أصغر ولاجلها أخدمك فقال له خاله ذلك بينى وبينك فرعى له يعقوب سبع سنين فلما وفى له شرطه دفع له ابنته الكبرى ليا وأدخلها عليه ليلا فلما أصبح وجد غير ما شرط فجاءه يعقوب وهو فى نادٍ من قومه فقال له غررتنى خدعتنى واستحللت عملى سبع سنين ودلست على غير امرأتى فقال له خاله يا ابن أختى أردت أن لا يدخل على فى ذلك العار والسبه وأنا خالك ووالدك متى رأيت الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى فهلم فاخدمنى سبع سنين أخرى حتى أزوجك الاخرى وكان الناس يومئذ يجمعون بين الاختين الى أن بعث موسى وأنزلت التوراة فرعى له يعقوب سبع سنين أخرى فدفع اليه راحيل فولدت له ليا أربعة

اسباط

أسباط روبيل وكان أكبرهم ويهوذا وشمعون ولاوى وولدت له راحيل يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد وانما سمى بنيامين لان أمه راحيل ماتت فى نفاسها و يامين بالعربية الشكل وكان ليان دفع الى ابنتيه حين جهزهما الى يعقوب أمتين يقال لاحداهما زلفة وللاخرى بلهة فوطئ الامتين يعقوب فولدت كل واحدة منهما ثلاث أسباط فولدت زلفة ليعقوب دان ونفتالى وربالون وولدت له بلهة جادو يشجر وآشر فكان بنى يعقوب اثنى عشر رجلا اثنان من راحيل وأربعة من ليا وثلاثة من زلفة وثلاثة من بلهة وهم الذين سماهم الله تعالى الاسباط وسموا بذلك لان كل واحد منهم ولد قبيلة والسبط فى كلام العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الاغصان والاسباط من بنى اسرائيل كالشعوب من العجم والقبائل من العرب ثم ان يعقوب فارق خاله ليان وانصرف بولده وامرأتيه وجاريتيه المذكورات الى منزل أبيه من فلسطين على تخوف شديد من أخيه عيص فلم يرمنه الا خيرا فنزل أخاه وتألفه وتلطفه حتى ترك له البلاد وتنقل فى الشأم وصار الى السواحل ثم عبر الى الروم فاستوطنها فصار ذلك له ولولده من بعده * وقال ابن اسحق تزوج عيص بن اسحق بنت عمه نسيمة بنت اسمعيل بن ابراهيم فولدت له الروم ابن عيص فكل بنى الاصفر من ولده وكان عيص فيما يذكر يسمى آدم لادمته ولذلك سمى ولده بنى الاصفر قالوا وعاش اسحق بعد ما ولد له عيص ويعقوب مائة سنة وتوفى وله مائة وسبعون سنة ودفنه أبناؤه عند قبر أبيه ابراهيم عليهم السلام فى مزرعة حبرون والله أعلم

(مجلس فى قصة لوط عليه الصلاة والسلام)

وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن أخى ابراهيم عليه السلام وانما سمى لوطا لان حبه لاط بقلب ابراهيم عليه السلام أى تعلق به ولصق ومنه حديث أبى بكر رضى الله عنه حين ذكر عمر اللهم غفرا لولاذ الـ [1] ألوط أى ألصق بالقلب وكان ابراهيم يحبه حبا شديدا وكان من أمر لوط فيما ذكر أهل العلم بأخبار الانبياء وذكره وهب فى المبتدا انه شخص من أرض بابل مع عمه ابراهيم مؤمنا به متبعا له على دينه مهاجرا معه الى الشأم ومعهما سارة بنت ناحور وشخص معه تارخ ابو ابراهيم مخالفا لابراهيم فى دينه ومقيما على كفره الى أن وصلوا الى حران ومكثوا بها فمات تارخ وهو آزر أبو ابراهيم بحران على كفره وشخص ابراهيم ولوط وسارة الى الشأم ثم مضوا الى مصر فوجدوا بها فرعونا من فراعنتها يقال له سنان بن عاران بن عبيد بن عوج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام فرجعوا عودا الى أرض الشأم فنزل ابراهيم فلسطين وأنزل لوطا الاردن فبعثه الله تعالى الى أرض سدوم وما يليها وكانوا أهل كفر بالله وركوب فواحش كما أخبر الله عنهم بقوله تعالى أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون قال عمرو بن دينار ما كان يرى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وقال تعالى أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فكان قطعهم السبيل فيما ذكر أهل التأويل أن اتيانهم الفاحشة مع من ورد بلدهم واتيانهم المنكر فى ناديهم قال المفسرون هو أنهم كانوا يجلسون فى مجالسهم على الطريق فيحذفون من مر بهم ويتضارطون فى مجالسهم وينكح بعضهم بعضا فى الطريق وقال مجاهد

[1] قوله غفرا لولا الخ هكذا فى نسخة وفى نسخة والوالد ألوط وليحرر الحديث اه

كانوا يجلمعون الرجال فى مجالسهم على الطريق وروى أبو صالح عن أم هانئ قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال كانوا يجلسون على الطريق فيحذفون من مر بهم ويسخرون به وهو المنكر الذى كانوا يأتونه وكان لوط ينهاهم عن ذلك ويدعوهم الى عبادة الله تعالى ويتوعدهم على اصرارهم على ماهم عليه ويأمرهم بالتوبة منه ويخوفهم من العذاب الاليم فلا يزجرهم عن ذلك وعده ولا يزيدهم وعظه الا تماديا وعتوا واستعجالا بعذاب الله تعالى وانكارا وتكذيبا ويقولون له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين حتى سأل لوط ربه أن ينصره عليهم فقال رب انصرنى على القوم المفسدين فاجاب الله دعاءه وبعث جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام لاهلاكهم وبشارة ابراهيم عليه السلام بالولد فأقبلوا مشاة فى صورة رجال مرد حسان حتى نزلوا على ابراهيم عليه السلام فتضيفوه وبشروه باسحق وقد مضت القصة فلما فرغوا من ذلك وأخبروا ابراهيم أن الله تعالى بعثهم لاهلاك قوم لوط ناظرهم ابراهيم وحاجهم فى ذلك كما قال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط وكان جداله اياهم على ماذكر ابن عباس وغيره أنهم لما قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية قال لهم أتهلكون قرية فيها أربعمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها مائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا قالوا لا وكان ابراهيم يعدهم أربعة عشر بامرأة لوط فسكت عنهم واطمأنت نفسه وروى سعيد عن ابن عباس قال قال الملك لابراهيم ان كان فيهم خمسة يصلون رفع عنهم العذاب فلما عرف ابراهيم حال قوم لوط قال للرسل ان فيها لوطا قالها اشفاقا منه عليه فقالت له الرسل نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته قال قتادة فى هذه الآية لا ترى المؤمن الا يحوط المؤمن ثم مضت رسل الله تعالى نحو سدوم فلما انتهوا اليها لقوا لوطا فى أرض له يعمل فيها قال قتادة راويا عن حذيفة ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فأتوه فقالوا انا متضيفوك الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت لهم وقال أوما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال أشهد بالله انها لشر قرية فى الارض وما أعلم على وجه الارض أناسا أخبث منهم قال ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله وعلم لوط انه سيحتاج الى المدافعة عن أضيافه وخاف عليهم من قومه فذلك قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب أى شديد قال السدى باسناده لما خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فأتوها نصف النهار فلما بلغوا سدوم لقوا بنت لوط تستسقى الماء لاهلها وكان له بنتان اسم الكبرى ريثا والاخرى غيثا فقالوا لها ياجارية هل من منزل قالت نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم ففزعت عليهم من قومها ثم أتت أباها فقالت يا أبتاه أدرك فتيانا على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم قط أحسن منهم لئلا تأخذهم قومك فيفضحوك وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجالا وقالوا له خل عنا فلنضيف الرجال فذلك قوله تعالى أولم ننهك عن العالمين فجاء بهم لوط الى منزله ما يعلم بهم أحد الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومها بذلك وقالت ان فى بيت لوط رجالا ما رأيت مثلهم حسنا قط قال أبو حمزة الثمالى بلغنا أن العلم الذى كان بين امرأة لوط وقومه اذا أتتهم الضيفان يقول رسولها

هبوا

هيؤا الناملحا تدعوهم بذلك الى الفاحشة بأضياف لوط فبلغنا أن الله تعالى مسخها ملحا قالوا
فلما أخبرت امرأة لوط قومها بأضياف زوجها جاءه قومه يهرعون اليه أى يسرعون ويهرولون
فلما أتوه قال لهم لوط ياقوم اتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد وقال لهم
هؤلاء بناتى هن أطهر لكم قالوا أولم ننهك عن العالمين أن تضيف الرجال قالوا لقد علمت مالنا
فى بناتك من حق وانك لتعلم مانريد فلما لم يقبلوا منه ماعرض عليهم قال لو أن لى بكم قوة أو آوى
الى ركن شديد قالوا فما بعث الله نبيا بعده الا فى شرف من قومه ومنعة من عشيرته وقال صلى
الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية رحم الله أخى لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد قال ابن عباس
وغيره وغلق لوط بابه والملائكة معه فى الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم
يعالجون تسور الدار فلما رأت الملائكة مالقى لوط من الكرب والنصب والتعب بسببهم قالوا
له يالوط ان ركنك لشديد وانهم آتيهم عذاب غير مردود انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر
بأهلك بقطع من الليل الآية ثم قالوا له افتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن
جبريل عليه السلام ربه فى عقوبتهم فأذن له فقام فى الصورة التى يكون فيها فنشر جناحيه وله
جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبك مثل المرجان
كأنه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فذلك
قوله تعالى ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم الآية فصاروا لايعرفون الطريق ولا
يهتدون الى بيوتهم ثم انهم انصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء ان فى بيت لوط أسحر قوم فى
الارض وقالوا للوط جئتنا بقوم سحرة سحرونا كن كما كنت حتى نصبح يتوعدونه فلما علم
لوط ان أضيافه رسل ربه وأنهم أرسلوا بهلاك قومه فقال لهم أهلكوهم الساعة فقال له
جبريل ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ثم أمره أن يسرى بأهله بقطع من الليل ولا
يلتفت منهم احد الا امرأته فلما كان السحر خرج لوط وأهل بيته ومعه امرأته فذلك قوله
تعالى الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر فلما أصبحوا أدخل
جبريل جناحه تحت أرضهم فاقتلع قريات قوم لوط الاربع وكان فى كل قرية مائة ألف فرفعهم
على جناحه بين السماء والارض حتى سمع أهل سماء الدنيا صياح ديوكهم ونباح كلابهم ثم كفأها
وقلبها فجعل عاليها سافلها كما قال الله تعالى فجعلنا عاليها سافلها ثم أتبع شاردهم ومسافرهم
بالحجارة فذلك قوله تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وماهى من
الظالمين ببعيد أى ممن يفعل كفعلهم (أخبرنا) الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر
الباقرى أخبرنا الحسين بن علويه أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر أخبرنى جويبر
ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انى لاسمع العواصف والقواصف من الرعد فأخشى أنها الحجارة التى أعدت
لقوم لوط اومن يفعل بفعلهم (وأخبرنا) أبو بكر بن محمد بن أحمد بن عقيل القطان أخبرنا أبو
الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور أخبرنا أبو حاتم الرازى أخبرنا أبو اليمان الحكم بن نافع
الحمصى عن صفوان بن عمرو قال كنت عند عبد الملك بن مروان الى أن أتى شعيب قاضى حمص
وكان رجلا عالما فسأله كم عقوبة اللوطى قال أن يرموه بالحجارة كما رجم قوم لوط فان الله تعالى

قال وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين وقال تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل فقبل عبد الملك ذلك منه واستحسنه قالوا وكان الرجل منهم يتحدث في قريته التي يكون فيها فيأتيه الحجر فيقتله قال وسمعت امرأة لوط الهدة فالتفتت وقالت واقوماه فأدركها حجر فقتلها فذلك قوله تعالى الا امرأته كانت من الغابرين أي الباقين في العذاب وقال تعالى انه مصيبها ما أصابهم الآية (أخبرنا) الحسين بن محمد بن الحسين أخبرنا موسى بن محمد بن علي أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى قال أخبرنا المسيب قال سمعت أبا روق يقول الا امرأته كانت من الغابرين أي خلفت فمسخت حجرا وكانت تسمى هلسفع وقال غيره اسمها واعلة قالوا وكانت قرى قوم لوط خمسا سدوم وعامورا ودومه وساعورا فأما سدوم فهي القرية العظمى وكان في هذه القرية أربعة آلاف فاحتملها جبريل على جناحه فقلبها فلذلك سميت المؤتفكات أي المنقلبات وأما القرية الخامسة فانها تسمى صفره ونجت من العذاب لان أهلها آمنوا بلوط وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام ان الله تعالى سماك بأسماء ففسرها لي قال وصفك في قوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين فأخبرني عن قوتك قال يا محمد رفعت قرى قوم لوط من تخوم الارض على جناحي في الهواء حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا أصواتهم وأصوات الديكة ثم قلبتها ظهرا لبطن قال فأخبرني عن قوله تعالى مطاع قال ان رضوان خازن الجنان ومالكا خازن النيران متى قلت لهما أو كلفتهما فتح أبواب الجنان أو النيران فتحاها قال فأخبرني عن قوله تعالى أمين قال ان الله أنزل من السماء مائة وأربعة كتب على أنبيائه لم يأتمن عليها غيري (أخبرنا) عبد الله بن الحسين بن محمد الثقفي أخبرنا أبو عثمان بن أحمد بن سمعان البزار أخبرنا عبد الله بن قحطبة أخبرنا ياسر بن توبة أخبرنا محمد بن راموز أخبرنا أبو بكر بن عياش قال سألت أبا جعفر أعذب الله النساء من قوم لوط بعمل رجالهم فقال الله تعالى أعدل من ذلك بل استغنى الرجال بالرجال والنسا بالنساء فوجب عليهم العذاب جميعا (أخبرنا) ابن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر حدثني مقاتل بن سليمان قال قلت لمجاهد يا أبا الحجاج هل بقي من قوم لوط أحد قال لا الا رجل بقي أربعين يوما وكان بمكة فجاءه حجر ليصيبه في الحرم فقام اليه ملائكة الحرم فقالوا للحجر ارجع من حيث جئت فان الرجل في حرم الله فوقف الحجر خارج الحرم أربعين يوما بين السماء والارض حتى قضى الرجل حاجته فلما خرج أصابه الحجر خارج الحرم فقتله (عن مقاتل) عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال ما عمل ذلك قوم لوط انما كانوا ثلاثين رجلا ونيفا لا يبلغون الاربعين فأهلكهم الله جميعا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو لتعمنكم العقوبة جميعا

(مجلس في قصة يوسف بن يعقوب واخوته عليهم الصلاة والسلام)

قال الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص الآية قال سعد بن أبي وقاص قالت الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو حدثتنا قال فأنزل الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها الآية فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن

القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن الآية فدلهم الله تعالى فى هذه الآية على أحسن القصص واختلف العلماء فى سبب تسمية الله تعالى قصة يوسف عليه السلام من بين الاقاصيص أحسن القصص فقال بعض أهل المعانى معنى الآية قصة حسنة لفظه لفظ المبالغة وحكمه حكم الصفة كقوله تعالى وهو أهون عليه قال الشاعر

ان الذى سمك السماء بنا لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

أراد عزيزة طويلة وأجراه الباقون على الظاهر فقالوا هى أحسن القصص ثم اختلفوا فى وجهها فروى مقاتل عن سعيد بن جبير قال اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سلمان الفارسى فقالوا يا سلمان حدثنا عن التوراة بأحسن ما فيها فأنزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص يعنى أن قصص القرآن أحسن مما فى التوراة وقيل سمى الله هذه القصة أحسن القصص لانه ليست قصة فى القرآن تتضمن من العبر والحكم والعجائب واللطائف ما تضمنت هذه القصة ولذلك قال الله تعالى لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين وقال تعالى لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب وقيل سماها أحسن القصص لحسن مجازاة يوسف اخوته وصبره على أذاهم واغضائه عند الالتقاء بهم عن ذكر ما تعاطوه معه وكرمه فى العفو عنهم حيث قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقيل لان فيها ذكر الانبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والانس والانعام والطير وسير الملوك والمماليك والعلماء والتجار والعقلاء والجهلاء وحال الرجال والنساء ومكرهن وحيلهن وفيها أيضا ذكر العفة والتوحيد وعلم السير وتعبير الرؤيا وآداب السياسة والمعاشرة وتدبير المعاش فصارت أحسن القصص لما فيها من المعانى الجزيلة والفوائد الجليلة التى تصلح للدين والدنيا وتجمع خيرى الدنيا والعقبى قال أهل الاشارة سماها الله أحسن القصص لما فيها من ذكر المحب والمحبوب

(الباب الاول فى ذكر نسبه عليه الصلاة والسلام)

هو يوسف الصديق بن يعقوب الصفى بن اسحق الذبيح بن ابراهيم الخليل عليهم السلام بذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم كريما وآباؤه كرماء * عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم صلوات الله عليهم واختلفوا فى معنى اسم يوسف فقال أكثر الفقهاء هو اسم عبرى فلذلك لا يجر وقال بعضهم هو اسم عربى سمعت الاستاذ أبا القاسم الحبيبى يقول سمعت أبى يقول سمعت أبا الحسن الاقطع وكان حكيما فسئل عن يوسف فقال الاسف فى اللغة الحزن والاسيف العبد واجتمعا فيه فلذلك سمى يوسف

(الباب الثانى فى صفة يوسف عليه الصلاة والسلام وحليته ونعت خلقه وصفة صورته)

قال الله تعالى فلما رأينه أكبرنه الآية (أخبرنا) أبو عبد الله الثقفى أخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان أخبرنا محمد بن سليمان أخبرنا محمد بن حميد الرازى أخبرنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن روح بن القاسم قال حدثنى عمارة عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسرى بى الى السماء فرأيت يوسف فقلت يا جبريل من هذا فقال

هذا يوسف قالوا فكيف رأيته يارسول الله قال كالقمر ليلة البدر وأخبرني الحسن بن محمد أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا حامد بن سعدان أخبرنا أبي أخبرنا يعقوب أخبرنا الوليد ابن مسلم عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطي وأمه شطر الحسن وعن أبي اسحق بن عبد الله بن أبي فروة قال كان يوسف اذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس والقمر على الجدران * قال كعب الاحبار ان الله تعالى مثل لآدم ذريته بمنزلة الذر فأراه الانبياء عليهم السلام نبيا نبيا وأراه في الطبقة السادسة يوسف متوجا بتاج الوقار متزرا بحلة الشرف مرتديا برداء الكرامة مقمصا بقميص البهاء وفي يده قضيب الملك وعن يمينه سبعون ألف ملك وعن يساره سبعون ألف ملك ومن خلفه أمم الانبياء لهم زجل بالتسبيح والتقديس وبين يديه شجرة السعادة تزول معه حيث ما زال وتحول معه حيث ما حال فلما رآه آدم قال الهي من هذا الكريم الذي أبحت له بحبوحة الكرامة ورفعته الدرجة العالية قال يا آدم هذا ابنك المحسود على ما آتيته يا آدم أنحله قال آدم قد أنحلته ثلثي حسن ذريتي ثم ان آدم ضم يوسف الى صدره وقبل بين عينيه وقال يا بني لا تأسف فأنت يوسف فأول من سماه يوسف آدم فقسم الله تعالى ليوسف من الجمال الثلثين وقسم بين العباد الثلث وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله تعالى بيده وصوره ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية وقد كان الله أعطى آدم الحسن والجمال والبهاء يوم خلقه فلما عصى نزع ذلك منه وأعطاه يوسف عليه السلام ثم لما تاب عليه وهبه ثلث الجمال الذي كان انتزعه منه وذلك أن الله تعالى أحب أن يرى العباد أنه قادر على ما يشاء فاعطى يوسف من الحسن والجمال ما لم يعطه أحدا من الناس ثم أعطاه العلم بتأويل الرؤيا وكان يخبر بالامر الذي يرى في المنام أنه سيكون كذا وكذا من قبل أن يكون ذلك الامر علمه الله ذلك كما علم الاسماء كلها لآدم فكان حسن يوسف كضوء النهار وكان يوسف أبيض اللون جميل الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوي الخلقة غليظ الساقين والعضدين والساعدين خميص البطن أقنى الانف صغير السرة وكان بخده الايمن خال أسود وكان ذلك الخال يزين وجهه وكان بين عينيه شامة بيضاء كأنها القمر ليلة البدر وكانت أهداب عينيه تشبه قوادم النسور وكان اذا تبسم رؤي النور من ضواحكه واذا تكلم رأيت شعاع النور يشرق من بين ثناياه لا يقدر بنو آدم ولا أحد على وصف يوسف عليه الصلاة والسلام ويقال انه ورث الحسن من جده اسحق بن ابراهيم وكان أحسن الناس واسحق هو الضاحك بالعبرانية وهو ورث الحسن من أمه سارة فان الله تعالى صورها على صورة الحور العين ولكن لم يعطها صفاءهن وأعطى يوسف من الحسن والجمال وصفاء اللون ونقاء البشرة ما لم يعطه أحدا من العالمين وانه كان ليأكل البقول والفواكه فترى حين يزدردها في حلقه وفي صدره حتى تصل الى بطنه وورثت سارة الحسن من جدتها حوا. وقال وهب الحسن عشرة أجزاء ليوسف تسعة وواحد بين سائر الناس * وعن عبد الله بن مسعود عن النبي عليه السلام قال هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله تعالى يقول لك كسوت حسن يوسف من نور الكرسي وكسوت وجهك من نور عرشي وقيل لبعض الحكماء أيوسف أحسن أم محمد فقال كان يوسف من أحسن الناس ومحمد صلى الله عليه وسلم أحسن الناس يدل عليه حديث

جابر بن عبد الله قال نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء ونظرت الى القمر ليلة البدر فهو أحسن فى عينى من القمر

(القول فى القصة)

قال أهل العلم بقصص الانبياء وأخبار الماضين كان ابتداء أمر يعقوب و يوسف عليهما السلام وبدء محبة يعقوب له وايثاره على سائر ولده ان الله تعالى أنبت ليعقوب شجرة فى صحن داره فكان كلما ولد له ولد أخرج الله تعالى من تلك الشجرة غصنا فكان كلما كبر الغلام وشب طال ذلك الغصن وغلظ فاذا بلغ ذلك الغلام قطع يعقوب ذلك الغصن ودفعه اليه فولد له عشرة بنين فأخرج الله تعالى من تلك الشجرة عشرة قضبان فلما ولد له يوسف لم يخرج الله تعالى من الشجرة شيأ فلما كبر وشب قال لابيه يا نبى الله انه ليس أحد من أخوتى الا وله غصن الا أنا فادع الله تعالى أن يخصنى بغصن من الجنة فرفع يعقوب يديه الى السماء وقال اللهم انى أسألك أن تهب ليوسف غصنا من الجنة يفتخر به على جميع اخوته فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام ومعه قضيب من الجنة من الزبرجد الاخضر فقال ليوسف خذ هذا فكان يوسف يأخذه ويخرج به مع اخوته قال فرأى يوسف فيما يرى النائم وهو اذ ذاك صبى كأن قضيبه غرس فى الارض فعلق وتدلت أغصانه وأثمرت من كل ثمرة ثم أتى بأغصان اخوته فغرست حوله فلم تعلق ولم تفرع ولم تثمر واذا بغصن يوسف أقصرها واصغرها فلم يزل يتعالى فى السماء ويطول حتى طال على أغصان اخوته ثم هبت الريح فاقتلعت أغصان اخوته من أصولها وألقتها فى البحر وثبت غصن يوسف فى الارض قائما فانتبه فزعا مرعوبا فقال له أبوه ما الذى دهاك يا بنى فقص عليه رؤياه فبلغ اخوته فقالوا يا ابن راحيل لقد رأيت عجبا يوشك أن تدعى أنك مولانا ونحن عبيدك فشق عليهم رؤياه وحسدوه بعض الحسد قال وهب رأى يوسف هذه الرؤيا يعنى الغصن وهو ابن سبع سنين ثم انه رأى وهو ابن اثنتى عشرة سنة الرؤيا التى قصها الله علينا فى كتابه اذ قال تعالى اذ قال يوسف لابيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا الآية وكان ينومه الى جانبه فبينما يوسف نائما عند أبيه ليلة من الليالى اذ رأى الرؤيا التى ذكرها الله تعالى فى كتابه العزيز وكانت ليلة الجمعة فانتبه من منامه فزعا مرعوبا فالتزمه يعقوب وضمه الى صدره وقبل بين عينيه وقال يا حبيب أبيه ما الذى أصابك فقال يا أبت رأيت رؤيا أفزعتنى فقال يا بنى خيرا رأيت ما الذى رأيت قال يوسف رأيت كأن أبواب السماء فتحت وقد أشرق منها النور فاستنارت النجوم وأشرقت الجبال وزخرت البحار وعلت أمواجها وسبحت الحيتان بأنواع اللغات ورأيت كأنى ألبست رداء أشرقت الارض من حسنه ونوره ورأيت كأن مفاتيح خزائن الارض ألقيت بين يدى فبينما أنا كذلك اذ رأيت أحد عشر كوكبا انقضت من السماء ومعها الشمس والقمر فخروا الى ساجدين فقال يعقوب يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية ثم عبر رؤياه فقال وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث الآية قال فسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لابيه فقال لها يعقوب اكتمى ما قال يوسف ولا تخبرى أولادى بذلك فقالت نعم فلما أقبل أولاد يعقوب من مراعيهم أخبرتهم بالرؤيا التى أمرها يعقوب بكتمها فانتفخت أوداجهم واقشعرت

جلودهم غضبا على يوسف وقالوا ما عنى بالشمس غير أبينا ولا بالقمر غير لك ولا بالكواكب غيرنا ثم قالوا ان ابن راحيل يريد أن يملك علينا فيقول أنا سيدكم وانتم عبيدى فحسدوه عند ذلك فلذلك قيل فى الحكمة لا تأمنن قارئا على صحيفة ولا شابا على امرأة ولا امرأة على سر (وروى) الحكم ابن ظهير عن اسمعيل السدى عن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل من اليهود يقال له بستانار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرنى عن النجوم التى رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبه بشئ حتى نزل جبريل عليه السلام فأخبره بأسمائها فأرسل الى اليهودى ودعاه وقال له ان أخبرتك بأسمائها أتسلم قال نعم فقال له جريان والطارق والذيال وذو الكتفين والفرغ ووثاب وعمودان وقابس والمصبح والفليق والضروح رآها يوسف فى أفق السماء ساجدة له فلما قص رؤياه على أبيه قال أرى شيأ مشتتا ويجمعه الله لك فقال اليهودى هذه والله اسماؤها ويقال كان بين رؤيا يوسف فى الغصن ورؤياه فى الكواكب سبع سنين فلما كان من أمر رؤيا يوسف ما كان وانضاف الى ذلك تخصيص أبيه يعقوب اياه بالمحبة والقربة حسده اخوته وحملهم الحسد على أن تآمروا بينهم فى أن يفرقوا بينه وبين أبيه بضرب من الاحتيال ويهلكوه فيما بينهم كما أخبر الله عنهم فى قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفى ضلال مبين اى خطأ بين فى ايثاره يوسف وأخاه علينا اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين أى تائبين فاستعدوا للتوبة قبل وقوع الذنب قال قائل منهم وهو يهوذا وكان أفضلهم وأعقلهم لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم وألقوه فى غيابة الجب وهو البئر غير المطوية يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قيل للحسن أيحسد المؤمن فقال للسائل ما أنساك بنى يعقوب ولهذا قيل الاب جلاب والاخ سلاب فعند ذلك أجمعوا رأيهم أن يدخلوا على يعقوب ويكلموه فى ارسال يوسف معهم الى البرية فقال لهم روبيل وهو أكبر ولد يعقوب ان أباكم لا يأمنكم على يوسف ولكن انطلقوا بنا الى يوسف حتى نلعب بين يديه فاذا نظر الينا كيف نمرح ونلعب اشتاق الى ذلك فأقبلوا على يوسف وهو قاعد يسبح فجعلوا يلاعبون ويتضاحكون بين يديه فلما رأى يوسف ذلك اشتاق الى اللعب معهم فأقبل عليهم وقال يا اخوتاه أهكذا تلعبون فى مراعيكم فقالوا نعم يا يوسف انك لو رأيتنا ونحن نلعب فى مراعينا لتمنيت أن تكون معنا فشوقوه الى ذلك حتى كان هو الطالب اليهم فقال لهم يا اخوتاه انطلقوا الى أبى واسألوه أن يرسلنى معكم فأقبلوا الى يعقوب ووقفوا بين يديه صفا وكانوا يفعلون هكذا اذا أرادوا أن يسألوه حاجة فلما رآهم بين يديه وقوفا صفوفا قال لهم ما حاجتكم قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون نحوطه ونحفظه حتى نرده اليك أرسله معنا غدا نرتع ونلعب فى الصحراء وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب انى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لا تشعرون بذلك قال ابن عباس وغيره انما قال ذلك يعقوب لانه رأى فى منامه كأن يوسف على رأس جبل وكأن عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليأكلوه واذا ذئب منها يحمى عنه وكأن الارض قد انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة أيام فلما رأى يعقوب هذه الرؤيا خاف على يوسف من الذئب فلذلك قال لهم وأخاف أن يأكله الذئب (أخبرنا) الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا

عبد الله بن شبة اخبرنا أبو نعيم عبد الرحمن بن قريش اخبرنا محمد بن عمرو بن الحكم الهروى اخبرنا مالك بن سليمان القروى اخبرنا عبيد الله بن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتلقنوا الناس الكذب فيكذبوا فان بنى يعقوب لم يعلموا أن الذئب يأكل الانسان حتى لقنهم أبوهم فلما لقنهم وقال انى أخاف أن يأكله الذئب قالوا أكله الذئب فقال بنوه لئن أكله الذئب ونحن عصبة أى عشرة رجال انا اذا لخاسرون عجزة مغلوبون ثم قالوا يانبى الله كيف يأكله الذئب وفينا شمعون اذا غضب لايسكن غضبه حتى يصيح فاذا صاح لاتسمعه حامل الا وضعت ما فى بطنها وفينا يهوذا اذا غضب شق السبع نصفين فلما سمع يعقوب منهم ذلك اطمأن اليهم وأقبل يوسف حتى وقف بين يدى أبيه ثم قال له ياأبت أرسلنى معهم قال أوتحب ذلك يابنى قال نعم قال اذا كان غدا أذنت لك فى ذلك فلما أصبح يوسف لبس ثيابه وشد عليه منطقته وأخذ قضيبه وخرج مع اخوته ثم عمد يعقوب الى السلة التى حمل فيها ابراهيم زاد اسحق فحمل فيها زادا ليوسف وخرج ليشيعهم فقالوا يانبى الله ارجع فقال يعقوب يابنى أوصيكم بتقوى الله وبحبيبى يوسف اسألكم بالله ان جاع اطعموه وان عطش فاسقوه وقوموا عليه ولا تتعبوه ولا تخذلوه وكونوا أمتواصلين متراحمين قالوا انم ياأبانا كلنا لك ولد وهو أخونا كاحدنا بل له الفضل علينا بحبك اياه فقال نعم يانبى الله خليفتى عليكم مع انى خائف أن أكون قد ضيعته ثم انه أقبل على يوسف فالتزمه وضمه الى صدره وقبل بين عينيه ثم قال استودعتك الله رب العالمين وانصرف راجعا (وروى) السدى ورجاء عن ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم واسحق بن بشر بن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ومقاتل عن ابن بحيرة عن كعب الاحبار عن سعيد بن أبى عروبة عن الحسن دخل كلام بعضهم فى بعض قالوا ارسل يعقوب يوسف مع اخوته فاخرجوه مظهرين له الكرامة فلما برزوا به الى البرية أظهروا له العداوة وضربوه فجعل يستغيث بهم واحدا بعد واحد وهم يضربونه فلا يرى منهم رحيما وأخذوا ما كان زوده يعقوب واطعموه الكلاب وضربوه حتى كادوا يقتلونه وعطش عطشا شديدا فقال لهم اسقونى جرعة من ماء قبل أن تقتلونى فلم يسقوه فعند ذلك بكت الملائكة رحمة ليوسف فلما رأى يوسف ان ليس أحد منهم يعطف عليه جعل يصيح ويقول ياأبتاه يايعقوب لوتعلم ماتصنع بابنك بنو الاماء فلما هموا بقتله قال لهم يهوذا وكان ابن خالة يوسف وأحسنهم فيه رأيا أليس انكم قد اعطيتمونى موثقا ان لاتقتلوه فعند ذلك أجمعوا على القائه فى الجب كما قال الله تعالى فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب فانطلقوا به الى الجب ليطرحوه فيه وكان ذلك الجب فى الاردن بين مدين ومصر وقيل بين طبرية والقدس على قارعة الطريق فى واد من أوديتها على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وكانت بئرا وحشة مظلمة أسفلها واسع وأعلاها ضيق يهلك من طرح فيها من سعة أسفلها لايمكنه الصعود وكان ماؤها ملحا وكان الجب من حفر سام بن نوح ويسمى جب الاحزان فلما أرادوا أن يلقوه فيه جعلوا يدلونه فى البئر فيتعلق بشفير البئر فربطوا يديه الى عنقه ونزعوا قميصه فقال يااخوتاه ردوا على قميصى استتر به عورتى ويكون لى كفنا بعد مماتى واطلقوا يدى اطرد بهما عنى هوام الجب فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تلبسك وتؤنسك فدلوه فى البئر بحبل فلما بلغ نصفها قطعوا الحبل ليسقط فيموت فيه

فاخرج الله تعالى على وجه الماء صخرة ململمة لينة ورفعها الى يوسف فوقف عليها وجعل يوسف
يبكي فنادوه فظن انها رحمة لحقتهم فأجابهم فهموا ان يرضخوه بالحجارة فيقتلوه فمنعهم يهوذا وقال
لقد أعطيتموني موثقا ان لاتقتلوه قالوا فلما ألقي يوسف في الجب اضاء له الجب وعذب ماؤه حتى
كان يغنيه عن الطعام والشراب وبعث الله تعالى اليه ملكا فحل عنه قيده وكان ابراهيم
حين ألقي في النار جرد من ثيابه وقذف في النار عريانا فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من
حرير الجنة فألبسه اياه وكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ابراهيم ورثه اسحق فلما مات
اسحق ورثه يعقوب منه فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في تعويذ وعلقه في عنقه
لما كان يخاف عليه من العين وكان لايفارقه فلما ألقي في الجب عريانا جاءه الملك وكان عليه
التعويذ فاخرج القميص والبسه اياه وجعل يؤنسه بالنهار (ويروى) ان الملك أتاه بسفرجلة
من الجنة فاطعمه اياها فلما أمسى يوسف نهض الملك ليذهب فقال له يوسف انك اذا خرجت
عني استوحش فقال له الملك قل اذا هبت شيأ ياصريخ المستصرخين ياغياث المستغيثين
يامفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعرف حالي ولا يخفى عليك شيء من أمري فلما دعا
يوسف بهذا الدعاء بعث الله اليه سبعين ملكا فحفوا به وآنسوه في البئر ثلاثة أيام فلما كان في اليوم
الرابع أتاه جبريل عليه السلام وقال ياغلام من طرحك ههنا في هذا الجب قال اخوتي لابي
قال ولم قال حسدوني على منزلتي من ابي قال أتحب أن تخرج من هذا الجب قال نعم قال قل
ياصانع كل مصنوع وياجابر كل مكسور وياحاضر كل ملا وياشاهد كل نجوى وياقريبا غير
بعيد ويامؤنس كل وحيد وياغالبا غير مغلوب وياعلام الغيوب وياحيا لايموت ويامحيي الموتى
لااله الا انت سبحانك أسألك يامن له الحمد يابديع السموات والارض يامالك الملك وياذا الجلال
والاكرام اسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وان تجعل لي من أمري ومن ضيقي فرجا
ومخرجا وترزقني من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب فقالها يوسف فجعل الله له من الجب
مخرجا ومن كيد اخوته فرجا وآتاه ملك مصر من حيث لايحتسب وأوحى الله اليه وهو في البئر
لتنبئن اخوتك بما عملوا وهم لايعلمون انك يوسف فذلك قوله تعالى لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم
لايشعرون وقال مجاهد خرج يوسف من عند يعقوب وهو ابن ست سنين لم يثغر وجمع الله بينهما
وهو ابن أربعين سنة (أخبرنا) أبو عبد الله الدينوري أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف
الصرصري أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري أخبرنا عمران القزاز أخبرنا عبد الوارث
أخبرنا يونس عن الحسن قال ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في العبودية
والملك والسجن ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثمانية وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وخمس
وعشرين سنة * رجعنا الى قصة يوسف عليه السلام واخوته بعد ما ألقي في الجب فلما ألقوه
في الجب عمدوا الى سخلة من الغنم فذبحوها ولطخوا قميص يوسف بدمها وشووها واكلوا لحمها
ثم انهم رجعوا الى يعقوب وهو قاعد على قارعة الطريق ينتظرهم متى يأتون بيوسف فلما دنوا
منه اصطرخوا صراخ رجل واحد ورفعوا أصواتهم بالبكاء فعلم يعقوب انهم قد اصيبوا
بمصيبة فلما وافوه اجتمعوا وتقدموا بين يديه وشقوا جيوبهم وبكوا ففزع يعقوب وقال مالكم
يابني وأين يوسف قالوا ياأبانا انا ذهبنا نستبق أي ننتضل وكذلك هو في قراءة عبد الله

وتركنا يوسف عندمتاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وهذا قميصه ملطخ بدمه فذلك قوله تعالى وجاؤا أباهم عشاء يبكون وانما فعلوا ذلك ليكونوا فى الظلمة أجرأ على الاعتذار وتزوير ما مكروا فقد قالوا لا تطلب الحاجة فى الليل فان الحياء فى العينين ولا تعتذر بالنهار من قبيح فعلك فتتلجلج فى الاعتذار فلا تقدر على اتمامه (روى) الشعبى قال جاءت امرأة الى شريح فجعلت تبكى فقال رجل ألا ترى الى هذه المرأة المسكينة كيف تبكى فقال شريح قد جاء اخوة يوسف عشاء يبكون ثم انه أنشد فى معناه

اغرك من شيخ بكاء وملقه * أم اللحية البيضاء للنتف مطلقه
فان بنى يعقوب جاؤا أباهم * عشاء وهم يبكون زورا ومخرقه

قال فلما قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق أى ننتضل وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب الآية الى قوله بدم كذب لانه لم يكن دم يوسف وانما كان دم شاة وقرأت عائشة بدم كدب بدال غير معجمة أى طرى فلما قالوا ذلك ليعقوب بكى بكاء شديدا وقال لهم أرونى قميصه فأروه فقال تالله ما رأيت كاليوم ولا ذئبا أحلم من هذا أكل ابنى ولم يشق له جيبا ولا خرق له شقا وصاح صيحة وخر مغشيا عليه فلم يفق الا بعد ساعة طويلة فلما أفاق بكى بكاء شديدا ثم أخذ القميص وجعل يشمه ويقبله ويضعه على وجهه وعينيه (أخبرنا) ابن فنجويه أخبرنا أحمد بن ابراهيم بن شاذان أخبرنا عبد الله بن ثابت أخبرنا أبو سعيد الاشج أخبرنا أبو أسامة حدثنى زكريا عن سماك عن الشعبى قال كان فى قميص يوسف ثلاث آيات لما جاؤا به الى أبيه فقالوا أكله الذئب فقال أبوه لئن أكله الذئب ليشقن قميصه وحين سعى نحو الباب فشقت قميصه من خلف فعرف الوزير انه لو كان هو الذى راودها لكان الشق من بين يديه وحين ألقى على وجهه فارتد بصيرا * قالوا فلما أصبح اخوة يوسف من الغد رجعوا الى مراعيهم فقال بعضهم لبعض قد رأيتم ما كان من تكذيب أبيكم البارحة فان أردتم أن يصدقكم ويخرجكم من الملامة فتروا بنا على الجب فنخرج يوسف منه ونفرق بين أضلاعه ولحمه ونجىء به الى يعقوب فقال لهم يهوذا يا اخوتاه أين العهد الذى بينى وبينكم والله لئن فعلتم ما تقولون لاخبرن يعقوب بما كان منكم اليه ثم لاكونن لكم عدوا ما بقيت فتركوه ثم انهم رجعوا الى أبيهم عشاء فقال لهم يعقوب ان كنتم صادقين ان الذئب أكله فأين الذئب ائتونى به فعمدوا الى حبالهم وعصيهم فأخذوها ومضوا الى الصحراء فاصطادوا ذئبا وشدوه وأوثقوه كتافا ثم حملوه الى يعقوب وأوقفوه بين يديه فقال حلوا عقاله خلوه فقال له يعقوب أقبل فأقبل الذئب يتخطى القوم حتى وقف بين يدى يعقوب منكسا رأسه فقال له يعقوب أيها الذئب أكلت ولدى وقرة عينى وحبيب قلبى وثمرة فؤادى لقد أورثتنى حزنا طويلا وألما عظيما قال فتكلم الذئب وقال لا وحق شيبتك يا نبى الله ما أكلت لك ولدا وان لحومكم ودماءكم معشر الانبياء لمحرمة علينا وانى لمظلوم مكذوب علىّ وانى لذئب غريب من بلاد مصر فقال له يعقوب وما أدخلك أرض كنعان قال جئت لاجل قرابة لى من الذئاب أزورهم وأصلهم فعند ذلك قال يعقوب لاولاده بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل وهو الذى لا جزع فيه ولا شكوى والله المستعان على ما تصفون * قال ابن عباس انما كان سبب بلاء يعقوب انه ذبح شاة وهو صائم فاستطعمه جار له فلم يطعمه فابتلاه الله تعالى بامر يوسف قال فمكث يوسف فى الجب ثلاثة أيام

فلما كان اليوم الرابع ودعا بالدعاء الذى علمه جبريل عليه السلام جاءت سيارة أى رفقة مارة من قبل مدين تريد مصر فأخطؤا الطريق وضلوا عنها حتى نزلوا قريبا من الجب قال وكان الجب فى قفر بعيد من العمران وانما هو للرعاة والمجتازة وكان ماؤه مالحا فعذب حين ألقى فيه يوسف فلما نزلت السيارة أرسلوا رجلا من العرب من أهل مدين يقال له مالك بن دعر ليطلب لهم ماء فذلك قوله تعالى وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قالوا والوارد الذى يتقدم الرفقة الى الماء فيهيئ الارشية والدلاء فوصل الوارد الى البئر فأدلى دلوه أى أرسلها فتعلق يوسف بالحبل فلما وصل الى فم البئر ورآه مالك بن دعر فرأى أحسن ما يكون من الغلمان فقال مالك يابشرى هذا غلام يبشر أصحابه انه أصاب عبدا (وأسروه بضاعة قال المفسرون) أسر مالك بن دعر وأصحابه أمر يوسف من التجار الذين معهم وقالوا لهم هو بضاعة استبضعناها من بعض الناس الى مصر خيفة أن يطلبوا منهم فيه الشركة ان علموا حاله * قال وكان يهودا يأتى يوسف بالطعام كل يوم سرا من اخوته فأتاه ذلك اليوم كما كان يفعل فلم يجده فى البئر فنظر فاذا هو بمالك وأصحابه نزولا ويوسف معهم فرجع يهودا وأخبر اخوته بذلك فأتوا الى مالك وقالوا له هذا عبدنا أبق منا وكتم يوسف حاله مخافة أن يقتلوه فقال مالك أنا اشتريه منكم فباعوه منه فذلك قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين أى باعوه بثمن ناقص ظلم حرام لان ثمن الحر حرام ثم بين الثمن فقال دراهم معدودة وانما قال ذلك لانهم كانوا فى ذلك الزمان لايزنون ما كان وزنه أقل من أوقية أربعين درهما انما كانوا يعدونها عدا فاذا بلغ أوقية وزنوه لان أقل أوزانهم وأصغرها يومئذ أوقية أربعون درهما واختلف العلماء فى عدد الدراهم التى باعوا بها يوسف فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدى عشرون درهما واقتسموها بينهم درهمين درهمين وقال مجاهد اثنان وعشرون درهما وقال عكرمة أربعون درهما وانما باعوه بهذا القدر لانهم كانوا فيه من الزاهدين لم يعلموا كرامته على الله ولا منزلته عند الله ويقال ان السبب فى استرقاق يوسف وبيعهم اياه أن ابراهيم دخل مصر فى بعض الازمنة فلما خرج منها شيعه زهادهم وعبادهم حفاة مشاة الى أربع فراسخ تعظيما له واجلالا ولم يترجل لهم ابراهيم فأوحى الله اليه انك لم تنزل لعبادى وهم يمشون معك حفاة لاعاقبنك بأن يباع ولد من أولادك فى هذه المدينة ثم ان مالك بن دعر انطلق هو وأصحابه بيوسف ومعهم اخوته يقولون لهم استوثقوا منه فانه آبق سارق كاذب وقد برئنا اليكم من عيوبه فحمله مالك على ناقة له وساروا به الى مصر وكان طريقهم على قبر أمه فلما رأى قبر أمه لم يتمالك أن رمى نفسه عن الناقة الى القبر وهو يقول ياأمى ياراحيل حلى عنك عقدة الردى وارفعى رأسك من الثرى وانظرى الى ولدك يوسف ومالقى بعدك من البلاء ياأماه لورأيتى ضعفى وذلى لرحمتينى ياأماه لورأيتينى وقد نزعوا قميصى وشدونى وفى الجب ألقونى وعلى حر وجهى لطمونى وبالحجارة رجمونى ولم يرحمونى وكما تباع العبيد باعونى وكما يحمل الاسير حملونى (قال كعب الاحبار) فسمع يوسف مناديا من خلفه وهو يقول اصبر وما صبرك الا بالله قال فافتقده مالك على الناقة التى كان عليها فلم يجده فصاح فى القافلة ألا ان الغلام قد رجع الى أهله فطلب القوم يوسف فرأوه فأقبل عليه رجل منهم فقال ياغلام قد خبرنا موا اليك بأنك آبق سارق فلم نصدق حتى رأيناك تفعل ذلك فقال والله ما أبقت ولكنكم مررتم على قبر امى

فلم أتمالك أن رميت نفسي على قبرها قال فرفع مالك بن دعر يده ولطم حروجهه وجره حتى حمله على ناقته ويروى أنهم قيدوه فذهبوا به حتى قدموا مصر قال مالك مانزلت منزلا ولا ارتحلت الا استبان لى بركة يوسف وكنت أسمع تسليم الملائكة عليه صباحا ومساء وكنت أنظر الى غمامة بيضاء تظله وتسير فوق رأسه اذا سار وتقف على رأسه اذا وقف فلما قدموا مصر أمره مالك بن دعر أن يغتسل فاغتسل وألبسه ثوبا حسنا وعرضه للبيع فاشتراه قطفير بن رحيب وهو العزيز بمصر ونواحيها وكان على خزائن الملك الاعظم وكان الملك يومئذ بمصر ونواحيها الريان بن الوليد ابن ثروان بن اراشة بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ويروى ان هذا الملك مامات حتى آمن بيوسف وتبعه على دينه ثم مات ويوسف حى ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان كافرا فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى أن يسلم (قال ابن عباس) لما دخلوا مصر تلقى قطفير السيارة وابتاع يوسف من مالك بن دعر بعشرين دينارا وزوج نعال وثوبين أبيضين (وقال وهب بن منبه) قدمت السيارة الى مصر فدخلوا بيوسف الى السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس فى ثمنه وتزايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بهذا الثمن من مالك فلما اشتراه أتى به منزله وقال لامرأته اكرمى مثواه عسى أن ينفعنا او نتخذه ولدا واسمها راعيل بنت رعائيل قاله اسحق بن يسار * وأخبرنى ابن فنجويه أخبرنا ابن أبى شيبة أخبرنا أبو حامد المستملى أخبرنا أبو هاشم الرفاعى قال اسم امرأة العزيز بكا بنت فيوش قالوا فقال لها أكرمى مثواه عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولدا نتبناه وقال ابن اسحق كان قطفير لا يأتى النساء وكانت امرأته راعيل حسناء ناعمة فى ملك ودنيا (أخبرنا) أبو بكر الجوزقى أخبرنا أبو العباس الدعولى بسرحين أخبرنا على بن الحسين الهلالى أخبرنا أبو نعيم أخبرنا زهير عن ابن اسحق عن أبى عبيد عن عبد الله بن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس فى يوسف وقال لامرأته أكرمى مثواه والمرأة التى أتت موسى فقالت لابيها يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يعنى أرض مصر قال أهل الكتاب لما تم ليوسف فى الارض ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر وجعله على خزائنه فذلك قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث الآية * قالوا فلما أتى العزيز بيوسف الى منزله وقال لامرأته أكرمى مثواه فتأملته امرأة العزيز ورأت حسنه وجماله وقع حبه فى قلبها وعشقته فراودته أى طلبت منه متابعتها على هواها وذلك قوله تعالى وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك أى هلم تدعوه الى نفسها فقال يوسف عند ذلك معاذ الله انه ربى أحسن مثواى يعنى زوجك قطفير سيدى انه أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون يعنى ان فعلت هذا فخنته فى أهله بعدما أكرمنى وائتمنى فأنا ظالم له ولا يفلح الظالمون قال الله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ومعنى الهم بالشىء ماحدثت المرء به نفسه ولم يفعل ذلك بعد قال الشاعر

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

وأما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهمها به فاختلف أهل العلم فى ذلك قال السدى وابن اسحق

لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت له يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول شئ ينتثر من جسدى قالت يا يوسف ما أحسن عينيك قال هما أول ما يسيل فى الارض من جسدى قالت ما أحسن وجهك قال التراب يأكله فلم تزل تأمره مرة وتعظمه أخرى وتدعوه الى اللذة وهو شاب مستقبل يجد شبق الشباب وهى حسناء جميلة حتى لان لها مما يرى من كلفها به ولم يتخوف منها حتى خلوا فى بعض البيوت وهم بها (وروى) اسحق بن بشار عن جويبر عن الضحاك ومقاتل جميعا عن ابن عباس فيما كان من محاورتهما قال قالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول شئ يبلى اذا مت قالت يا يوسف ما أحسن وجهك قال ربى تعالى صورنى فى الرحم قالت يا يوسف قد أنحلت جسمى بصورة وجهك قال الشيطان يعينك على ذلك قالت يا يوسف الجنينة قد التهبت نارا قم فأطفئها فقال ان أطفأتها فانها احتراقى قالت يا يوسف الجنينة قد عطشت قم فاسقها قال من كان المفتاح بيده فهو أحق أن يسقيها منى قالت يا يوسف بساط الحرير قد بسط لك قم فاقض حاجتى قال اذا يذهب نصيبى من الجنة قالت يا يوسف ادخل معى تحت الستر فاسترك به قال ليس شئ يسترنى من ربى تعالى ان عصيته قالت يا يوسف ضع يدك على صدرى تشفينى بذلك قال سيدى أحق بذلك منى قالت أما سيدك فاسقيه كأسا فيه زئبق الذهب فينتثر لحمه ويتساقط عظمه ثم ألقيه فى الاستبرق فألفيه فى القيطون يعنى المخدع لا يعلم به أحد من الناس وأوليك ملكه قليله وكثيره قال فأين الجزاء يوم الجزاء قالت يا يوسف انى كثيرة الدر والياقوت والزمرد فأعطيك ذلك كله حتى تنفقه فى مرضاة سيدك الذى فى السماء فأبى يوسف قال ابن عباس فجرى الشيطان فيما بينهما فضرب باحدى يديه الى جنب يوسف وباليد الاخرى الى جنب المرأة حتى جمع بينهما قال ابن عباس فبلغ من هم يوسف الى أن حل الهميان وجلس منها مجلس الرجل الخائن (وروى) جابر عن الضحاك عن ابن عباس همت بيوسف أن يفترشها وهم بها يعنى تمناها أن تكون له زوجة * وأما البرهان الذى رآه يوسف وكان سبب العصمة وصرف الفاحشة عنه فاختلفوا فيه أخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الطبرانى أخبرنا حسين بن عطية عن اسرائيل بن أبى حصين عن أبى سعيد قال ابن عباس فى قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه قال مثل له يعقوب فضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال الحسن ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على اصبعه قال فكل بنى يعقوب ولد له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من أجل ما نقص من شهوته حين رأى صورة أبيه فاستحيا منه وقال قتادة رأى صورة يعقوب فقال له يعقوب يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب فى ديوان الانبياء (وقال السدى) نودى يا يوسف لا تواقعها انما مثلك مالم تواقعها مثل الطير فى جو السماء لا يطاق ومثلك ان واقعتها مثله اذا مات ووقع فى الارض لا يقدر أن يدفع عن نفسه ومثلك مالم تواقعها مثل الثور الصعب الذى لا يعمل عليه ومثلك ان واقعتها مثل الثور الذى يموت فيدخل النمل فى أصل قرنيه فلا يستطيع أن يدفع عن نفسه (أخبرنا) عبد بن حامد بن محمد الاصفهانى أخبرنا أحمد بن محمد بن يزيد السكونى أخبرنا محمد بن ابراهيم بن خالد بن عمر بن حفص البصرى ببغداد أخبرنا خالد بن يزيد البصرى أخبرنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس

قوله حتى لان الخ تبع فيه مثل هذا الكلام صاحب الكشاف فراجعه

في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها فقال حل سراويله وقعد منها مقعد الرجل من امرأته فاذا بكف قد بدت فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الروع والرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته قال الله تعالى لجبريل عليه السلام يا جبريل أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على اصبعه أو كفه وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الانبياء قال الله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين (أخبرنا) يعقوب بن أحمد اخبرنا محمد ابن عبد الله النعماني أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عامر الطبرستاني حدثني أبي قال حدثني علي ابن موسى الرضا حدثني أبي عن أبيه جعفر بن محمد الصادق حدثني أبي عن أبيه عن علي بن الحسين في قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه قال قامت امرأة العزيز الى الصنم فظللت دونه بثوب قال فقال لها يوسف ماهذا قالت أستحي أن يرانا فقال لها يوسف أتستحين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا أستحي أنا ممن خلق الاشياء كلها وعلمها قالوا فلما رأى يوسف البرهان قام مبادرا الى باب البيت هاربا مما أرادته فاتبعته المرأة فذلك قوله تعالى واستبقا الباب يعني تبادر يوسف وراعيل الى الباب أما يوسف ففرارا من ركوب الفاحشة وأما المرأة فطلبا ليوسف ليقضي حاجتها التي راودته عنها فأدركته فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته اليها مانعة له من الخروج فقدت أي خرقت وشقت قميصه من دبر أي من خلفه لان يوسف كان الهارب والمرأة الطالبة فلما خرجا الفيا سيدها لدى الباب أي وجدا زوجها قطفير عند الباب جالسا مع ابن عم راعيل فلما رأته هابته وقالت سابقة بالقول لزوجها ما جزاء من أراد بأهلك سوأ يعني الزنا الا أن يسجن أو عذاب أليم يعني الضرب بالسياط عن ابن عباس وهذا كالمثل السائر خذ اللص قبل أن يأخذك فقال يوسف بل هي راودتني عن نفسي فأبيت وفررت منها فأدركتني وشقت قميصي قال نوف الشامي ما كان يوسف يريد أن يذكرها فلما قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ غضب وقال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها واختلفوا في هذا الشاهد من هو قال سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا في المهد أنطقه الله تعالى يدل عليه حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة في المهد وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج الراهب وعيسى بن مريم وقال الحسن وعكرمة وقتادة ما كان صبيا ولكن كان رجلا حكيما وله رأي وكان من خاصة الملك وقال السدي هو ابن عم راعيل كان جالسا مع زوجها على الباب فحكم بما أخبر الله تعالى عنه ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ثم أقبل على

يوسف فقال يا يوسف أعرض عن هذا الحديث لا تذكره لاحد ثم قال لامرأته واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين أي من المذنبين حين راودت شابا عن نفسه وخنت زوجك فلما استعصم كذبت عليه (قالوا) فشاع أمر يوسف وراعيل وتحدث الناس بذلك وقال نسوة في المدينة وهن امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواة وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه أي عبدها الكنعاني قد شغفها حبا أي دخل حبه في شغاف قلبها وهو حجابه وغلافه انا لنراها في ضلال مبين أي خطا بين حيث تراود عبدها عن نفسه فلما سمعت راعيل بمكرهن أي بقولهن وحديثهن وقال ابن اسحق يعني بكيدهن وذلك انما قلنه مكرا بها لتريهن يوسف لما بلغهن من حسنه وجماله فاتخذت راعيل مائدة ودعت أربعين امرأة منهن هؤلاء اللواتي عيرنها فذلك قوله تعالى أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ اعتدت أي هيأت لهن مجلسا للطعام وما يتكئن عليه من النمارق والوسائد عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة يعني هيأت طعاما وقرأ مجاهد متكا خفيفا غير مهموز وهو كل طعام يحز بالسكين وقال وهب اعتدت لهن اترجا وبطيخا وموزا ورمانا وودا وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت ليوسف اخرج عليهن وكانت قد أجلسته في مجلس غير المجلس الذي هن فيه جلوس فخرج عليهن يوسف فلما رأينه أكبرنه وهالهن أمره وبهتن وقطعن أيديهن بالسكاكين اللاتي معهن وهن يحسبن انهن يقطعن الاترج وغيره (قال قتادة) أبن أيديهن حتى ألقينها فما أحسسن الا بالدم ولم يجدن من حز الايدي ألما لشغل قلوبهن بيوسف عليه السلام (وقال وهب) وبلغني ان سبعا من الاربعين امرأة متن في ذلك المجلس وجدا بيوسف عليه السلام وقلن حاش لله أي معاذ الله ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فقالت راعيل عند ذلك للنسوة فذلكن الذي لمتنني فيه أي في حبه وشغفي به ثم انها أبدت لهن الميل الذي عندها فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم أي امتنع واستعصى فقالت النسوة ليوسف أطع مولاتك فقالت راعيل ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاختار يوسف حين عاودته المرأة في المراودة وتوعدته بالسجن على المخالفة فقال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن أي أمل وأتابعهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم أي العزيز وأصحابه من بعد ما رأوا الآيات الدالة على براءة يوسف وهو قد القميص من دبر وخمش الوجه وقطع النسوة أيديهن ليسجننه حتى حين (قال السدي) وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يعتذر اليهم ويخبرهم أني راودته عن نفسه ولست أطيق أن أعتذر بعذري فاما أن تأذن لي أخرج فأعتذر واما أن تحبسه كما حبستني فحبسه بعد علمه ببراءته دفعا للتهمة عن امرأته وذلك أن الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيرا ليوسف من همه وتكفيرا لزلته (قال ابن عباس) عثر يوسف ثلاث عثرات حين هم بها فسجن وحين قال اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين وحين قال لاخوته انكم لسارقون قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل * ولما سجن يوسف دخل معه السجن فتيان وهما غلامان كانا للوليد بن الريان ملك مصر الاكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه واسمه مجلب والآخر ساقيه وصاحب شرابه واسمه يبوص غضب عليهما الملك فحبسهما وذلك انه بلغه عنهما

ان

أن خبازه يريد أن يسمه وأن ساقيه وافقه على ذلك وكان السبب فيه ان جماعة من مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله فدسوا الى هذين الغلامين وضمنوا لهما مالا ليسما الطعام للملك والشراب فأجاباهم الى ذلك ثم ان الساقى نكل عنه والخباز غش الملك وقبل الرشوة فسم الطعام فلما حضر وقته وأحضر الطعام قال الساقى أيها الملك لا تأكل فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب فشرب فلم يضره فقال للخباز كل من طعامك فأبى فجرب ذلك الطعام فى دابة من الدواب فأكلته فهلكت فأمر الملك بحبسهما وكان يوسف عليه السلام لما دخل السجن قال لاهله انى أعبر الاحلام فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم نجرب علم هذا العبد العبرانى فنتراءى له فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيأ (قال) عبد الله بن مسعود ما رأى صاحبا يوسف شيأ وانما كانا تحالما ليجربا علمه (وقال) قوم بل كانت رؤياهما على صحة وحقيقة فسألاعنها وقال مجاهد لما رأى الفتيان يوسف قالا له والله لقد أحببناك حين رأيناك فقال لهما يوسف أنشدكما الله تعالى لا تحبانى فوالله ما أحبنى أحد قط الا دخل على من حبه بلاء لقد أحبتنى عمتى فدخل على من حبها بلاء ثم أحبنى أبى فدخل على من حبه بلاء ثم أحبتنى زوجة صاحبى فدخل على من حبها بلاء فلا تحبانى بارك الله فيكما قال فأبيا الاحبه وألفاه حيث كان وجعل يعجبهما ما يريان من فهمه وعقله وقد كانا رأيا حين دخلا السجن رؤيا فأتيا يوسف فقال الساقى أيها العالم انى رأيت كأنى فى بستان فاذا أنا بأصل كرمة عليها ثلاث عناقيد من عنب فجنيتها وكان كأس الملك بيدى فعصرتها وسقيت الملك شربه فذلك قوله تعالى قال أحدهما انى أرانى أعصر خمرا يعنى عنبا بلغة عمان يدل عليه قراءة ابن مسعود أعصر خمرا أى عنبا وقال الخباز انى رأيت كأن فوق رأسى ثلاث سلال فيها خبز تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين (أخبرنا) أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عقيل أخبرنا عبيد الله بن محمد بن ابراهيم بن قالويه أخبرنا محمد بن يزيد السلمى أخبرنا أبو الربيع الزهرانى أخبرنا خلف بن خليفة اخبرنا سليم عن الضحاك بن مزاحم فى قوله تعالى انا نراك من المحسنين قال كان احسانه اذا مرض رجل فى السجن قام عليه فاذا ضاق عليه وسع له وان احتاج جمع له وسأل ربه وقال قتادة بلغنا ان احسانه كان يداوى مريضهم ويعزى حزينهم ويجتهد لربه وقال لما انتهى يوسف الى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول أبشروا واصبروا تؤجروا ان فى هذا لاجرا وثوابا فقالوا يافتى بارك الله فيك ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا فى جوارك انا لا نحب أن نكون فى غير هذا المكان منذ رأيناك لما تخبرنا به من الاجر والكفارة والطهارة فى ذلك فمن أنت يافتى قال أنا يوسف بن صفى الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم عليهم السلام فقال له عامل السجن والله يافتى لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سأحسن جوارك واحسن اسارك فكن فى أى بيت شئت قال فكره يوسف أن يعبر لهما ما سألاه لما علم فى ذلك من المكروه على أحدهما فأعرض يوسف عن سؤالهما وأخذ فى غيره قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الانبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما فقالا له هذا فعل الكهنة والسحرة فقال ما أنا بكاهن ولا ساحر ولكن ذلكما مما علمنى ربى ثم بين لهما دينه ومذهبه فقال انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله

وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب الى آخر الآية فأراهما يوسف فطنته ودرايته ثم دعاهما الى الاسلام واقبل عليهما وعلى أهل السجن وكان بين أيديهم أصنام يعبدونها من دون الله فقال الزاما للحجة يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الآية ثم فسر رؤياهما لما ألحا عليه فقال يا صاحبي السجن أما أحدكما وهو الساقي فيسقي ربه خمرا يعني الملك ويعود الى منزلته التي كان عليها وأما العناقيد الثلاثة فانها ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يخرج وأما الآخر فيصلب والسلال التي رآها في المنام ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يخرج فيصلب فتأكل الطير من رأسه (قال) ابن مسعود ثم لما سمعا قول يوسف عليه السلام قالا ما رأينا شيأ انما كنا نلعب ونجرب علمك هذا فقال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان أي فرغ الامر الذي عنه تسألان *(أخبرنا)* عبد الله بن حامد بن محمد بن الوزان أخبرنا محمد بن عبد الله الصفار أخبرنا أحمد بن مهران عن أبي رزين العقيلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت وان الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وأحسبه قال لا تقصها الا على ذي رأي وعقل وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا لاول عابر فقال يوسف عليه السلام عند ذلك للذي علم أنه ناج منهما وهو الساقي اذكرني عند ربك يعني الملك وقل له في السجن غلام محبوس ظلما فأنساه الشيطان ذكر ربه الآية والبضع ما بين الثلاثة الى العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين (وقال) وهب بن منبه أصاب أيوب البلاء سبع سنين وعذب بختنصر بالمسخ سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين (وروى) يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف لولا كلمته ما لبث في السجن ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى وقال الحسن نحن اذا نزل بنا أمر فزعنا الى الناس وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك فقيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى فقلت ما قلت فويل لاخوتي *(ويحكى)* ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو في السجن فلما رآه يوسف عرفه وقال يا أخا المنذرين مالي أراك بين الخاطئين فقال له جبريل عليه السلام يا طاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك ما استحييت مني أن استشفعت بالآدميين فوعزتي لالبثنك في السجن بضع سنين قال يوسف يا أخي يا جبريل وهو في ذلك راض عني قال نعم قال اذا لا أبالي وقال كعب الاحبار قال جبريل ليوسف ان الله تعالى يقول لك من خلقك قال الله تعالى قال فمن حببك الى أبيك قال الله تعالى قال فمن آنسك في البئر وألبسك وأنت عريان قال الله تعالى قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله تعالى قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله تعالى قال فكيف استغثت بآدمي مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمس التي كانت قبله وذلك أنه حبس خمس سنين قبل أن يستشفع بالساقي وهو قوله تعالى ليسجننه حتى حين فلما استشفع بالساقي وقال له اذكرني عند ربك بقي في السجن سبع سنين فلما انتهت محنته ودنا فرجه وراحته رأى ملك مصر الاكبر وهو الريان بن الوليد رؤيا عجيبة نهالته وذلك انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من

لا يغتر بمجرد المسطور للقصاص وان نسبوا الى من نسبوا فعقيدة ذوي البصائر أن الانبياء مبرؤن حتى من الصغائر فكيف بالغفلة عن الله ولو طرفة عين وأي بلاء يحجب قلب الولي عن مولاه فضلا عن الانبياء وانما طلب الصديق ما طلب لما علم أن القيام بشؤن الخلق في زمن القحط لا يقوم به سواه ومن يعتقد غير ذلك فحسبه الله اه

نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان فدخلت في بطونهن فلم يرَ منها شيأ
ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وأفرك وسبعا أخر يابسات قد استحصدت
فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبتها فجمع السحرة والكهنة ومعبريه وقصها عليهم
وقال يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون اى تفسرون قالوا أضغاث
أحلام مخلطة مشتبهة التأويل أباطيل وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما
اى من الفتيين وهو الساقي وادكر بعد أمة اى وتذكر حاجة يوسف بعد حين قال ابن عباس
بعد أمة أى بعد سنين أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون أى الى السجن (قال) ابن عباس رضى الله
عنه ما لم يكن السجن في المدينة فبعثوه فأتى ليوسف فقال له أيها الصديق يعنى فيما عبرت
لنا من الرؤيا والصديق هو كثير الصدق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف
الى قوله لعلهم يعلمون أى فضلك وعلمك فقال له يوسف تزرعون سبع سنين دأبا الى قوله وفيه
يعصرون فرجع الساقي الى الملك وأخبره بما أفتاه به يوسف من تأويل رؤياه كالنهار وعرف
الملك ان الذى قال كائن فقال الملك ائتوني بالذي عبر رؤياى هذه فلما جاء الرسول الى
يوسف أبى أن يخرج معه حتى يعرف عذره وبراءته ويعرف صحة أمره من قبل النسوة فقال
للرسول ارجع الى ربك أى سيدك الملك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى
بكيدهن عليم (قال ابن عباس) لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك شأنه ما زالت في نفسه
منه حاجة يقول هو هذا الذى راود امرأتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من
أخى يوسف وكرمه وصبره والله تعالى يغفر له حين سئل عن البقرات السمان والعجاف
ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط أن يخرجونى ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث
لاسرعت الاجابة وبادرت الباب ولم أبتغ العذر والله انه كان حليما ذا أناة قال فرجع
الرسول الى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة اللاتى قطعن أيديهن وامرأة
العزيز فقال لهن ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء
قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فلما سمع ذلك
يوسف قال ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين فقال له جبريل ولا حين
هممت بها يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسي الآية فلما تبين للملك عذر يوسف
وعرف امانته وكفايته وديانته وعلمه وعقله قال ائتونى به أستخلصه لنفسى فلما جاء الرسول
الى يوسف قال له أجب الملك الآن فخرج يوسف ودعا لاهل السجن بدعاء يعرف الى اليوم
وذلك أنه قال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عنهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار
الى اليوم في كل بلدة فلما خرج يوسف من السجن كتب على بابه هذا قبر الاحياء وبيت
الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم انه اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا
جددا حسانا وقصد الى الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبى ربى من دنياى حسبى
ربى من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره فلما دخل على الملك قال اللهم انى أسألك بخيرك
من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك
ما هذا اللسان قال لسان عمى اسمعيل ثم انه دعا له بالعبرانية ثانيا فقال له الملك ما هذا اللسان

قوله فقال يوسف في الجلال
ثم تواضع لله فقال وما أبرئ
وبه تعلم ما هنا اه

قال لسان أبي يعقوب قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما كلم يوسف بلسان أجابه بذلك اللسان فاعجب الملك مارأى منه وكان يوسف ابن ثلاثين سنة فلما رأى الملك حداثة سنه وغزارة علمه قال لمن عنده ان هذا اعلم بتأويل رؤياى ولم تعلمه الكهنة والسحرة ثم انه أجلسه وقال له انى أحب أن أسمع رؤياى منك شفاها فقال يوسف نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك عنهن نهر النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب أخلافهن لبنا فبينما أنت كذلك تنظر اليهن وقد أعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا قعره فخرج من حمئه ووحله سبع بقرات عجاف شعث غبر ملصقات البطون ليس لهن ضروع ولا أخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان وافترسنهن افتراس السباع وأكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومششن مخهن فبينما أنت تنظر وتتعجب كيف غلبنهن وهن مهازيل ثم لم يظهر فيهن سمن ولا زيادة بعد أكلهن اذا سبع سنبلات خضر وسبع أخر سود يابسات فى منبت واحد عروقهن فى الثرى والماء فبينما أنت تقول فى نفسك ماهذا هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن فى الماء اذهبت ريح فذرت أوراق السود اليابسات على الخضر المثمرات فأشعلت فيهن النار فأحرقتهن وصرن سودا متغيرات فهذا آخر مارأيت من الرؤيا ثم انك انتبهت مذعورا فقال له الملك والله ماشأن هذه الرؤيا وان كانت عجبا بأعجب مما سمعته منك فماترى فى رؤياى أيها الصديق فقال يوسف الصديق انى أرى أيها الملك أن تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا فى هذه السنين المخصبة وتبنى الاهرام والخزائن وتجعل الطعام فيها بقصبه وسنبله ليكون أبقى له ويكون قصبه وسنبله علفا للدواب وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك الطعام الذى جمعته لاهل مصر ومن حولها ثم تأتيك الخلق من جميع النواحى فيمتارون منك بحكمك فيجتمع عندك من الكنوز مالا يجتمع لاحد قبلك فقال له الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه ويبيعه لى ويكفينى الشغل فيه فقال له يوسف اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم أى كاتب حاسب وقيل حفيظ لما استودعتنى عليم بسنى المجاعة وبلغة من يأتينى فقال له الملك ومن أحق به منك وولاه ذلك كله وقال له انك اليوم لدينا مكين أمين *(أخبرنى)* الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى بن مخلد بن علوية اخبرنا اسمعيل ابن جعفر الباقر أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى قال أخبرنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى يوسف لولم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه أخر عنه ذلك سنة فأقام عنده الملك فى بيته سنة (وروى) سفيان عن أبى سنان عن عبد الله بن أبى الهذيل قال قال الملك ليوسف انى أريد أن تخالطنى فى كل شئ غير انى آنف أن تأكل معى فقال له يوسف انى أحق ان آنف بذلك منك لانى أنا ابن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فصار بعد ذلك يأكل معه قال ابن عباس فلما انصرفت السنة من يوم سأل الامارة دعاه الملك فتوجه بتاجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه وأمر له بسرير من الذهب مكلل بالدر والياقوت فضرب عليه قبة من استبرق وكان طول السرير ثلاثين ذراعا وعرضه عشرة أذرع

وعليه ثلاثون فراشا وستون غرفة ثم أمره أن يخرج فخرج متوجا ولونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى فيه من بياض وجهه الناظر صفاء لونه ثم انطلق حتى جلس على السرير فدانت له الملوك ولزم الملك وفوّض اليه أمر مصر وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه ثم مات قطفير عن قريب فزوّج الملك يوسف براعيل امرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدين منى فقالت له أيها الصديق لا تلمنى فانى كنت امرأة حسناء ناعمة كما رأيت فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى صورتك وهيئتك فغلبتنى نفسى فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء فأصابها فولدت له ابنين أفرايم ومنشا ابنى يوسف عليه السلام واستوثق ليوسف ملك مصر فأقام فيهم العدل فأحبه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى وكذلك نجزى المحسنين وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يعنى أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين وللبحترى فى هذا المعنى

أما فى رسول الله يوسف اسوة * لمثلك محبوسا على الظلم والافك
أقام جميل الصبر فى السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك

وكتب بعضهم الى صديق له هذه الابيات

وراء مضيق الخوف متسع الأمن * وأوّل مفروح به آخر الحزن
فلا تيأسا فالله ملك يوسفا * خزائنه بعد الخلاص من السجن

قال فلما اطمأن يوسف فى ملكه وخلت السنون المخصبة ودخلت المجدبة جاءت بهول لم تعهد الناس مثله فأصاب الناس الجوع فلما كان بدء القحط نام الملك فبينما هو نائم اذ أصابه الجوع فهتف الملك يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أوان القحط والجوع فلما دخل أوّل سنة من سنى الجدب هلك فيها كل شئ أعدوه من السنين المخصبة فجعل أهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم فى أوّل سنة بالنقود من الذهب والفضة حتى لم يبق فى مصر درهم ولا دينار الا قبضه وباعهم فى السنة الثانية بالحلى والحلل والجواهر حتى لم يبق فى أيدى الناس منها شئ وباعهم فى السنة الثالثة بالمواشى والدواب حتى احتوى عليها أجمع وباعهم فى السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق عبد ولا أمة الا أخذه وباعهم فى السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى احتوى عليها ولم يبق لاحد ملك وباعهم فى السنة السادسة بأولادهم فان الرجل كان يشترى بولده الحنطة أو الشعير من شدة السنة فلم يبق لاحد ولد ذكر ولا أنثى الا صار اليك له وباعهم فى السنة السابعة برقابهم وأرواحهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد ولا أمة الا صار ملكا له فتعجب الناس من أمر يوسف وقالوا تالله ما رأينا ملكا أجل من هذا وأعظم ثم قال يوسف للملك كيف رأيت صنع ربى فيما خولنى فما ترى فى هذا فقال له الملك الرأى رأيك وانما نحن لك تبع فقال يوسف فانى أشهد الله وأشهدك أنى قد أعتقت أهل مصر جميعا ورددت عليهم عقارهم وعبيدهم وأولادهم (وروى) أن يوسف كان لا يشبع من الطعام فى تلك الايام فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال انى أخاف ان شبعت أن أنسى الجائع (ويروى) أن يوسف أمر طباخ الملك أن يجعل غداءه نصف النهار مرة واحدة فى اليوم والليلة وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع ويحسن الى المحتاجين ففعل

الطباخ ذلك فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار وقصد الناس مصر من كل ناحية يمتارون
فجعل يوسف لا يمكن أحدا منهم وان كان عظيما من أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس
وتوسيعا عليهم فتزاحم الناس عليه قالوا وأصاب أرض كنعان وبلاد الشأم من القحط
والشدة ما أصاب سائر البلاد ونزل بيعقوب من ذلك ما نزل بالناس فأرسل بنيه الى مصر بطلب
الميرة وأمسك عنده بنيامين أخا يوسف لامه فجاء بنو يعقوب الى يوسف عليه السلام وكانوا
عشرة وكان منزلهم بالقرب من أرض فلسطين من ثغور الشأم وكانوا أهل بادية ومواش
فلما دخلوا عليه عرفهم يوسف وأنكروه ولما أراد الله تعالى أن يبلغ يوسف ما أراده قال ابن
عباس وكان بين أن قذفوه في الجب وبين أن دخلوا عليه أرض مصر أربعون سنة فلذلك
أنكروه وقيل انه كان متزيا بزى فرعون مصر فكانت عليه ثياب الحرير جالسا على سرير
وفي عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب فلذلك لم يعرفوه وقيل كان بينهم وبينه ستر
فلذلك أنكروه قال بعض الحكماء المعصية تورث النكرة ولذلك قال تعالى وجاء اخوة يوسف
فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون قالوا فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية قال لهم
اخبروني من أنتم وما أمركم فاني أنكرت شأنكم فقالوا نحن قوم من أهل الشأم رعاة أصابنا
الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادي فقالوا لا والله ما نحن
بجواسيس وانما نحن اخوة بنو أب واحد شيخ كبير صديق الله نبي من أنبياء الله تعالى يقال له
يعقوب قال فكم أنتم قالوا نحن كنا اثنى عشر فذهب منا أخ الى البرية فهلك فيها وكان أحب
الى أبينا منا قال كم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فأين الآخر قالوا عند أبينا لانه أخو الذي هلك
من أمه فأبونا يتسلى به قال فمن يعلم أن الذي تقولون حق فقالوا أيها الملك انا ببلاد لا نعرف فيها
فقال يوسف فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم ان كنتم صادقين فاني أرضى بذلك قالوا ان أبانا
يحزن على فراقه وسنراوده عنه قال فضعوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم فاقترعوا
بينهم فأصابت القرعة شمعون وكان أبرهم بيوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى ولما جهزهم
بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم الآية الى قوله وانا لفاعلون فقال يوسف عند ذلك
لفتيانه أي لغلمانه الذين يكيلون الطعام اجعلوا بضاعتهم أي ثمن طعامهم (قال ابن عباس)
كانت بضاعتهم النعال والادم (وقال قتادة) كانت ورقا في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا
الى أهلهم لعلهم يرجعون واختلف العلماء في السبب الذي فعل ذلك يوسف بهم من أجله فقال
الكلبي تخوف يوسف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به اليه مرة أخرى وقيل
خشي أن يشق أخذ ذلك منهم بأبيه اذ كانت السنة سنة جدب وقيل رأى لؤما أخذ ثمن الطعام
من أبيه واخوته مع احتياجهم اليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون تكرما وتفضلا وقيل فعل
ذلك لانه علم أن ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة ولا يستحلون امساكها فيرجعون
اليه لاجلها فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة
لو كان رجل من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا أتيتم ملك مصر فاقرؤا عليه
مني السلام وقولوا له ان أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما أوليتنا انه قال لهم أين شمعون فقالوا
ان الملك ارتهنه لنأتيه ببنيامين ثم أخبروه بالقصة فقال لهم ولم أخبرتموه بذلك فقالوا له انه أخذنا

وقال انكم جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانية ثم قصوا عليه القصة وقالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل يعنى بنيامين وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل الآية (قال كعب) لما قال يعقوب فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين قال الله وعزتى وجلالى لاردن عليك كلاهما بعدما توكلت على قالوا ولما فتحوا متاعهم الذى حملوه من مصر وجدوا بضاعتهم أى ثمن طعامهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير فقال لهم يعقوب لن أرسله معكم حتى تؤتونى موثقا من الله لتأتننى به الا أن يحاط بكم أى تهلكوا جميعا (وروى) جويبر عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله تعالى لتأتننى به الا أن يحاط بكم الى قوله حتى تؤتونى موثقا من الله ومن قبل يعنى حتى تحلفوا لى بحق محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين أن لا تغدروا بأخيكم ففعلوا ذلك فلما آتوه موثقهم قال يعقوب الله على ما نقول وكيل أى شاهد بالوفاء فلما أرادوا الخروج من عنده قال لهم لا تدخلوا مصر من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وذلك أنه خاف عليهم العين لانهم كانوا ذوى جمال وهيبة وصور حسان وقامات ممتدة وكانوا أولاد رجل واحد فأمرهم أن يتفرقوا فى دخولهم البلد لئلا يصابوا بالعين ثم قال وما أغنى عنكم من الله من شئ ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم وكان لمصر أربعة أبواب فدخلوا من أبوابها كلها ما كان يغنى عنهم من الله من شئ صدق الله يعقوب عليه السلام فيما قال الى قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف فى الكرة الثانية قالوا يا أيها العزيز هذا أخونا الذى أمرتنا أن نأتيك به قد جئناك به قال لهم أحسنتم وأصبتم وستحمدون على ذلك عندى ثم انه أنزلهم وأكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين على مائدة وحده وحيدا فبكى وقال لو كان أخى يوسف حيا لاجلسنى معه فقال لهم يوسف لقد بقى أخوكم هذا وحيدا فريدا ثم أجلسه يوسف معه على مائدته فجعل يؤاكله فلما كان الليل أمر لهم يوسف بمثل ذلك وقال لهم ليبت كل اثنين منكم على فراش واحد فلما بقى بنيامين وحده قال يوسف هذا ينام معى على فراشى فبات معه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى أصبح فجعل روبيل يقول ما رأينا مثل هذا فلما أصبح قال لهم انى لارى هذا الرجل الذى جئتم به ليس له أخ يؤنسه فان تشاؤا أضمه الى ليكون منزله معى ثم ان يوسف أنزلهم منزلا وأجرى عليهم الطعام والشراب وأنزل أخاه لامه معه فذلك قوله تعالى آوى اليه أخاه فلما خلا به قال له ما اسمك قال بنيامين قال له وما بنيامين قال المثكل وذلك أنه لما ولد فقد أمه قال وما اسم أمك قال راحيل بنت لبان بن ناحور قال فهل لك من ولد قال نعم قال كم قال عشرة بنين قال فما أسماؤهم قال لقد اشتققت أسماءهم من اسم أخ لى من أمى هلك اسمه يوسف فقال يوسف لقد اضطرك ذلك الى حزن شديد فما أسماؤهم قال بالعا وأخير وأشكل وأحيا وخير ونعمان وورد ورأس وحيثم وعيتم قال فما هذه الاسماء قال أما بالعا فانه أخى ابتلعته الارض وأما أخير فانه كان بكر أمى وأبى وأما أشكل فانه كان أخى لابى وأمى ومنى وأما خير فانه كان خيرا حيث كان وأما نعمان فانه كان ناعما بين أبويه وأما ورد فانه كان بمنزلة الورد فى الحسن

وأما رأس فانه كان منى بمنزلة الرأس من الجسد وأما حيثم فأعلمنى أبى أنه حى وأما عيثم فلو رأيت غرته لقرت عينى وتم سرورى فقال له يوسف أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك ذلك الهالك فقال بنيامين أيها الملك ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وقال انى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ولا تعلمهم بشئ من هذا ثم ان يوسف أوفى لاخوته الكيل وحمل لبنيامين بعيرا باسمه (قال كعب) لما قال له انى أنا أخوك قال بنيامين فانى لا أفارقك قال يوسف انى قد علمت باغتمام الوالد فان حبستك زاد غمه ولا يمكنى حبسك الا بعد ان اشهرك بأمر فظيع فقال لا أبالى افعل ما تريد فقال يوسف انى أدس صاعى هذا فى رحلك ثم أنادى عليكم بالسرقة ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك قال افعل فذلك قوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه وكانت مشربة يشرب بها الملك وكانت كأسا من ذهب مكلا مرصعا بالجواهر جعلها يوسف مكيالا يكال بها ثم انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى ظعنوا ثم ان يوسف أمر بهم فأدركوا وحبسوا عن المسير ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون فوقفوا فلما قرب منهم الرسول قال لهم ألم نحسن منزلتكم ونكرم ضيافتكم ونوف كيلكم وفعلنا لكم مالم نفعل لغيركم قالوا بلى وما ذاك قال سقاية الملك فقدناها ولم نتهم عليها غيركم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين وانا منذ قطعنا هذه الطريق لم نرد أحدا بسوء واسألوا عنا من مررنا به هل أضررنا أحدا أو أفسدنا شيأ وانا قد رددنا الدراهم لما وجدناها فى رحالنا فلو كنا سارقين ما رددناها وفى الحديث انهم لما دخلوا مصر كموا أفواه دوابهم لئلا تتناول من حروث الناس شيأ فقال الرسول انه صاع الملك الاكبر الذى يتكهن فيه وانه ائتمننى عليه فان لم أجده تخوفت أن تسقط منزلتى عنده وأفتضح فى مصر فمن رده على فله حمل بعير من طعام وأنا به زعيم أى كفيل قالوا معاذ الله أن نسرق فقال المؤذن وأصحابه فما جزاؤه أى جزاء من وجد فى رحله ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين فقال الرسول عند ذلك لابد من تفتيش امتعتكم واستمر يبارحين حتى افتشها ثم انه انصرف بهم الى يوسف فبدأ باوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه لازالة التهمة وكان يفتش أمتعتهم واحدا واحدا (قال قتادة) ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر فى وعاء أحد الا استغفر الله تعالى مما قذفهم به حتى لم يبق الا الغلام فقال ما أظن ان هذا الغلام أخذ شيأ فقالت اخوته والله ما نتركك حتى تنظر فى رحله فانه أطيب لنفسك ولانفسنا فلما فتحوا متاعه استخرجوا الصاع منه فلما أخرج الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم من الحياء ثم أقبلوا على بنيامين فقالوا ايش الذى صنعت بنا وفضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل لا يزال لنا منكم بلاء أخذت هذا الصاع فقال لهم بنيامين بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخى الى البرية فأهلكتموه ان الذى وضع الصاع فى رحلى هو الذى وضع الدراهم فى رحالكم ثم انهم قالوا ليوسف ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل وهذا هو المثل السائر عذره شر من جرمه واختلف العلماء فى السرقة التى وصفوا بها يوسف (قال سعيد بن جبير وقتادة) السرقة التى وصفوا بها يوسف انه سرق صنما لجده أبى أمه من ذهب فكسره وألقاه فى الطريق (وقال ابن جريج) أمرته أمه وكانت

مسلمة ان يسرق صنما لخاله من ذهب فأخذه وكسره (وقال مجاهد) جاء سائل يوما فسرق يوسف بيضة من البيت وأعطاها السائل (وقال ابن عيينة) دجاجة فناولها السائل فعيروه بها (وقال وهب) كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء (وقال) الضحاك وغيره كان أول ما دخل على يوسف من البلاء ان عمته بنت اسحق كانت أكبر ولد اسحق وكانت منطقة اسحق عندها وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت راحيل أم يوسف ماتت فحضنته عمته وأحبته حبا شديدا وكانت لا تصبر عنه فلما ترعرع وبلغ سنوات وقع حبه فى قلب يعقوب فأتاها وقال لها يا أختاه سلمى الى يوسف فوالله ما أصبر عنه ساعة واحدة فقالت له ما أنا بتاركته فلما ألح عليها يعقوب قالت دعه عندى أياما أنظر اليه لعل ذلك يسلينى عنه ففعل ذلك فلما خرج يعقوب من عندها عمدت الى منطقة اسحق فحزمت يوسف بها تحت ثيابه ثم انها قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فالتمست فلم توجد فلما فتشوا أهل البيت وجدوها مع يوسف فقالت والله انه لسلم لى اصنع فيه ما شئت وكان ذلك حكم آل ابراهيم فى السارق فأتاها يعقوب فأخبرته بذلك فقال ان كان هذا فهو مسلم لك لا أستطيع غير ذلك فأمسكته بعلة المنطقة فما قدر عليها يعقوب يأخذه منها حتى ماتت فهو الذى قال اخوته ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون (قال الرواة) لما دخلوا على يوسف واستخرجوا الصواع من رحل بنيامين دعا يوسف بالصاع فنقره ثم أدناه من أذنه ثم قال ان صاعى هذا يخبرنى انكم كنتم اثنى عشر رجلا وانكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه فلما سمع بنيامين قام فسجد ليوسف وقال أيها الملك سل صواعك هذا عن أخى أحى هو فنقره ثم قال له حى وسوف تراه فقال بنيامين اصنع بى ما شئت فانه ان علم بى سوف يستنقذنى قال فدخل يوسف الى منزله ثم انه بكى وتوضأ فقال بنيامين أيها الملك انى أريد أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق من الذى سرقه فجعله فى رحلى فنقره ثم انه قال ان صواعى غضبان وهو يقول كيف تسألنى عن صاحبى الذى سرقنى وقد رأيت مع من كنت قال وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا فغضب روبيل وقال أيها الملك والله لئن لم تتركنا وتترك أخانا لاصيحن صيحة لا يبقى فى مصر امرأة حامل الا ألقت ما فى بطنها وقامت كل شعرة فى جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا غضبوا ومس أحدهم الآخر ذهب غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنب روبيل ومسه فقام الغلام الى جنبه فمسه فسكن غضبه فقال روبيل ان فى هذا البيت لشئ من ولد يعقوب فقال يوسف من يعقوب فغضب روبيل وقال أيها الملك لا تذكر يعقوب فانه اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله قال يوسف أنت اذا ان كنت صادقا صادق فلما أراد يوسف أن يحتبس أخاه عنده ويصير بحكمه وانه أولى به منهم واحتبسه ورأوا أن لا سبيل لهم الى تخليصه منه سألوه أن يخليه لهم ويعطونه واحدا منهم بدله فقالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا كلفا بحبه فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال يوسف معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق تحرزا عن الكذب انا اذا لظالمون ان أخذنا بريئا بسقيم فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا أى خلا بعضهم ببعض متناجين متشاورين فقال كبيرهم يعنى فى العقل وهو شمعون عن مجاهد (وقال قتادة والسدى) كبيرهم فى السن وهو روبيل ألم تعلموا

أنّ أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله فى هذا الغلام لتردونه ومن قبل ما فرطتم فى يوسف أى من قبل هذا قصرتم فى شأن فى يوسف فلن أبرح الارض يعنى أرض مصر حتى يأذن لى أبى فارجع الى الملك فأنا جزه القتال أو يحكم الله لى وهو خير الحاكين ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا انّ ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا أى نحن رأينا امرقته معه وما كنا للغيب حافظين حتى سألناك أن ترسله معنا ولو علمنا الغيب انه يسرق ما ذهبنا به معنا واسئل القرية يعنى واسئل أهل القرية والعير التى أقبلنا فيها يعنى قوما صحبوهم من أهل كنعان وانا الصادقون لك فى قولنا فرجعوا الى يعقوب بذلك القول فقال يعقوب بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل الذى لا جزع فيه عسى الله أن يأتينى بهم جميعا يعنى يوسف وبنيامين انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم يعقوب وقال يا أسفا على يوسف وذلك أنه لما بلغه خبر بنيامين تكامل حزنه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فأعرض عنهم وقال يا أسفا على يوسف والاسف أشد الحزن (وروى) سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعط أمة من الامم عند المصيبة انا لله وانا اليه راجعون الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى الى يعقوب حين أصابه على ابنه ما أصابه من الحزن لم يسترجع انما قال يا أسفا على يوسف (وقال الحسن) كان بين خروج يوسف من عند أبيه الى يوم الالتقاء معه ثمانون سنة لم تجف عيناه من الدموع وما كان على وجه الارض أكرم على الله تعالى من يعقوب فلما اشتكى وبكى قال له ولده تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أى مريضا ذاهب العقل من الهم أو تكون من الهالكين فقال يعقوب لما رأى غلظتهم وجفوتهم انما أشكو بثى وحزنى الى الله لا اليكم وفى الحديث انّ يعقوب كبر وضعف حتى سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما بخرقة فقال له بعض جيرانه قد انهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك فما بلغ بك ما أرى فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فأوحى الله تعالى الى يعقوب أتشكونى الى خلقى فقال يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها لى قال قد غفرت لك فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله (أخبرنى) الحسين بن فنجويه أخبرنا أحمد بن الحسن بن حامد أخبرنا الحسين بن أيوب أخبرنا عبد الله بن أبى زياد أخبرنا سيار بن حاتم عن عبد الله بن السمط قال سمعت أبى يقول بلغنا أنّ رجلا قال ليعقوب ما الذى أذهب بصرك قال حزنى على يوسف قال فما الذى قوس ظهرك قال حزنى على أخيه فأوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أتشكونى وعزتى وجلالى لا أكشف ما بك حتى تدعونى فقال عند ذلك انما أشكو بثى وحزنى الى الله فأوحى الله تعالى اليه وعزتى وجلالى لو كانا ميتين لاخرجتهما لك حتى تنظر اليهما وانما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين يستطعم فلم تطعموه منها شيأ وانّ احب الناس الىّ من خلقى الاغنياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب (وقال وهب بن منبه) أوحى الله تعالى الى يعقوب أتدرى لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا الهى قال لانك شويت عناقا وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه ويقال انّ سبب ابتلاء يعقوب بفقد يوسف انه كان له بقرة ولدلها عجل فذبح عجلها بين يديها وكانت تخور فلم يرحمها يعقوب فأخذه الله بذلك فابتلاه بفقد أعز ولده اليه ثم انّ يعقوب قال لبنيه يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه

ولا

ولا تيأسوا من روح الله الآية (قال السدى) لما أخبره ولده بخبر العزيز وقوله وفعله أحست نفس يعقوب وطمع وقال لعله يوسف وروى أنه كان رأى ملك الموت فى المنام فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا وانه والله حى يرزق وروى أنه رأى ملك الموت وقد زاره فقال له السلام عليك أيها الكظيم فاقشعر جلده وارتعدت فرائصه ورد عليه السلام ثم قال له من أنت وما أدخلك هذا البيت وقد أغلقت على نفسى بابى كيلا يدخل على أحد وأشكو بثى وحزنى الى الله فقال له يا نبى الله أنا الذى أيتم الاولاد وأرمل الازواج وأفرق بين الجماعات قال فأنت اذا ملك الموت قال نعم فقال له يا ملك الموت أنشدك الله الا أخبرتنى هل تقبض روح من تأكله السباع قال نعم قال فاخبرنى عن الارواح أتقبضها مجموعة أو متفرقة روحا روحا قال أقبضها روحا روحا قال فهل مرت بك روح يوسف فى الارواح قال لا قال بحقتنى زائرا أم داعيا فقال يا نبى الله ما جئتك الا مسلما فان الله تعالى لا يميتك حتى يجمع بينك وبين يوسف ولو كان فى الصخرة التى عليها قرار الارضين وما أذن الله لى فى زيارتك الا لابشرك وأحبيك عما قليل أنى عنه وان شئت أعلمتك لماذا ابتليت بفقد ولدك قال له فاعلمنى يا عزرائيل فقال يا اسرائيل الله هل تذكر الجارية التى اشتريتها عام كذا فى شهر كذا ثم فرقت بينها وبين أبويها قال نعم يا ملك الموت كأنه كان بالامس فقال له ملك الموت فلاجل ذلك ابتليت بفقد الولد وهل تعلم لماذا ابتليت بفقد البصر قال لا قال أمرت يوما بذبح جذعة فذبحتها وشويتها فى يوم كذا فى شهر كذا فترنم العابد العبد الصالح بك وهو صائم ما أفطر منذ أسبوع فاشتم قتار الشوى فلم تطعمه شيأ فمنذ ذلك أعتق يعقوب من كان بحضرته من العبيد والاماء وأمر أن يذبح كل يوم من أغنامه كبشان ويفرق لحمهما على الفقراء والمساكين فتقبل الله ذلك عنه وشكره عليه وآتاه الفرج فعند ذلك قال يعقوب يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه الى قوله تعالى الا القوم الكافرون (قال قتادة) ذكر لنا أن نبى الله يعقوب عليه السلام ما ساء ظنه بالله تعالى فى طول بلائه ساعة قط من ليل أو نهار فعند ذلك خرج اخوة يوسف راجعين الى مصر وهذه كرة ثالثة فدخلوا على يوسف فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز أى الملك بلغة مصر مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة أى قليلة رديئة لا تنفق فى ثمن الطعام الا بتجاوز من البائع فيها واختلف المفسرون فى هذه البضاعة ما هى فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا لا تنفق الا بوضيعة وقال ابن أبى مليكة رضى الله عنه كانت خلقة الغرائر والحبال رثة المتاع وقال عبد الله بن الحرث والحسن كانت أمتعة الاعراب الصوف والسمن والاقط وقال الضحاك كانت النعال والادم والسويق المقلى فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين قال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك ان تصدقت علينا لانهم لم يعلموا أنه مؤمن وقال عبد الجبار بن العلاء سئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على أحد من الانبياء سوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال سفيان ألم تسمع قول الله تعالى وتصدق علينا أراهم سفيان ان الصدقة كانت لهم حلالا وانما حرمت على نبينا عليه الصلاة والسلام فقال لهم يوسف مجيبا لهم عند ذلك هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون واختلف العلماء فى السبب الذى حمل يوسف على هذا القول الذى كان بدء فرج يعقوب وراحته وآخر

بلائه ومحنته فقال محمد بن اسحق ذكر لنا انهم لما كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه وأدركته الرقة فارفض دمعه باكيا ثم باح لهم بالذي كان يكتم فقال هل علمتم مافعلتم الآية وقال الكلبي انما قال ذلك حين حكى لاخوته ان مالك بن دعر قال انى وجدت غلاما فى بئر من حاله كيت وكيت فابتعته من قوم بكذا وكذا درهما فقالوا له أيها الملك نحن بعنا هذا الغلام فاغتاظ يوسف من ذلك وأمر بقتلهم فذهبوا بهم ليقتلوهم فولى يهوذا وهو يقول كان يعقوب يبكى ويحزن لفقد واحد مناحتى كف بصره فكيف اذا أتاه خبر قتل بنيه كلهم ثم انهم قالوا له ان أنت فعلت بنا ذلك فابعث بأمتعتنا الى أبينا فانه بمكان كذا وكذا فذلك الوقت رحمهم وبكى وقال لهم ذلك القول وقال بعضهم انما قال ذلك حين قرأ كتاب أبيه اليه وذلك أن يعقوب لما قيل له ان ابنك سرق كتب الى يوسف كتابا من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر المظهر العدل والموفى الكيل أما بعد فانا أهل بيت وكل بنا البلاء (فأما) جدى فابتلى بالنمروذ فشدت يداه ورجلاه وألقى فى النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما (وأما) ابى فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله بذبح عظيم (وأما) أنا فكان لى ابن وكان احب أولادي الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن آخر وكان أخاه من امه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك نفسه من البكاء وعيل صبره فأظهر لهم أمره وقال بعضهم انما قال ذلك حين سأل أخاه بنيامين هل لك ولد قال نعم ثلاثة بنين قال فما سميتهم قال سميت الاكبر منهم يوسف قال ولم قال محبة لك ولذكرك قال فما سميت الثانى قال ذئبا قال ولم والذئب سبع عاقر قال لاذكرك به قال فما سميت الثالث قال دما قال ولم قال لاذكرك به فلما سمع يوسف هذه المقالة خنقته العبرة ولم يتمالك أن قال لاخوته هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون قالوا أئنك لانت يوسف قال ابن اسحق لما قال يوسف لاخوته هل علمتم مافعلتم بيوسف واخيه كشف عنه الغطاء ورفع عنه الحجاب فعرفوه فقالوا أئنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى (وروى) جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال لهم يوسف هل علمتم مافعلتم الآية ثم تبسم وكان اذا تبسم كأن ثناياه اللؤلؤ المنظوم فلما أبصروا ثناياه شبهوه بيوسف فقالوا له مستفهمين أئنك لانت يوسف (وروى) عطاء عن ابن عباس أنه قال ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له فى فرقه علامة وكان ليعقوب مثلها وكان لاسحق مثلها وكان لسارة مثلها اشبه الشامة فلما رفع التاج عن رأسه ورأوا الشامة عرفوه وقالوا له أئنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا بأن جمعنا بعد ما فرقتم بيننا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ثم انهم أقروا بفضل يوسف عليهم وجرمهم اليه فقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فقال يوسف وكان حليما كريما فقال لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (قال السدى وغيره) فلما عرفهم يوسف بنفسه سألهم عن أبيه فقال ما فعل أبى من بعدى قالوا ذهبت عيناه فأعطاهم قميصه (قال الضحاك) كان ذلك القميص من نسج الجنة

وكان

وكان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا على سقيم الا صح وعوفي فأعطاهم يوسف ذلك القميص وهو الذي كان لابراهيم وقد مضت قصته فقال لهم اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين فلما فصلت العير من مصر متوجهين الى كنعان قال أبوهم يعقوب اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون أي تسفهون (ويروى) أن ريح الصبا استأذنت ربها أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص فأذن لها فأتته بها (قال ابن عباس) وجد يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثمان ليال (وقال مجاهد) وذلك أنه هبت ريح فصفقت القميص فاحتملت الصبا ريح القميص الى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم أنه ليس في الارض من رياح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون فقال له بنو بنيه تالله انك لفي ضلالك القديم فلما أن جاء البشير وهو يهوذا ابن يعقوب (قال ابن مسعود) جاءه البشير من بين يدي العير (وقال السدي) قال يهوذا ليوسف انا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب فأعطني اليوم قميصك لأخبره أنك حي فأفرحه كما أحزنته (قال ابن عباس) حمله يهوذا وخرج ماشيا حاسرا حافيا وجعل يعدو حتى أتى أباه وكان معه سبعة أرغفة فلم يستوف أكلها حتى بلغ كنعان وكانت المسافة ثمانين فرسخا فلما أتاه بالقميص ألقاه على وجهه فارتد بصيرا (قال الضحاك) رجع اليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن * عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كان يعقوب عليه السلام أكرم أهل الارض على ملك الموت وان ملك الموت استأذن ربه في أن يأتي يعقوب فأذن له فجاءه فقال له يعقوب يا ملك الموت أسألك بالذي خلقك هل قبضت نفس يوسف فيمن قبضت من النفوس فقال لا ثم قال له ملك الموت يا يعقوب الا أعلمك كلمات قال بلى قال قل يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا ولا يحصيه أحد غيرك قال فدعا بها يعقوب في تلك الليلة فلم يطلع الفجر حتى طرح القميص على وجهه فارتد بصيرا فقال لهم عند ذلك ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربي الآية (قال أكثر المفسرين) أخر ذلك الى السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وذلك ان الدعاء في الاسحار لا يحجب عن الله تعالى فلما انتهى يعقوب الى الوعد قام الى الصلاة بالسحر فلما فرغ منها رفع يديه الى الله عز وجل وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما جنوا على أخيهم يوسف فأوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم أجمعين (وقال وهب) كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة (أخبرنا) الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شيبة أخبرنا احمد بن السفر بن ثوبان البصري أخبرنا اسحق بن زياد الارملي أخبرنا الفضل بن حميد البغدادي أخبرنا اسحق بن زياد وابن ضمرة عن رجاء بن أبي سلمة عن عطاء الخراساني قال طلب الحوائج الى الشباب أيسر منها الى الشيوخ الا ترى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف أستغفر لكم ربي (ويروى) أن يعقوب قال للبشير لما أخبره بحياة يوسف كيف يوسف قال له انه ملك مصر فقال يعقوب ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام فقال يعقوب الآن تمت النعمة (وقال الثوري) لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام عانق كل واحد منهما صاحبه

وبكيا فقال يوسف يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا قال بلى يابني ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك يوم القيامة قالوا وكان يوسف قد بعث مع البشير جهازا ومائتي راحلة وسأله أن يأتيه بأهله وولده أجمعين فتهيأ يعقوب للخروج الى مصر فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر الذي فوقه فخرج مع يوسف في أربعة آلاف من الجند وركب اهل مصر معهما يتلقون يعقوب وكان يعقوب يمشي متوكئا على يهوذا فنظر يعقوب الى الجند والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر الاكبر فقال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدؤه بالسلام فمنعه الله من ذلك وكان يعقوب أفضل وأحق بذلك منه فابتدأه يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يامذهب الاحزان فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه ورفعهما على العرش وأبواه يعقوب وخالته ليا فسمى الخالة أما كما سمى العم أبا في قوله تعالى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق وقال الحسن نشر الله راحيل أم يوسف من قبرها حتى سجدت له تحقيقا للرؤيا فذلك قوله تعالى وخروا له سجدا وكانت تحية الناس يومئذ السجود ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الارض فلما رأى يوسف ابويه واخوته قد خروا له سجدا اقشعر عند ذلك جلده وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا الآية (قال وهب) دخل يعقوب وولده مصر وهم اثنان وسبعون انسانا ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة الف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى والزمنى وكانت الذرية ألف الف سوى المقاتلة * وقال الفضيل بن عياض بلغنا أن يعقوب عليه السلام لما دخل مصر ورأى يوسف وملكته فكان يطوف يوما من الايام في خزائنه فرأى خزانة مملوءة قراطيس بيضا فقال له يابني لقد تغيرت بعدي تلك كل هذه القراطيس وما جاءت بطاقة منها تكتب الي كتابا فقال يوسف هذه القراطيس كلها لك كنت كلما زاد شوقي وكثر حنيني آخذ ورقة حتى اكتب اليك يا أبت فيمنعني جبريل أن اكتب اليك فاتركها في هذه الخزانة حتى بلغ هذا المبلغ فسأل يعقوب جبريل عن ذلك فقال منعني ربي فسأل الله عن ذلك فأوحى الله اليه لانك قلت أخاف أن يأكله الذئب فهلا خفتني هذه العقوبة لاجل تخوفك من غيري (وروى) صالح المري عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال ان الله تعالى لما جمع ليعقوب شمله خلى ولده نجيا فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ما فعلتم بالشيخ يعقوب ويوسف قالوا بلى قالوا فان عفوا عنكم فكيف لكم بربكم فاستقام امرهم على أن يأتوا الشيخ فأتوه وجلسوا بين يديه ويوسف الى جنب أبيه قاعد فقالوا يا أبانا أتيناك على أمر لم نأتك بمثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط والانبياء أرحم البرية فقال ما بكم يابني فقالوا ألست تعلم ما كان منا اليك والى اخينا يوسف قال بلى قد علمت قالوا أفلستما قد عفوتما عنا قالا بلى قالوا فلن عفوكما لا يغني عنا شيأ اذا كان الله تعالى لم يعف عنا قال فما تريدون يابني قالوا نريد أن تدعو الله لنا فاذا جاءك الوحي من عند الله بأنه هل عفا الله عنا فان أجابك بأنه قد عفا عنا جميعنا قرت أعيننا واطمأنت قلوبنا والا فلا قرت لنا عين في الدنيا أبدا فقام الشيخ واستقبل القبلة وقام يوسف خلفه وقاموا كلهم خلفهما أذلة خاشعين فدعا يعقوب وأمن يوسف عليهما السلام فلم يجب فيهم قريبا من عشرين سنة (قال صالح المري) ثم نزل جبريل عليه السلام على يعقوب فقال ان الله

تعالى

تعالى يعني الملك أبشرك بأنه قد أجاب دعوتك في ولدك وانه قد عفا وعما صنعوا وانهم قد انعقدت مواثيقهم بعدك على النبوة قالوا فأقام يعقوب بمصر بعد موافاته بأهله وولده أربعة وعشرين سنة بأغبط حال وأهنا عيش وأتم راحة وأدوم سلامة ثم حضرته الوفاة فلما احتضر جمع بين بنيه وقال ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ثم قال يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم انه أوصى الى يوسف أن يحمل جسده الى الارض المقدسة حتى يدفنه عند أبيه اسحق وجده ابراهيم ففعل ذلك ونقله الى بيت المقدس في تابوت من ساج وخرج معه يوسف في عسكره واخوته وعظماء أهل مصر ووافق ذلك يوم وفاة عيص فدفنا في يوم واحد وكان عمرهما جميعا مائة سنة وسبعا واربعين سنة لانهما ولدا في بطن واحد وقبرا في قبر واحد (قال) فلما جمع الله ليوسف شمله واقر له عينه وأتم له تفسير رؤياه وكان موسعا عليه في ملك الدنيا ونعيمها وعلم أن ذلك لا يدوم له وانه لا بد من فراقه فأراد نعيم الجنة اذ هو أفضل منه فتاقت نفسه الى الجنة فتمنى الموت ودعا به ولم يتمن نبي قبله ولا بعده الموت فقال رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث الآية (ويروى) أن يوسف لما حضرته الوفاة جمع اليه قومه من بني اسرائيل وهم ثمانون رجلا واعلمهم بحضور أجله ونزول أمر الله تعالى به فقالوا يا نبي الله نحب ان تعرفنا كيف تتصرف الاحوال بنا بعد خروجك من بين أظهرنا والى ما يؤل اليه امرنا ودينا وملتنا فقال لهم ان امركم يستقيم على ما انتم عليه وتستقيمون على دينكم الى ان يبعث رجل جبار عات من القبط يدعي الربوبية فيقهركم ويذبح ابناءكم ويستحيي نساءكم ويسومكم سوء العذاب فتمتد أيامه مدة مديدة ثم يخرج من بني اسرائيل من ولد لاوي بن يعقوب رجل اسمه موسى بن عمران رجل طوال جعد الشعر آدم اللون فينجيكم الله من ايدي القبط على يده قال فجعل كل من بني اسرائيل يسمي ابنه عمران ويسمي عمران ابنه موسى قال وكان ليوسف ديك وكان عمره خمسمائة سنة فقال لهم يوسف انه يستقيم أمركم ما دام يصرخ فيكم هذا الديك فاذا ولد هذا الجبار يسكن فلا يصرخ مدة ولايته حتى اذا انقضت مدة ولايته وأذن الله تعالى بولد هذا النبي فيصرخ هذا الديك ويعود الى صراخه ويكون ذلك علامة انقضاء ملك الجبار وظهور نبي الله في الارض فما زالوا يراعون الحال الى أن سكن صراخ الديك فوجموا له واكتأبوا وأيقنوا بوهي أركان دينهم واظلال ما آذنهم به يوسف من مولد الجبار واعتزلوا الذلك واجين الى أن صرخ ذلك الديك فاستبشروا وتصدقوا وفرحوا واستيقنوا بالفرج والراحة ثم مات يوسف عليه السلام وكان قد أوصى الى أخيه يهوذا واستخلفه على بني اسرائيل فتوفاه الله طيبا طاهرا ودفن في النيل في صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب أن يدفن في محلتهم لما يرجون من بركته حتى هموا بالقتال فرأوا أن يدفن في النيل حيث تتفرق المياه بمصر فيمر الماء عليه ثم يصل الى جميع مصر فيكونون كلهم فيه شرعا واحدا ففعلوا ذلك وكان قبره في النيل الى أن حمله موسى عليه السلام معه حين خرج من مصر ببني اسرائيل فنقله الى الشام ودفنه بأرض كنعان خارج الحصن حيث هو اليوم فلذلك تنقل اليهود موتاهم الى الشام من فعل ذلك فيهم (وروى) يونس بن عمران عن أبي موسى قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعرابي فاكرمه فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم أكرمتنا فأحسنت سل حاجتك فقال ناقة نرحلها وعنزتحلبها أهلي فقال صلى الله عليه وسلم أعجز هذا أن يكون مثل عجوز بني اسرائيل فقالوا يارسول الله وما عجوز بني اسرائيل فقال ان بني اسرائيل لما خرجوا ضلوا الطريق وأظلم عليهم الليل فقالوا ما هذا فقال علماؤهم ان يوسف لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال موسى فمن يعلم موضع قبره قالوا عجوز لبني اسرائيل فبعث اليها موسى فأتته فقال دليني على قبر يوسف فقالت له وتعطيني حكمي قال وما حكمك قالت أن أكون معك في الجنة فكره أن يعطيها حكمها فأوحى الله اليه أن أعطها حكمها ففعل (ويروى) من طريق آخر ان هذه العجوز كانت مقعدة عمياء فقالت لموسى الا اخبرك بموضع قبر يوسف قال نعم فقالت له لا اخبرك حتى تعطيني اربع خصال تطلق رجلي وتعيد الى بصري وشبابي وتجعلني معك في الجنة قال فكبر ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه ان اعطها ماسألت فانك انما تعطي علي ففعل فانطلقت بهم الى موضع عين في مستنقع ماء فاستخرجوه من شاطئ النيل في صندوق من مرمر فلما حملوا تابوته طلع القمر وأضاء الطريق مثل النهار فاهتدوا به وحملوه (قال أهل التاريخ) عاش يوسف بعد موت يعقوب عليه السلام ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة صلوات الله عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

(مجلس في قصة موسى بن منشا بن يوسف عليه السلام)

وهو موسى الاول وقد ذكرنا فيما مضى أن يوسف عليه السلام ولد له ابنان أحدهما يقال له افرايم والآخر منشا وابنة يقال لها رحمة وهي امرأة النبي أيوب عليه السلام فولد لافرايم نون وولد لنون يوشع وهو فتى موسى بن عمران وخليفته على بني اسرائيل وأما منشا فولد له موسى فنبأه الله تعالى فزعم أهل التوراة أنه صاحب الخضر والعامة من العلماء أن صاحب الخضر موسى بن عمران وكذلك روى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أهل العلم بالتاريخ لما مات يعقوب ويوسف عليهما السلام وآل الامر الى الاسباط كثروا وغوا وظهر فيهم ملوك فغيروا سيرتهم وأفسدوا في الارض وفشا فيهم السحر والكهانة فبعث الله تعالى اليهم موسى بن منشا رسولا يدعوهم الى عبادة الله وأداء أمره واقامة سننه وذلك قبل مولد موسى بن عمران بمائتي سنة فأطاعه قوم منهم وعصاه آخرون (وقال وهب بن منبه وغيره) كان مما أوحى الله اليه أن قل لقومك اني بريء ممن سحر أو سحر له أو تكهن أو تكهن له أو تطير أو تطير له من آمن بي صادقا وتوكل علي فاني كنت له كافيا ومثيبا وكفيته همّ دينه ودنياه وكنت له خير معين وهاد وكنت عند ظنه بي ومن عدل عني ووثق بغيري فأنا أغنى الشركاء عن الشرك أكله الى من وثق به دوني ومن وكلته الى غيري فليستعد للفتنة والعذاب ومن تباعد عني كنت عنه أشد تباعدا ومن تقرب الي كنت اليه أشد تقربا منه الي وقل لعبادي لا تغفلوا عن ذكري وليكثروا ذكر الموت عند كل شهوة فانه يميت الشهوات واللذات كلها قالوا فلبث فيهم ما شاء الله أن يلبث يقيم امرهم ويصلح أحوالهم ثم مات صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين والله تعالى أعلم

(مجلس في ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة ارم ذات العماد)

قال

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الآية (روى) سفيان عن منصور عن أبي
وائل قال ان رجلا يقال له عبد الله بن قلابة خرج في طلب ابل له قد ضلت أي شردت فبينما هو
في بعض صحارى عدن في تلك الفلوات اذ وقع على مدينة عليها حصن حول ذلك الحصن قصور
عظيمة وأعلام طوال فلما دنا منها ظن أن فيها من يسأله عن ابله فلم ير فيها أحدا لا داخلا ولا خارجا
فنزل عن ناقته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فاذا هو ببابين عظيمين لم ير في الدنيا
أعظم منهما ولا أطول واذا خشبهما من أطيب عود وعليهما نجوم من ياقوت أصفر وياقوت
أحمر ضوؤها قد ملأ المكان فلما رأى ذلك أعجبه ففتح أحد البابين فاذا هو بمدينة لم ير الراؤن
مثلها قط واذا هو بقصور معلقة تحتها أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف مبنية
بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد على كل باب من أبواب تلك القصور مصراع مثل
مصراع باب تلك المدينة من عود رطب قد نضدت عليه اليواقيت وقد فرشت تلك القصور
باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما رأى ذلك ولم ير هنالك أحدا أخذه الفزع ثم انه نظر الى
الازقة فاذا في كل زقاق منها أشجار قد أثمرت وتحتها أنهار تجري في قنوات من فضة أشد بياضا
من الثلج فقال هذه الجنة التي وصفها الله لعباده في الدنيا والحمد لله الذي أدخلني الجنة ثم انه حمل
من لؤلؤها وبنادق المسك والزعفران ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها شيأ ولا من يواقيتها لانها
كانت مثبتة في ابوابها وجدرانها وكان اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران منثورة بمنزلة الرمل في
تلك القصور والغرف فأخذ منها ما أراد وخرج حتى أتى ناقته فركبها ثم انه سار يقفو اثر ناقته
حتى رجع الى اليمن فأظهر ما كان معه وأعلم الناس بأمره وباع بعض ذلك اللؤلؤ وكان قد اصفر
وتغير لونه من طول الزمان الذي مر عليه ففشا خبره حتى بلغ معاوية بن أبي سفيان فأرسل رسولا
الى صاحب صنعاء وكتب اليه باشخاصه فأشخص حتى قدم على معاوية فخلا به ثم سأله عما عاين
فقص عليه أمر المدينة وما رأى فيها فاستعظم ذلك معاوية وأنكر ما حدثه به وقال له ما أظن
ما تقوله حقا فقال له يا امير المؤمنين ان معي من متاعها الذي هو مفروش في قصورها وغرفها
فقال له وما هو قال اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فقال له أرني اياه فعرض عليه مما حمله من تلك
المدينة من اللؤلؤ وبنادق المسك فشم البنادق فلم يجد لها ريحا فأمر ببندقة منها فدقت فسطع
ريحها مسكا وزعفرانا فصدقه عند ذلك ثم قال معاوية كيف أصنع حتى أعرف اسم هذه المدينة
ولمن هي ومن بناها والله ما أعطى أحد مثل ما أعطى سليمان بن داود عليه السلام وما أظن
أنه كان له مثل هذه المدينة فقال له بعض جلسائه ما كان لسليمان مدينة مثل هذه وما يوجد
خبر هذه المدينة في زماننا هذا الا عند كعب الاحبار فان رأى امير المؤمنين أن يبعث اليه ويأمر
باشخاصه ويغيب عنه هذا الرجل في موضع هذا بحيث يسمع كلامه وحديثه ووصفه للمدينة
حتى يتبين امر هذه المدينة على مثل هذه الصفة فان كعبا سيخبر أمير المؤمنين بخبرها وأمر هذا
الرجل ان كان دخلها الآن مثل هذه المدينة على مثل هذه الصفة لا يستطيع هذا الرجل دخولها
الا أن يكون قد سبق له في الكتاب دخولها فيعرف ذلك فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما
حضر قال له يا أبا اسحق اني دعوتك لامر رجوت أن يكون علمه عندك فقال له يا امير المؤمنين على
الخبير سقطت سل عما بدا لك فقال له اخبرنا يا أبا اسحق هل بلغك أن في الدنيا مدينة مبنية بالذهب

والفضة وعمدها من زبرجد وياقوت وحصى قصورها وغرفها اللؤلؤ وانهارها فى الازقة تجرى
تحت الاشجار فقال كعب والذى نفس كعب بيده لقد ظننت انى سأسأل قبل ان يسألنى احد عن
تلك المدينة ومافيها ولكن أخبرك بها يا امير المؤمنين ولمن هى ومن بناها اما تلك المدينة فهى حق
على مابلغ امير المؤمنين وعلى ماوصف له واما الذى بناها فشداد بن عاد واما المدينة فهى ارم ذات
العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد فقال له معاوية يا ابا اسحق حدثنا بحديثها يرحمك الله فقال
كعب يا امير المؤمنين ان عادا كان له ابنان سمى أحدهما شديدا والآخر شدادا فهلك عاد وبقى
ولداه بعده فملكا وتجبرا وقهرا كل البلاد وأخذاها عنوة وقهرا حتى دان لهما جميع الناس
ولم يبق أحد فى زمانهما الا دخل فى طاعتهما الا فى شرق الارض ولا فى غربها وانه لما استصفا لهما
ذلك وقر قرارهما مات شديد بن عاد وبقى شداد فملك وحده ولم ينازعه أحد وكانت له الدنيا كلها
وكان مولعا بقراءة الكتب القديمة وكان كلما مر فيها على ذكر الجنة دعته نفسه أن يجعل تلك
الصفة لنفسه فى الدنيا عتوا على الله تعالى وكفرا فلما وقر ذلك فى نفسه أمر بصنعة تلك المدينة
التى هى ارم ذات العماد وأمر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان
ثم قال لهم انطلقوا الى أطيب بقعة فى الارض وأوسعها واعملوا لى فيها مدينة من ذهب
وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وتحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد وياقوت وعلى المدينة قصور
ومن فوق القصور غرف واغرسوا تحت القصور غرائس فيها أصناف الثمار كلها وأجروا فيها
الانهار تحت الاشجار فانى أرى فى الكتب صفة الجنة وانى أحب أن أتخذ مثلها فى الدنيا
وأتعجل سكناها فقالت له قهارمته كيف لنا بالقدرة على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت
واللؤلؤ والذهب والفضة فنبنى منها مدينة كما وصفت لنا فقال لهم شداد ألستم تعلمون أن ملك
الدنيا كلها بيدى قالوا بلى قال فانطلقوا الى كل موضع به معدن من معادن الزبرجد والياقوت
والذهب والفضة وأى بحر فيه لؤلؤ فوكلوا به من كل قوم رجالا تخرج لكم مافى كل معدن من
تلك الارض ثم انطلقوا الى مافى أيدى الناس من ذلك فخذوه سوى ما يأتيكم به اصحاب المعادن
فان معادن الدنيا فيها كثير من ذلك ومافيها مما لاتعلمون اكثر وأعظم مما كلفتم به من صنعة هذه
المدينة (قال) فخرجوا من عنده وكتب معهم الى كل ملك فى الدنيا كتابا يأمره أن يجمع لهم مافى
بلاده من الجواهر وأن يحفر معادنها فانطلق تلك القهارمة وأعطوا كل ملك من الملوك كتابا
يأخذ ماوجد فى مملكته فبقوا على تلك الحالة عشر سنين حتى جمعوا ما يحتاجون الى
ارم ذات العماد من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة وأخذوا موضعا كما اراد
ووصف لهم فقال معاوية يا أبا اسحق كم عدد اولئك الملوك الذين كانوا تحت يد شداد قال
كانوا مائتين وستين ملكا قال فخرج عند ذلك الفعلة والتهارمة فتفرجوا فى الصحارى
ليتخذوا مايوافق غرضه فلم يجدوا ذلك الا فى أرض أبين من بلاد عدن فوقعوا بها على صحراء
عظيمة نقية من التلال والجبال واذا هم بعيون مطردة فقالوا هذه صفة الارض التى امرنا بها
فأخذوا بقدر ما امرهم به من العرض والطول ثم جعلوا لها حدودا محددة ثم عمدوا الى مواضع
الازقة التى فيها الماء فأجروا فيها القنوات لتلك الانهار ثم وضعوا الاساس من صخور الجزع
اليمانى وعجنوا طين ذلك الاساس من دهن البان والحلب فلما فرغوا من وضع الاساس

واجروا

وأجروا فيها القنوات ارسل الملك اليهم الجواهر والذهب والفضة فنهم من بعث بالعسجد مضروبة ومنهم من بعث بالذهب والفضة مصنوعة مفروغا منها فدفعوا كل ذلك الى اولئك القهارمة والوزراء فأقاموا فيها حتى فرغوا من بنائها على ما أراد شداد فقال له معاوية يا ابا اسحق انى لاحسبهم أقاموا فى بنائها زمانا من الدهر قال نعم يا امير المؤمنين انى لأجد فى التوراة انهم اقاموا فى بنائها ثلثمائة سنة فقال معاوية كم كان عمر شداد صاحبها قال كان عمره سبعمائة سنة فقال له معاوية يا أبا اسحق لقد أخبرتنا خبرا عجيبا فحدثنا فقال يا امير المؤمنين انما سماها الله تعالى ارم ذات العماد من أجل العماد التى تحتها من الزبرجد والياقوت وليس فى الدنيا مدينة من الزبرجد والياقوت غيرها فلذلك قال التى لم يخلق مثلها فى البلاد (قال كعب) انهم لما أتوه واخبروه بفراغهم منها قال انطلقوا فاجعلوا عليها حصنا واجعلوا حول الحصن الف قصر عند كل قصر الف علم ويكون فى كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائى ويكون كل علم منها عليه ناطور فرجعوا وعملوا تلك القصور والاعلام والحصن ثم انهم أتوه فأخبروه بالفراغ مما أمرهم به قال فأمر الف وزير من خاصته أن يهيئوا أسبابهم ويعملوا على النقلة الى ارم ذات العماد وأمر رجالا أن يسكنوا تلك الاعلام وأن يقيموا فيها ليلهم ونهارهم وأمر لهم بالعطاء والارزاق وأمر الملك من اراد من نسائه وخدمه أن يتجهزوا الى ارم ذات العماد فأقاموا فى جهازهم عشرين سنة ثم سار الملك بمن أراد الى أرض أبين وخلف من قومه أكثر مما سار به فلما استقل وسار اليها ليسكنها وبلغ منها موضعا وبقى بينه وبين دخولها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه وعلى كل من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعا ولم يبق أحد منهم ولم يدخل شداد ولا من كان معه ارم ذات العماد ولم يقدر أحد منهم على الدخول فيها حتى الساعة فهذه صفة ارم ذات العماد وانه سيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك هذا ويرى ما فيها فيحدث بما عاين ولا يصدق فقال له معاوية يا ابا اسحق هل تصفه لنا قال نعم هو رجل أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب ابل له فى تلك الصحارى فيقع على ارم ذات العماد فيدخلها ويحمل مما فيها وكان الرجل جالسا عند معاوية فالتفت كعب فرأى الرجل فقال هو ذلك الرجل يا امير المؤمنين قد دخلها فاسأله عما حدثت به فقال معاوية يا ابا اسحق ان هذا من خدمى ولم يفارقنى قال قد دخلها والا سوف يدخلها وسيدخلها أهل هذا الدين فى آخر الزمان فقال معاوية يا ابا اسحق لقد فضلك الله على غيرك من العلماء ولقد أعطيت من علم الاولين والآخرين ما لم يعطه أحد فقال يا امير المؤمنين والذى نفس كعب بيده ما خلق الله فى الارض شيئا الا وقد فسره فى التوراة لعبده موسى عليه السلام تفسيرا وان هذا القرآن أشد وعيدا وكفى بالله شهيدا ووكيلا (قال الشعبى) أخبرنا دغفل الشيبانى عن رجل من حضرموت يقال له بسطام انه وقع على حفيرة شداد بن عاد فى جبل من جبال حضرموت مطل على البحر قال كنت اسمع فى صباى الى ان اكتهلت بمغارة فى جبل من جبالها وان الناس تهيب دخولها فلم أحفل بما كنت أسمع من ذلك فبينما أنا فى نادى قومى اذ انشدوا حديث تلك المغارة وأطنبوا فى ذكرها ووصفوا موضعها فقلت لقومى انى غير منته عن هذه المغارة حتى أدخلها فهل فيكم من يساعدنى فقال فتى منهم حديث السن أنا

أصاحبك فقلت يا ابن أخي أتجسر على ذلك قال عندي ما عند رجل من شدة الجأش وقوة
القلب فهيأنا شمعة وحملنا معنا اداوات عظيمة مملوءة ماء وطعاما مقدار ما يقوم بنا ونقدر على حمله
ثم مضينا نحو ذلك الجبل الذي فيه المغارة وكان مشرفا على البحر في المكان الذي يركب منه اهل
حضرموت البحر فلما انتهينا الى باب تلك المغارة حزمنا علينا ثيابنا وأشعلنا الشمعة ثم ذكرنا الله
تعالى ودخلناها ومعنا تلك الاداوات من الماء والطعام فاذا مغارة عظيمة عرضها عشرون
ذراعا وطولها على نحو خمسين ذراعا فمشينا فيها وهو بنا في طريق أملس مستو ثم أفضينا الى
درج عادية عرض الدرجة عشرون ذراعا في سمك عشرة أذرع فحملنا أنفسنا على نزول تلك
الدرج فقلت لصاحبي هلم الي يدك فكنت آخذ بيده حتى ينزل فاذا انزل وقام في الدرجة تعلقت
بطرف الدرجة وتشبثت حتى يتناول رجلاي على منكبه فلم نزل كذلك وذلك دأبنا عامة يومنا
حتى نزلناها وكانت مقدار مائة درجة فأفضينا الى أزج عظيم محفور في الجبل في طول مائة
ذراع وعرض أربعين ذراعا وسمكه في السماء قدر مائة ذراع وفي صدره سرير من ذهب منضد
بصنوف الجواهر وفوقه رجل عادي عظيم الجسم قد أخذ طول ذلك الازج وعرضه وهو
مضطجع على ظهره كهيئة النائم وعليه سبعون حلة بمقدار طوله وعرضه منسوجة تلك الحلل
بقضبان الذهب والفضة واذا ذلك الازج يضيء من ثقب عرضه ذراعان وارتفاعه ثلاثة
اذرع خارجا الى فضاء لم يدر ما هو واذا على رأس السرير لوح من ذهب عظيم فيه كتابة ما لها مثل
وهي كتابة كاتب عاد كتبها في زمانه محفورة تلك الكتابة في اللوح حفرا فاطلعنا ودنونا من ذلك
الرجل ومسسنا تلك الحلل فصارت رميما وبقيت قضبان الذهب قائمة فجمعناها فكانت مقدار
مائة رطل فجعلناها في أزرنا وأرديتنا وأردنا قلع شيء من تلك الجواهر المنضد بها السرير فلم نقدر
عليها لوثاقتها فتركناها وهجم علينا الليل ونحن في ذلك الازج وعرفنا ذهاب النهار بذهاب
ذلك الضوء الذي كان يدخل من ذلك الثقب فبتنا ليلتنا في ذلك الازج وطفئت الشمعة
التي كانت معنا فلما أصبحنا قلت لصاحبي ما ترى قال أما الرجوع من حيث جئنا فلا سبيل اليه
لارتفاع هذه الدرج وانا لا نستطيع صعودها لاسيما والشمعة قد طفئت ولكن هلم بنا نلزم
هذا الضوء الذي نراه في هذا الثقب فاني أرجو أن نخرج منه الى الفضاء ان شاء الله تعالى فقلت
له لعمري ان هذا هو الرأي فنهضنا بما معنا من تلك القضبان التي من الذهب وحملنا معنا ذلك
اللوح الذي كان عند رأس السرير وسرنا من ذلك الثقب فلم نزل نمشي في طريق ضيق مقدار
مائة ذراع حتى خرجنا منه الى كهف في ذلك الجبل كهيئة الحائط وقد حف بذلك الكهف البحر
فجلسنا على باب ذلك الثقب ثلاثة أيام بلياليها نتقوت ببقية الماء والطعام الذي كان معنا فلما
كان اليوم الرابع نظرنا الى مركب قد أقبل في البحر فلوحنا اليه فنظر الينا أهله فأرسلوا الينا
القارب فنزلنا من باب ذلك الثقب نزولا شاقا حتى وثبنا الى القارب فلما خرجنا من البحر اقتسمنا
ذلك الذهب بيننا وصار ذلك اللوح الي بقسطي ثم ان أنفسنا دعتنا الى العود الى ذلك السرب
مما يلي الثقب فركبنا قاربا وسرنا في البحر نحو المكان الذي خرجنا منه فخفي علينا مكانه فعلمنا أنا
لم نرزق منه الا ما أخذنا فرجعنا وان اللوح مكث عندي حولا لا أجد أحدا يقرؤه لي حتى أتانا
رجل من أهل صنعاء حميري كان يحسن قراءة تلك الكتابة فأخرجت اليه اللوح فقرأه فاذا فيه

مكتوب

مكتوب هذه الابيات

اعتبر بي أيها المغـ * ـرور بالعمر المديد
أنا شداد بن عاد * صاحب الحصن العميد
وأخو القوة والبأ * ساء والملك الحشيد
دان أهل الارض طرا * لى من خوف وعيد
وملكت الشرق والغر * ب بسلطان شديد
وبفضل الملك والعد * ة فيه والعديد
جاءنا هود وكنا * فى ضلال قبل هود
فدعانا لو قبلنا * كان بالامر الرشيد
فعصيناه ونادى * نا ألا هل من محيد
فأتتنا صيحة تهـ * ـوى من الافق البعيد
فتوافينا كزرع * وسط بيداء حصيد

(قال دغفل) سالت علماء حمير عن شداد وقلت انه أصيب وقد كانا دنا من ارم ذات العماد وكيف وجد فى تلك المغارة وهى بحضرموت فقالوا انه لما هلك هو ومن معه من الصيحة على مرحلة من تلك المدينة ملك من بعده مرثد بن شداد وقد كان أبوه خلفه على ملكه بحضرموت فأمر بحمل أبيه الى حضرموت فحمل مطليا بالصبر والكافور ثم أمر بحفر تلك المغارة فحفرت واستودعه فيها على ذلك السرير الذى من الذهب والله أعلم .

(مجلس فى ذكر قصة أصحاب الرس)

قال الله تعالى وعادا وثمودا وأصحاب الرس اختلف العلماء أهل التفسير وأصحاب الاقاصيص فيهم فقال سعيد بن جبير والكلبى والخليل بن أحمد دخل كلام بعضهم فى بعض وكل أخبر بطائفة من حديث أصحاب الرس ان أصحاب الرس بقية ثمود قوم صالح وهم أصحاب البئر التى ذكرها الله تعالى فى كتابه فى قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد وكانوا بفلج اليمامة نزولا على تلك البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة والآجر فهى رس وكان لهم نبى يقال له حنظلة بن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له فتخ مصعدا فى السماء ميلا وكانت العنقاء تنتابه وهى كأعظم ما يكون من الطير وفيها من كل لون وسموها العنقاء لطول عنقها وكانت فى ذلك الجبل تنقض على الطير فتأكلها فجاعت ذات يوم وأعوزها الطير فانقضت على صبى فذهبت به فسميت عنقاء مغرب لانها تغرب بما تأخذه ثم انقضت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضمتها الى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين فشكوا ذلك الى نبيهم فقال اللهم خذها واقطع نسلها وسلط عليها آية تذهب بها فأصابتها صاعقة فاحترقت فلم ير لها أثر بعد ذلك فضربت بها العرب مثلا فى أشعارها وحكمها وأمثالها ثم ان أصحاب الرس قتلوا نبيهم فأهلكهم الله تعالى وقال بعض العلماء بلغنى انه كان رسان أما أحدهما فكان أهله أهل بدو وعمود وأصحاب غنم ومواش فبعث الله اليهم نبيا فقتلوه ثم بعث اليهم رسولا آخر وعضده بولى فقتلوا الرسول وجاهدهم الولى حتى أفحمهم وكانوا يقولون الهنا فى البحر وكانوا على شفيره

وكان يخرج اليهم من البحر شيطان فى كل شهر خرجة فيذبحون عنده ويتخذونه عيدا فقال لهم
الولى أرأيتم ان خرج الهكم الذى تدعونه وتعبدونه الىّ وأطاعنى اتجيبوننى الى ما ادعوكم
اليه قالوا بلى فأعطوه على ذلك العهود والمواثيق فانتظر حتى خرج ذلك الشيطان على صورة
حوت راكبا أربعة أحوات وله عنق مستعلية على رأسه مثل التاج فلما نظروا اليه خروا له
سجدا فخرج الولى اليه وقال له ائتنى طوعا أو كرها باسم الله الكريم فنزل عند ذلك من على
أحواته فقال له الولى ائتنى راكبا عليهن لئلا يكون القوم فى أمرهم على شك فأتى الحوت وأتت
به الحيتان حتى أفضوا به الى البرية يجرونه ويجرهن فلما رأوا ذلك سحروا به وكذبوه ونقضوا
العهود فبعث الله اليهم ريحا فألقتهم فى البحر هم ومواشيهم جميعا وما كانوا يملكون من ذهب
وفضة وآنية فأتى الولىّ الصالح الى البحر وأخذ الذهب والفضة والاوانى فقسمها على أصحابه
بالسوية حتى الصغير والكبير وانقطع ذلك النسل (وأما الآخر) فانهم قوم كان لهم نهر يدعى
الرس ينسبون اليه وكان فيهم أنبياء كثيرة لا يقوم فيهم نبيا الا قتلوه وذلك النهر بمنقطع أذربيجان
بينها وبين أرمينية فاذا قطعته مدبرا دخلت فى حد أرمينية واذا قطعته مقبلا دخلت فى حد
أذربيجان وكان من حوالهم من أهل أرمينية يعبدون الاوثان ومن قدامهم من أهل أذربيجان
يعبدون النيران وهم كانوا يعبدون الجوارى العذارى فاذا اتمت لاحداهن ثلاثون سنة قتلوها
واستبدلوا غيرها وكان عرض نهرهم ثلاثة فراسخ وكان يرتفع فى كل يوم وليلة حتى يبلغ
انصاف الجبال التى حوله وكان لا ينصب فى بحر ولا بر فاذا خرج من حدهم يقف ويدور ثم يرجع
اليهم فبعث الله تعالى اليهم ثلاثين نبيا فى شهر واحد فقتلوهم جميعا فبعث الله تعالى اليهم نبيا
وأيده بنصره وبعث معه وليا فجاهدهم فى الله حق جهاده ثم بعث اليه ميكائيل حين نابذوه
وكان فى أوان وقوع الحب فى الارض وكانوا عند ذلك أحوج ما يكونون الى الماء ففجر
نهرهم فى البحر وانصب ما فى أسفله وأتى الى عيونه من فوق فسدها وبعث الله اليه خمسمائة
من الملائكة أعوانا له ففرقوا ما بقى فى وسط نهرهم ثم أمر الله جبريل فنزل فلم يدع فى أرضهم
عينا ولا نهرا الا أيبسه باذن الله تعالى وأمر ملك الموت فانطلق الى المواشى فأماتها دفعة
واحدة وأمر الارياح الاربع الجنوب والشمال والدبور والصبا فضمت ما كان لهم من متاع
وألقى الله تعالى عليهم النبات ثم خفقت الرياح الاربع بذلك المتاع أجمع فرمته فى رؤس الجبال
وبطون الاودية وأما ما كان من حلىّ وتبر وآنية فان الله تعالى أمر الارض فابتلعته
فأصبحوا لا شاة عندهم ولا بقرة ولا مال يعودون اليه ولا ماء يشربون ولا طعاما يأكلون فآمن
بالله عند ذلك قليل منهم وهداهم الله الى غار فى جبل له طريق من خلفه فنجوا وكانوا احدا
وعشرين رجلا وأربع نسوة وصبيين وكان عدة الباقى من الرجال والنساء والذرارى ستمائة
ألف ماتوا عطشا وجوعا ولم يبق منهم باقية ثم عاد القوم الى منازلهم فوجدوها قد صار أعلاها
أسفلها فدعا القوم عند ذلك مخلصين أن يجيئهم بماء وزرع وماشية ويجعله قليلا لئلا يطغوا
فأجابهم الله تعالى الى ذلك لما علم من صدق نياتهم واخلاصهم وقالوا انه لا يبعث الله رسولا
الى من يليهم ويقاربهم الا أعانوه وصدقوه وعضدوه فعلم الله منهم الصدق فأطلق لهم نهرهم
وزادهم على ما سألوه فأقام أولئك القوم فى طاعة الله ظاهرا وباطنا حتى مضوا وانقرضوا

حدث

فحدث من بعدهم من نسلهم قوم أطاعوا الله فى الظاهر ونافقوه فى الباطن وأملى الله تعالى لهم وكان عليهم قادرا وكانت معاصيهم أكثر من طاعتهم وخالفوا أولياء الله فبعث الله عليهم من فارقهم وخالفهم فأسرع فيهم القتل وبقيت منهم شرذمة فسلط الله عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحد وبقى نهرهم ومنازلهم ومافيها مائتى عام لا يسكنها أحد ثم اتى الله بقوم بعد ذلك فنزلوها وكانوا صالحين فأقاموا فيها ستين سنة ثم أحدثوا فاحشة فجعل الرجل يدعو ابنته وأخته وزوجته فيبيت معها جاره وأخاه وصديقه يلتمس بذلك البر والصلة ثم ارتفعوا من ذلك الى نوع آخر ترك الرجال النساء حتى شبقن واستغنى الرجال بالرجال فجاءت للنساء شيطانة فى صورة امرأة وهى الدلهان بنت ابليس وهى أخت الشيطان وكانا فى بيضة واحدة فشهت للنساء ركوب بعضهن بعضا وعلمتهن كيف يصنعن فأصل ركوب النساء بعضهن بعضا من الدلهان فسلط الله تعالى على ذلك القوم صاعقة فى أول ليلهم وخسفا فى آخره وصيحة مع الشمس فلم يبق منهم باقية وبادت منازلهم ولا أحسب منازلهم اليوم مسكونة (وروى) على ابن الحسين زين العابدين عن أبيه عن جده على بن أبى طالب رضوان الله عليهم ان رجلا من اشراف بنى تميم يقال له عمر أتاه فقال يا أمير المؤمنين اخبرنى عن أصحاب الرس وفى اى عصر كانوا وأين كانت منازلهم ومن كان ملكهم وهل بعث الله اليهم رسولا أم لا وبماذا أهلكوا فانى أجد فى كتاب الله عز وجل ذكرهم ولا أجد خبرهم فقال له أمير المؤمنين على رضى الله عنه لقد سألتنى عن حديث ماسألنى عنه أحد قبلك ولا يحدثك به أحد بعدى كان من قصتهم يا أخا تميم انهم كانوا قوما يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاب درخت وكان يافث ابن نوح غرسها على شفير عين يقال لها دوسان كانت انبعت لنوح عليه السلام بعد الطوفان وانما سموا أصحاب الرس لانهم رسوا انبياءهم فى الارض وذلك قبل سليمان بن داود عليهما السلام وكان لهم اثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وبهم سمى ذلك النهر ولم يكن يومئذ فى الارض نهر أغزر منه ولا اعذب منه ولا قرى أكثر سكانا وعمرانا منها وكان أعظم منازلهم اسفنديا وهى التى كانت ينزلها ملكهم وكان يسمى تركون بن عابور ابن نوش بن سارب بن النمروذ بن كنعان فرعون ابراهيم عليه السلام وفيها العين التى يسقون منها الصنوبرة التى كانوا يعبدونها وقد غرسوا فى كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة فنبتت تلك الحبة وتصير شجرة عظيمة ثم حرموا ماء تلك العين والانهار فلا يشربون منها الاهم ولا أنعامهم ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هى حياة آلهتنا فلا ينبغى لأحد ان ينقص من حياتها ويشربون هم وانعامهم من نهر الرس الذى عليه قراهم وقد جعلوا فى كل شهر من السنة فى كل قرية عيدا يجتمع اليه أهلها ويضربون على تلك الشجرة مظلة من الحرير فيها أصناف الصور ثم يأتون بشياه وبقر فيذبحونها قربانا للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب الكثير فاذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها وبخارها فى الهواء وحال بينهم وبين النظر للسماء خروا سجدا للشجرة يبكون ويتضرعون اليها ان ترضى عنهم وكان الشيطان يجئ فيحرك أغصانها ويصيح فى ساقها صياح الصبى عبادى قد رضيت عنكم فطيبوا انفسا وقروا عينا فيرفعون عند ذلك رؤسهم ويشربون الخمر ويضربون المعازف فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم

ثم ينصرفون حتى اذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع اليه صغيرهم وكبيرهم فيضربون عند شجرة الصنوبر والعين سرادقا من ديباج وعليه أنواع الصور له اثنا عشر بابا كل باب لاهل قرية منهم فيسجدون للصنوبرة من خارج السرادق ويقربون اليها الذبائح اضعاف ماقربوا للشجرة التى فى قراهم فيجيء ابليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكا شديدا ويتكلم من جوفها كلاما جهوريا يعدهم ويمنيهم بأكثر مما وعدتهم الشياطين جميعا فيرفعون رؤسهم من السجود ولهم من الفرح والسرور ومالا يفيقون ولا يتكلمون معه فيديمون الشرب والمعازف ويكونون على ذلك اثنى عشر يوما وليلة بعدد أعيادهم فى السنة ثم انهم ينصرفون فلما طال كفرهم بالله تعالى وعبادتهم غيره بعث الله اليهم نبيا من بنى اسرائيل من ولد يهوذا بن يعقوب فلبث فيهم زمانا طويلا يدعوهم الى الله تعالى ويعرفهم بربوبيته فلا يتبعونه ولا يسمعون مقالته فلما رأى شدة ماهم فيه من الغى والضلالة وتركهم قبول مادعاهم اليه من الرشد والصلاح حضر عند قريتهم العظمى وقال يارب ان عبادك أبوا تصديقى ودعوتى اليهم وما أرادوا الا تكذيبى والكفر بك ثم غدوا يعبدون شجرة لاتنفع ولاتضر فايبس شجرهم أجمع وأرهم قدرتك وسلطانك فأصبح القوم وقد يبس شجرهم كله فهالهم ذلك وخضعوا فصاروا فرقتين فرقة قالوا سحر هذا الرجل الذى زعم أنه رسول رب السماء آلهتكم ليصرف وجوهكم عنها الى الهه وفرقة قالت بل غضبت عليكم آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها ويقع فيها ويدعوكم الى عبادة غيرها فحجبت حسنها وبهاءها وجمالها لكى تغضبوا لها فتنتصروا منه فاجمعوا أمرهم على قتله فاتخذوا أمثال بيت واتخذوا أنابيب طوالا من رصاص واسعة الافواه ثم انهم أرسلوها الى قرار العين واحدة فوق الاخرى مثل البرابخ ونزحوا مافيها من الماء ثم حفروا فى قعرها بئرا ضيقة العين عميقة فرسوا فيها نبيهم وألقوا على فيها صخرة عظيمة ثم أخرجوا الانابيب من الماء وقالوا الآن نرجو أن ترضى عنا آلهتنا اذ رأت انا قتلنا من كان يقع فيها ويصد عن عبادتها وانا دفناه تحت كبيرها يتشفى فيه فيعود لها نورها ونضرتها كما كان فبقوا على ذلك عامة يومهم يسمعون أنين نبيهم وهو يقول سيدى ومولاى ترى ضيق مكانى وشدة كربى فارحم ضعف ركنى وقلة حيلتى وعجل قبض روحى ولا تؤخر اجابة دعوتى حتى مات عليه السلام فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام انظر عبادى هؤلاء الذين غرهم حلمى وأمنوا مكرى وعبدوا غيرى وقتلوا رسولى وأنا المنتقم ممن عصانى ولم يخش عقابى وانى حلفت بعزتى لاجعلنهم عبرة ونكالا للعالمين فبينماهم فى عيدهم اذ غشيتهم ريح عاصف حمراء فتحيروا فيها وذعروا منها وتضام بعضهم الى بعض ثم ان الارض صارت من تحتهم كحجر كبريت تتوقد وأظلتهم سحابة سوداء فألقت عليهم جمرا كالقبة يلتهب فأذاب أبدانهم كما يذوب الرصاص فى النار فنعوذ بالله من غضبه ودرك نقمته انه هو السميع العليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والله أعلم

(مجلس فى ذكر قصة نبى الله أيوب وبلائه عليه السلام)

قال الله تعالى واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه الآية وقال تعالى وأيوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين (قال وهب) وكعب وغيرهما من أهل الكتب كان أيوب رجلا

من

من الروم وكان رجلا طويلا عظيم الرأس جعد الشعر حسن العينين والخلق قصير العنق غليظ الساقين والساعدين وكان مكتوبا على جبهته المبتلى الصابر وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا وكان له البثنية من أرض الشام كلها سهلها وجبلها وما كان فيها وكان له من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكثرة وكان له بها خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل آلة كل فدان أتان ولكل أتان ولد من الاثنين الى فوق الخمسة وكان الله أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان امرأ تقيا رحيما بالمساكين يكفل الارامل والايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل كان شاكرا لانعم الله تعالى مؤديا لحقه قد امتنع من عدو الله ابليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل والسهو عن أمر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه وعرفوا فضله رجل من أهل اليمن يقال له اليفن ورجلان من أهل بلاده يقال لاحدهما مالك وللآخر ظافر وكانوا كهولا (قال وهب) ان جبريل عليه السلام بين يدي الله مقاما ليس لاحد من الملائكة مثله في القربة والفضيلة وان جبريل هو الذي يتلقى الكلام فاذا ذكر الله تعالى عبدا بخير تلقاه جبريل ثم ميكائيل ثم من حوله من الملائكة المقربين والحافين من حول العرش فاذا شاع ذلك في الملائكة المقربين صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات فاذا صلت عليه ملائكة السموات هبط عليه بالصلاة الى ملائكة الارض وكان ابليس لا يحجب عن شئ من السموات وكان يقف فيهن حيثما أراد ومن هنالك وصل الى آدم حين أخرجه من الجنة فلم يزل على ذلك يصعد الى السماء حتى رفع الله تعالى عيسى عليه السلام فحجب عن أربع وكان يصعد في ثلاث فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حجب من الثلاثة الباقية فهو وجنوده محجوبون عن جميع السموات الى يوم القيامة الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين قال فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فأدركه البغي والحسد وصعد سريعا حتى صعد في السماء موقفا كان يقفه فقال يا الهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تختبره لا بشدة ولا بلاء وأنا لك زعيم لئن ضربته ببلاء ليكفرن بك ولينسينك فقال الله تعالى انطلق اليه فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله حتى بلغ الارض ثم جمع عفاريت الشياطين وعظماءهم فقال لهم ماذا عندكم من القوة والمعرفة فاني قد سلطت على مال أيوب وزوال المال هي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا تصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما لو شئت تحولت اعصارا من نار فأحرقت كل شئ آتي عليه فقال له ابليس فأت الابل فأحرقها ورعاتها فانطلق يؤم الابل وذلك حين وضعت رؤسها وثبتت في مراعيها فما تشعر الناس حتى ثارت من تحت الارض اعصار من نار تنفخ فيها رياح السموم لا يدنو منها أحد الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل ابليس على قعود منها في صفة راعيها ثم انطلق يؤم أيوب حتى وجده قائما يصلي فقال له يا أيوب قال لبيك فقال هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اخترته وعبدته بابلك ورعاتها فقال أيوب انها ماله أعارنيها وهو أولى بها ان شاء تركها

وان شاء أخذها وقد تحققت وطبت النفس انى ومالى للفناء والزوال فقال له ابليس فان ربك أرسل اليها نارا من السماء فاحترقت كلها وبقى الناس مبهوتين وقوفا عليها يتعجبون منها فمنهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيأ وما كان الا فى غرور ومنهم من يقول لو كان اله أيوب يقدر على أن يصنع شيأ لمنع وليه من حريق مواشيه ومنهم من يقول بل هو الذى فعل ما فعل فشمت به عدوه وفجع به صديقه فقال أيوب الحمد لله الذى أعطانى وحيث شاء نزع منى عريانا خرجت من بطن أمى وعريانا أعود الى القبر وعريانا أحشر الى ربى ليس ينبغى لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين قبض عاريته فهو أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك الارواح وصيرك شهيدا مع الشهداء ولكنه علم فيك شرا فأخرك وخلصك من البلاء كما يخلص الزوان من القمح الخالص فرجع ابليس الى أصحابه خاسئا ذليلا وقال لهم ماذا عندكم من القوة انى لم أكلم قلبه فقال عفريت من عظمائهم عندى من القوة ما لو شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح الا خرجت مهجة نفسه فقال له ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق يؤم الغنم ورعاتها حتى اذا توسطها صاح صوتا ماتت الغنم جميعا وماتت منه رعاتها ثم ان ابليس خرج متمثلا بقهرمان الرعاة حتى جاء الى أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول ورد عليه أيوب مثل ما قال فى النوبة الاولى ثم ان ابليس رجع الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فانى لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت من عظمائهم عندى من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شئ تأتى عليه حتى لا يبقى منه شئ فقال له ابليس فأت الفدادين والحرث فانطلق يؤمهم حتى قرب من الفدادين واستوى فى الحرث وأولادهم رتوع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنسفت كل شئ من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم ان ابليس خرج متمثلا بقهرمان الحرث حتى جاء أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول فأجابه أيوب بمثل جوابه الاول فجعل ابليس يصيب ماله الاول فالاول حتى أتى على آخره (قال) وأيوب كلما انتهى اليه بهلاك مال من ماله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضى بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى ما بقى له مال فلما رأى ابليس انه قد أفنى ماله ولم ينل منه شيأ ولا نجح فى شئ من أفعاله شق عليه ذلك وصعد سريعا ووقف الموقف الذى كان يقفه وقال الهى ان أيوب يرى انك مهما متعته من نفسه وولده فأنت معطيه المال فهل أنت مسلطى على ولده فانها الفتنة المضلة والمصيبة التى لا تقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى عليها صبرهم فقال الله تعالى له انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى جاء بنى نبى الله أيوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزله حتى تداعى القصر من قواعده ثم جعل يناطح بجدره بعضها بعضا فرماهم بالخشب والجندل حتى مثل بهم كل مثلة ثم رفع بهم القصر وقلبه فصاروا منكسين ثم ان ابليس انطلق الى أيوب متمثلا بالمعلم الذى كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الرأس والوجه يسيل دمه من دماغه فأخبره بذلك وقال له يا أيوب لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف قلب بهم القصر وكيف نكسوا على رؤسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم من أنوفهم وشفاههم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت امعاؤهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويردد حتى رق أيوب عليه وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه فاغتنم ابليس الفرصة منه لذلك فصعد سريعا بالذى كان من جزع أيوب مسرورا ثم لم يلبث أيوب ان أبصر فاستغفر وشكر فصعد قرناؤه من

الملائكة باستغفارهم وتوبته فبدروا ابليس وسبقوه الى الله والله أعلم بما كان فوقف ابليس خاسئا ذليلا فقال يا الهى انما هونت على أيوب خطر المال والولد أنه يرى انك مهما متعته بنفسه فأنت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطى على نفسه وبدنه فانى لك زعيم لئن ابتليته فى جسده لينسينك وليكفرن بك وليجحدن نعمتك فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على جميع جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه ولا على عقله وكان والله أعلم به أنه لم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين فى كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به فى الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله سريعا فوجد أيوب ساجدا فقبل أن يرفع رأسه أتاه من قبل الارض فى موضع وجهه ونفخ فى منخريه نفخة اشتعل منها جسده فذهل وخرج به من فرقه الى قدمه ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها ولا يتمالك عن حكها فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نزل لحمه وتقطع وتغير وأنتن فأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام وكانت تختلف اليه بما يصلحه وتكرمه فلما رأى أصحابه الثلاثة ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلقوا اليه وهو فى بلائه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب الى الله من الذنب الذى عوقبت به (قال) وكان حضر معهم فتى حديث السن وكان قد آمن به وصدقه فقال انكم تكلمتم أيها الكهول وكنتم أحق بالكلام لاسنانكم ولكنكم قد تركتم من القول أحسن من الذى قلتم ومن الرأى أصوب من الذى رأيتم ومن الامر أجمل من الذى أتيتم وقد كان لأيوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذى وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذى عبتم واتهمتم ألم تعلموا أن ايوب نبى الله وحبيبه وخيرته وصفوته من اهل الارض فى يومكم هذا ثم انكم لم تعلموا ولا أطلعكم الله تعالى على انه سخط شيأ من أمره منذ آتاه ما آتاه الى يومكم هذا ولا علمتم أنه نزع منه شيأ من الكرامة التى أكرمه الله بها ولا ان أيوب غير الحق فى طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذى أزرى به عندكم ووضعه فى أنفسكم فقد علمتم أن الله تعالى يبتلى النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ثم ان بلاءهم ليس دليلا على سخطه عليهم ولا هوانهم عليه ولكنه كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس هو من الله بهذه المنزلة الا أنكم آخيتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحكيم أن يعذل اخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكى معه ويستغفر الله له ويحزن لحزنه ويدله على رشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها الكهول فقد كان لكم فى عظم الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا أن لله عبادا أسكتتهم خشيته من غير عى ولا بكم وانهم لهم الفصحاء النبلاء البلغاء الالباء العالمون بالله وآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لله تعالى واعزازا واجلالا فاذا استفاقوا استبقوا الى الله تعالى بالاعمال الزاكية الصالحة يعدون انفسهم مع الخاطئين الظالمين وانهم لبرآء ويعدون أنفسهم مع المفرطين المقصرين وانهم لاكياس أقوياء ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير

ولا يرضون له بالقليل ولا يدلون عليه بالاعمال فهم مرتوعون مفزعون خاشعون مستكينون فقال أيوب ان الله تعالى يزرع الحكمة بالرحمة فى قلب المؤمن الكبير والصغير فتى نبتت فى القلب أظهرها الله تعالى على اللسان وليس تكون الحكمة من قبل السن والشيب ولا طول التجربة فاذا جعل الله العبد حكيما فى الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله تعالى عليه نور الكرامة ثم ان أيوب أقبل على الثلاثة وقال أتيتمونى غضابا رهبتم قبل أن تسترهبوا وبكيتم قبل أن تضربوا كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عنى بأموالكم لعل الله يخلصنى وقربوا عنى قربانا لعل الله يتقبلها ويرضى عنى وانكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم أنكم قد عوفيتم باحسانكم فهنالكم بغيتم وتعززتم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا سترها الله عليكم بالعافية التى البسكم اياها وقد كنت فيما خلا الرجال توقرنى وأنا مسموع كلامى معروف حقى منتصف من خصمى فأصبحت اليوم وليس لى رأى ولا كلام معكم فأنتم اليوم أشد على من مصيبتى ثم انه أعرض عنهم وأقبل على ربه مستغيثا متضرعا اليه فقال رب لاى شئ خلقتنى ليتنى اذ كرهتنى ما خلقتنى ياليتنى كنت حيضة القتنى أمى او ليتنى قد عرفت الذنب الذى اذنبت والعمل الذى عملت فصرفت وجهك الكريم عنى لو كنت أمتنى والحقتنى بآبائى فالموت كان أجمل لى يا الهى ألم اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهى أنا عبد ذليل ان أحسنت فالمنة لك وان أسأت فبيدك عقوبتى جعلتنى للبلاء غرضا وللفتنة نصبا لقد وقع على بلاء لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفى الهى تقطعت أصابعى فانى لأرفع الاكلة من الطعام الايدى جميعا فما يبلغان فى الاعلى الجهد منى الهى تساقطت لهواتى ولحم رأسى فما بين اذنى من سداد بل احداهما ترى من الاخرى وان دماغى ليسيل من فى الهى تساقط شعر عينى كأنما أحرق بالنار وجهى وحدقتاى متدليتان على خدى وورم لسانى حتى ملأ فى فما أدخل فيه طعاما الاغصنى وورمت شفتاى حتى غطت العليا انفى والسفلى ذقنى وتقطعت امعائى فى بطنى وانى لأدخل الطعام فيخرج كما دخل ما أحسه ولا ينفعنى وذهبت قوة رجلى فكأنهما قد يبستا ولا اطيق حملهما وذهب المال فصرت أسأل بكفى ويطعمنى من كنت اعوله اللقمة الواحدة فيمنّ بها على ويعيرنى الهى هلك أولادى ولو بقى واحد منهم أعاننى على بلائى ونفعنى قد ملنى أهلى وعقنى أرحامى وتنكرت لى معارفى ورغب عنى صديقى وقطعنى أصحابى وجحدت حقوقى ونسيت صنائعى أصرخ فلا يصرخوننى وأعتذر فلا يعذروننى دعوت غلامى فلم يجبنى وتضرعت لامتى فلم ترحمنى وان قضاءك هو الذى أذلنى وادنانى وأهاننى وأقامنى وان سلطانك هو الذى أسقمنى وأنحل جسمى ولو ان ربى نزع الهيبة التى فى صدرى فاطلق لسانى لأتكلم بملء فمى ولو كان ينبغى للعبد ان يحاج عن نفسه لرجوت أن يعافينى عند ذلك مما بى ولكنه ألقانى وتخلى عنى فهو يرانى ولا اراه ويسمعنى ولا اسمعه ولا نظر الى فرحمنى ولا دنا منى ولا ادنانى فأتكلم ببراءتى وأخاصم عن نفسى فلما قال ذلك ايوب واصحابه عنده اظلته غمامة حتى ظن أصحابه أنه عذاب ثم نودى يا ايوب ان الله تعالى يقول لك ها أنا قد دنوت منك فلم أزل منك قريبا فقم فأدل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد عليك ازارك وقم مقام جبار فانه لا ينبغى أن يخاصمنى الا جبار مثلى ولا ينبغى أن يخاصمنى الا من يجعل الزمام فى فم الاسد والسخال فى فم

العنقاء

العنقاء والعجم في فم التنين ويكيل مكيالا من النور ويزن مثقالا من الريح ويصر صرة من الشمس
ويرد أمس لقد منتك نفسك أمرا ما يبلغ بمثل قوتك ولو كنت اذ منتك نفسك ذلك ودعتك
اليه تذكرت أى مرام رامت بك أأردت ان تكاثرني بضعفك أم أردت أن تخاصمني بعيك ام
اردت أن تحاجني بخطئك أين كنت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على اساسها هل علمت باى
مقدار قدرتها ام كنت معي تمر باطرافها ام تعلم ما بعد زواياها أم على اى شئ وضعت اكنافها
ابطاعتك حمل الماء الارض ام بحكمتك كانت الارض على الماء غطاء اين كنت مني يوم رفعت
السماء سقفا في الهواء لا معاليق تمسكها ولا تحملها دعائم من تحتها هل يبلغ من حكمتك ان تجري
وتسير نجومها أم هل بامرك يختلف ليلها ونهارها اين كنت مني يوم سجرت البحار وأنبعت
الانهار أقدرتك حبست امواج البحار على حدودها ام قدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها
اين انت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل لك ان تطيق حملها ام كنت
تدري كم مثقال ما فيها اين الماء الذي أنزلته من السماء هل تدري كم بلدة أهلكتها وكم من قطرة
أحصيتها وقسمت الارزاق ام قدرتك تثير السحاب وتثير الماء هل تدري ما اصوات الرعد ام من
اى شئ لهب البرق وهل رأيت عمق البحر ام هل تدري ما بعد الهواء ام هل تدري اين خزانة النهار
بالليل واين طريق النور وباى لغة تتكلم الاشجار واين خزانة الريح واين جبال البرد ام هل
تدري من جعل العقول في اجواف الرجال ومن شق الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة لملكه
ومن قهر الجبارين بجبروته وقسم ارزاق الدواب والعباد بحكمته ومن قسم للاسد ارزاقها
وعرف الطير معاشها وعطفها على افراخها ومن أعتق الوحوش من الخدمة وجعل مساكنها
البرية لا تأنس بالاصوات ولا تهاب السلاطين أبحكمتك عطفت عليها امهاتها حتى اخرجت لها
طعاما من اجوافها وآثرتها بالعيش على نفوسها ام بحكمتك يبصر العقاب الصيد البعيد واصبحا
في اماكن الفلا أين أنت يوم خلقت اليهموت مكانه في منقطع التراب والاوتيا يحملان الجبال
والقرى والعمران انيابهما كأنها شجر الصنوبر الطوال ورؤسهما كأنها الجبال وعروق
افخاذهما كأنها عمد النحاس انت ملأت جلودهما لحما أم انت ملأت رؤسهما دماغا هل
لك في خلقهما من شرك أم لك بالقوة التي غلبتهما يدان ام هل يبلغ من قوتك أن تضع يديك على
رؤسهما أم تقعد على طريق فتحبسهما او تصدهما عن قوتهما اين أنت يوم خلقت التنين ورزقه
في البحر ومسكنه في السماء وعيناه تتوقدان نارا ومنخراه يثوران دخانا أذناه مثل قوس السحاب
يثور منهما لهب كأنه اعصار العجاج جوفه يحرق ونفسه يلتهب وزبده جمر كامثال الصخور
وكأن ضرب اسنانه أصوات الصواعق وكأن نظر عينيه لمع البرق تمر به الجيوش وهو متكئ
لا يفزعه شئ ليس فيه مفصل زبر الحديد عنده مثل التبن والنحاس عنده مثل الخيوط لا يفزع من
النشاب ولا يحس وقع الصخور على جسده ويطير في الهواء كأنه عصفور ويهلك كل شئ يمر به هل
أنت آخذه باحبولتك وواضع اللجام في شدقه هل تحصي عمره أم هل تعرف أجله أم تعرف رزقه
أم هل تدري ماذا خرب من الارض وماذا يخرب فيما بقي من عمره أم هل تطيق غضبه حين يغضب
أم تأمره فيطيعك تبارك الله احسن الخالقين فقال أيوب عليه السلام قصرت عن هذا الامر
الذي ورد على ليت الارض انشقت لي فذهبت ولم أتكلم بشئ يسخط ربي حين اجتمع على البلاء

الهي قد جعلتني لك مثل العدو وقد كنت تعرفني وتعرف نصحي وقد علمت أن كل الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك وأعظم من هذا لو شئت علمت أن لا يعجزك شيء ولا تخفى عليك خافية ولا تغيب عنك غائبة من هذا الذي يظن أن يسر عنك سرا وأنت تعلم ما يخطر على القلوب وقد علمت منك في بلائي هذا ما لم أكن أعلم وخفت أن يكون أمرا كثيرا مما كنت أخاف انما كنت أسمع بصوتك فاما الآن فهو نظر العين انما تكلمت حين تكلمت لتعذرني وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت عن لساني فلن أعود وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدي ودسست فيه وجهي اصغاري وسكت حين أسكتتني خطيئتي فاغفر لي ما قلت فلن أعود لشيء تكرهه مني فقال الله تعالى يا أيوب نفذ فيك حكمي وسبقت رحمتي غضبي اذا أخطأت فقد غفرت لك ما قلت ورحمتك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لاهل البلاء وعزا للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء وقرب عن أصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فأذهب الله عنه ما كان فيه من البلاء ثم انه خرج وجلس فأقبلت امرأته فقامت تلتمسه في مضجعه فلم تجده فقامت متكدرة كالوالهة فرت به فقالت يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان ههنا فقال لها وهل تعرفينه اذا رأيتيه فقالت نعم وكيف لا أعرفه فتبسم وقال ها أنا هو فعرفته لما ضحك فاعتنقته (قال) ابن عباس والذي نفسي بيده ما فارقته من عناقه حتى مر بهما كل ما كان لهما من المال والولد وذلك قوله تعالى وأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر الآية واختلف العلماء في وقت ندائه ومدة بلائه والسبب الذي قال لاجله مسني الضر (حدثنا) الامام أبو الحسن محمد بن علي بن سهل املاء في شهر ربيع الاول سنة أربع وثمانين وثلثمائة أخبرنا أبو طالب عمر بن الربيع بن سليمان الخشاب بمصر أخبرنا يحيى بن أيوب العلاف أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبي الله أيوب لبث في بلائه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين من اخوانه كانا يغدوان اليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه احد من العالمين فقال له صاحبه وما ذاك قال منذ ثماني عشرة سنة له في البلاء لم يرحمه الله ويكشف ما به فلما راحا الى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك فقال أيوب ما أدري ما تقولان غير ان الله تعالى يعلم اني كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فأرجع الى بيتي فأكفر عنهما كراهة ان يذكرا الله تعالى الا في حق قال وكان يخرج لحاجته فاذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم ابطأ عليها وذلك أن الله تعالى أوحى الى أيوب في مكانه ان اركض برجلك الآية فاستبطأته فذهبت لتنظر ما شأنه فاقبل عليها وقد أذهب الله تعالى عنه ما أصابه من البلاء وهو أحسن ما كان فلما رأته قالت له هل رأيت نبي الله المبتلى فقال اني أنا هو وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت احداهما على أندر القمح افرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الاخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض (ويروى) أن الله تعالى أمطر عليه جرادا من ذهب فجعل يحثو منها في ثوبه فناداه يا أيوب ألم أغنك

عما ترى قال بلى يارب ولكن لاغنى لى عن فضلك ورزقك ورحمتك ومن يشبع من نعمتك (وقال الحسن) كان أيوب عليه السلام مطروحا على كناسة فى مزبلة لبنى اسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف فيه الدواب (وقال) وهب لم يكن بأيوب اكلة وانما كان يخرج منه مثل ثدى النساء ثم يتفقأ قال الحسن ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يقربه غير رحمة امرأته صبرت معه تخدم وتأتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمده وأيوب على مابه لا يفتر عن ذكر الله تعالى والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه الله فصرخ عدو الله ابليس صرخة جمع بها جنوده من أقطار الارض جزعا من صبر أيوب فلما اجتمعوا عليه قالوا له ما حاجتك قال لهم أعيانى هذا العبد سألت ربى ان يسلطنى على ماله وولده فلم أدع له مالا ولا ولدا فلم يزده ذلك الا صبرا وثناء على الله ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقى على كناسة لا يقربه الا امرأته وقد افتضحت من ربى فاستعنت بكم لتعينونى عليه فقالوا له اين مكرك أين علمك الذى أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله فى أيوب فأشيروا على قالوا نشير عليك بما أتيت به آدم حين أخرجته من الجنة من أين أتيته قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع أن يعصيها وليس احد يقربه غيرها قال اصبتم فانطلق حتى أتى امرأته وهى تطلب الصدقة فتمثل لها فى صورة رجل فقال اين بعلك يا امة الله فقالت هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب فى جسده فلما سمع منها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس لها وذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه اليوم من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه أبدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم انها قد جزعت فأتاها بسخلة وقال لها ليذبح أيوب هذه لى ويبرأ قال فجاءت تصرخ وقالت يا أيوب الى متى يعذبك ربك ولا يرحمك ابن المال اين الماشية أين الولد اين الصديق اين ثوبك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد واين جسمك الحسن قد بلى وهو يتردد فيه الدود اذبح هذه السخلة واسترح فقال لها أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك فأجبتيه ويلك أرأيت ما تبكين عليه مما كنا فيه من المال والولد والصحة من انعم به علينا قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء قالت منذ سبع سنين قال ويلك والله ما عدلت ولا أنصفت ربك الا صبرت فى هذا البلاء الذى ابتلانا به ربنا ثمانين سنة كما كنا فى الرخاء والله لئن شفانى الله لاجلدنك مائة جلدة كما أمرتنى ان أذبح لغير الله تعالى وطعامك وشرابك الذى تأتينى به على حرام لا اذوق مما تأتينى به شيأ بعد ان قلت هذا فاعزبى عنى لا ارك فطردها فذهبت فلما راى ايوب امرأته وقد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر لله ساجدا وقال رب مسنى الضر ثم رد الامر الى ربه وسلم فقال وانت أرحم الراحمين فقيل له ارفع راسك فقد استجيب لك اركض برجلك الآية فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل فلم يبق من دائه شئ ظاهر الا سقط اثره وأذهب الله منه كل الم وداء وكل سقم وعاد اليه شبابه وجماله احسن مما كان وافضل مما مضى ثم انه ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسى حلة قال فجعل يلتفت يمينا وشمالا فلا يرى شيأ مما كان له من اهل وولد ومال الا وقد ضاعفه الله تعالى فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت ارايت ان كان قد طردنى الى من اكله أدعه حتى يموت جوعا

وعطشا و يضيع فتأكله السباع فوالله لأرجعن اليه فرجعت فلم تر الكناسة ولا الحال التى
كانت تعهدها وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكى وأيوب ينظرها
قال وهابت صاحب الحلة ان تأتيه فتسأله فأرسل اليها أيوب فدعاها وقال لها ماتريدين يا أمة
الله فبكت وقالت أريد ذلك المبتلى الذى كان منبوذا على هذه الكناسة لاأدرى اضاع ام ماذا فعل
به فقال أيوب عليه السلام ما كان منك فبكت وقالت بعلى فهل رأيته فقال وهل تعرفينه اذا
رأيته قالت وهل يخفى على ثم انها جعلت تنظر اليه وهى تهابه وقالت أما انه كان اشبه خلق الله
بك اذ كان صحيحا قال فأنا أيوب أمرتنى أن اذبح لابليس فانى أطعت الله وعصيت الشيطان
فرد على ما ترين (وقال كعب) كان أيوب فى بلائه سبع سنين وقال وهب لبث فى ذلك البلاء
ثلاث سنين لم يزد يوما واحدا فلما غلب أيوب ابليس لعنه الله ولم يستطع له على شئ اعترض امرأته
على هيئة ليست كهيئة بنى آدم فى العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس
له عظم وبهاء وجمال فقال لها أنت صاحبة ايوب المبتلى قالت نعم قال فهل تعرفينى قالت لا قال
انا اله الارض وأنا الذى صنعت بصاحبك ما صنعت وذلك انه عبد اله السماء وتركنى واغضبنى
ولو سجد لى سجدة واحدة رددت عليكما ما كان لكما من مال وولد فانهم عندى ثم اراها اياهم
فى بطن الوادى الذى لقيها فيه (قال وهب) وقد سمعت انه قال لها لوأن صاحبك اكل طعاما
لم يسم عليه لعوفى مما هو فيه من البلاء والله اعلم واراد عدو الله ان يأتيه من قبلها ورايت
فى بعض الكتب ان ابليس قال لرحمة وان شئت اسجدى لى سجدة واحدة حتى ارد عليك
الاولاد والمال واعافى زوجك فرجعت الى أيوب فأخبرته بما قال لها وما اراد فقال لقد اراد
عدو الله ان يفتنك عن دينك ثم ان ايوب اقسم ان عافاه الله ليضربنها مائة جلدة فقال عند ذلك
مسنى الضر من طمع ابليس فى سجود حرمتى له ودعائه اياها واياى الى الكفر قالوا ثم ان الله
تعالى رحم رحمة امرأة ايوب بصبرها معه على البلاء وخفف عنها واراد ان يبر يمين ايوب فأمره
ان يأخذ جماعة من الشجر يبلغ مائة قضيب خفافا لطافا فيضربها ضربة واحدة كما قال تعالى
وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث الآية وقد كانت امرأة ايوب تتكسب وتعمل للناس
وتجيئه بقوته فلما طال عليها البلاء وسئمها الناس فلم يستعملها احد التمست يوما من الايام
ما تطعمه فما وجدت شيأ فجزت قرنا من رأسها فباعته برغيف واتته به فقال لها اين قرنك
فاخبرته فقال عند ذلك مسنى الضر وقيل انما قال ذلك حين قصدت الدودة قلبه ولسانه فخشى
أن يعيا عن الذكر والفكر وقيل انما قال ذلك حين وقعت الدودة من فخذه فأخذها وردها الى
موضعها وقال لها كلى فقد جعلنى الله طعامك فعضته عضة زاد ألمه على جميع ما قاسى من عض
الديدان وقال عبد الله بن عمر كان لايوب اخوان فأتياه فقاما من بعد لا يقدران على الدنو منه
من نتن ريحه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم فى أيوب خيرا ما ابتلاه بما ترى قال فما سمع
أيوب شيأ كان أشد عليه من تلك الكلمة وما جزع من شئ اصابه جزعه من تلك الكلمة فعند
ذلك قال مسنى الضر ثم قال اللهم ان كنت تعلم انى لم أبت ليلة شبعانا قط وأنا اعلم بمكان جائع
فصدقنى فصدقه وهما يسمعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم انى لم أتخذ قميصا قط وأنا اعلم بمكان عريان
فصدقنى فصدقه وهما يسمعان فخر لله ساجدا وقيل معناه مسنى الضر من شماتة الاعداء يدل عليه

ما روى انه قيل له بعد ما عوفى ما كان أشد عليك فى بلائك فقال شماتة الاعداء وانشد بعضهم فى معناه

كل المصائب قد تمر على الفتى ✽ فتهون غير شماتة الحساد
ان المصائب تنقضى أيامها ✽ وشماتة الاعداء بالمرصاد

(وقال الجنيد) فى هذه الآية عرفه فاقة السؤال ليمن عليه بكرم النوال وذلك قوله تعالى فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله الآية واختلف العلماء فى كيفية ذلك فقال قوم لما ابتلى الله أيوب فى الدنيا مثل له أهله فاما الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه فى الدنيا وانما وعد الله أيوب أن يؤتيه اياهم فى الآخرة وقال وهب كان له سبع بنات وثلاث بنين وقال آخرون بل ردهم الله تعالى اليه باعيانهم وأعطاه اهله ومثلهم معهم وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وقتادة وكعب قالوا أحياهم الله تعالى وآتاه مثلهم وهذا القول اشبه بظاهر الآية وذكر ان عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة وانه أوصى عند موته الى ابنه حومل وان الله بعث بعده بشر بن أيوب نبيا وسماه ذا الكفل وأمره بالدعاء الى توحيده وانه كان مقيما بالشام طول عمره حتى مات وكان مبلغ عمره خمسا وتسعين سنة وان بشرا أوصى الى ابنه عبدان وان الله تعالى بعث بعده شعيبا عليه السلام والله أعلم

✽(مجلس فى قصة ذى الكفل عليه السلام)✽

هذا المجلس يأتى بعد فى آخر الكتاب بعد قصة اليسع وما كتب ههنا زيادة فى المجلس المذكور (روى) الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث ان نبيا من الانبياء قال من يكفل لى أن يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب فقام شاب فقال أنا فقال له اجلس ثم انه أعاد مثل قوله الاول فقام ذلك الشاب فقال أنا فقال له اجلس ثم انه أعاد قوله ثالثا فقال الشاب أنا فقال له تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب قال ثم فمات ذلك النبى فجلس ذلك الشاب مكانه يقضى بين الناس فكان لا يغضب فجاءه الشيطان فى صورة انسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يفطر فضرب الباب ضربا شديدا فقال من هذا فقال رجل له حاجة فأرسل اليه رجلا فقال لا أرضى بهذا الرجل فأرسل معه آخر فقال لا أرضى فخرج اليه فاخذ بيده وانطلق معه حتى اذا كان فى السوق خلاه وذهب فسمى ذا الكفل وقال بعضهم ذو الكفل بشر بن أيوب الصابر بعثه الله بعد أبيه رسولا الى أرض الروم فآمنوا به وصدقوه واتبعوه ثم ان الله تعالى أمرهم بالجهاد فكفوا عن ذلك وضعفوا وقالوا يا بشر انا قوم نحب الحياة ونكره الممات ومع ذلك نكره أن نعصى الله تعالى ورسوله فلو سألت الله أن يطيل أعمارنا ولا يميتنا الا اذا شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه فقال لهم بشر لقد سألتمونى عظيما وكلفتمونى شططا ثم انه قام وصلى ودعا وقال الهى أمرتنى بتبليغ الرسالة فبلغتها وأمرتنى أن أجاهد أعداءك وأنت تعلم انى لا أملك الا نفسى وان قومى قد سألونى فى ذلك ما أنت أعلم به منى فلا تؤاخذنى بجريرة غيرى فأنا أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك قال فأوحى الله تعالى اليه يا بشر انى سمعت مقالة قومك وانى قد أعطيتهم ما سألونى طولت أعمارهم فلا يموتون الا اذا شاؤا فكن كفيلا لهم منى بذلك فبلغهم بشر رسالة الله وأخبرهم بما أوحى الله اليه وتكفل لهم بذلك كما أمر الله تعالى فسمى ذا الكفل ثم انهم توالدوا وكثروا ونموا حتى ضاقت عليهم بلادهم وتنغصت معيشتهم

وتأذوا بكثرتهم فسألوا بشرا ان يدعو الله ان يردهم الى آجالهم فأوحى الله تعالى الى بشر أما علم قومك ان اختياري لهم خير من اختيارهم لانفسهم ثم انهم ردوا الى أعمارهم فماتوا بآجالهم قال فلذلك كثرت الروم حتى يقال ان الدنيا درهم خمسة اسداسها للروم وسموا روما لانهم نسبوا الى جدهم روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام قال وهب وكان بشر بن ايوب المسمى ذا الكفل مقيما بالشام حتى مات وكان عمره خمسا وتسعين سنة والله أعلم

(مجلس فى ذكر قصة شعيب النبى عليه السلام)

قال الله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا الآية اختلف العلماء فى نسب شعيب فقال اهل التوراة هو شعيب بن صيفون بن عيفا بن نابت بن مدين بن ابراهيم وقال محمد ابن اسحق هو شعيب بن ميكائيل ابن يشجر بن مدين بن ابراهيم واسمه بالسريانية يترون وامه ميكيل ابنة لوط وكان شعيب عليه السلام أعمى فذلك قوله تعالى اخبارا عن قومه انا لنراك فينا ضعيفا اى ضريرا وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وان الله تعالى بعثه نبيا الى اهل مدين وهم اصحاب الايكة والايكة الشجر الملتف وقال قتادة بعثه الله تعالى الى أمتين أهل مدين وأصحاب الايكة قالوا وكان قوم شعيب أهل كفر بالله وبخس للناس وتطفيف فى المكاييل والموازين وكان الله قد وسع لهم فى الرزق وبسط لهم فى العيش استدراجا منه لهم فقال لهم شعيب ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان الآية ونظيرها فى الاعراف فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم الآية وذلك انهم كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من قصد شعيبا المؤمن به انه كذاب فلا يفتننك عن دينك وكانوا يتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم قال السدى وابو روق كانوا عشارين وقال عبد الله بن زيد كانوا يقطعون الطريق وقال النبى صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسرى بى خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب احد الاشقته ولا شئ الاخرقته فقلت ماهذا ياجبريل فقال هذا مثل اقوام من امتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون الآية وكان من قول شعيب وجواب قومه اياه ماذكره الله تعالى فى سورة الاعراف وسورة هود وسورة الشعراء (قال المفسرون) وكان مما نهاهم عنه شعيب وعذبوا لاجله قطع الدنانير وذلك قوله تعالى قالوا ياشعيب اصلواتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا الى قوله الحليم الرشيد أى السفيه الغاوى وهو على الضد كما يقال للحبشى أبو البيضاء وكقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم قال ابن عباس رضى الله عنه كان شعيب كثير الصلاة فلما كثر فسادهم وقل صلاحهم دعا عليهم فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين فأجاب الله تعالى دعاءه فيهم فاهلكهم بالرجفة وهى الزلزلة عن الكلبى ويقال بالصيحة وبعذاب الظلة قال ابن عباس وغيره وهى ان الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم فأرسل عليهم بردا وحرا شديدا فأخذ بانفاسهم فدخلوا فى اجواف البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانضجهم الحر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فاظلتهم ووجدوا لها بردا وجاءت ريح طيبة فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم نارا ورجفت الارض بهم فاحترقوا كما يحترق الجراد فى المقلى فصاروا رمادا وذلك قوله تعالى فاصبحوا فى دارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها وقال تعالى فأخذهم عذاب يوم

الظلة

الظلة انه كان عذاب يوم عظيم قال ابن عباس بلغنى ان رجلا من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهم لما رأى الظلة فيها العذاب اقشعر جلده وقال

يا قوم ان شعيبا مرسل فذروا * عنكم شميرا وعمران بن شداد
انى أرى غيمة يا قوم قد طلعت * تدعو بصوت على حنانة الوادى
فانه لن يرى فيها ضحاء غد * الا الرقيم يمشى بين انجاد

وشمير وعمران كاهنان لهم والرقيم كلب لهم قال أبو عبد الله البجلى ابو جاد وهطى وهوز وكلمن وسعفص وقرشت أسماء ملوكهم وكان ملكهم يوم الظلة فى زمن شعيب كلمن فقالت اخت كلمن تبكيه حين هلك

كلمن اهدر كنى * هلكه وسط المحله
سيد القوم اتاه الـ * حتف نارا وسط ظله
جعلت نارا عليهم * دارهم كالمضمحله

قال الله تعالى الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين اى لهم الهلاك فى الدنيا والعذاب فى الآخرة

(مجلس فى ذكر صفى الله ونجيه موسى بن عمران عليه السلام)

وهو يشتمل على ابواب

(الباب الاول فى ذكر نسب موسى عليه السلام)

قال الله تعالى واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام قال اهل العلم باخبار الاولين وسير الماضين ولد ليعقوب لاوى وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة ثم ان لاوى نكح نابتة بنت ماوى بن يشجب فولدت له غرسون ومرزى ومردى وقاهث ثم ان قاهث بعد ان مضى له من عمره ست واربعون سنة نكح فاهى بنت مسين بن تتويل بن الياس فولدت له يصهر بن قاهث فنكح يصهر بن قاهث سميت بنت يتادم بن بركيا بن يشعان بن ابراهيم فولدت له عمران وقد مضى له من عمره ستون سنة وكان عمر يصهر مائة وسبعا واربعين سنة فنكح عمران بن يصهر نحيب بنت شمويل بن بركيا بن يشعان ابن ابراهيم فولدت له هرون وموسى واختلف فى اسم أمهما فقال ابن اسحق نحيب وقيل ناجية وقيل يوخابيل وهو المشهور وكان عمر عمران مائة وسبعا وثلاثين سنة وولد له موسى عليه السلام وقد مضى من عمره سبعون سنة والله أعلم

(الباب الثانى فى ذكر مولد موسى عليه السلام)

قال أهل التاريخ لما مات الريان بن الوليد فرعون مصر الاول صاحب يوسف عليه السلام وهو الذى ولى يوسف خزائن أرضه وأسلم على يده فلما مات ملك بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف الثانى فدعاه يوسف الى الاسلام فابى وكان جبارا وقبض الله يوسف فى ملكه وطال ملكه ثم هلك وقام بالملك بعده أخوه أبو العباس بن الوليد بن مصعب بن الريان بن اراشة بن ثروان ابن عمرو بن فاران بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان أعتى من قابوس وأكبر وافجر واشتدت ايام ملكه وأقام بنو اسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام وقد انتشروا وكثروا وهم تحت العمالقة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب

واسحق وابراهيم شرعوا فيه من الاسلام متمسكون به حتى كان فرعون موسى الذي بعثه
الله اليه وقد ذكرنا اسمه ونسبه ولم يكن فيهم فرعون أعتى على الله ولا أعظم قولا ولا أقسى قلبا
ولا أطول عمرا في ملكه ولا أسوأ ملكا لبني اسرائيل منه وكان يعذبهم ويستعبدهم فجعلهم
خدما وخولا وصنفهم في أعماله فصنف يبنون وصنف يحرثون وصنف يتولون الاعمال القذرة
ومن لم يكن أهلا للعمل فعليه الجزية كما قاله الله تعالى يسومونكم سوء العذاب وقد استنكح
فرعون منهم امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم رضي الله عنها من خيار النساء المعدودات
ويقال هي آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الاول فاسلمت على يد
موسى قال مقاتل لم يسلم من أهل مصر الا ثلاثة آسية وحزقيل ومريم بنت ناموسى التي دلت
موسى على قبر يوسف عليه السلام قالوا فعمر فرعون فيهم وهم تحت يديه عمرا طويلا يقال انه
أربعمائة سنة يسومهم سوء العذاب فلما أراد الله تعالى أن يفرج عنهم بعث موسى عليه السلام
وكان بدء ذلك على ما ذكره السدي عن رجاله ان فرعون رأى في منامه كأن نارا قد أقبلت من
بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقتها وأحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فدعا
فرعون الكهنة والسحرة والمعبرين والمنجمين فسألهم عن رؤياه فقالوا يولد في بني اسرائيل
غلام يسلبك ملكك ويغلبك على سلطانك ويخرجك وقومك من ارضك ويبدل دينك وقد أظلك
زمانه الذي يولد فيه فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل فجمع القوابل من النساء
من اهل مملكته وقال لهن لا يسقط على أيديكن غلام من بني اسرائيل الا قتلتنه ولا جارية
الا تركتنها ووكل بهن وكلاء فكن يفعلن ذلك قال مجاهد لقد بلغني انه كان يأمر بالقصب فيشق
حتى يجعل امثال الشفار ثم يصف بعضه الى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بني اسرائيل فيوقفن
عليه فتجرح اقدامهن حتى ان المرأة منهن لتضع ولدها فيقع من بين رجليها فتظل تطؤه وتتقي به
حد القصب عن رجليها لما بلغ من جهدها وكان يقتل الغلمان الذين في وقته ويقتل من يولد
بعدهم ويعذب الحبالى حتى يضعن ما في بطونهن وأسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل
رؤس القبط على فرعون وقالوا له ان الموت قد وقع في مشايخ بني اسرائيل وانت تذبح صغارهم
ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون بذبح الولدان سنة وتركهم سنة فولد
هرون في السنة التي لا يذبح فيها أحد فترك وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها قال فولدت
هرون أمه علانية آمنة فلما كان في العام الذي أمر فيه بقتل الولدان حملت بموسى فلما أرادت
وضعه حزنت من شأنه واشتد غمها فأوحى الله تعالى اليها ان أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه
في اليم الى قوله المرسلين فلما وضعته في خفية أرضعته ثم انها اتخذت له تابوتا وجعلت مفتاح
التابوت من داخل وجعلته فيه قال مقاتل وكان الذي صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون
وقيل انه كان من بردي فاتخذت أم موسى التابوت وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت فيه
موسى وقيرت رأسه ثم ألقته في النيل فلما فعلت ذلك وتوارى عنها أتاها الشيطان فوسوس اليها
فقالت في نفسها ماذا صنعت بابني لو ذبح عندي لواريته وكفنته وكان أحب الي من أن ألقيه
بيدي في البحر وادخله الى دواب البحر ثم عصمها الله تعالى وانطلق الماء بموسى يرفعه الموج مرة
ويخفضه أخرى حتى ادخله بين الاشجار عند دار فرعون الى روضة هي مستقى جواري فرعون
وكان بالقرب منها نهر كبير في دار فرعون داخل في بستانه فخرجت جواري فرعون يغتسلن

ويستقين فوجدن التابوت فأخذنه وظنن أن فيه مالا فحملنه على حالته حتى أدخلنه الى آسية فلما فتحته رأت الغلام فالقى الله تعالى عليها محبة منه فرحمته آسية واحبته حبا شديدا فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا على آسية بشفارهم ليذبحوا الصبي فقالت آسية للذباحين انصرفوا فان هذا لا يزيد في بني اسرائيل فأنا آتي فرعون وأستوهبه اياه فان وهبه لي كنتم قد احسنتم وان أمركم بذبحه فلا ألومكم ثم انها أتت به فرعون وقالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا فقال فرعون قرة عين لك اما انا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يحلف به لو اقر فرعون ان يكون له قرة عين كما اقرت لهداه الله تعالى به كما هدى به امرأته ولكن الله تعالى حرمه ذلك قال فأراد أن يذبحه وقال اني أخاف ان يكون هذا من بني اسرائيل وان يكون هذا الذي هلاكنا على يده وزوال ملكنا فلم تزل آسية تكلمه حتى وهبه لها فلما أمنت آسية أرادت أن تسميه باسم اقتضاه حاله فسمته موشى لانه وجد بين الماء والشجر وهو بلغة القبط مو الماء وشى الشجر فعرب فقيل موسى (أخبرنا) ابن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر أخبرنا الحسن بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا ابن بشر أخبرني جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ووافق خيارهم اشرارهم ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم وساموهم سوء العذاب فذبحوا أبناءهم قال وقال أبو الياس قال وهب بلغني انه ذبح في طلب موسى سبعون ألف ولد قال اسحق عن ابن عباس ان أم موسى لما قاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق أرسلت اليها ام موسى فقالت نزل بي ما نزل فلينفعني حبك اياي فقالت لها نعم فعالجت قبالها فلما وقع موسى على الارض أضاء لها نور بين عيني موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى في قلبها ثم قالت لها ياهذه ماجئت اليك حين دعوتني الا في رأي قتل ولدك واخبار فرعون بذلك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شيء مثله فاحتفظي بابنك فاني أراه هو عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاء الى بابها ليدخل على موسى فقالت اخته يا اماه هذا الحرس بالباب فطاش عقلها لم تعقل ما تصنع به خوفا على موسى فلفت موسى في خرقة وألقته في التنور وهو مسجور وكان ذلك الهاما من الله تعالى لها لما أراد الله بعبده موسى فدخلوا فاذا التنور مسجور وأم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا لها ما أدخل عليك هذه القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت أخت موسى أين الصبي قالت لا أدري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت اليه فوجدته قد جعل الله تعالى عليه النار بردا وسلاما فاحتملته * قال اسحق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ثم ان أم موسى لما رأت الحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ولدها فقذف الله في نفسها أن تتخذ له تابوتا ثم تقذفه في اليم وهو النيل فانطلقت الى رجل نجار من أهل مصر من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال لها النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت أخبأ فيه ابنا لي وكرهت أن تكذب قال ولم قالت أخشى كيد فرعون قال فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بأمرها فلما هم بالكلام أمسك الله

لسانه فلم ينطق فجعل يشير بيده فلم تدر الامناء ما يقول فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه
فضربوه وأخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه ردّ الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد
الامناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ الله تعالى بلسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيأ فضربوه
وأخرجوه فوقع فى واد يهوى فيه حيران فأشهد الله تعالى عليه ان رد له لسانه وبصره أن لا يدل
عليه وان يكون معه يحفظه حيثما كان فعلم الله منه الصدق فردّ عليه لسانه وبصره فخرّ لله
ساجدا وعلم أن ذلك من الله تعالى فآمن به وصدّقه فانطلقت أم موسى به وألقته فى البحر وذلك
بعد ما أرضعته ثلاثة أشهر وكان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس
عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها
الاطباء من مصر والسحرة فنظروا فى أمرها فقالوا له أيها الملك انا لا نرى برأها الا من قبل البحر
شئ يؤخذ منه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه ويلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك فى يوم كذا
وكذا من شهر كذا وكذا فى ساعة كذا وكذا حين تشرق الشمس فلما كان فى يوم الاثنين غدا
فرعون الى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون
وجواريها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواريها تلاعبن وينضحن الماء على وجوههن
فبينما هنّ على ذلك اذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا الشئ فى البحر
قد تعلق بالشجر ائتونى به فابتدروه من كل جانب بالسفن حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب
فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا فدنت منه آسية فرأت فى جوف التابوت نورا لم يره
غيرها للامر الذى أراد الله تعالى من اكرامها وهدايتها فعالجته ففتحت التابوت فاذا هى بصبى
صغير فى مهده والنور بين عينيه وقد جعل الله رزقه فى ابهامه يمص منها لبنا فألقى الله تعالى محبة
موسى فى قلبها وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون عليه فلما أخرجوه من التابوت
عمدت بنت فرعون الى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها
فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك انا نظن أن المولود الذى تحذر منه من بنى اسرائيل هو
هذا ارم به فى البحر أو اقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته منه آسية فوهبه لها ثم انه قال سميه
فقالت قد سميته موسى لانه وجد بين الماء والشجر قالوا ثم ان أم موسى قالت لاخته وكانت تسمى
مريم قصيه أى ابتغى أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحى هو أم قد أهلكته دواب البحر ونسيت
وعد الله فبصرت به عن جنب أى عن بعد وهم لا يشعرون أنها أخته وكانت آسية قد أرسلت الى
من حولها من كل أنثى بها لبن لتختار له ظئرا تربى موسى فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه
لم يقبل ثديها حتى أشفقت آسية أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فأمرت به فأخرج الى
السوق لتجتمع عليه الناس ترجو أن تصيب له ظئرا يقبلها ويأخذ ثديها ويرضع منها فلم يقبل
ثدى امرأة فذلك قوله عز وجل وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت أخت موسى حين أعياهم
أمره وأعيا الظؤرة هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخذوها وقالوا لها
وما يدريك بنصحهم له ولعلك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ما أعرفهم وانما
نصحهم له وشفقتهم عليه من أجل رغبتهم فى ظؤرة الملك ورجاء منفعته فتركوها فانطلقت الى
أمها فأخبرتها بالخبر فأتت فلما وضعته على ثديها فى حجرها نزل اللبن من ثديها حتى ملأ

جنبيه فانطلق البشير الى آسية يبشرها أن قد وجدنا لابنك ظئرا فأرسلت اليها فأتى بها فلما رأت ما يصنع بها قالت لها امكثي عندي ترضعي ابني هذا فاني لم أحب شيأ مثل حبه قط فقالت لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع فان طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به الى بيتي وولدي فيكون معي ولا آلوله الاخيرا فعلت والا فاني غير تاركة بيتي وولدي وتذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت أن الله سبحانه وتعالى منجز وعده فرجعت بابنها الى بيتها من وقتها * وقيل كانت غيبة موسى عن أمه ثلاثة أيام ثم رده الله اليها وذلك قوله عز وجل فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن فلما جاءت أمه به الى بيتها كادت تقول هو ابني فعصمها الله عز وجل فذلك قوله تعالى ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وأنبته الله نباتا حسنا وحفظه فلما ترعرع قالت آسية لام موسى أحب أن تريني ابني فوعدتها يوما تريها اياه فيه فقالت آسية لخواصها وقهارمتها لا يبقى منكن أحد الا استقبل ابني بهدية وكرامة فاني باعثة بأمينة تحصي ما تصنع كل قهرمانة منكن فلم تزل الهدايا والتحف تستقبله من وقت أن خرج من بيت أمه الى أن دخل على امرأة فرعون فلما أن دخل عليها أكرمته وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه ثم قالت لها انطلقي به الى فرعون ليكرمه فلما دخلت به على فرعون أخذه ووضعه في حجره فتناول موسى لحية فرعون حتى جذبها ونتف منها بعض شعرات وكان فرعون طويل اللحية ويقال انه اطام وجهه وفي بعض الروايات انه كان يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب صغير فضرب به على رأس فرعون فغضب غضبا شديدا وتطير منه وقال هذا عدوي المطلوب فأرسل الى الذباحين ليذبحوه فبلغ ذلك امرأة فرعون فجاءت تسعى الى فرعون وقالت له ما بدا لك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي فأخبرها بما فعل موسى فقالت له انما هو صبي لا يعقل وانما صنع هذا من صباه وأنا أجعل فيما بيني وبينك أمرا تعرف به الحق وأضع له حليا من الذهب والياقوت وأضع له جمرا فان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان أخذ الجمر علمت انه صبي ثم انها وضعت له طشتا فيه الذهب والياقوت وطشتا آخر فيه الجمر فمد موسى يده على أنه يأخذ الجوهر ليقبض عليه فحول جبريل عليه السلام يده الى الجمر فقبض على جمرة ووضعها في فيه فجاءت على لسانه فأحرقته وذلك الذي قال في قوله تعالى واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فقالت له آسية ألا ترى الى فعله وأنه صبي لا يعقل فكف عن قتله وصرف الله عنه ذلك السوء فلم يزل عزيزا مكرما في بيت فرعون وحببه الله اليه والى الناس كلهم حتى كان يحبه كل من يراه ويروى أنه سئل ابليس هل أحببت أحدا من العالمين قال لا الا موسى بن عمران عليه السلام فقيل له وكيف ذلك فقال لان الله تعالى قال وألقيت عليك محبة مني فلم أتمالك ان أحببته

(الباب الثالث في ذكر حلية موسى بن عمران وهرون عليهما السلام)

قال كعب الاحبار كان هرون بن عمران نبي الله رجلا فصيح اللسان بين الكلام اذا تكلم تكلم بتؤدة وعلم وكان أطول من موسى وكان على رأسه شامة وعلى طرف لسانه أيضا شامة سوداء وكان موسى بن عمران رجلا آدم اللون جعدا طويلا كأنه من رجال أزدشنوأة وكان بلسان موسى عقدة وثقل وسرعة وعجلة وكان أيضا على طرف لسانه شامة سوداء

(الباب الرابع في قصة قتله القبطي وخروجه من مصر وورود مدين)

قال أهل التفسير لما بلغ موسى بن عمران أشده كان يركب مراكب فرعون ويلبس ما يلبس فرعون وكان يدعى موسى ابن فرعون وامتنع به عن بني اسرائيل كثير من الظلم والسخر التي كانت فيهم ولا يعلم الناس أن ذلك الامن قبل الرضاعة قالوا فركب فرعون ذات يوم مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى في أثره وأدركه المقيل بأرض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد أغلقت أسواقها وليس في طرقها أحد وهي التي قال الله تعالى فيها ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فبينما هو يمشي في ناحية المدينة اذ هو برجلين يقتتلان أحدهما من بني اسرائيل والآخر من آل فرعون كما قال الله تعالى فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه الآية والذي من شيعته يقال له السامري والذي من عدوه رجل من القبط كان خبازا لفرعون واسمه فاتون وكان قد اشترى حطبا للمطبخ فسخر السامري ليحمله فامتنع السامري فلما مر به موسى استغاثه السامري على القبطي فقال موسى للقبطي دعه فقال الخباز لموسى انما آخذه في عمل أبيك وأبى أن يخلي سبيله فغضب موسى فبطش به وخاص السامري من يده فنازعه القبطي فوكزه موسى فقتله وهو لا يريد قتله فذلك قوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه قال موسى هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم * قال وهب أوحى الله الى موسى بن عمران وعزتي وجلالي لو كانت النفس التي قتلت أقرت لي طرفة عين أني اله خالق رازق لاذقتك طعم العذاب وانما عفوت عنك لانها لم تقر لي ساعة واحدة أني اله خالق رازق قالوا ولما قتل موسى القبطي لم يره الا الله تعالى والاسرائيلي فلما قتله أصبح في المدينة خائفا يترقب الاخبار فأتوا فرعون وقالوا له ان بني اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك فقال فرعون ائتوني بقاتله ومن يشهد عليه لانه لا يستقيم أن يقضي بغير بينة ولا يثبت ملك على الاخذ بالظالم فاطلبوا ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلي على قتال الفرعوني فصادف موسى وهو نادم على ما كان منه بالامس فكره الذي رآه فغضب موسى فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني وقال للاسرائيلي انك لغوي مبين ففر الاسرائيلي من موسى وظن أنه يبطش به من أجل أنه أغلظ عليه في الكلام وكان غضبان فلما أقبل لنصره ومد يده ظن أنه يريد قتله فقال له يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس الآية وانما قال ذلك مخافة من موسى وظن أن يكون موسى أراده ولم يكن أراده وانما أراد الفرعوني فتنازعا فذهب الفرعوني فأخبرهم بما سمع من الاسرائيلي وذكر أن موسى هو الذي قتل الرجل بالامس وهو المثل السائر العدو العاقل أحرى عليك من الصديق الاحمق وينشد في معناه

ان اللبيب اذا تزايد بغضه * أحرى عليك من الصديق الاحمق

قال فلما أخبر فرعون بذلك أرسل الذباحين وأمرهم بقتل موسى وقال لهم اطلبوه فانه غلام لا يهتدي الى الطريق فطلب موسى في ثنيات الطريق وكان موسى يسلك الطريق الاعظم فجاءه رجل من شيعته من أقصى المدينة يقال له حزقيل وكان على بقية من دين ابراهيم وكان

أول من صدق بموسى وآمن به * ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالجنة وهو أفضلهم قال فجاء حزقيل مؤمن آل فرعون فأخبر موسى بما أمر به فرعون من قتله واختصر طريقا قريبا حتى سبق الذباحين اليه فاخبره الخبر فذلك قوله تعالى وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فخرج موسى ولم يدر أين يذهب فجاءه ملك على فرس بيده عنزة فقال له اتبعني فاتبعه فهداه الطريق الى مدين * ويروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج موسى من مصر الى مدين وبينهما مسيرة ثمان ليال ويقال نحو من الكوفة الى البصرة فلم يكن له طعام الا ورق الشجر فما وصل اليها الا وقد وقع خف قدمه وان خضرة البقل لترى من بطنه

(الباب الخامس في دخول موسى مدين وتزويج شعيب ابنته اياه)

قالت العلماء لما انتهى موسى الى أرض مدين في ثمان ليال نزل في أصل شجرة واذا تحتها بئر وهي التي قال الله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان أي تحبسان أغنامهما فقال لهما ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء لانا امرأتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرعاء فاذا سقوا مواشيهم سقينا أغنامنا من فضول حاجتهم وما يبقى من حياضهم وأبونا شيخ كبير تعنيان شعيبا * وروى حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس قال اسم أبي امرأة موسى الذي استأجره ثيرون صاحب مدين ابن أخي شعيب النبي عليه السلام واسم احدى الجاريتين ليا ويقال حنونا والاخرى صفورا وهي امرأة موسى عليه السلام فلما قالتا ذلك لموسى رحمهما وكان هنالك بئر على رأسها صخرة عظيمة وكان النفر من الرجال يجتمعون اليها حتى يرفعوها عن رأسها وحكى الاستاذ أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الواعظ أن تلك البئر غير البئر التي تسقي منها الرعاء قال وقد حضرتها ورأيتها قال فرفع موسى الصخرة عن رأسها وأخذ دلوا لهما وقال لهما قدما غنمكما فسقى لهما أغنامهما حتى أرواها فرجعتا الى أبيهما سريعا قبل الناس وتولى موسى الى الظل ظل الشجرة وقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير قال ابن عباس لقد قال ذلك موسى ولو شاء انسان أن ينظر الى خضرة أمعائه من شدة الجوع لنظرها وما سأل الله تعالى الا أكلة وقال أبو جعفر محمد الباقر لقد قالها وانه لمحتاج الى شق تمرة قالوا فلما رجعتا الى أبيهما قال لهما ما أعجلكما وأسرع رواحكما الليلة قالتا وجدنا رجلا صالحا فرحمنا فسقى لنا أغنامنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه الي فجاءته احداهما وهي التي تزوجها موسى وهي تمشي على استحياء فقالت له ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام موسى فتقدمته وهو يليها أي يتبعها فهبت ريح فألصقت ثوب المرأة بردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها موسى امشي خلفي ودليني على الطريق فاذا أخطأت فارمي قدامي بحصاة حتى انهج نهجا فانا بني يعقوب لا ننظر الى أعجاز النساء فمشت له الطريق الى منزل أبيها ومشت خلفه حتى دخل على شعيب فسأل شعيب موسى عن حاله وقصته فأخبره الخبر فقال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين فقالت احداهما وهي التي كانت الرسول الى موسى يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين قال النبي صلى الله عليه وسلم أصدق

النساء فراسة امرأتان كلتاهما تفرستا فى موسى فأصابتا احداهما امرأة فرعون حين قالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه والاخرى بنت شعيب حيث قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وانما قالت القوى الامين لانه أزال الحجر العظيم الذى لا يرفعه الا أربعون رجلا فقال لها أبوها هبك أنك عرفت قوته فما أعلمك بأمانته فأخبرته بما أمرها موسى من استدبارها اياه فى الطريق فازداد فيه شعيب رغبة فقال له انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج الى قوله من الصالحين أى فى حسن الصحبة معك والوفاء بشرطك فقال موسى ذلك بينى وبينك أيما الاجلين قضيت الآية وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل أى الاجلين قضى موسى قال أكملهما وأفضلهما وروى أنه قال قضى أوفاهما وتزوج بصغراهما

(الباب السادس فى ذكر نعت عصا موسى وبدو أمرها)

اختلف العلماء فى اسمها والمنافع التى كانت فيها وما ظهر من دلالة قدرة الله فيها قالوا ثم ان شعيبا أمر ابنته أن تأتيه بعصا ليعطيها موسى فيستعين بها فى رعايته فجاءته بعصا وكانت تلك العصا وديعة عنده دفعها اليه ملك على صورة رجل فردها عليها شعيب وأمرها أن تأتيه بعصا أخرى فما زالت ترجع وتأتيه بها بعينها لانها كانت كلما ردتها الى مكانها وأرادت أن تأخذ غيرها سقطت هى فى يدها فما زالت كذلك حتى أخذها شعيب وأعطاها موسى فلما أعطاه اياها ندم على ذلك لانها كانت وديعة عنده فقال له شعيب رد على العصا فأبى أن يردها عليه فتنازعا الى أن شرطا على أنفسهما أن يرتضيا حكم أول رجل يدخل عليهما فأتاهما ملك يمشى فتحاكما اليه فقال ضعاها على الارض فمن حملها فهى له فوضعها موسى على الارض فعالجها الشيخ فلم يطق حملها فأخذها موسى بيده فرفعها فلما رأى شعيب ذلك تركها له وفى رواية أخرى أن موسى لبث عند شعيب ما شاء الله ثم استأذنه فى الانصراف فأذن له وقال له ادخل هذا البيت وخذ عصا من العصى تكون معك تدرأ بها السباع عنك وعن غنمك وكانت عصى الانبياء يومئذ عند شعيب فلما دخل موسى البيت وثبت اليه العصا فصارت فى يده فخرج بها فقال له شعيب ردها وخذ غيرها وذلك أن شعيبا كان قد أخبر بأمر العصا ولم يدر شعيب أن صاحبها هو موسى فردها موسى الى البيت فألقاها وذهب ليأخذ غيرها فوثبت حتى صارت فى يده ففعل ذلك مرارا فقال له شعيب ألم أقل لك خذ غيرها فقال له موسى قد رددتها مرات فكلما فعلت ذلك وثبت حتى تصير فى يدى فعلم شعيب أن ذلك أمر يريده الله تعالى فقال له خذها (قالوا) وزوجه ابنته ورعى له موسى عشر سنين وولد لموسى أولاد من ابنة شعيب (قالوا) لما خرج موسى من مدين ووافى مصر كان شعيب يزوره فى كل سنة فاذا أكل قام موسى على رأسه ثم يكسر له الخبز ويلقيه بين يديه ويقول له كل وقال مقاتل بل كان جبريل هو الذى دفع العصا الى موسى وهو متوجه الى مدين بالليل قال كعب لما قدم مكة عبد الله بن عمرو بن العاص قلت سلوه عن ثلاث فان أخبركم فانه عالم سلوه عن شئ من الجنة وضعه الله للناس وعن أول ما وضع فى الارض وعن أول شجرة غرست فى الارض فسئل عنها فقال عبد الله أما الشئ الذى وضعه الله للناس فى الارض من الجنة فهو هذا الركن الاسود وأما أول ما وضع للناس فى الارض فبئر برهوت باليمن يردها ارواح الكفار واما أول شجرة وضعها الله تعالى فى الارض فالعوسجة التى اقتطع

منها

منها موسى عصاه فلما بلغ ذلك كعبا قال صدق الرجل فعلى هذا القول انما اقتطع موسى عصاه من تلك الشجرة فأظهر الله فيها قدرته ومعجزة موسى فيها وقال ابن عباس كتب صاحب الروم الى معاوية يسأله عن أربعة أشياء لم يركضوا فى رحم فلما قرأ معاوية الكتاب قال اخزاه الله وما علمى بها ههنا فقيل له اكتب الى ابن عباس فاسأله عن ذلك فكتب اليه يسأله عنها فكتب اليه ابن عباس فى الجواب اما الاربعة التى لم يركضوا فى رحم فآدم وحواء والكبش الذى فدى به اسمعيل وعصا موسى حيث ألقاها فصارت ثعبانا وقال أكثر العلماء كانت عصا موسى من آس الجنة وكان طولها عشرة أذرع على طول موسى حملها آدم من الجنة الى الارض فورثها الناس صاغرا عن كابر الى أن وصلت الى شعيب فأعطاها موسى واختلف العلماء فى اسمها فقال سعيد بن جبير اسمها ماسا وقال مقاتل بن سليمان اسمها نفعة وقال ابن حبان اسمها غياث وقال آخرون اسمها عليق

(الباب السابع فى صفة المآرب التى كانت فيها لموسى)

قال أهل العلم بأخبار الماضين كان لعصا موسى شعبتان ومحجن فى أسفل الشعبتين وسنان حديد فى أسفلها وكان موسى اذا دخل مفازة ليلا ولم يكن قمر تضىء شعبتاها كالشعلتين من نار تضيآن له مد البصر وكان اذا أعوزه الماء دلاها فى البئر فتمتد على قدر قعر البئر ويصير فى رأسها شبه الدلو فيستقى بها واذا احتاج الى الطعام ضرب الارض بها فيخرج ما يأكل يومه وكان اذا اشتهى فاكهة من الفواكه غرسها فى الارض فتخرج أغصان تلك الشجرة التى اشتهى موسى فاكهتها وأثمرت له من ساعتها ويقال كانت عصا موسى من اللوز وكان اذا جاع ركزها فى الارض فأورقت وأثمرت وأطعمت وكان يأكل منها اللوز وكان اذا قابل بها عدوه يظهر على شعبتيها تنينان يقاتلان وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتقى وعلى الحجر والشوك فتفرج له الطريق وكان اذا أراد عبور نهر من الانهار بلا سفينة ضرب بها عليه فانفلق وبدا له فيه طريق منفرج وكان يشرب من احدى شعبتيها العسل ومن الاخرى اللبن وكان اذا أعيا فى طريقه ركبها فتحمله الى أى موضع شاء من غير ركض ولا تحريك وكانت تدله على الطريق وكانت تقاتل أعداءه عنه وكان اذا طلب منها الطيب فاح منها الطيب فيتطيب ويطيب ثوبه واذا كان فى طريق فيه لصوص يخاف الناس جانبهم تكلمه العصا فتقول له خذ جانب كذا وكذا ولا تأخذ حيث كذا وكذا وكان يهش بها على غنمه ويدفع بها السباع عنهم والحشرات والحيات واذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جهازه ومتاعه ومخلاته ومقلاعه وكساءه وطعامه وشرابه (قال ابن حبان) قال شعيب لموسى حين زوجه ابنته وسلم اليه أغنامه يرعاها اذهب بهذه الاغنام فاذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وان كان الكلأ بها أكثر فان هناك تنينا عظيما أخشى عليك وعلى الاغنام منه فذهب موسى بالاغنام حتى اذا بلغ مفرق الطريق أخذت الاغنام ذات اليمين فاجتهد موسى أن يصرفها ذات الشمال فلم تطعه فخلاها على ما تريده ثم نام موسى والاغنام ترعى واذا التنين قد جاء فقامت العصا فحاربته فقتلته وأتت فاستلقت الى جانب موسى وهى دامية فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية والتنين مقتول فعلم موسى أن فى تلك العصا قدرة وعرف انها شأنا فهذه مآرب موسى اذا

كانت فى يده وأما اذا ألقاها فيروى انها كانت تنقلب حية كأعظم ما يكون من الثعابين سوداء مدلهمة تدب على أربع قوائم فتصير عشرة ذراعا وفيه اثنا عشر نابا وضرسا كالصاصرين وصرير يخرج منه لهب النار ويصير محجنها عرفا لها كأمثال النار تلتهب وعيناها تلمعان كما يلمع البرق تهب منها رياح السموم فلا تصيب شيأ الا أحرقته تمر بالصخرة مثل الناقة الكوماء فتبتلعها حتى ان الصخور فى جوفها لتتقعقع وتمر بالشجرة فتقصمها بأنيابها وتحطمها وتبتلعها وجعلت تتلمظ وتتبرم كأنها تطلب شيأ تأكله وكانت تكون فى عظم الثعبان وفى خفة الجان وابن الحية وذلك موافق لنص القرآن حيث يقول الله تعالى فى موضع فاذا هى ثعبان مبين وفى موضع آخر كأنها جان وفى موضع آخر فاذا هى حية تسعى

الباب الثامن فى ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين وتكليم الله اياه فى الطريق وارساله الى فرعون واستعانته بأخيه هرون وكيفية ذهابهما الى فرعون لتبليغ الرسالة

قال الله عز وجل فلما قضى موسى الاجل الآية قالت العلماء بسير الانبياء لما ورد موسى أرض مدين وأتى عليه من يوم وروده تسع سنين قال له شعيب انى وهبت لك كل بلقاء وأبلق من نتاج أغنامى التى تضعها فى هذه السنة يعنى السنة العاشرة أراد بذلك مبرة موسى وصلة ابنته صفورا امرأة موسى قال فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك الماء الذى فى مستقى الاغنام ففعل موسى ذلك ثم سقى الاغنام من ذلك الماء فما أخطأت واحدة من تلك الاغنام الا وضعت حملها مرتين ما بين أبلق وبلقاء فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله تعالى الى موسى وأهله فوفى موسى بشرطه وسلم اليه الاغنام التى وهبها منه وقضى موسى أتم الاجلين وأوفاهما فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله منفصلا من أرض مدين وكان فى أيام الشتاء ومعه امرأته وأغنامه وهى فى شهرها لا تدرى أتضع ليلا أو نهارا فانطلق فى برية الشأم عادلا عن المدائن والعمران مخافة الملوك الذين كانوا بالشأم وكان أكبر همه ومنذ طلبة أخيه هرون واخراجهم من مصر ان استطاع اليه سبيلا فسار موسى فى البرية غير عارف بطرقها فالجأه المسير الى جانب الطور الايمن الغربى فى عشية شاتية شديدة البرد وأظلم عليه الليل وأخذت السماء ترعد وتبرق وتمطر وأخذ امرأته الطلق فعمد موسى الى زنده فقدحه فلم يور فضجر وقام وقعد اذ لم يكن له عهد بمثل ذلك فى الزند وأخذ يتأمل ما قرب وما بعد تحيرا وضجرا ثم أخذ يتسمع لعله يسمع حسا أو حركة فبينما هو كذلك اذ آنس من جانب الطور نورا فحسبه نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى يعنى من يدلنى على الطريق وكان قد ضل الطريق فلما أتاها رأى نورا عظيما ممتدا من عنان السماء الى شجرة عظيمة هنالك واختلفوا فى تلك الشجرة ما كانت فقيل العوسجة وقيل العناب فتحير موسى وارتعدت فرائصه حيث رأى نارا عظيمة ليس لها دخان وهى تلتهب وتشتعل من جوف شجرة خضراء لا تزداد النار الا عظما ولا تزداد الشجرة الا خضرة فلما دنا موسى منها استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع عنها وخاف ثم ذكر حاجته الى النار فرجع اليها ودنت منه فنودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى فنظر فلم ير أحدا فنودى انى أنا الله رب العالمين فلما سمع ذلك علم أنه ربه تعالى فناداه

ربه أن ادن واقرب فلما قرب وسمع النداء ورأى تلك الهيبة خفق قلبه وكل لسانه وضعفت بنيته
وصار حيا كميت الا أن روح الحياة تتردد فيه من غير حراك وأرسل الله اليه ملكا يشد ظهره
ويقوى قلبه فلما ثاب اليه عقله نودى فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى وكان السبب فى
أمره بخلع نعليه ما أخبرنا حامد بن عبد الله الاصبهانى قال حدثنا يحيى السدى قال حدثنا أحمد
ابن نجدة قال حدثنا الجمالى قال حدثنا عيسى بن يونس عن حميد عن عبد الله بن مسعود عن
النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت وفى بعض الاخبار
غير مدبوغ وقال مجاهد وعكرمة انما قال فاخلع نعليك كى تمس راحة قدميه الارض الطيبة
فينه له بركتها لانها قدست مرتين وقال سعيد بن جبير انما قال له ذلك لان الحفو من أمارات
التواضع والاحترام فقيل له طا الارض حافيا كما تدخل الكعبة من بركة الوادى وقال أهل
الاشارة النعل عبارة عن المرأة وذلك تأويله فى المنام فقيل له فرغ قلبك من شغل أهلك ثم قال له
تعالى تسكينا القلبه واذهابا لدهشته وما تلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى الآية فقال الله
تعالى ألقها ياموسى فألقاها فاذا هى حية تسعى قد صارت شعبتاها فمها ومحجنها عرفا لها
فى ظهرها وهى تهتز لها أنياب وهى كما شاء الله أن تكون فرأى موسى أمرا فظيعا فولى موسى
مدبرا ولم يعقب فناداه ربه تعالى أن ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين سنعيدها سيرتها
الاولى أى نردها عصا كما كانت ويقال ان الحكمة فى أمر الله تعالى اياه بالقاء العصا قبل أن
يصل الى فرعون لكى لا يفزع منها موسى اذا رآها على تلك الحالة عند فرعون فلما أقبل موسى
قال له خذها اذ كانت عصاك ولا تخف لانه كان ادعى الملك فقال هى عصاى فنبه على ذلك وكان
على موسى جبة من صوف فلف كمه على يده وهو لها هائب فنودى أن احسر يدك فحسر كمه عن يده
ثم أدخل يده تحت لحييها فلما أدخل يده قبض فاذا هى عصاه فى يده ويده بين شعبتيها حيث كان
يضعها ثم قال له ادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى وانما قال فى جيبك
لانه لم يكن للبوسه كم واسع فضاء عليه فادخل يده فى جيبه ثم أخرجها فاذا هى نور
تلتهب يكل عنه البصر ثم ردها فخرجت كما كانت على لون يده فقال الله تعالى فذانك برهانان
من ربك الى فرعون وملئه الآية ثم قال له اذهب الى فرعون انه طغى فقال موسى رب انى
قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخى هرون هو أفصح منى لسانا الى قوله يكذبون فقال
له ياموسى انى أوقفتك موقفا لا أجعل بعده لاحد عليك سلطانا ادونى ولا ينبغى لمن بعدك أن
يسمع كلامى وأنت فى أقرب الاماكن منى وعلى موسى يومئذ مدرعة من صوف قد خللها بخلال
وجبة من صوف وثياب من صوف وقلنسوة من صوف والله تعالى يكلمه ويعهد اليه
ويقول له ياموسى انطلق برسالتى وأنت بعينى وسمعى ومعك قوتى وبصرى بعثتك الى خلق
ضعيف من خلقى بطر نعمتى وأمن مكرى وعبد دونى وغرته الدنيا حتى جحد حقى وأنكر ربوبيتى
وزعم أنه لا يعرفنى وانى أحلف بعزتى وجلالى لولا الحجة والقدرة اللتان جعلتهما بينى وبين
خلقى لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والارض والبحار والجبال والشجر
والدواب فلو أذنت للسماء لحصبته وللارض لابتلعته وللجبال لدككته وللبحار لغرقته
ولكن سقط من عينى وهان على وصغر عندى ووسعه حلمى وأنا الغنى عنه وعن جميع خلقى وحق

ذلك لى وأنا خالق الغنى والفقير لا غنى الا من أغنيته ولا فقير الا من أفقرته فابلغه رسالتى وادعه الى عبادتى وتوحيدى والاخلاص لى وحذره نقمتى و بأسى وذكره آياتى وأعلمه أنه لا يقوم لغضبى شئ وقل له فيما بين ذلك قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ويجله فى خطابك اياه ولا يروعك ما ألبسته من لباس الدنيا فان ناصيته بيدى ولا يطرف ولا ينطق ولا يتنفس عن شئ الا بعلمى واخبره بأنى من العفو والمغفرة اسرع منى الى الغضب والعقوبة وقل له أجب ربك فانه واسع المغفرة وقد امهلك فى طول هذه المدة وفى كلها تدعى الربوبية دونه وتصد عن عبادته وفى كل ذلك يمطر عليك السماء وينبت لك الارض ويلبسك العافية حتى لم تهرم ولم تسقم ولم تفتقر ولم تغلب ولو شاء لعاجلك بالنقمة ولسلبك ما أعطاك ولكنه ذو حلم عظيم ثم أمسك الكلام عن موسى سبعة أيام بلياليها ثم قيل له بعد سبع ليال أجب ربك يا موسى فيما كلمك فقال رب اشرح لى صدرى الى قوله تعالى بصيرا فقال الله تعالى قد أوتيت سؤلك يا موسى فجاهد بنفسك وأخيك وكان قد خطر فى قلب موسى ان فرعون فى بأس عظيم وجند كثير وأنا وأخى وحيدان فريدان فقال الله تعالى له انكما جندان عظيمان من جندى وأنا معكما أسمع وأرى وأبصركما وأكون معكما فلا تستضعفان ولا تستقلان ولو شئت أن آتيه بجنود لا قبل له بها فعلت ولكن ليعلم ذلك الشقى الضعيف الذى قد أعجبته نفسه وجنوده ان الفئة القليلة ولا قليل معى تغلب الفئة الكثيرة باذنى ولا يعجبنكما زينته ولا بهجته ولا تمدا أعينكما الى ما متع به من زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت أن أزينكما من زينة الدنيا وبهجتها ما يبهت فرعون وملأه اذا نظروا اليها ويعلم ان مقدرته تعجز عما آتيتكما فعلت فلا تأسفا عما أزويه عنكما من متاع الدنيا وزينتها فان ذلك دأبى فى أوليائى وأصفيائى أذودهم عن نعيم الدنيا ولذاتها كما يذود الراعى الشفيق غنمه عن المراتع الرديئة لكى تستكملوا نصيبكم من كرامتى فى الآجل واعلم أنه لا يتزين احد من عبادى بزينة هى أبلغ من الزهد فى الدنيا وهى زينة الابرار و يقال ان الله تعالى كلمه فى تلك المدة مائة ألف كلمة وأربعة عشر ألف كلمة يقول له مع كل كلمة قتلت نفسا بغير حق (وقيل) لموسى عليه السلام بم عرفت أن الله تعالى هو الذى كلمك فقال لان كلام المخلوق انما يسمع من جهة واحدة بحاسة واحدة وهى السمع وانى كنت أسمع كلام الله تعالى من جميع الجهات بجوارحى كلها فعرفت أنه كلام الله تعالى (قالوا) ولما صعد موسى الجبل لمناجاة الله تعالى صار الجبل عقيقا فلما نزل موسى عنه عاد الى حالته الاولى فلما رجع موسى شيعته الملائكة وكان قلب موسى مشغولا بولده وأراد أن يختنه فأمر الله تعالى ملكا فقبض يده ولم تزل قدمه عن موضعها حتى جاء به الملك ملفوفا فى خرقة وناوله الى موسى فأخذ حجرين فحك احدهما بالآخر حتى حدده كالسكين من الحديد فختن به ابنه ثم ان الملك عالج المقطوع من المختون فتفل فيه فبرأ من ساعته باذن الله تعالى ثم ان الملك رده الى موضعه الذى جاء به منه ولم يزل أهل موسى مقيمين فى ذلك المكان لا يدرون ما فعل موسى حتى مر بهم راع من أهل مدين فعرفهم فاحتملهم وردهم الى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعد ما فلق البحر وجاوزه بنى اسرائيل وأغرق الله فرعون فبعثهم شعيب الى مصر الى موسى قالوا وخرج موسى من فوره ذلك لما بعثه الله الى مصر لا علم له بالطريق وكان الله تعالى يهديه ويدله وليس معه زاد ولا سلاح ولا حمولة ولا صاحب له ولا شئ من الاشياء غير العصا ومدرعة صوف وقلنسوة

صوف ونعلين وكان يظل صائماويبيت قائماويستعين بالصيد وبقول الارض حتى ورد مصر فلما قرب من مصر أوحى الله تعالى اليه لاتخف ولاتجزع ثم أوحى الله تعالى الى أخيه هرون يبشره بقدوم موسى ويخبره أنه قدجعله وزيراله ورسولا معه الى فرعون وأمره أن يمر يوم السبت غرة ذي الحجة متنكرا الى شاطئ النيل ليلتقي بموسى تلك الساعة قال فخرج هرون وأقبل موسى فالتقيا على شاطئ النيل قبل طلوع الشمس واتفق أنه كان يوم ورود الاسد الماء وكانت لفرعون أسد تحرسه فى غيضة محيطة بالمدينة من حواليها وكانت ترد الماء غبا وكان فرعون اذذاك فى مدينة حصينة عليها سبعون سورا وكان بين كل سورين بساتين وأنهار ذات مزارع وأرض واسعة فى ربض لكل سور سبعون ألف مقاتل ومن وراء تلك المدينة غيضة تولى فرعون غرسها بيده وعمل فيها وسقاها بالنيل واسكنها الاسد فتناسلت وتوالدت حتى كثرت ثم اتخذها جندا من جنوده تحرسه وجعل خلال تلك الغيضة طرقا تفضي بمن سلكها الى أبواب المدينة معلومة ليس لتلك الابواب طرق غيرها فمن أخطأها وقع فى تلك الغيضة فتأكله الاسود وكانت الاسود اذا وردت النيل ظلت عليه يومها كلها ثم تصدر مع الليل قال فلما التقى موسى بهرون كان يوم ورودها فلما رأتهما الاسد مدت أعناقها ورؤسها اليهما وشخصت بابصارها نحوهما وقذف الله فى قلوبها الرعب فانطلقت نحو الغيضة مسرعة هاربة على وجوهها يطأ بعضها بعضا حتى اندست فى الغيضة وكان لها ساسة يسوسونها ودادة يذودونها أى يغرونها ويسلطونها على الناس فلما أصابها ما أصابها خاف ساستها من فرعون ولم يشعروا من أين أتوا ثم ان موسى وهرون انطلقا فى تلك الغيضة حتى وصلا الى باب المدينة الاعظم الذى هو أقرب أبوابها الى منزل فرعون وكان منه يدخل ويخرج وذلك ليلة الاثنين بعد هلال ذى الحجة بيوم فأقاما عليه سبعة أيام فكلمهما واحد من الحراس وقال لهما هل تدريان لمن هذا الباب فقال موسى ان هذا الباب والارض كلها ومافيها لرب العالمين وأهلها عبيد له فسمع ذلك الرجل كلاما لم يسمع مثله قط ولم يظن أن أحدا من العالمين يفصح بمثله فلما سمع الرجل ما سمع أسرع الى كبرائه الذين فوقه وقال لهم سمعت اليوم قولا وعاينت عجبا من رجلين هما عندى أعظم وأشنع وأفظع مما أصابنا فى الاسد وما كانا يقدران أن يتقدما على ما قدما عليه الا بسحر عظيم وأخبرهم بالقصة فلم يزل ذلك الخبر يتداول بينهم حتى انتهى الى فرعون قال السدى باسناده سار موسى بأهله نحو مصر حتى أتاها ليلا فتضيف أمه وهى لا تعرفه فأتاها فى ليلة كانوا يأكلون فيها الطفيشل فنزل فى جانب الدار فجاء هرون فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته أنه ضيف فدعاه فأكل معه فلما قعدا وتحدثا سأله هرون من أنت فقال أنا موسى فقام كل واحد منهما الى صاحبه فاعتنقه فلما تعارفا قال له موسى ياهرون انطلق معى الى فرعون فان الله تعالى قد أرسلنا اليه فقال له هرون سمعا وطاعة فقامت أمهما وصاحت وضجت وقالت أنشدكما الله أن لا تذهبا الى فرعون فيقتلكما فأبيا عليها ومضيا لامر الله تعالى فانطلقا اليه ليلا فأتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلا فقرعا الباب ففزع فرعون وفزع البواب وقال فرعون من هذا الذى يضرب بابى فى هذه الساعة فأشرف عليهما البواب وكلمهما فقال له موسى انى أنا رسول رب العالمين ففزع البواب وأتى فرعون وأخبره بما سمع وقال له ان ههنا انسانا مجنونا يزعم أنه رسول رب

العالمين وقال ابن اسحق خرج موسى لما بعثه الله تعالى حين قدم مصر على باب فرعون هو وأخوه
هرون يلتمسان الاذن عليه وهما يقولان انا رسول رب العالمين فآذنا فيما بلغنا سنتين يغدوان
الى بابه ويروحان وفرعون لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه
بطال له يلعب معه ويضحكه فقال له أيها الملك ان على بابك رجلين يقولان قولا عجيبا يزعمان ان
لهما الها غيرك فقال فرعون ادخلوهما فادخل موسى ومعه هرون عليهما السلام

(الباب التاسع فى ذكر دخول موسى وهرون على فرعون)

قال الله تعالى فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين وقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر
أو يخشى وروى عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى فى هذه الآية قال قال لهما اعذرا اليه لعله
يتذكر أو يخشى فقولا له ان لك ربا ومعادا وان بين يديك جنة ونارا لعله عند ذلك يتذكر أو يخشى
وعيدكما وهو عندى لا يتذكر ولا يخشى قال لكى لا يقول أهلكته قبل أن أعذر اليه قال فلما
أذن فرعون لموسى وهرون دخلا عليه فلما وقفا عنده دعا موسى بدعاء وهو لا اله الا الله الحليم
الكريم لا اله الا الله العلى العظيم سبحان رب السموات السبع والارضين السبع وما فيهن
وما بينهن ورب العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم انى أدرأ بك فى
نحره وأعوذ بك من شره وأستعين بك عليه فاكفنيه بما شئت قال فتحول ما فى قلب موسى من
الخوف أمنا وكذلك كل من دعا بهذا الدعاء وهو خائف امن الله خوفه ونفس كربته وهون عليه
سكرات الموت ثم ان فرعون قال لموسى من أنت فقال أنا رسول رب العالمين فتأمله فرعون
فعرفه فقال له ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من
الكافرين معنا على ديننا هذا الذى هو الآن بعينه قال موسى فعلتها اذا وأنا من الضالين أى
من المخطئين ولم أرد بذلك القتل ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين
ثم أقبل موسى ينكر عليه ما ذكره من يده عليه فقال وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى
اسرائيل أى اتخذتهم عبيدا تنتزع أبناءهم من أيديهم فتسترق من شئت وتقتل من شئت أى انما
صيرنى اليك ذلك قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم
موقنين قال فرعون لمن حوله من مائة ألا تستمعون انكارا لما قال موسى قال موسى ربكم ورب
آبائكم الاولين قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون يعنى ما هذا بكلام رجل
صحيح العقل اذ يزعم ان لكم الها غيرى قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم
تعقلون ثم قال فرعون لموسى لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك
بشئ مبين تعرف به صدقى وكذبك وحقى وباطلك قال فرعون فأت به ان كنت من الصادقين فألقى
موسى عصاه فاذا هى ثعبان مبين فاتحة فاها قد ملأت ما بين جانبى القصر واضعة لحيها الاسفل فى
الارض والاعلى على سور القصر حتى رأى بعض من كان خارجا من مدينة مصر رأسها ثم
توجهت نحو فرعون تأخذه فانتفض منها الناس وذعر منها فرعون ووثب عن سريره وأحدث
حتى قام من بطنه فى يومه ذلك أربعين مرة وكان فيما يزعمون لا يسعل ولا يتمخط ولا يتصدع
رأسه ولا تصيبه آفة مما يصيب الناس وما كان يقوم الا فى كل أربعين يوما مرة واحدة وكان أكثر
ما يأكل الموز لانه لا يكون له ثفل فيحتاج الى القيام وكانت هذه الاشياء مما زين له ان قال ما قال

لانه ليس له من الناس شبيه (قالوا) فلما قصدته الحية صاح يا موسى أنشدك بالله وحرمة الرضاع
الا ما أخذتها وأمسكتها عني وأنا أؤمن بك وأرسل معك بني اسرائيل فأخذها موسى فعادت
عصا كما كانت ثم ان موسى نزع يده من جيبه فأخرجها فقال له فرعون هذه يدك فما فيها فأدخلها
موسى في جيبه ثم أخرجها ولها نور ساطع في السماء تكل عنه الابصار قد أضاء ما حولها
ودخل ضوءها البيوت ورؤي من الكوى ومن وراء الحجب فلم يستطع فرعون النظر اليها
ثم ردها موسى الى جيبه ثم أخرجها فاذا هي على لونها الاول قالوا فهم فرعون بتصديقه
فقام اليه هامان وجلس بين يديه ثم انه قال له بينما أنت اله تعبد اذ أنت تابع لعبد فقال فرعون
لموسى أمهلني اليوم وغدا فأوحى الله لموسى أن قل لفرعون انك ان آمنت بالله وحده عمرتك
في ملكك ورددتك شابا طريا فاستنظره فرعون فلما كان من الغد دخل اليه هامان فأخبره فرعون
بما وعده موسى من ربه فقال له هامان والله ما يعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوما واحدا ونفخ
في منخره ثم قال له هامان أنا أردك شابا فأتى بالوشم فخضبه به فهو أول من خضب بالسواد فلذلك
كرهه صلى الله عليه وسلم ونهى عنه فلما دخل عليه موسى ورآه على تلك الحالة هاله ذلك فأوحى
الله تعالى اليه لا يهولنك ما رأيت فانه لن يلبث الا قليلا حتى يعود الى حالته الاولى وفي بعض
الروايات ان موسى وهرون لما انصرفا من عند فرعون أصابهما مطر في الطريق فأتيا على عجوز
من أقرباء أمهما وكان فرعون وجه الطلب في أثرهما فلما دخل عليهما الليل ناما في دارها وجاء
الطلب الى الباب والعجوز منتبهة فلما أحست بهم خافت عليهما فخرجت العصا من جانب الباب
والعجوز تنظر اليها فقاتلتهم فقتلت منهم سبعة أنفس ثم عادت ودخلت الدار فلما انتبه موسى
وهرون أخبرتهما العجوز بقصة الطلب ونكاية العصا فيهم ثم ان العجوز آمنت بهما وصدقتهما

الباب العاشر في قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة وخروجهم يوم الزينة الى الفضاء للمغالبة

قالت العلماء بأخبار الانبياء ان موسى وهرون عليهما السلام وضع فرعون أمرهما وما أتيا به
من سلطان الله تعالى على السحر فقال للملاء حوله ان هذان لساحران عليمان فماذا تأمرون
قالوا اقتلهما فقال العبد الصالح حزقيل مؤمن آل فرعون أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله الى
قوله تعالى سبيل الرشاد وقال الملأ من قوم فرعون أرجئه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين
يأتوك بكل سحار عليم وكانت لفرعون مدائن فيها سحرة معدة للامر اذا أحزنه (قال ابن عباس)
قال فرعون لما رأى من سلطان الله تعالى في اليد والعصا ما رأى انا لا نغالب موسى الا بمن هو
مثله فأخذ غلمانا من بني اسرائيل فبعث بهم الى قرية يقال لها الغرما يعلمونهم السحر كما يعلمون
الصبيان في الكتاب فعلموهم سحرا كثيرا ثم ان فرعون واعد موسى موعدا ثم بعث الى السحرة
فجيء بهم ومعهم معلمهم فقال له ماذا صنعت فقال له معلمهم قد علمتهم سحرا عظيما كبيرا لا تطيقه
سحرة الارض الا أن يكون أمر من السماء فانهم لا طاقة لهم به ثم ان فرعون بعث الى الشرط في
مملكته فلم يتركوا في مملكته ساحرا الا أتوا به واختلفوا في عدة السحرة الذين جمعهم فرعون
فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط وهما رأسا القوم وسبعون من بني
اسرائيل (وقال الكلبي) كانوا سبعين ساحرا غير رؤسهم وكان الذي يعلمهم السحر رجلين

مجوسيين من أهل نينوى (وقال كعب) كانوا اثني عشر ألفا وقال السدي كانوا بضعة وثلاثين
ألفا وقال عكرمة سبعين ألفا وقال محمد بن المنكدر ثمانين ألفا والجامع لهذه الاقاويل ما روى
أن فرعون جمع السحرة وهم سبعون ألفا فاختار منهم سبعة آلاف ليس فيهم الا من هو ساحر ماهر
ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختار منهم سبعين من كبارهم وعلمائهم قال مقاتل وكان اسم رأس
السحرة شمعون وقال ابن جريج يوحنا وقال عطاء كان رأس السحرة بأقصى مدائن الصعيد
وكانا أخوين فلما جاءهما رسول فرعون قالا لامهما دلينا على قبر أبينا فدلتهما عليه فأتياه وصاحا
باسمه فاجابهما فقالا له ان الملك وجه الينا رسولا لنقدم عليه لانه أتاه رجلان ليس معهما سلاح
ولا رجال ولهما عز ومنعة وقد ضاق الملك ذرعا من عزهما ومنعتهما ومعهما عصا اذا ألقاها
لا يقوم لها شيء حتى تبلع الحديد والخشب والحجارة فأجابهما أبوهما وقال انظراهما اذا هما ناما
فاذا قدرتما أن تسلا العصا فسلاها فان الساحر لا يعمل سحره وهو نائم فان عملت العصا وهما
نائمان فذلك أمر رب العالمين لا طاقة لكما به ولا للملك ولا لجميع أهل الدنيا ثم انهما أتياهما في
خفية وهما نائمان ليأخذا العصا فقصدتهما العصا قالوا ثم انه واعد موسى غدوة يوم الزينة
وكان يوم سوق لهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يوم عاشوراء ووافق ذلك يوم
السبت أول يوم من السنة وهو يوم النيروز وكان يوم عيد لهم تجتمع اليه الناس من جميع
الآفاق وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كان مجمعهم بالميقات بالاسكندرية ويقال بلغ ذنب
الحية الجزيرة من وراء البحيرة يومئذ قالوا ثم ان السحرة قالت لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن
الغالبين قال فرعون نعم وانكم اذا لمن المقربين يعني في المنزلة فلما اجتمع السحرة والناس جاء موسى
متكئا على عصاه ومعه أخاه هرون حتى أتيا الجمع وفرعون في مجلسه مع أشراف قومه فقال
موسى للسحرة حين جاءهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى
فتناجى السحرة فيما بينهم فقال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر فذلك قوله تعالى فتنازعوا أمرهم
بينهم وأسروا النجوى فقالت السحرة لنأتينك اليوم بسحر لم تر مثله وقالوا بعزة فرعون انا لنحن
الغالبون وكانوا قد جاؤوا بالعصي والحبال يحملها ستون بعيرا فلما أبوا الا الاصرار على السحر
قالوا لموسى اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين قال لهم موسى بل ألقوا أنتم حبالكم وعصيكم
فالقوا فاذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا تسعى فذلك قوله
تعالى يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى الى قوله تعالى خيفة موسى فقال موسى والله انها كانت
لعصيا في أيديهم ولقد عادت حيات وما عصاي هذه فلما حدث نفسه بذلك أوحى الله اليه لا تخف
انك أنت الاعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر
حيث أتى ففرح موسى ثم انه ألقى عصاه من يده فاذا هي ثعبان مبين كأعظم ما يكون من الثعابين
أسود مدلهم يدب على أربع قوائم قصار غلاظ شداد وهو أعظم وأطول من بختي عظيم وله ذنب
يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة برأسه وعنقه وكان لا يضرب بذنبه على شيء الا حطمه
وقصمه ويكسر بقوائمه الصخور الصم الصلاب ويطحن كل شيء ويضرم الحيطان والبيوت
بنفسه نارا وله عينان يلتهبان نارا ومنخراه ينفخان سموما وعلى معرفته شعر كأمثال الرماح
وصارت الشعبتان له فما سعته ثنتا عشرة ذراعا وفيه أنياب وأضراس لها فحيح وكشيش

وصر يف وصر يرفاست عرضت ما ألقت السحرة من حبالهم وعصيهم وهى تخيل فى أعين الناس وعين فرعون انها تسعى فجعلت تلقفها وتبلعها واحدا واحدا حتى لم ير فى الوادى لا قليل ولا كثير مما ألقوا وانهزم قوم فرعون هاربين منقلبين فتزاحموا وتضاغطوا ووطئ بعضهم بعضا حتى مات منهم يومئذ فى ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفا وانهزم فرعون فيمن انهزم مغموما مرعوبا ذاهبا عقله وقد استطلق عليه بطنه من يومه ذلك أربعمائة مرة فصار يحصل له ذلك أربعين مرة فى كل يوم وليلة على الدوام الى ان هلك فلما انهزم الناس وعاين السحرة ما عاينوا قالوا لبعضهم لو كان ساحرا ما غلبنا ولا خفى علينا أمره ولو كان سحرا فأين حبالنا وعصينا فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون وكان فيهما اثنان وسبعون شيخا قد انحنت ظهورهم من الكبر وكانوا علماء رؤساء وكان رؤس السحرة خمسة نفر سابور وعادور وحفظ وخطط ومصفاوهم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من سلطان الله تعالى فلما رأى فرعون ذلك أسف وقال لهم متجلدا آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر الى قوله تعالى أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات الآية فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم فى جذوع النخل وهو أول من فعل ذلك فأصبحوا سحرة كفرة وأمسوا شهداء بررة ورجع فرعون مغلوبا مهزوما مكسورا ثم أبى الا الاقامة على الكفر والتمادى فى الشر فتابع الله عليه الآيات وأخذه وقومه بالسنين الى أن أهلكهم ثم ان موسى عاد راجعا الى قومه والعصا على حالها حية تتبعه وتبصبص حوله وتلوذ به كما يلوذ الكلب الالوف بصاحبه والناس ينظرون اليها ويتعجبون منها وقد ملؤا رعبا فلم تزل العصا على هيئة الحية والناس ينظرون وينظرون اليها ويتصاعقون ويتضاغطون حتى دخل موسى عليه السلام عسكر بنى اسرائيل فأخذ برأسها فاذا هى عصا كما كانت أول مرة وشدد الله على فرعون أمره ولم يجد الى موسى سبيلا واعتزل موسى مدينته ولحق بقومه وعسكره وكانوا مجتمعين الى أن صاروا ظافرين

الباب الحادى عشر فى قصة حزقيل مؤمن آل فرعون وامرأته ومقتله وأولاده رضى الله عنهم أجمعين

قالت الرواة كان حزقيل من أصحاب فرعون نجارا وهو الذى صنع لام موسى التابوت حين ولدته وألقته فى البحر وقيل انه كان خازنا لفرعون قد خزن له مائة سنة وكان مؤمنا مخلصا يكتم ايمانه الى ان ظهر موسى على السحرة فأظهر حزقيل أمره فأخذ يومئذ وقتل مع السحرة صلبا وهو الذى ذكره الله فى القرآن فى قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حبيب النجار مؤمن آل يس وحزقيل مؤمن آل فرعون وعلى مؤمن آل محمد صلى الله عليه وسلم وهو أفضلهم وأما امرأة حزقيل فانها كانت ماشطة بنات فرعون وكانت مؤمنة من اماء الله الصالحات الا أنها كانت مع بنات فرعون تخدمهن وكان من قصتها ما أخبرنا به بالاسانيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أسرى بى مررت برائحة طيبة فقلت لجبريل عليه السلام ما هذه الرائحة قال هذه رائحة ماشطة آل فرعون وأولادها كانت تمشط ذات يوم بنت فرعون فوقع المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت بنت فرعون أبى قالت لا بل ربى وربك ورب أبيك فقالت لها

لا خبرن بذلك أبي فلما أخبرته دعا بها وبولدها وقال لها من ربك فقالت ان ربي وربك الله فأمر بتنور من نحاس فأحمي وأمر بها وبولدها أن يلقوا فيه فقالت له ان لي اليك حاجة فقال وماهي قالت تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنهما قال وذلك لك لما لك علينا من الحق ثم أمر بأولادها فألقوا واحدا واحدا في التنور حتى اذا كان آخر أولادها وكان صبيا رضيعا فقال اصبري يا أماه فانك على الحق فألقيت في التنور مع ولدها فسئل ابن عباس فيمن تكلم في المهد فقال تكلم في المهد أربعة عيسى ابن مريم وشاهد يوسف وصاحب جريج وهذا الصبي

(الباب الثاني عشر في ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها رحمها الله تعالى)

قال الله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون يقال ان امرأة فرعون آسية كانت من بني اسرائيل وكانت مؤمنة مخلصة وكانت تعبد الله سرا حتى انها كانت لتعتل في قضاء حاجتها فتبرز فتصلي يومها في متبرزها خوفا من فرعون وكانت على تلك الحالة الى أن قتل فرعون امرأة حزقيل وكانت آسية متطلعة من كوة في قصر فرعون تنظر الى الماشطة امرأة حزقيل كيف تعذب وتقتل فلما قتلت الماشطة عاينت آسية الملائكة وقد عرجت بروحها لما أراد الله تعالى من كرامتها وما أراد لها من الخير فزادت يقينا بالله وتصديقا فبينما هي كذلك اذ دخل عليها فرعون وجعل يخبرها بخبر الماشطة امرأة حزقيل وما صنع بها فقالت له آسية الويل لك يا فرعون ما أجرأك على الله تعالى فقال لها لعلك قد اعتراك الجنون الذي اعترى صاحبتك فقالت ما اعتراني جنون ولكني آمنت بالله ربي وربك ورب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها ان ابنتك قد أخذها الجنون الذي أخذ الماشطة ثم انه أقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن باله موسى فخلت بها أمها وسألتها موافقة فرعون فيما أراد فأبت وقالت تريدين أن أكفر بالله فلا والله ما أفعل ذلك أبدا فأمر بها فرعون فمدت بين أربعة أوتاد ثم ما زالت تعذب حتى ماتت رحمها الله تعالى وذلك قوله تعالى وفرعون ذي الاوتاد عن ابن عباس قال أخذ فرعون امرأته آسية حين اتبدأ بها يعذبها لتدخل في دينه فمر بها موسى وهو يعذبها فشكت اليه بأصبعها فدعا الله موسى أن يخفف عنها من العذاب فبعد ذلك لم تجد للعذاب ألما الى أن ماتت في عذاب فرعون فقالت وهي في العذاب رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني الآية فأوحى الله تعالى اليها أن ارفعي رأسك ففعلت فرأت البيت في الجنة من در فضحكت فقال فرعون انظروا الى الجنون الذي بها تضحك وهي في العذاب

(الباب الثالث عشر في بناء الصرح)

قال الله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا الآية قالت العلماء كان الله تعالى قد أعطى لفرعون في كل باب من أبواب التملك والتسلط والثروة والتنعم والترفع والتمنع ما قد استخف به رعيته من أهل مملكته حتى استعبدهم فعبدوه وادعى الربوبية فقبلوا مع ما أوتي من العمر الطويل والقوة والمنعة والسعة والجنود والشوكة والعدة والعدد وكان قد بلغ من صحة جسمه واعتدال طبيعته وخلقته وقوة تركيبه وبنيته أنه ربما يبقى أربعين يوما وليلة لا يخرج منه شئ الامرة واحدة وهو مع ذلك يأكل ويشرب ولا يبزق ولا يتمخط ولا يتنخم ولا يسعل ولا يلحقه وجع في بطنه ولا ترمد عيناه ولا يمرض ولا تصيبه آفة في نفسه ولا كراهة قالوا وبلغ من املاء الله

تعالى له انه كان يركب كل صعب وذلول من دوابه قال سعيد بن جبير ملك فرعون أربعمائة سنة لا يرى مكروها ولو كان في تلك المدة أدرك جوع يوم أو حمى ليلة لما ادعى الربوبية وقدم على خطب عظيم وخطر جسيم فلم يمسه سوء ولا مكروه ولا تلقاه الا محبوب ومرغوب وكان له قصر من قصوره مشرف منيف على ألف درجة وسخر الله لهدا بة من دوابه يركبها فيصعد ذلك القصر عليها وكان يركبها صاعدا ونازلا مع ما أنعم الله تعالى به عليه استدراجا منه له فلما عاين من أمر موسى ما عاين لم يزده ذلك الا عتوا واستكبارا وعلم من قومه الرعب والخوف فخاف عليهم أن يؤمنوا بموسى ويجعلوه مكانه فاحتال لنفسه وعزم على بناء صرح يقوى به سلطانه ويشيد أركانه فقال لوزيره يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا فأمر هامان ببنيانه فجمع له العمال والفعلة ولم يترك أحدا يقدر عليه ممن يعمل البنيان الا جمعه لبنائه حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء ممن يطبخ الآجر والجص وينحت الخشب والابواب والمسامير فلم يزل يبني الصرح ويسر الله تعالى له أمره استدراجا منه وأتاه الامر على ما يريده الى ان فرغ منه في سبع سنين فارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والارض فشق ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه أن دعه وما يريد فاني مستدرجه وآخذه بغتة واني مبطل كل ما عمله في ساعة واحدة وكان ذلك الصرح اذا طلعت الشمس ضرب ظله نحو المغرب واذا غربت ضرب ظله نحو المشرق بحيث لا يعلمه الا الله تعالى فلما أتم بناءه بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فضرب بجناحه الصرح ضربة فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه في البحر وقطعة في الهند وقطعة في المغرب قال الضحاك بعث الله جبريل فضرب بجناحه الصرح فقذف به على عسكر فرعون فقتل منهم ألف ألف رجل قالوا ولم يبق أحد ممن عمل فيه الا أصابه موت أو حريق أو عاهة فامن نجارا وحدادا وبناء الا يبست يده واما الذين كانوا يطبخون الآجر والجص فانهم احترقوا عن آخرهم وأما القهارمة والعمال فهلكوا وكان تدمير فرعون من أمر الله تعالى على ذلك كله ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس فلما رأى فرعون ذلك من أمر الله تعالى علم ان حيلته لم تغن عنه شيئا فعزم على قتال موسى وقومه فأمر أصحابه فنصبوا الها الحرب ثم ان عسكر فرعون قالوا لموسى انك لساحر وأنت عبد من عبيد فرعون أبقت منه وكفرت نعمته وتربيته ونسيت احسانه اليك ومنته عليك حيث ألقتك أمك في اليم فصانك وتنصالك لما علمت ما أنت صائر اليه من سوء الحال فاستنقذك فرعون من الغرق واستنقذك من الموت فآواك وكفلك وربالك واتخذك ولدا ثم هربت منه آبقا كافرا وجئته عدوا محاربا فلسنا بممتنعين عنك حتى نردك الى عبادته وخدمته أو نذيقك الذل والهوان فلما رأى الله تعالى ذلك وقد علم أنه لا يغني عنهم ما جاءهم به موسى لما سبق فيهم من مكر الله النافذ وحقت عليهم كلمة العذاب ابتلاهم الله بالعذاب وبالآيات

الباب الرابع عشر في ذكر الآيات التي ابتلى الله بها فرعون وقومه حين دنى هلاكهم اظهارا لقدرته والزاما لحجته

قال الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات قال المفسرون هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفلق البحر فقال تعالى ولقد أخذنا آل

فرعون بالسنين ونقص من الثمرات قال قتادة أما السنون فكانت ببواديهم ومواشيهم وأما نقص الثمرات فكان فى أمصارهم قال تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان الآية واختلف المفسرون فى ذلك الطوفان ماهو فقال ابن عباس كان أول الآيات الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء وقال مقاتل هو الماء طغى فوق حروثهم فأهلكها وقال الضحاك هو الغرق وقال مجاهد وعطاء هو الموت الذريع الجارف وروى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وهب هو الطاعون بلغة أهل اليمن أرسل الله الطاعون على أبكار آل فرعون فافتضهن فى ليلة فلم يبق منهن باقية وقال أبو قلابة الطوفان الجدرى فهم أول من عذب به فبقى فى الارض والجراد والقمل واختلفوا فى القمل ماهو فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس القمل هو السوس الذى يخرج من الحنطة وروى عن أبى طلحة أنه الذباب وقال مجاهد والسدى وقتادة والكلبى وغيرهم الجراد الطيارة التى لها أجنحة والقمل الصغار التى لا أجنحة لها وروى معمر عن قتادة قال القمل أولاد الجراد وقال عبد الرحمن بن أسلم هو البراغيث وقال عطاء هو القمل دليله قراءة الحسن والقمل بفتح القاف وجزم الميم وقال أبو عبيدة هو الحنان وهو ضرب من القردان قال أبو العالية أرسل الله الحنان على دوابهم فأكلها حتى لم يبق منها شئ ولم يقدروا على المسير قال أمية بن أبى الصلت الثقفى أرسل الذر والجراد عليهم * وعذابا فأهلكتهم دبور

(باب فى صفة تنزيل هذه الآيات وتفصيلها وكيفيتها)

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق وغيرهم من أصحاب الاخبار دخل حديث بعضهم فى حديث بعض لما آمنت السحرة وصلبهم عدو الله فرعون ورجع عدو الله مغلوبا مقهورا انصرف موسى وهرون الى عسكر بنى اسرائيل فأمر فرعون قومه أن يكلفوا بنى اسرائيل مالا يطيقون فكان الرجل من القبط يجئ الى الرجل من بنى اسرائيل يقول له انطلق معى فاكنس حشى واعلف دوابى واستق لى وتجئ القبطية الى الكريمة من بنى اسرائيل فتكلفها مالا تطيق ولا يطعمونهم فى كل ذلك خبزا فاذا انتصف النهار يقولون لهم اذهبوا فاكتسبوا لانفسكم ماتأكلون فشكوا ذلك الى موسى فقال لهم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا ياموسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا كانطعم اذا استعملونا من قبل أن تأتينا فلما جئتنا استعملونا ولم يطعمونا فقال موسى عسى ربكم أن يهلك عدوكم يعنى فرعون والقبط ويستخلفكم فى الارض يعنى الشام ومصر فينظر كيف تعملون فلما أبى فرعون وقومه الا التمادى على الكفر والاقامة على الشر والظلم دعا موسى ربه فقال يارب ان عبدك فرعون قد طغى فى الارض وبغى وعتا وان قومه نقضوا عهدك وأخلفوا وعدك رب خذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومى عظة ولمن بعدهم من الامم اعتبارا فتابع الله عليهم الآيات المفصلات بعضها فى اثر بعض فأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث الله عليهم الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بنى اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها فى بعض فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا فى الماء الى تراقيهم من جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل من الماء قطرة واحدة وفاض الماء على وجه أراضيهم وركد فلم يقدروا على أن يحرثوا ولا يعملوا شيأ حتى جهدوا ودام

ذلك

ذلك عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا العذاب فنؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى اسرائيل وعادوا الى أشر ما كانوا عليه فأنبت الله تعالى لهم فى تلك السنة من الكلأ والزرع والثمرة مالم ينبت قبل ذلك فأعشبت بلادهم وأخصبت فقالوا هذا كنا نتمنى وما كان هذا الماء الانعمة لنا وما يسرنا انالم نمطر فأقاموا شهرا فى عافية ثم بعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زرعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم وزهرها حتى انها كانت لتأكل الابواب والثياب والامتعة وسقوف البيوت والخشب والمسامير من الحديد حتى تساقطت دورهم وابتلى الجراد بالجوع فجعل لايشبع وكان لايدخل بيوت بنى اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شئ فعجوا وضجوا وقالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فاعطوه عهد الله وميثاقه فسأل موسى ربه فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ويقال ان موسى برز الى الفضاء فاشار الى المشرق بالعصا فذهب الجراد من حيث جاء كأن لم يكن

* (فصل فى بعض ماورد من الاخبار الغريبة فى الجراد) * أخبرنى الحسن بن محمد باسناده عن جابر عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو على الجراد يقول اللهم اقطع الجراد اللهم اقطع دابرهم اللهم اقتل كبارهم واهلك صغارهم وافسد بيضه وخذ بافواههم عن معايشنا وأرزاقنا انك سميع الدعاء فقال رجل من القوم كيف ذلك يارسول الله تدعو على جند من جنود الله بهلاكه وقطع دابره فقال انما الجراد نثرة حوت من البحر قال ابن علاثة وحدثنى من رأى الحوت ينثره باسناده عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر الجراد مكتوب جند الله الاعظم وباسناده عن جابر بن عبد الله قال عدم الجراد فى سنة من سنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلم يخبر عنه بشئ فاغتم لذلك فأرسل راكبا الى اليمن وراكبا الى الشام وراكبا الى العراق يسألون هل رأوا شيأ من الجراد أولا فأتاه الراكب الذى دخل اليمن بقبضة من الجراد فالقاها فى يده فلما رآه كبر ثلاثا ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق الله ألف أمة منها ستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر فأول شئ يهلك من هذه الامم الجراد فاذا هلك الجراد تتابع مثل النظام اذا قطع سلكه وباسناده عن أبى أمامة الباهلى يحدث عن النبى صلى عليه وسلم انه قال ان مريم ابنة عمران سألت ربها ان يطعمها لحما لادم له فاطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه بغير رضاع وتابع بينه بغير شباع فقلت يا أبا المضى ما الشباع قال الصوت وباسناده عن عبد الله بن ضمرة السلولى قال لما أخرج الله تعالى ابليس من الجنة قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا قال الله تعالى وأنا متخذ من خلقى جندا هو الجراد فقال ابليس وأنا جندى النساء هن شبكتى التى لاتخطئ أبدا (أخبرنا) الحسين باسناده عن الاوزاعى يقول كان ببيروت رجل صالح يذكر أنه رأى رجلا صالحا راكبا على جرادة قال وعليه خفان طويلان أظنهما أحمرين وهو يقول الدنيا باطل باطل مافيها ويقول بيده هكذا الخبث ما أشار ساق الجراد الى ذلك الموضع فبلغنا أن ذلك الرجل ملك الجراد قال فاقام قوم فرعون شهرا فى عافية ثم بعث الله عليهم القمل وذلك ان موسى أمر أن يمشى الى كثيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس فمشى موسى الى

ذلك الكثيب وكان مهيلا عظيما فضربه بعصاه فانهال عليهم القمل فتتبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكلها ولحس الارض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلئ قملا حتى ان أحدهم ليبني الاسطوانة بالجص ويزلقها حتى لا يرتقي فوقها شيء ثم يرفع فوقها الطعام فاذا صعد اليه ليأكله وجده ملئ قملا فما أصيبوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذ القمل أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كأنها الجدري عليها ومنعهم النوم والقرار ولم يستطيعوا له حيلة وقال سعيد بن جبير القمل السوس الذي يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة أقفزة الى الرحى فلا يرد منها ثلاثة أقفزة فلما رأوا ذلك شكوا الى موسى وصاحوا وقالوا يا أيها الساحر أي أيها العالم انا نتوب ولا نعود فادع لنا ربك بما عهد عندك يكشف عنا هذا العذاب فدعا موسى ربه فكشف عنهم القمل فانتشروا في أقطار الارض وأطراف البلاد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ثم نكثوا العهد وعادوا الى أخبث أعمالهم وقالوا ما كنا قط أحق أن نستيقن أن موسى ساحر منا الا اليوم فيجعل الرمل دواب فعلى ماذا نؤمن ونرسل معه بني اسرائيل فقد أهلك زرعنا وحروثنا وأذهب أموالنا فما عسى أن يفعل أكثر مما فعل وعزة فرعون لا نصدق به أبدا ولا نتبعه فدعا عليهم موسى بعدما أقاموا شهرا الى عافية وقيل أربعين يوما فأوحى الله تعالى اليه وأمره أن يقوم على ضفة النيل فيغرز عصاه فيه ويشير بالعصا الى أدناه وأقصاه وأعلاه وأسفله ففعل ذلك فتتابعت له الضفادع بالنقيق من كل جانب حتى أعلم بعضها بعضا وأسمع أدناها أقصاها ثم انها خرجت من النيل مثل الليل الدامس سراعا تؤم نحو باب المدينة فدخلت عليهم في بيوتهم بغتة وامتلأت منها أفنيتهم وآنيتهم وأبنيتهم وكان أحدهم لا يكشف ثوبا ولا اناء ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع ويهم أن يتكلم فتثب الضفادع في فيه وكان أحدهم ينام على فراشه وسريره فيستيقظ وقد ركبته الضفادع ذراعا بعضها فوق بعض وتصير عليه ركاما حتى لا يستطيع أن ينصرف الى شقه الايمن ولا الايسر وكان أحدهم يفتح فاه لأكلته فتسبقه الضفدعة الى فيه وكانوا لا يعجنون شيأ من العجين الا تشدخت فيه ولا يطبخون قدرا الا امتلأت منه وكانت تثب في نيرانهم فتطفئها وفي طعامهم فتفسده فلقوا منها أذى شديدا (روى عكرمة) عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله تعالى على فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تقذف أنفسها في القدور وهي تفور وفي التنانير وهي مسجورة فأثابها الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء قال فضجوا الى فرعون من ذلك وضاق عليهم أمرهم حتى كادوا يهلكون وصارت المدينة وطرقها مملوءة جيفا من كثرة ما يطؤنها بأقدامهم وأروحت البقاع كلها منها فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى وقالوا اكشف عنا هذا البلاء فانا نتوب هذه المرة ولا نعود فأخذ على هذا عهودهم ومواثيقهم ثم ان موسى دعا ربه فكشف عنهم الضفادع وذلك فيما روي أن موسى أمر أن يهتف بعصاه ويميلها ففعل ذلك فانقشع ما كان منها حيا فلحق بالنيل وأرسل الله على الميتة ريحا فنفتها عن مدينتهم بعدما أقامت عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فأقاموا شهرا في عافية وقيل أربعين يوما ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم وتكذيبهم فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم الدم وذلك أن الله تعالى أمر

موسى ان يذهب الى شاطئ البحر فيضرب بعصاه ففعل ذلك فسال النيل عليهم دما وصارت مياههم كلها دما وما يستقون من الانهار والآبار الا وجدوه دما احر عبيطا فشكوا ذلك الى فرعون وقالوا انا قد ابتلينا بهذا الدم وليس لنا شراب غيره فقال لهم انه قد سحركم موسى فكان يجتمع الرجلان على الاناء الواحد القبطي والاسرائيلي فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما عبيطا وكان القبطي والاسرائيلي يستقيان من ماء واحد فيخرج ماء القبطي دما وماء الاسرائيلي ماء عذبا وكانا يقومان الى الجرة التي فيها ماء فيخرج للاسرائيلي ماء وللقبطي دم حتى ان المرأة من آل فرعون تأتي الى المرأة من بني اسرائيل حين يجهدها العطش فتقول اسقيني من ماءك فتسكب لها من جرتها أو تصب لها من قربتها فتعود في الاناء دما حتى انها تقول لها اجعليه في فيك ثم مجيه في فمي فتأخذ في فيها ماء فاذا مجته صار دما قالوا والنيل على ذلك يسقي الزرع والشجر فاذا ذهبوا ليستقوا من بين الزرع عاد الماء دما عبيطا وان فرعون اعتراه العطش في تلك الايام حتى انه اضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها ملحا أجاجا ومرا زعاقا فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يأكلون ولا يشربون الا الدم وقال زيد بن أسلم كان الدم الذي سلط عليهم الرعاف فلما ضجروا من ذلك قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم ذلك وذلك ان موسى أمر أن يضرب النيل بعصاه ضربة أخرى فضربه فتحول ماء صافيا كما كان فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وذلك قوله تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان الآيات قال نوف البكالي ابن امرأة كعب الاحبار مكث موسى في آل عمران عشرين سنة بعد ما غلب السحرة يريهم الآيات الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال أصحاب الاخبار لما يئس موسى من ايمان فرعون وقومه ورآهم لا يزدادون الا الطغيان والكفر والتمادي والكبر دعا عليهم وأمن هرون عليهما السلام وهو ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فأجاب الله دعاءهما كما قال تعالى قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان الآية قالوا وكان لفرعون وأصحابه من اثاث الدنيا وزهرتها وزينتها من الذهب والفضة واليواقيت وانواع الحلي والجواهر ما لا يحصيه الا الله تعالى وكان أصل ذلك المال مما جمعه يوسف عليه السلام في زمانه أيام القحط فبقي ذلك في يد القبط فأوحى الله الى موسى عليه السلام اني مورث بني اسرائيل ما في أيدي آل فرعون من العروض والحلي وجاعله لهم جهازا وعتادا الى الارض المقدسة فاجعل لذلك عيدا تعتكف عليه أنت وقومك تشكروني وتذكروني وتعظموني ذلك اليوم وتعبدوني فيه لما أريكم من الظفر ونجاة الاولياء وهلاك الاعداء واستعيروا العيد كم من آل فرعون الحلي وأنواع الزينة فانهم لا يمنعون عنكم للبلاء الحال بهم في ذلك الوقت ولما قذفت في قلوبهم لكم من الرعب ففعل موسى ذلك كما أمره الله تعالى فأمر فرعون بزينة أهله وولده وما كان في خزائنه من أنواع الحلي فاعيرت لبني اسرائيل لما أراد الله بذلك ان يفيء على موسى وقومه أفضل أموال أعدائهم بغير قتال ولا ايجاف خيل ولا رجل لطفا منه بهم وافضالا عليهم فلما دعا موسى عليهم مسخ الله الاموال التي بقيت في أيديهم حجارة كلها حتى النخل

والدقيق (قال) محمد بن كعب القرظي سألني عمر بن عبد العزيز عن التسع آيات التي أراها الله فرعون وقومه فقلت الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد البيضاء والطمس وفلق البحر فقال عمر لا يكون الفقه الا هكذا ثم انه دعا بخريطة فيها أشياء مما كان أصيب لعبد العزيز بن مروان اذ كان فيها بقايا أموال فرعون فاخرج البيضة مشقوقة نصفين وانها لحجر والجوزة مشقوقة وانها لحجر والحمصة والعدسة * وروى محمد بن اسحق عن رجل من أهل الشام كان بمصر قال قد رأيت نخلة مصروعة وانها لحجر وقال لقد رأيت انسانا وما شككت انه انسان وانه لحجر وكان ذلك المسخ في أرقائهم دون احرارهم اذ العبيد من جملة أموالهم فلم يبق لهم مال الا مسخه الله تعالى ما خلا الذي بأيدي بني اسرائيل من الحلي والجواهر وأنواع الزينة وقال ابن عباس أول الآيات العصا وآخرها الطمس قالوا وبلغنا أن الدنانير والدراهم صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا وأثلاثا وجعل سكرهم حجارة

الباب الخامس عشر في قصة اسراء موسى عليه السلام ببني اسرائيل وخبر فلق البحر لهم

قال الله تعالى وأوحينا الى موسى ان أسر بعبادي انكم متبعون قال العلماء باخبار الانبياء أوحى الله تعالى الى موسى حين أراد اظهاره على عدوه ان اجمع بني اسرائيل كل أهل أربعة بيوت في بيت ثم اذبحوا أولاد الضان واضربوا بدمائها على الابواب فاني مرسل على أعدائكم عذابا واني سأرسل الملائكة فلا تدخل بيتا على بابه دم وسآمرها أن تقتل ابكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم فتسلمون أنتم ويهلكون هم ثم اخبزوا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي بهم الى البحر فيأتيك أمري فامر موسى بني اسرائيل ففعلت ذلك فقالت القبط لبني اسرائيل لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم فقالوا ان الله تعالى لمرسل العذاب عليكم فنسلم وتهلكون فقالت لهم القبط فما يعرفكم ربكم الا بهذه العلامة فقالوا هكذا أمرنا نبينا فأصبحوا وقد طعن أبكار آل فرعون وماتوا كلهم في ليلة واحدة وكانوا اسبعين ألفا فاشتغلوا بدفنهم وبما نالهم من حزنهم على المصيبة وسرى موسى وقومه متوجهين الى البحر وهم ستمائة ألف وعشرون ألفا لا يعد فيهم ابن سبعين سنة لكبره ولا ابن عشرين سنة لصغره وهم المقاتلة سوى الذرية وكان موسى على الساقة وهرون على المقدمة فلما فرغ القبط من دفن أبكارهم وبلغهم خروج بني اسرائيل قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا ثم انهم خرجوا ولم يرضوا ان ساروا بأنفسهم حتى ذهبوا بأموالنا معهم فنادى فرعون في قومه كما قال الله تعالى فأرسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حذرون ثم ان فرعون تبعهم في قومه وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وبيده حربة وقال ابن جريج ارسل فرعون في اثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف رجل ثم خرج فرعون خلفهم في الدهم وكان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم سوى سائر الالوان وذلك حين طلعت الشمس وأشرقت كما قال تعالى فاتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان ورأت بنو اسرائيل غبار عسكر فرعون قالوا ياموسى أين ما وعدتنا من النصر والظفر هذا البحر قدامنا ان دخلناه غرقنا وفرعون خلفنا ان

أدركنا قتلنا واقد أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا فقال موسى لقومه ياقوم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون

(فصـــــل)

قالوا لما سار موسى ببني اسرائيل من مصر وأرادوا ان يسيروا ضرب الله عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى عليه السلام مشايخ بني اسرائيل فسألهم عن ذلك فقالوا له ان يوسف عليه السلام لما مات بمصر أخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فيضعوه في الارض المقدسة فلذلك نالنا هذا الامر فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي أنشد الله كل من يعلم موضع قبر يوسف الا أخبرني ومن لا يعلم صمت اذناه عن قولي فكان يمر بين الرجلين ينادي فلا يسمعان قوله حتى سمعته عجوز منهم فقالت له أرأيتك ان دللتك عليه اتعطيني ما سألتك فأبى عليها وقال حتى استأذن ربي فأمره ربه أن يعطيها مناها فأعطاها ذلك فقالت له انى أريد ان لا تنزل غرفة من الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت فانى عجوز كبيرة لا أستطيع أن أمشى فاحملني فحملها فلما دنت من النيل قالت له انه في جوف هذا الماء فادع الله أن يحسر عنه الماء فدعا الله تعالى فحسر عنه فقالت له احفرها هنا ففعل فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر فحمله معه ودفنه في الارض المقدسة قال عروة بن الزبير وقد كان الله تعالى أمر موسى أن يسير ببني اسرائيل اذا طلع الفجر فدعا ربه أن يؤخر طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف ففعل فمن ثم تحمل اليهود موتاهم من كل بلد الى الارض المقدسة من فعل نبيهم ذلك (أخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن ابن أبي موسى الاشعري عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزل النبي صلى الله عليه وسلم باعرابي فاكرمه فقال له عليه السلام تعاهدنا فأتاه الاعرابي فقال له عليه السلام ما حاجتك قال له الاعرابي ناقة يا رسول الله برحلها وأعنز تحلبها أهلي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانية ما حاجتك فقال مالي حاجة غيرها فقال عليه السلام ان عجوز بني اسرائيل كانت أحسن مسئلة من هذا وذكر الحديث الذي في قصة يوسف قال فلما انتهى موسى الى البحر هاجت الريح وعادت ترمي بموج كالجبال فقال له يوشع بن نون يا كليم الله اين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا فقال موسى ههنا فخاض يوشع بن نون الماء فجاز البحر ولم يوار حافر دابته الماء وقال الذي يكتم ايمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقتحم البحر فارتسب في الماء فذهب القوم ليصنعوا مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر وكان الماء في ذلك الوقت في غاية الزيادة فضرب موسى البحر بعصاه فلم يطعه فأوحى الله تعالى اليه أن كنه فضربه ثانيا وقال انفلق يا أبا خالد باذن الله تعالى فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فلما انفلق البحر فاذا بالرجل الذي أقحم فرسه البحر واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده وظهر في البحر اثنا عشر طريقا لاثني عشر سبطا لكل سبط طريق وأرسل الله تعالى الريح والشمس على قعر البحر حتى

صار يبسا كما قال تعالى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لاتخاف دركا ولاتخشى قال سعيد بن جبير أرسل معاوية الى ابن عباس يسأله عن مكان لم تطلع فيه الشمس الامرة واحدة فارسل اليه انه المكان الذى انفلق عنه البحر لبنى اسرائيل (أخبرنا) الحسن بن محمد باسناده عن عبد الله بن سلام أن موسى عليه السلام لما انتهى الى البحر قال يامن كان قبل كل شئ والمكون لكل شئ والكائن بعد كل شئ اجعل لنا فرجا ومخرجا فأوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصاك البحر فضرب بعصاه البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وروى) الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا اعلمكم الكلمات التى تكلم بها موسى حين جاز البحر ببنى اسرائيل فقلنا بلى يارسول الله قال قولوا اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وعليك التكلان ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم قال عبد الله فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فخاض بنو اسرائيل البحر كل سبط فى طريق وعلى جانبيه الماء كالجبل العظيم لايرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط قد قتل اخواننا فأوحى الله الى جبال الماء أن تشبكى فصار الماء شبكات كهيآت الطاقات فنظر بعضهم بعضا فأخذوا يجاوزون البحر وهم يرون بعضهم بعضا ويسمع بعضهم بعضا حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر أى فلقنا وميزنا لكم الماء يمينا وشمالا فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون وذلك أنه لما خرجت ساقة عسكر موسى من البحر وصلت مقدمة عسكر فرعون اليه فأراد موسى أن يدعو البحر ليرجع الى حالته الاولى فأوحى الله اليه أن اترك البحر رهوا أى ساكنا على حاله انهم جند مغرقون فلما وصل جند فرعون الى البحر رأوه منفلقا فقال فرعون انظروا الى البحر كيف انفلق لهيبتى حتى أدرك أعدائى وعبيدى الذين أبقوا منى فاقتلهم فادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه ولم يكن فى خيل فرعون أنثى وانما كانت ذكورا كلها فجاء جبريل عليه السلام على فرس له أنثى وديق مشتهية للفحل وعليه عمامة سوداء فتقدمهم وخاض البحر فظن أصحاب فرعون أن الفارس منهم فلما شمت الخيول ريحها اقتحمت البحر فى اثرها حتى خاضوا كلهم وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويقول لهم الحقوا بأصحابكم فلما أراد فرعون أن يسلك طريق موسى نهاه وزيره هامان وقال له انى قد أتيت الى هذا الموضع مرارا ومالى عهد بهذا الطريق وانى أخاف ولا آمن أن يكون مكرا من الرجل يكون فيه هلاكنا وهلاك أصحابنا فلم يطعه فرعون وذهب معاجلا على حصانه ليدخل البحر فامتنع الحصان فجاء جبريل على رمكة بيضاء فصهلت فحمحم اليها حصان فرعون فخاض جبريل البحر فتبعها حصان فرعون فأقحمه البحر فلما توافوا فى البحر وهم أولهم أن يخرج من البحر أمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم فغرقهم أجمعين وذلك بمرأى من بنى اسرائيل فذلك قوله تعالى وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون يعنى الى مصارعهم وانفرد جبريل عليه السلام بفرعون فلما أدرك فرعون الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين فقال له جبريل آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ثم ان جبريل أراه فتياه وتوقيعه الذى فيه وقال له انما هذا فتياك الذى أفتيت به ثم جعل يدس فى فيه من حمأ البحر مخافة أن يعيد تلك الشهادة وفى الحديث ان جبريل عليه

تأمل فى قوله ثم جعل يدس الخ

السلام

السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بغضت أحدا من الخلق ما بغضت رجلين أما أحدهما فمن الجن وهو ابليس عليه لعنة الله حين أبى أن يسجد لآدم والآخر من الانس وهو فرعون حين قال أنا ربكم الاعلى ولو رأيتني يا محمد وأنا آخذ من حما البحر وأدسه في فيه مخافة أن يقول كلمة التوحيد فيرحمه الله بها قالوا فلما سمعت بنو اسرائيل صوت التطام البحر قالوا لموسى ما هذه الضوضاء فقال لهم ان الله قد أهلك فرعون وكل من كان معه غرقا فقالوا لموسى ان فرعون لا يموت ألم تر أنه كان يلبث كذا وكذا يوما لا يحتاج الى شيء مما يحتاجه اليه الانسان فأمر الله تعالى البحر فألقاه على نجوة من الارض وعليه درعه حتى نظر اليه بنو اسرائيل فذلك قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية فقال انه لولم يخرجه الله ببدنه لشك فيه بعض الناس فلما جاوز موسى ببني اسرائيل البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون (أخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن محمد بن قيس قال جاء يهودي الى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال يا أبا الحسن ما صبرتم بعد نبيكم خمسا وعشرين سنة حتى قتل بعضكم بعضا فقال بلى قد كان صبر وخير ولكنكم ما جفت أقدامكم من حما البحر حتى قلتم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة فلما أغرق الله تعالى فرعون ومن معه ونجى موسى ومن معه بعث موسى جندين عظيمين من بني اسرائيل كل جند اثنا عشر ألفا الى مدائن فرعون وهي يومئذ خالية من أهلها قد أهلك الله عظماءهم ورؤساءهم وقادتهم ومقاتلتهم فلم يبق منهم الا النساء والصبيان والمرضى والهرمى فأمر على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فدخلوا بلاد فرعون وغنموا ما كان فيها من أموالهم وكنوزهم فحملوا من ذلك ما استقلت به الحمول منها وما لم يطيقوا حمله باعوه من قوم آخرين فذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون الى قوله تعالى فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين الى آخر القصة ثم ان يوشع بن نون استخلف على قوم فرعون رجلا منهم وعاد الى موسى بمن معه من المسلمين غانمين شاكرين

الباب السادس عشر في قصة ذهاب موسى الى الجبل لميقات ربه وصفة ايتاء الله تعالى له الالواح وانزاله التوراة وما يتعلق بذلك

قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر وقال في موضع آخر واذ واعدنا موسى أربعين ليلة قال العلماء بقصص النبيين وسير الماضين ان موسى كان وعد بني اسرائيل وهو بمصر اذا خرجوا منها وهلك عدوهم أن يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون وقومه واستنقذ بني اسرائيل من أيديهم وأمنهم من عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها قالوا يا موسى ائتنا بالكتاب الذي أوعدتنا به فسأل موسى ربه ذلك فأمره الله أن يصوم ثلاثين يوما ثم يتطهر ويطهر ثيابه ويأتي طور سيناء ليكلمه ويعطيه ذلك الكتاب فصام ثلاثين يوما فلما صعد الجبل أنكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب وقال أبو العالية أخذ من لحاء الشجر فمضغه فقالت له الملائكة انا كنا نشم من فيك رائحة المسك

فأفسدتم ابالسواك فأوحى الله تعالى اليه أن صم عشرة أيام أخر وقال له أما علمت ان خلوف فم الصائم أطيب عندى من رائحة المسك وكانت فتنتهم فى العشرة الايام التى زادها الله تعالى على موسى فذلك قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وأتممناها بعشر يعنى من ذى الحجة (أخبرنى) الحسن بن محمد باسناده عن أبى هريرة أن جميع الشهور تنقص ما خلا ذا القعدة لقوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر اى من ذى الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة فلما مضت أربعون ليلة تطهر موسى وطهر ثيابه لميقات ربه فلما أتى طور سيناء كلمه ربه وناجاه وقربه وأدناه كما قال تعالى وقربناه نجيا قال وهب كان بين الله وبين موسى سبعون حجابا فرفعها الله كلها الا حجابا واحدا فتخلى موسى لكلام الله تعالى واشتاق الى رؤيته وطمع فيها فقال رب أرنى أنظر اليك قال السدى لما كلم الله موسى غاص الخبيث ابليس فى الارض حتى خرج من بين قدمى موسى فوسوس فى قلبه وقال ان مكلمك الشيطان فعند ذلك سأل الرؤية فقال الله تعالى لن ترانى وليس يطيق البشر النظر الى فى الدنيا من نظر الى مات فقال الهى سمعت كلامك فاشتقت للنظر اليك ولأن أنظر اليك ثم أموت أحب الى من أن أعيش ولا أراك فقال له انظر الى الجبل وهو أعظم جبل فى مدين يقال له زبير وذلك ان الجبال لما علمت ان الله يريد أن يتجلى لجبل منها تعاظمت وتشامخت رجاء أن يتجلى الله لها وجعل زبير يتواضع من بينها فلما رأى الله تواضعه رفعه من بينهن وخصه بالتجلى قال الله تعالى فان استقر مكانه فسوف ترانى فتجلى الله تعالى للجبل واختلف العلماء فى معرفة التجلى قال ابن عباس ظهر نوره للجبل وقال الضحاك أظهر الله تعالى من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب ما تجلى من عظمة الله تعالى للجبل الا كسم الخياط حتى صار دكا وقال السدى ما تجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأ هذه الآية فقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل يعنى غار وقال الحسن أوحى الله تعالى الى الجبل وقال هل تطيق رؤيتى فغار الجبل وساخ فى الارض وموسى ينظر اليه حتى ذهب أجمع وقال أبو بكر بن عمر الوراق حكى لى عن سهل بن سعد الساعدى ان الله تعالى أظهر من بين سبعين ألف حجاب نورا قدر درهم فجعل الجبل دكا قال أبو بكر فعذب اذ ذاك كل ماء وأفاق كل مجنون وبرئ كل مريض وزال الشوك عن الاشجار واخضرت الارض وأزهرت وخمدت نار المجوس وخرت الاصنام لوجوهها وقال السدى ما تجلى للجبل الا قدر جناح بعوضة فصار الجبل دكا وقال ابن عباس ترابا وقال سفيان ساخ حتى وقع فى البحر قال عطية العوفى صار رملا هائلا وقال الكلبى جعله دكا أى مكسرا جبالا صغارا * وبالاسناد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال صار بعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة فى المدينة أحد وورقان ورضوى ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثبير وحرا وخر موسى صعقا قال ابن عباس مغشيا عليه وقال قتادة ميتا وقال الكلبى خر موسى صعقا يوم الخميس يوم عرفة وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر قال الواقدى لما خر موسى صعقا قالت الملائكة مالابن عمران وسؤاله الرؤية وفى بعض الكتب ان ملائكة السموات والارض أتوا موسى وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون يا ابن

قوله فوسوس الخ واضح البطلان فمعاذ الله أن يشك فى أن مكلمه الله فليس سؤاله الرؤية من أجل الوسوسة اه

النساء الحيض أطمعت فى رؤية رب العزة وقال وهب لما سأل موسى الرؤية أرسل الله تعالى الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق فأحاطت بالجبل الذى عليه موسى وأمر الله تعالى ملائكة السموات ان يعرضوا على موسى أربعة فراسخ من كل ناحية فمرت به الملائكة ملائكة سماء الدنيا كثيران البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بصوت عظيم كصوت الرعد الشديد ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فهبطوا عليه مثل الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع موسى مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة فى جسده فقال ندمت على مسئلتى فهل ينجينى من مكانى الذى أنا فيه شئ ان خرجت احترقت وان قعدت مت فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا موسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم هبطت ملائكة السماء الثالثة كأمثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس والتهليل كلجب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى عليه السلام واشتد فزعه وأيس من الحياة فقال له رأس الملائكة مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا صبر لك عليه ثم هبطت عليه ملائكة السماء الرابعة لا يشبههم شئ من الذين مروا به ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شئ من أصوات الذين مروا به ثم هبط عليه ملائكة السماء الخامسة فى سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم طرفه ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوف موسى فزعا واشتد خوفه وكثر بكاؤه ثم قال له خير الملائكة وكبيرهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدى الذى أراد رؤيتى فاعترضوا عليه فهبطوا فى يد كل ملك منهم حربة طويلة تلتهب نارا أشد ضوأ من الشمس ولباسهم كلهب النار واذا سبحوا وقدسوا جاوبهم كل من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبدا لا يموت وفى رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى رفع رأسه وصوته يسبح معهم ويبكى ويقول رب اذكرنى ولا تنس عبدك لا أدرى هل أتخلص مما أنا فيه أولا ان خرجت احترقت وان مكثت احترقت فقال له رئيس الملائكة وكبيرهم أوشك يا ابن عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذى سألت ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة قال الله أروه اياه فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة رب العزة ورفعت ملائكة السموات أصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبدا لا يموت بشدة أصواتهم فارتج الجبل واندك وخر موسى صعقا على وجهه ليس معه روح فقلب الله الحجر الذى كان موسى عليه وجعله كهيئة القبة لئلا يحترق موسى وأرسل الله عليه روح الحياة برحمته فقام موسى يسبح الله ويقول آمنت بأنك ربى وصدقت بأنه لا يراك أحد فيحيا ومن نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب واله الآلهة وملك الملوك لا يعدلك شئ ولا يقوم لك شئ تبت اليك الحمد لله لا شريك لك أنت رب العالمين قال السدى حف حول الجبل بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار وحف حول النار بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار ثم تجلى ربه للجبل (أخبرنى) الحسن باسناده عن عروة بن رويم اللخمى قال كانت الجبال قبل أن يتجلى

الله لموسى صعما ملسا فلما تجلى الله للجبل صار الطور دكا وتفطرت الجبال وصار فيها كهوف وسقوف قالوا ثم بعث الله تعالى جبريل عليه السلام الى جنة عدن فقطع منها شجرة فاتخذ منها تسعة ألواح طول كل لوح منها عشرة أذرع بذراع موسى وكذلك عرضه وكانت الشجرة التى اتخذ منها الالواح من زمرذ أخضر ثم أمر جبريل أن يأتيه بتسعة أغصان من سدرة المنتهى فجاء بها فصارت جميعا نورا وصار النور رقما أطول مما بين السماء والارض وكتب التوراة لموسى بيده وموسى يسمع صرير القلم فكتب الله له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا وذلك يوم الجمعة وأشرقت الارض بالنور ثم أمر الله موسى أن يأخذها بقوة ويقربها قومه فوضعت الالواح على السماء فلم تطق حملها لثقل العهود والمواثيق التى فيها فقالت يارب كيف أطيق أن أحمل كتابك الثقيل المبارك وهل خلقت خلقا يطيق حمل ذلك فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام وأمره أن يحمل الالواح فيبلغها موسى فلم يطق حملها فقال يارب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها من النور والبيان والعهود وهل خلقت خلقا يطيق حملها فأمده الله بملائكة يحملونها بعدد كل حرف من التوراة فحملوها حتى بلغوها موسى وعرضوا له الالواح على الجبل فانصدع لها الجبل وخشع وقال يارب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها وضرب الله مثلا فى القرآن فقال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون كما أنزل التوراة على الجبل فلم يطق حملها قال فلما وضعوها على الجبل بين يدى موسى وذلك عند صلاة العصر فقبض موسى على الالواح فلم يطق حملها فلم يزل يدعو حتى هون الله عليه حملها فحملها فذلك قوله ياموسى انى اصطفيتك الآية وقوله تعالى وكتبنا له فى الالواح الآية

فصل فى نسخة العشر الكلمات التى كتبها الله تعالى لموسى نبيه وصفيه فى الالواح وهى معظم التوراة وعليها مدار كل شريعة

وهى بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار لعبده ورسوله موسى بن عمران أن سبحنى وقدسنى لااله الا أنا فاعبدنى ولا تشرك بى شيأ واشكرلى ولوالديك الى المصير أحيك حياة طيبة ولا تقتل النفس التى حرم الله عليك فأضيق عليك السماء بأقطارها والارض برحبها ولا تحلف باسمى كاذبا فانى لا أطهر ولا أزكى من لا يعظم اسمى ولا تشهد بما لا يعى سمعك ولا تنظر عينك ولا يقف عليه قلبك فانى أوقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة وأسائلهم عنها ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلى ورزقى فان الحاسد عدو نعمتى ساخط لقسمتى ولا تزنى ولا تسرق فأحجب عنك وجهى وأغلق دون دعوتك أبواب السموات ولا تذبح لغيرى فانه لا يصعد الى من قربان أهل الارض الا ماذكر عليه اسمى ولا تفجرن بحليلة جارك فانه أكبر مقتا عندى واحبب للناس ماتحب لنفسك واكره لهم ماتكره لنفسك فهذه نسخة العشر الكلمات وقد أعطاها الله جميعا لمحمد صلى الله عليه وسلم فى ثمانى عشرة آية وهى قوله تعالى فى سورة بنى اسرائيل وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه الى قوله ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ثم جمعها فى ثلاث آيات من سورة الانعام وهى قوله تعالى قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم الى قوله تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون

(أخبرنا) أبو عمرو محمد الفريابي باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعطى موسى الالواح نظر فيها فقال يارب لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحدا من العالمين قبلي قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين أى بقوة وجد ومحافظة وموت على حب محمد عليه السلام قال موسى يارب ومن محمد قال أحمد الذى أثبت اسمه على عرشى قبل أن أخلق السموات والارض بالفى عام وانه نبيى وصفيى وخيرتى من خلقى وهو أحب الى من جميع خلقى وجميع ملائكتى فقال موسى يارب ان كان محمد أحب اليك من جميع خلقك فهل خلقت أمة أكرم عليك من أمتى قال الله تعالى ان فضل أمة محمد عليه السلام على سائر الامم كفضلى على جميع الخلق قال يارب ليتنى أراهم قال ياموسى انك لن تراهم ولو أردت أن تسمع كلامهم أسمعتك قال يارب فانى أريد أن أسمع كلامهم قال الله تعالى ياأمة محمد فأجبنا كلنا من أصلاب آبائنا وأرحام أمهاتنا لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك فقال الله تعالى ياأمة محمد ان رحمتى سبقت غضبى وعفوى سبق عقابى قد أعطيتكم من قبل أن تسألونى وقد أجبتكم من قبل أن تدعونى وقد غفرت لكم من قبل أن تعصونى من جاء يوم القيامة بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبدى ورسولى دخل الجنة ولو كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر وهذا قوله تعالى وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين وقوله تعالى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا (أخبرنا) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على بن نصير المكى قال أخبرنا أبو العباس محمد بن اسحق السراج قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المعافرى عن أبيه أن كعب الاحبار رأى حبرا من اليهود يبكى فقال له ما يبكيك فقال ذكرت بعض الامر فقال كعب الاحبار أنشدك الله لئن أخبرتك بما أبكاك لتصدقنى قال نعم قال أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل على موسى عليه الصلاة والسلام ان موسى نظر فى التوراة فقال انى أجد أمة هم خير الامم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلون الاعور الدجال فقال موسى رب اجعلهم أمتى قال هم أمة محمد ياموسى قال له الحبر نعم قال كعب أنشدك الله تعالى هل تجد فى كتاب الله المنزل على موسى ان موسى نظر فى التوراة فقال انى أجد أمة هم الحامدون رعاة الشمس هم المحكمون اذا أرادوا أمرا قالوا نفعله ان شاء الله تعالى فقال موسى فاجعلهم أمتى فقال هم أمة محمد ياموسى قال له الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل ان موسى نظر فى التوراة فقال يارب انى أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار غير ان موسى كان يجمع صدقات بنى اسرائيل فلا يجد عبدا مملوكا ولا أمة الا اشتراه من تلك الصدقة وما فضل يحفر له حفرة عميقة القعر وألقاه فيها ثم دفنه كى لا يرجعون فيه وهم المستجيبون المستجاب لهم وهم الشافعون والمشفعون قال موسى يارب اجعلهم أمتى قال هى أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل ان موسى نظر فى التوراة فقال انى أجد أمة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله تعالى واذا هبط الى واد حمد الله تعالى الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيثما كانوا

يطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غرا محجلين من
آثار الوضوء فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل
تجد في التوراة ان موسى نظر فيها فقال يارب اني أجد أمة اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها
كتبت له حسنة واذا عملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة ولم يعملها
لم تكتب عليه واذا عملها كتبت عليه سيئة مثلها فاجعلهم يارب أمتي قال هم أمة محمد
يا موسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل ان موسى نظر في التوراة
فقال يارب اني أجد أمة مرحومة أصفياء يرثون الكتاب فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم أمتي قال هم أمة أحمد
يا موسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل ان موسى نظر
في التوراة فقال يارب اني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل
الجنة يصفون في صلاتهم صفوفا كصفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوي
النحل لا يدخل النار منهم أحد ومنهم من لا يرى الحساب الا مثل ما يرى الحجر من وراء الشجر
فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد يا موسى قال الحبر نعم قال فلما عجب موسى من الخير الذي أعطاه
الله محمدا صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين قال موسى يا ليتني من أصحاب محمد فأوحى الله
اليه ثلاث آيات يرضيه بهن فقال تعالى يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي
وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين الى قوله تعالى دار الفاسقين وقوله تعالى ومن قوم
موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضا (وقال ابن عباس) لما سار
موسى الى طور سيناء قال له ربه ما تبتغي قال جئت أبتغي الهدى قال وجدته
يا موسى قال أي عبادك أحب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك
أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال أي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس
الى علمه عسى أن يسمع كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى (وقال عبد الله بن مسعود) لما قرب الله
موسى نجيا رأى رجلا متعلقا على العرش جالسا فقال يارب من هذا قال عبد لا يحسد
الناس على ما آتاهم الله ولا يمشي بالنميمة قال موسى يارب اغفر لي ما جرى
... أعوذ بك من وسوسة نفسي وأعوذ بك من سوء
... أي الاعمال أحب اليك أن أعمل به قال
... من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه
... خلق سي جيفة بالليل بطال بالنهار
... أن يقبلوها ويعملوا بما فيها من الاثقال
... أمر الله جبريل فقلع جبلا على قدر
... قدر قامة الرجل وقال
... فاقتلع من أصله حتى قام على
... وقوله تعالى
... الطور

ويعث نارا من قبل وجوههم وأتاهم البحر ملحا من خلفهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا فان قبلتموه وفعلتم ما أمرتكم به والا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم في هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار فلما رأوا أن لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليهود لا يسجدون الا على أنصاف وجوههم فلما زال الجبل قالوا يا موسى سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعناك (وروى) قتادة عن الحسن قال مكث موسى بعد ما تغشاه نور رب العالمين وانصرف الى قومه أربعين ليلة لا يراه أحد الامات حتى انه اتخذ لنفسه برنسا وعليه برقع لا يبدي وجهه لاحد مخافة أن يموت (وأخبرني) أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفي قال حدثنا محمد بن أبي شيبة قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله القزويني قال حدثنا محمد بن مرزوق النضري قال حدثنا هانئ بن يحيى السلمي قال حدثنا الحسن بن أبي سهل عن جعفر عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كلم الله موسى كان يبصر بعد ذلك دبيب النملة في الليلة المظلمة على الصفا من مسيرة عشرة فراسخ (وأخبرنا) أبو عبد الله الثقفي قال حدثنا عبد الله بن شيبة قال حدثنا أبو حامد المستملي قال حدثنا اسحق قال حدثنا خالد بن خراش قال حدثنا عبد الله بن زيد ابن أسلم عن أبيه أن موسى كان اذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا لشدته

(باب في ذكر قصة بني اسرائيل وهرون مع السامري حين اتخاذهم العجل)

قال أهل السير وأصحاب التواريخ لما أهلك الله فرعون وقومه قال موسى اني ذاهب الى الجبل لميقات ربي وآتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون وواعدهم ثلاثين ليلة واستخلف عليهم أخاه هرون فجاء جبريل عليه السلام على فرس يقال لها فرس الحياة وهي بلقاء أنثى لا تصيب شيأ الا حيي فلما رآه السامري على تلك الفرس عرفه وقال ان لهذا الفرس لشأنا عظيما وأخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل هذا قول السدي وقال الكلبي انما اتخذ السامري من تراب حافر فرس جبريل العجل حين عبروا البحر وبعث الله تعالى جبريل على فرس بلقاء خطوتها مد البصر عليها تركب الانبياء كلهم وخاض البحر وشمت خيول قوم فرعون ريحها فخاضت في أثرها قالوا وانما عرف السامري جبريل دون بني اسرائيل لان فرعون حين أمر بذبح أولاد بني اسرائيل جعلت المرأة اذا ولدت الغلام انطلقت به سرا في جوف الليل الى صحراء أو واد أو غار في جبل فاخفته فيقيض الله له ملكا من الملائكة يطعمه ويسقيه حتى يختلط بالناس وكان الذي ربى السامري جبريل عليه السلام فجعل يمص من أحد ابهاميه سمنا ومن الاخرى عسلا فمن ثم عرفه ومن ذلك الوقت اذا جاع الطفل يمص ابهامه فيروى من المص لانه جعل له فيه رزق ويقال ان جبريل عليه السلام وكل بالسامري وعلا لبونا يسقيه اللبن بالغداة والعشي حتى كبر واختلط بالناس فلذلك عرفه دون سائر بني اسرائيل لانه هو الذي رباه وكان ابو عمرو [illegible]كندري يقول دابة موسى وفرعون دابة موسى أز أهل بهشت وفرعون أز أهل دوزخ [illegible]امري وجبريل دابة جبريل أز أهل بهشت والسامري أز أهل دوزخ بود قال [illegible] كان عظيما من عظماء بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة ولكن عدو الله [illegible]جبير كان السامري من أهل كرمان وقال غيرهما كان رجلا صائغا من

قوله كان أبو عمرو الخ عبارة فارسية معناها دابة موسى وجبريل عليهما السلام من أهل الجنة ودابة فرعون والسامري من أهل جهنم اه

يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غرا محجلين من آثار الوضوء فاجعلهم أمتى قال هى أمة محمد يا موسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد فى التوراة ان موسى نظر فيها فقال يا رب انى أجد أمة اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واذا عملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه واذا عملها كتبت عليه سيئة مثلها فاجعلهم يا رب أمتى قال هم أمة محمد يا موسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل ان موسى نظر فى التوراة فقال يا رب انى أجد أمة مرحومة أصفياء يرثون الكتاب فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم أمتى قال هم أمة أحمد يا موسى فقال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل ان موسى نظر فى التوراة فقال يا رب انى أجد أمة مصاحفهم فى صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصطفون فى صلاتهم صفوفا كصفوف الملائكة أصواتهم فى مساجدهم كدوى النحل لا يدخل النار منهم أحد ومنهم من لا يرى الحساب الا مثل ما يرى الحجر من وراء الشجر فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد يا موسى قال الحبر نعم قال فلما عجب موسى من الخير الذى أعطاه الله لامة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين قال موسى ياليتنى من أصحاب محمد فأوحى الله تعالى اليه بثلاث آيات يرضيه بهن فقال تعالى يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين الى قوله تعالى دار الفاسقين وقوله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضى موسى كل الرضا (وقال ابن عباس) لما سار موسى الى طور سيناء الى الميقات قال له ربه ما تبتغى قال جئت أبتغى الهدى قال وجدته يا موسى قال موسى يا رب أى عبادك أحب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فأى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال أى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه فيسمع الكلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى (وقال عبد الله بن مسعود) لما قرب الله تعالى موسى الى طور سيناء رأى عبدا فى ظل العرش جالسا قال يا رب من هذا قال عبد لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله بر بوالديه لا يمشى بالنميمة قال موسى يا رب اغفر لى ما جرى من ذنبى وما غبر وما بين ذلك وما أنت أعلم به منى أعوذ بك من وسوسة نفسى وأعوذ بك من سوء عملى قال قد كفيت ذلك يا موسى قال موسى يا رب أى الاعمال أحب اليك أن أعمل به قال تذكرنى ولا تنسانى قال أى عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزنى فرجه مؤمن فى خلق حسن قال فأى عبادك شر عملا قال فاجر فى خلق سئ جيفة بالليل بطال بالنهار قال فلما رجع موسى الى قومه وقد أتاهم بالتوراة أبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها من الاثقال والاغلال التى كانت عليهم فيها وكانت شريعة ثقيلة فأمر الله جبريل فقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ فرفعه فوق رؤسهم مثل الظلة مقدار قامة الرجل وقال أبو صالح عن ابن عباس أمر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم مثل الظلة فذلك قوله تعالى واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور وقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وقال عطاء عن ابن عباس رفع الله تعالى فوق رؤسهم الطور

ويبعث نارا من قبل وجوههم وأتاهم البحر الملح من خلفهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا فان قبلتموه وفعلتم ما أمرتكم به والا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم في هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار فلما رأوا أن لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليهود لا يسجدون الا على أنصاف وجوههم فلما زال الجبل قالوا يا موسى سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعناك (وروى) قتادة عن الحسن قال مكث موسى بعد ما تغشاه نور رب العالمين وانصرف الى قومه أربعين ليلة لا يراه أحد الا مات حتى انه اتخذ لنفسه برنسا وعليه برقع لا يبدى وجهه لاحد مخافة أن يموت (وأخبرني) أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفي قال حدثنا محمد بن أبي شيبة قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله القزويني قال حدثنا محمد بن مرزوق النضري قال حدثنا ابي بن يحيى السلمي قال حدثنا الحسن بن أبي سهل عن جعفر عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كلم الله موسى كان يبصر بعد ذلك دبيب النملة في الليلة المظلمة على الصفا من مسيرة عشرة فراسخ (وأخبرنا) أبو عبد الله الثقفي قال حدثنا عبد الله بن شيبة قال حدثنا أبو حامد المستملي قال حدثنا اسحق قال حدثنا خالد بن خراش قال حدثنا عبد الله بن زيد ابن أسلم عن أبيه أن موسى كان اذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا لشدته

(باب في ذكر قصة بني اسرائيل وهرون مع السامري حين اتخذ لهم العجل)

قال أهل السير وأصحاب التواريخ لما أهلك الله فرعون وقومه قال موسى انى ذاهب الى الجبل لميقات ربي وآتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون وواعدهم ثلاثين ليلة واستخلف عليهم أخاه هرون فجاء جبريل عليه السلام على فرس يقال لها فرس الحياة وهي بلقاء أنثى لا تصيب شيأ الا حيي فلما رآه السامري على ذلك الفرس عرفه وقال ان لهذا الفرس لشأنا عظيما وأخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل هذا قول السدي وقال الكلبي انما اتخذ السامري من تراب حافر فرس جبريل العجل حين عبروا البحر وبعث الله تعالى جبريل على فرس بلقاء خطوتها مد البصر عليها تركب الانبياء كلهم وخاض البحر وشمت خيول قوم فرعون ريحها فخاضت في أثرها قالوا وانما عرف السامري جبريل دون بني اسرائيل لان فرعون حين أمر بذبح أولاد بني اسرائيل جعلت المرأة اذا ولدت الغلام انطلقت به سرا في جوف الليل الى صحراء أو واد أو غار في جبل فاخفته فيقيض الله له ملكا من الملائكة يطعمه ويسقيه حتى يختلط بالناس وكان الذي ربى السامري جبريل عليه السلام فجعل يمص من أحد ابهاميه سمنا ومن الاخرى عسلا فمن ثم عرفه ومن ذلك الوقت اذا جاع الطفل يمص ابهامه فيروى من المص لانه جعل له فيه رزق ويقال ان جبريل عليه السلام وكل بالسامري وعلا لبونا يسقيه اللبن بالغداة والعشي حتى كبر واختلط بالناس فلذلك عرفه دون سائر بني اسرائيل لانه هو الذي رباه وكان ابو عمرو السكندري يقول دابة موسى وفرعون دابة موسى أز أهل بهشت وفرعون أز أهل دوزخ ودابة السامري وجبريل دابة جبريل أز أهل بهشت والسامري أز أهل دوزخ بود قال قتادة والسدي كان عظيما من عظماء بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة ولكن عدو الله نافق وقال سعيد بن جبير كان السامري من أهل كرمان وقال غيرهما كان رجلا صائغا من

قوله كان أبو عمرو الخ عبارة فارسية معناها دابة موسى وجبريل عليهما السلام من أهل الجنة ودابة فرعون والسامري من أهل جهنم اه

أهل باجرمى واسمه منجا وقال ابن عباس اسمه موسى ظفر وكان رجلا منافقا قد أظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فدخل فى قلبه حب البقر فلما ذهب موسى لميقات ربه وكان قد وعد قومه ثلاثين ليلة وأتمها الله بعشر حتى صارت أربعين فعد بنو اسرائيل ثلاثين ليلة فلما لم يرجع اليهم افتتنوا وقالوا ان موسى خلفنا الوعد فاغتنمها السامرى حتى فعل ما فعل وقال قوم انهم عدوا الليل يوما والنهار يوما وكان موسى قد وعدهم أربعين ليلة فلما مضت عشرون يوما افتتنوا فأتاهم السامرى وقال لهم ان موسى قد احتبس عنكم فينبغى لكم أن تتخذوا آلها فان موسى ليس براجع اليكم وقد تم الميقات فينبغى لكم أن تتخذوا الها وانما طمع فيهم السامرى لانهم يوم عبر موسى البحر مروا على قوم من العمالقة وهم يعكفون على أصنام لهم فقالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة الآية فاغتنمها السامرى فلما كان ذلك اليوم وخرج موسى ومضى من خروجه عشرون يوما وكانوا قد استعاروا حليا كثيرا من آل فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بعلة العيد وأهلك الله فرعون وقومه وبقى ذلك الحلى بأيدى بنى اسرائيل فلما خرج موسى قال هرون لبنى اسرائيل ان حلى القبط الذى استعرتموه منهم غنيمة ولا يحل لكم فاجمعوه جميعا واحفروا له حفرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيه رأيه ففعلوا ذلك فجاء السامرى بالقبضة التى أخذها من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام فقال لهرون يانبى الله هل أقذفها فيه فظن هرون انه من الحلى يريد به ما يريد أصحابه فقال له اقذف فقذفها فى الحفرة على الحلى فصارت عجلا جسدا له خوار (وقال ابن عباس) أوقد هرون نارا وأمرهم أن يقذفوها فيه فقذف السامرى تلك القبضة فيها فقال كن عجلا جسدا له خوار وكان البلاء والفتنة حين صار كذلك وذلك ان السامرى قال لهرون ألقى ما فى يدى وهو يظن أنه من تلك الحلى فقال نعم ويقال ان الذى قال لبنى اسرائيل ان الغنيمة لا تحل لكم هو السامرى فصدقوه وجمعوها ودفعوها اليه فصاغ منها عجلا فى ثلاثة أيام ثم ألقى فيه القبضة فحيى وخار خورة ثم لم يعد وقال السدى كان يخور ويمشى فلما أخرج السامرى العجل وكان من ذهب مرصع بالجوهر كأحسن ما يكون وقال هذا الهكم واله موسى فنسى أى أخطأ الطريق فتركه ههنا وخرج يطلبه فلذلك أبطأ عليكم واختلف الموعد وفى بعض الروايات أن السامرى لما صاغ العجل وقذف القبضة فيه أشعر العجل وعدا وخار فصار له لحم ودم ويروى أن ابليس خار فى وسطه ويقال ان السامرى جعل مؤخر العجل الى حائط وحفر فى الجانب الآخر فى الارض وأجلس فيه انسانا فوضع فمه فى دبره فخار وتكلم بما تكلم به وقال هذا الهكم واله موسى فلبس السامرى على أوغاد بنى اسرائيل وجهالهم حتى أضلهم وقال لهم ان موسى قد أخطأ ربه فأتاكم ربه أراد أن يريكم انه قادر على أن يدعوكم الى نفسه بنفسه وانه لم يبعث موسى لحاجة منه اليه وانه قد أظهر اليكم العجل ليكلمكم من وسطه كما كلم موسى من الشجرة قال على بن أبى طالب رضى الله عنه انما سمى العجل لانهم تعجلوه قبل رجوع موسى اليهم وقال الحسن البصرى اسم عجل بنى اسرائيل الذى عبدوه يهموت قالوا فلما رأوا العجل وسمعوا قول السامرى افتتنوا به غير اثنى عشر ألفا وكان مع هرون ستمائة ألف فعكفوا عليه يعبدونه من دون الله وأحبوه حبا ما أحبوا مثله شيأ قط فقال لهم هرون يابنى اسرائيل

انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فأقام هرون فيمن معه من المسلمين وأقام من يعبد العجل على عبادته وتخوف هرون ان سار بمن معه من المسلمين الى المفتونين الضالين أن يقول له موسى فرقت بين بنى اسرائيل وكان له هائبا مطيعا وقال قتادة فى هذه القصة قد كره الصالحون الفرقة قبلكم (أخبرنى) الحسن باسناده عن راشد بن سعيد قال لما وعد الله موسى أربعين يوما قال الله تعالى ياموسى ان قومك قد افتتنوا من بعدك قال يارب كيف يفتتنون وقد نجيتهم من فرعون ومن البحر وأنعمت عليهم قال انهم اتخذوا العجل الها من دونى وهو عجل ذو جسد له خوار فقال يارب من نفخ فيه الروح قال أنا قال أنت وعزتك فتنتهم ان هى الا فتنتك الآية فقال الله تعالى ياموسى يارأس النبيين ياأبا الاحكام انى رأيت ذلك فى قلوبهم فيسرته لهم فلما رجع موسى من الميقات الى قومه وقرب منهم سمع اللغط حول العجل وكانوا يزفنون ويرقصون حوله ولم يخبر موسى أصحابه السبعين بما أخبره ربه من حديث العجل فقالوا هذا قتال فى المحلة فقال موسى لهم لا ولكنه صوت الفتنة افتتن القوم بعدنا بعبادة غير الله فذلك قوله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا فلما رآهم حول العجل وما يصنعون به ألقى ألواح من يده فتكسرت فصعد عامة الكلام الذى كان فيها ولم يبق فيها الا سدسها ثم أعيدت له فى لوحين * عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المعاين كالمخبر قال الله تعالى لموسى ان القوم قد فتنوا فلم يلق الالواح فلما عاين ألقى الالواح فكسرها * عن تميم الدارى قال قلت يارسول الله مررت بمدينة صفتها كيت وكيت قريبة من ساحل البحر فقال عليه الصلاة والسلام تلك انطاكية أما ان فى غار من غيرانها رضاضا من الواح موسى وما من سحابة شرقية ولا غربية تمر بها الا ألقت عليها من بركاتها ولن تذهب الايام والليالى حتى يسكنها رجل من اهل بيتى يملؤها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما قالوا فلما رأى موسى ما صنع قومه من بعده من عبادة العجل أخذ بشعر رأس أخيه هرون بيمينه ولحيته بشماله وكان هرون قد اعتزلهم فى اثنى عشر ألفا لم يعبدوا العجل فقال لهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعن أفعصيت أمرى هلا قاتلتهم اذ علمت انى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم فقال هرون يا ابن أم الآية قال المفسرون كان هرون أخا موسى لابيه وأمه ولكنه أراد بقوله يا ابن أم ترقيقه واستعطافه عليه لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى أى بذوائبى انى خشيت ان قاتلتهم أن يصيروا حزبين يقتل بعضهم بعضا فتقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى أى ولم تحفظ وصيتى حين قلت لك اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ثم ان موسى أقبل على السامرى وقال له فما خطبك ياسامرى أى ما أمرك وشأنك فقال السامرى بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول يعنى أخذت ترابا من أثر فرس جبريل فنبذتها وطرحتها فى العجل وكذلك سولت لى نفسى أى زينت لى قالوا فلما علم بنو اسرائيل انهم قد أخطؤا وضلوا فى عبادتهم العجل ندموا على ذلك واستغفروا الله تعالى كما قال تعالى ولما سقط فى أيديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين فقال لهم موسى ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل قالوا فأى شئ نصنعه وما الحيلة قال توبوا

الى بارئكم أى ارجعوا الى خالقكم قالوا كيف نتوب قال فاقتلوا أنفسكم أى ليقتل البرىء المجرم ذلكم يعنى القتل خير لكم عند بارئكم قال ابن عباس أبى الله أن يقبل توبة بنى اسرائيل الا بالحال الذى كرهوا أن يقاتلوهم حين عبدوا العجل وقال قتادة جعل الله توبة عبدة العجل القتل لانهم ارتدوا وكفروا والكفر مبيح الدم فلما أمرهم موسى بالقتل استسلموا الامره وقالوا نصبر لامر الله فجلسوا فى الافنية محتبين وأظلت عليهم القوم بالسيوف والخناجر فكان الرجل يرى أخاه وابنه وأباه وقريبه وجاره فلم يمكنه الا امضاء أمر الله تعالى فقالوا ياموسى كيف نصنع فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء حتى لا يبصر بعضهم بعضا وقيل لهم من حل حبوته أومد طرفه الى قاتله أواتقاه بيد أورجل فهو ملعون مردودة توبته فكانوا يقتلونهم الى المساء فلما كثر فيهم القتل وبلغ عدة القتلى سبعين ألفا دعا موسى وهرون ربهما وجزعا وتضرعا وقالا يارب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يرفعوا السلاح ويكفوا القتل عنهم فلما انكشفت السحابة عن القتلى اشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقى منهم مكفرا ذنبه فذلك قوله تعالى فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم وقالوا أمر الله تعالى موسى أن يبرد العجل بالمبرد ويحرقه ثم يذروه فى النيل فمن شرب ماءه من عبدة العجل اصفر لون وجهه واسودت شفتاه وقيل نبت على شاربه الذهب فكان علما لجرمه فأخذ موسى العجل فذبحه ثم برده بالمبرد ثم أحرقه وجمع رماده وأمر السامرى بالبول عليه استخفافا به وتصغيرا له ثم ذراه فى الماء فذلك قوله تعالى وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا الآية قالوا ثم ان موسى أمرهم بالشرب من ذلك الماء فشربوا منه فاصفرت وجوه الذين عبدوه واسودت شفاههم فأقروا بحب العجل وعبادته وقالوا ياموسى انا قد ندمنا على ما صنعنا وتبنا الى الله فلو أمرنا أن نقتل نفوسنا لتقبل توبتنا قتلناها فقيل لهم فاقتلوا أنفسكم ثم ان موسى هم بقتل السامرى فأوحى الله تعالى اليه لا تقتله فانه سخى فلعنه موسى وقال له فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لامساس وان لك موعدا لن تخلفه أى بعد ذلك فى القيامة ثم أمر موسى بنى اسرائيل أن لا يخالطوه ولا يقربوه فصار السامرى وحشيا لا يألف أحدا ولا يؤلف ولا يدنو من الناس ولا يمس أحدا منهم فمن مسه قرض ذلك الموضع بالمقراض وكان كذلك حتى هلك قال قتادة ان بقاياهم الى اليوم يقولون ذلك أى لامساس وفى بعض الكتب أنه ان مس أحدا من غيرهم أو أحد منهم حم كلاهما فى الوقت قالوا ثم ان الله تعالى أمر موسى أن يأتيه فى ناس من خيار بنى اسرائيل ليعتذروا اليه من عبادة قومهم العجل فاختاره موسى سبعين رجلا لينطلقوا معه الى الجبل كما أمر الله تعالى وأمره أن يكونوا شيوخا لم يصب الا ستين شيخا فأوحى الله تعالى اليه أن يختار من الشباب عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخا (وروى) انه اختار من كل سبط ستة نفر فصاروا اثنين وسبعين رجلا فقال انما أمرت بسبعين رجلا فليتخلف منكم رجلان فتشاحوا على ذلك فقال موسى ان لمن قعد مثل أجر من خرج فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فأمر موسى السبعين ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا أثوابهم ثم خرج بهم الى الطور لميقات ربه وذلك قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا

لميقاتنا الآية وكان لا يأتيه الا باذن منه فلما دنا موسى الى الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى اذا كلمه الله وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بنى اسرائيل أن ينظر اليه فضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتى دخلوا فى الغمام وخروا سجدا وسمعوا الله تعالى وهو سبحانه وتعالى يكلم موسى ويأمره وينهاه وأسمعهم الله تعالى انى أنا الله لا اله الا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر فاعبدونى ولا تعبدوا غيرى فلما فرغ موسى من الكلام وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهى نار جاءت من السماء فأحرقتهم جميعا قال وهب بل أرسل الله عليهم جندا من السماء فلما سمعوا حسهم ماتوا يوما وليلة فذلك قوله تعالى واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون فلما ماتوا قال موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يارب كيف أرجع الى بنى اسرائيل وقد أهلكت خيارهم ولم يزل موسى يناشد ربه حتى أحياهم الله له جميعا رجلا بعد رجل ينظر بعضهم بعضا كيف يحيون فذلك قوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم الآية (أخبرنى) الحسن باسناده عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راح منا الى الجمعة سبعون كانوا كالسبعين الذين وفدوا مع موسى الى ربهم وأفضل

(باب فى قصة قارون حين عصى ربه وموسى واستكبر وأورثه ماله الطغيان والبطر حتى أهلكه الله تعالى)

قال الله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم الآية قالت العلماء بأخبار القدماء قارون كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن قاهث هذا قول أكثر العلماء (وقال) ابن اسحق تزوج يصهر بن قاهث سمين بنت ماويب ابن بركيا بن يقشان بن ابراهيم فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر فنكح عمران يحيب بنت شمويل بن بركيا بن يقشان فولدت هرون وموسى ابنى عمران فموسى على قول ابن اسحق ابن أخى قارون وقارون عمه لابيه وأمه وعلى قول الآخرين ابن عمه وعليه أصحاب التواريخ وكان قارون أعلم بنى اسرائيل بعد موسى وهرون وأفضلهم وأجملهم قال قتادة كان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن فى بنى اسرائيل اقرأ للتوراة منه ولكن عدو الله نافق كما نافق السامرى فبغى على قومه كما قال تعالى فبغى عليهم واختلفوا فى معنى هذا البغى قال ابن عباس رضى الله عنهما كان فرعون قد ملك قارون على بنى اسرائيل حين كانوا بمصر (وأخبرنى) الحسين باسناده عن المسيب بن شريك أن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم قال كان عاملا لفرعون على بنى اسرائيل وكان يبغى عليهم ويظلمهم وقال عطاء الخراسانى وشهر بن حوشب زاد عليهم فى الثياب شبرا وروى شيبان عن قتادة قال بغى عليهم بالكبر والبذخ وبكثرة ماله وكان أغنى أهل زمانه وأثراهم كما قال تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه الآية أى لتثقل وتميل بهم اذا حملوها لثقلها واختلف المفسرون فى عدد العصبة فى هذا الموضع فقال مجاهد ما بين العشرة الى الخمسة عشر وعن قتادة ما بين العشرة الى الاربعين وعن عكرمة منهم من يقول أربعون ومنهم من يقول سبعون وعن الضحاك ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل هم ستون

(وروى) جرير عن خيثمة قال وجدت فى الانجيل ان مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلا غرا محجلة ما يزيد منها مفتاح على اصبع لكل مفتاح منها كنز ويقال ان قارون كان أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما ثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت عليه فجعلها من جلود البقر على طول الاصابع فكانت تحمل معه اذا ركب على أربعين بغلا واختلفوا فى سبب جمع تلك الاموال له فقيل كان عنده علم الكيميا قال سعيد بن المسيب كان موسى يعلم الكيميا فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوفنا مثله وعلم قارون مثله فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه وفى الخبر ان الله تعالى علم موسى الكيميا فعلم موسى أخته فعلمته قارون فكان ذلك سبب أمواله فذلك قوله تعالى انما أوتيته على علم عندى أو بالتصرف فى التجارات والزراعات وسائر أنواع المكاسب والمطالب (وقيل) فى سبب جمعه تلك الاموال ما أخبرنا الثقفى باسناده عن أبى الحوارى قال سمعت أبا سليمان الدارانى كان يقول تبدى ابليس لقارون وكان قارون قد أقام على جبل أربعين سنة يتعبد حتى اذا غلب جميع بنى اسرائيل فى العبادة بعث اليه ابليس شياطينه فلم يقدروا عليه فتقدم هو له وجعل يتعبد مع قارون وجعل ابليس يقهره بالعبادة ويفوقه فخضع له قارون وقال له ابليس يا قارون قد رضينا بهذا الذى نحن فيه لا نشهد لبنى اسرائيل جماعة ولا نعود لهم مريضا ولا نشهد جنازة قال فأحدرهم من الجبل الى البيعة فكانوا يؤتون بالطعام فقال له ابليس يا قارون قد رضينا أن نكون هكذا كلا على بنى اسرائيل فقال له قارون فأى رأى عندك قال نكتسب يوما فى الجمعة ونتعبد بقية الجمعة قال فتكسبا فى يوم الجمعة وتعبدا بقيتها فقال ابليس قد رضينا أن نكون هكذا قال قارون فأى الرأى عندك قال نكتسب يوما ونتعبد يوما فنتصدق ونعطى قال فلما اكتسبا يوما وتعبدا يوما خلى ابليس وتركه ففتحت على قارون أبواب الدنيا فبلغ ماله ما أخبرنا به ابن فنجويه باسناده عن المسيب بن شريك قال ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة وكانت أربعمائة ألف فى أربعين خزانة فصار فى الثروة وكثرة المال بحيث يضرب به الامثال أنشدنى أبو العباس سهل بن محمد المروزى عن بعضهم

وعدتنى وعدك حتى اذا * أطمعتنى فى كنز قارون

جئت من الليل بغسالة * تغسل ما قلت بصابون

فبغى قارون وطغى وتجبر حين استغنى وأثرى حتى هلك فصار عبرة للغابرين وعظة للباقين وكان أول طغيانه وعصيانه أنه تكبر واستطال على الناس بكثرة الاموال فكان يخرج فى زينته وهيئته ويختال كما قال تعالى فخرج على قومه فى زينته الآية قال مجاهد خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان وعليها المعصفرات وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خرج فى سبعين ألفا عليهم المعصفرات قال وكان ذلك أول يوم ظهرت المعصفرات فى الارض * فيما كان أبى يذكر لى عن مقاتل أنه خرج على بغلة شهباء عليها سرج من الذهب عليه الارجوان ومعه ألف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ستمائة جارية بيض عليهن الحلى والثياب الحمر على البغال الشهب فتمنى أهل الخسارة والجهالة مثل الذى أوتيه فقالوا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم فأنكر عليهم أهل العلم بالله وقالوا لهم اتقوا الله واعملوا بما أمركم الله به وانتهوا

عمانها كم عنه فان ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون عن لذات الدنيا وشهواتها قال الله تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا اى لا يوفق لهذه الكلمة الا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الحياة الدنيا (قالوا) ثم ان الله أوحى الى نبيه موسى عليه السلام أن يأمر قومه أن يعلقوا فى أرديتهم خيوطا أربعة فى كل طرف خيط أخضر لونه كلون السماء فقال موسى يارب لم أمرت بنى اسرائيل بتعليق هذه الخيوط الخضر فى أرديتهم فقال الله تعالى ان بنى اسرائيل فى غفلة وقد أردت أن أجعل لهم علما فى ثيابهم ليذكرونى به اذا نظروا اليه ويذكرون انه السماء ويعلمون أنى منزل منها كلامى فقال موسى يارب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضرا فان بنى اسرائيل تحقر هذه الخيوط قال له ياموسى ان الصغير من أمرى ليس بصغير وان لم يطيعونى فى الامر الصغير لم يطيعونى فى الامر الكبير قال فدعا موسى بنى اسرائيل ثم قال لهم ان الله أمركم أن تعلقوا فى أرديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لتذكروا ربكم اذا رأيتموها ففعلت بنو اسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال ما يفعل هذه الا الارباب بعبيدهم لكى يتميزوا عن غيرهم فكان أيضا هذا من بغيه وعصيانه (قالوا) فلما قطع موسى ببنى اسرائيل البحر جعلت الحبارة وهى رياسة المذبحة وبيت القربان لهرون فكانت بنو اسرائيل يأتون بهديهم فيدفعونه الى هرون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون فى نفسه من ذلك فأتى موسى وقال ياموسى لك الرياسة والرسالة ولهرون الحبارة ولست أنا فى شئ من ذلك وأنا أقرأ للتوراة منكما ولا صبر لى على هذا فقال موسى والله ما جعلتها أنا فى هرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا أصدقك فى ذلك حتى ترينى بيانه قال فجمع موسى رؤساء بنى اسرائيل وقال هاتوا عصيكم فمن أصبحت عصاه خضراء فهو أحق بالحبارة فجمعوا العصى وجاؤا بها وكتب كل واحد اسمه على عصاه فحزمها موسى وألقاها فى القبة التى كان يعبد الله فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فأصبحت عصا هرون قد اهتزت ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى ياقارون ترى هذا من فعلى فقال قارون والله ما هذا بأعجب مما تصنع السحرة وذهب قارون مغاضبا واعتزل موسى بأتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التى بينهما وهو يؤذيه فى كل وقت ولا يزيد كل يوم الا عتوا وتجبرا ومخالفة ومعاداة لموسى حتى انه بنى دارا وجعل بابها من الذهب الاحمر وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بنى اسرائيل يغدون عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه (قال ابن عباس) ثم ان الله أنزل الزكاة على موسى فلما أوجب الله الزكاة عليهم أتى قارون موسى فصالحه على كل ألف دينار دينارا واحدا وعن كل ألف درهم درهما واحدا وعن كل ألف شاة شاة واحدة وعن كل شئ شيئا ثم رجع قارون الى بيته وحسبه فوجده كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بنى اسرائيل وقال لهم ياقوم ان موسى قد أمركم بكل شئ فأطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا له أنت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت فقال آمركم أن تجيئوا بفلانة البغى فنجعل لها جعلا على أن تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرجت عليه بنو اسرائيل فرفضوه فاسترحنا منه فأتوا بها فجعل لها قارون ألف درهم وقيل ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل حكمها وقال لها أنا أمونك وأخلطك بنسائى على أن تقذفى موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو

اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بني اسرائيل اجتمعوا ينظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم وتبين لهم أعلام دينهم وأحكام شرعهم فخرج اليهم موسى وهم في براح من الارض فقام فيهم خطيبا ووعظهم وقال فيما قال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وان كان له امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال ان بني اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة قال أنا قال نعم قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فدعوها فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها وسألها بالذي فلق البحر لموسى وبني اسرائيل وأنزل التوراة على موسى الا صدقت فلما ناشدها تداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها الآن أحدث اليوم توبة أفضل من أن أوذي رسول الله فقالت لا بل كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلا على أن أقذفك بنفسي فلما تكلمت بهذا الكلام سقط في يد قارون ونكس رأسه وسكت الملأ وعرف أنه قد وقع في مهلكة فخر موسى ساجدا لله يبكي ويقول يا رب ان عدوك هذا قد آذاني وأراد فضيحتي وشيني اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي وسلطني عليه فأوحى الله تعالى اليه أن ارفع رأسك وأمر الارض بما شئت تطعك فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله قد بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلبث مكانه ومن كان معي فليعتزل عنه فاعتزلوا عن قارون ولم يبق معه الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهم فأخذتهم الى كعابهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى ركبهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى حقوبهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى أحقابهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى أعناقهم وقارون وصاحباه في كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده قارون بالله والرحم حتى روى في بعض الاخبار انه ناشده سبعين مرة وموسى في جميع ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه عليه ثم قال يا أرض خذيهم فانطبقت الارض عليهم وأوحى الله الى موسى يا موسى ما أفظك استغاثوا بك سبعين مرة فلم تغثهم ولم ترحمهم أما وعزتي وجلالي لو اياي دعوا لوجدوني قريبا مجيبا قال قتادة ذكر لنا ان الله تعالى يخسف بهم في كل يوم قامة وانه يتجلجل بهم فيها لا يبلغون قعرها الى يوم القيامة (أخبرنا) محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتي عليه قال أحمد بن محمد بن الحسن قال أخبرنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف قالوا أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر ابن راشد عن همام بن منبه قال أخبرنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في برديه وينظر في عطفيه وقد أعجبته نفسه اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة قالوا فلما خسف الله بقارون وصاحبيه الارض أصبحت بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم ان موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وأمواله وكنوزه فدعا الله موسى حتى خسف الله بداره وأمواله الارض وأوحى الله تعالى اليه اني لا أعبد الارض لاحد بعدك أبدا فذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين فلما حلت نقمة الله بقارون حمد الله تعالى المؤمنون الذين وعظوه وأنذروه بأس الله كما أخبر الله تعالى اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين أي لا تبطر ولا تأشر وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة الآية وندم الذين كانوا يتمنون مكانه بالامس وماله

وحاله

وحاله كما قال الله وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر فنجى الله نبيه موسى صلوات الله على سيدنا محمد وعليه وسلامه والمؤمنين من كل بلاء ومحنة وأهلك أعداءهم فرعون وهامان وقارون كما قال تعالى قارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض الآيات .

باب فى قصة موسى حين لقى الخضر وما جرى بينهما من العجائب الى أن بلغ من أمرهما ما بلغ

قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا قال الاستاذ الامام اختلف العلماء فى السبب الذى قصد موسى لاجله الخضر فروى الحسن بن عمارة عن الحكم بن عيينة عن سعيد بن جبير قال جلست عند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب فقال بعضهم يا ابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم عن كعب أن موسى عليه السلام الذى طلب العلم انما هو موسى بن ميشا قال ابن عباس كذب نوف حدثنى أبى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى نبى بنى اسرائيل سأل ربه فقال يارب ان كان فى عبادك أحد هو أعلم منى فدلنى عليه فقال الله عزوجل نعم فى عبادى من هو أعلم منك ثم نعت له مكان الخضر عليه السلام وأذن له فى لقائه وروى هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى ربه فقال يارب أى عبادك أحب اليك فقال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فأى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال يارب أى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى قال فهل فى الارض أحد أعلم منى قال نعم قال يارب من هو قال الخضر قال فأين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة التى ينفلت عندها الحوت وجعل الحوت علامة ودليلا وقال اذا احيى هذا الحوت فان صاحبك هنالك وكان قد تزود سمكا مملحا وروى عطية العوفى عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر واستقرت بهم الدار أنزل الله عليهم المن والسلوى فخطب موسى قومه فذكرهم ما آتاهم الله من الخير والنعمة اذ نجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم واستخلفهم فى الارض قال وكلم الله نبيكم تكليما واصطفاه لنفسه وألقى عليه محبة منه وآتاكم من كل ما سألتموه فنبيكم أفضل أهل الارض وأنتم تقرؤن التوراة فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم الا ذكرها وعرفهم اياها فقال له رجل منهم من بنى اسرائيل قد عرفنا الذى تقول فهل على وجه الارض أحد أعلم منك يا نبى الله قال لا قال فعتب الله عليه حين لم يرد العلم اليه فبعث اليه جبريل عليه السلام فقال له يا موسى ما يدريك أين أضع علمى بل ان لى عبدا بمجمع البحرين أعلم منك فسأل موسى ربه أن يريه اياه فأوحى الله اليه أن ائت البحر فانك تجد على شاطئ البحر حوتا فخذه وادفعه الى فتاك ثم الزم شاطئ البحر فاذا نسيت الحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح قال فخرج موسى وفتاه يقصدان مجمع البحرين للقاء الخضر عليه السلام ومعهما حوت مالح فذلك قوله تعالى واذ قال موسى يعنى ابن عمران لفتاه أى لصاحبه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام لا أبرح أى لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين يعنى بحر فارس والروم مما يلى المشرق قال قتادة وقال أبى بن كعب هو لفريقية وقال محمد بن كعب طنجة أو

أمضى حقبا دهرا وزمانا طويلا فذهبا ومعهما الخبز والسمك المملوح وسارا حتى انتهيا الى الصخرة عند مجمع البحرين ليلا قال معقل بن زياد وهي الصخرة التي دون نهر الزيت قال وعندها عين تسمى ماء الحياة ولا يصيب ذلك الماء شيأ الا عاش فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكتل وعاشت ودخلت البحر فذلك قوله تعالى فلما بلغا يعني موسى وفتاه مجمع بينهما يعني البحرين نسيا حوتهما وانما كان الحوت مع يوشع وهو الذي نسيه يدل عليه قوله تعالى اني نسيت الحوت ولكنه صرف النسيان اليهما والمراد به أحدهما كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرجان من المالح دون العذب فاتخذ الحوت سبيله في البحر سربا أي مذهبا ومسلكا واختلفوا في كيفية ذلك فروى أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على اثر الحوت فاذا هو بالخضر عليه السلام وقال ابن عباس رأى اثر جناحيه في الطين حين وقع في الماء وجعل الحوت لا يمس شيأ من البحر الا يبس حتى يصير صخرة وروى ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما فاضطرب الحوت في المكتل فخرج منه وسقط في البحر هاربا فاتخذ سبيله في البحر سربا فأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى عليه السلام نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا الآية وقال قتادة رد الله الى الحوت روحه فسرب حتى أفضى الى البحر ثم سلكه جعل لا يسلك منه موضعا الا صار ماء جامدا طريقا يابسا وقال الكلبي توضأ يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المملح من ذلك الماء وهو في المكتل فعاش ووثب في الماء فجعل يضرب بذنبه الماء فلا يضرب بذنبه شيأ من الماء وهو ذاهب الا يبس قال الحكماء كان لموسى عليه السلام خمسة أسفار الاول سفر الهرب وهو قوله تعالى ففررت منكم لما خفتكم الآية والثاني سفر الطور وهو قوله تعالى فلما أتاها نودي أن بورك من في النار ومن حولها الآية وقوله تعالى فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن الآية والثالث سفر الطلب وذلك عند خروجه من مصر قال الله تعالى وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي والرابع سفر الحرب وهو قوله تعالى اخبارا عن قول قومه فاذهب أنت وربك فقاتلا الآية والخامس سفر النصب وهو قوله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا وذلك انه لما ألقي على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع الى موضع مطلبه فقال له فتاه وتذكر أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت أي تركته وفقدته وقيل فيه اضمار تقديره فاني نسيت أن أذكر أمر الحوت وما أنسانيه الا الشيطان ان أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال عبد الرحمن بن زيد أي شيء أعجب من حوت كان دهرا من الدهور يؤكل منه ثم صار حيا حتى حشر في البحر قال وكان شق حوت وقال وهب بن منبه ظهر في الماء من أثر جري الحوت أخدود شبه نهر من حيث دخل الى حيث انتهى فرجع موسى حتى انتهى الى مجمع البحرين واذا هو بالخضر فذلك قوله تعالى قال ذلك ما كنا نبغي أي نطلب فارتدا فارجعا على آثارهما الذي جاءا منه قصصا أي بقصان الاثر فوجدا عبدا من عبادنا يعني الخضر عليه السلام

(فصل

(فصل في ذكر جمل من أخبار الخضر عليه السلام وأحواله)

واسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وانما لقب بالخضر كما أخبرنا به أبو سعد محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتي عليه قال أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين الشرقي قال حدثنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف قالوا أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا عبد الله بن حامد الوراق قال أنبأنا مكي بن عبدان قال أنبأنا أبو الازهر قال حدثنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء وأخبرنا أبو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي قال أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسن القصار قال أنبأنا أحمد بن يوسف السلمي قال أنبأنا محمد بن يوسف الفريابي قال ذكر سفيان عن منصور عن مجاهد قال انما سمي الخضر لانه أينما صلى اخضر حوله

(فصل في بدء أمر الخضر عليه السلام)

يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري به الى السماء بينما هو على البراق وجبريل يمر به اذ وجد رائحة طيبة فقال يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة قال انه كان ملك في الزمان الاول له سيرة حسنة في أهل مملكته وكان له ابن ولم يكن له ولد غيره قال أصحاب الاخبار وكان أبوه ملكا عظيما فسلمه الى المؤدب يؤدبه وكان يختلف اليه وكان بين منزله ومؤدبه رجل عابد كان يمر به فأعجبه حاله فألفه وكان يجلس عنده والمعلم يظن أنه في المنزل وأبوه يظن أنه عند المعلم حتى شب ونشأ وأخذ من العابد شمائله وعبادته فقالوا لابيه ليس لك ولد غيره يرث ملكك فلو زوجته لعله يرزق أولادا فعرض عليه أبوه التزويج فأبى ثم عاوده فعرض عليه فرضي فزوجه جارية من بنات الملوك فزفت اليه فلما بقيت عنده قال لها اني مخبرك بأمر ان أنت سمعته صرف الله عنك شر الدنيا وعذاب الآخرة وان أفشيت سري عذبك الله في الدنيا وفي الآخرة قالت وماذاك قال اني رجل مسلم لست على دين أبي وليست النساء من حاجتي فان رضيت أن تقيمي معي على ذلك وتتابعيني على ديني فذاك اليك وان أنت أبيت لحقت بأهلك فقالت المرأة بل أقيم معك فلما أتت عليها مدة قالوا لابيه ما نظن ابنك الا عاقرا لا يولد له ولد فسأله أبوه فقال ما ذلك بيدي وانما ذلك بيد الله يؤتيه من يشاء فدعا المرأة وسألها فردت عليه مثل ما رد عليه الخضر فمكث أبوه زمانا ثم دعا ابنه اليه فقال له أحب أن تطلق امرأتك هذه وأزوجك امرأة غيرها ولودا ربما ترزق منها ولدا فكره ذلك الخضر وألح عليه أبوه حتى فرق بينهما وزوجه امرأة غيرها ولودا ثيبا فعرض عليها الخضر مقالته الاولى فرضيت وقالت أقيم معك فلبثا زمانا ثم ان أباه استبطأ الولد منه فدعاه وقال له ليس يولد لك فقال ليس ذلك بيدي ولكنه بيد الله ثم انه دعا امرأته وقال لها أنت امرأة شابة ولود وقد كنت ولدت عند غير ابني ولست تلدين عند ابني فقالت ما مسني منذ صحبته وكذلك المرأة الاولى فدعاها وسألها فقالت مثل ذلك فدعا ابنه وعيره وعنفه ففزع من أبيه ولم يأمن على نفسه منه فخرج من عنده فهام على وجهه ولم يدر أحد من خلق الله تعالى أين توجه فندم أبوه على ما فعل فأرسل في طلبه مائة رجل من طرق شتى مختلفة

فانطلقوا فى طلبه فأدركه منهم عشرة فى جزيرة من جزائر البحر فقال لهم انى أقول لكم شيأ فا كتموه عنى فان كتمتموه صرف الله عنكم شر الدنيا وعذاب الآخرة وان أبيتم ذلك وأفشيتم سرى عذبكم الله فى الدنيا وفى الآخرة قالوا له قل ماشئت قال هل بعث أبى فى طلبى أحدا غيركم قالوا نعم فقال لهم اذا فاكتموا أمرى ولا تخبروا أبى انكم رأيتمونى وقولوا مثل قول نظرائكم الذين أرسلهم فى طلبى فلم يرونى لانكم لو أخبرتموه بى أو ذهبتم بى اليه قتلنى وصرتم أنتم مؤاخذين بدمى قال فخلوا عنه وانصرفوا فلما دخلوا على أبيه قال تسعة منهم قد وجدناه وقال لنا كيت وكيت فخلينا عنه وقال العاشر مالنا به علم ومالى به خبر والتسعة قالوا بلى قد ظفرنا به وان شئت أتيناك به فقال لهم ارجعوا فى طلبه وأتونى به وان الخضر خاف أن يظفروا به فانحاز من ذلك الموضع الى موضع آخر فأتوا اليه فلم يجدوه فرجعوا وقالوا لم نره فقتلهم أبوه قال وان أباه دعا بالمرأة الثيب وقال لها أنت صنعت هذا بابنى حتى هرب فقتلها وسمعت المرأة الاولى بذلك فهربت مخافة القتل وقال العاشر الذى أنكر رؤية الخضر ما يؤمننى أن يقتلنى كما قتل التسعة فهرب حتى أتى قرية فاذا المرأة الهاربة أيضا فى تلك القرية فكانت تحتطب فقالت يوما بسم الله فسمعها الرجل الهارب فقال لها من أنت فأخبرته خبرها فقال ياهذه أنا العاشر خرجت خوف القتل فهل لك أن أتزوجك ونعبد الله حتى نموت فقالت نعم ثم انهما انطلقا حتى أتيا قرية فيها بعض الفراعنة فاتخذا بيتا من قصب ومكثا فيه ورزقا فيه ثلاثة أولاد فقال لها الرجل اذا أنا مت فادفنينى فى هذا البيت وكذلك كل من مات منكم فانى لا أحب أن تكون قبورنا مع هؤلاء فاذا كان آخرنا موتا يوصى أن يهدم عليه البيت فمات الرجل فدفنته امرأته ثم انه بلغ فرعون زمانهم أنهم يوحدون الله ويعبدونه فجىء بالمرأة الى حضرته فأمرها أن ترجع عن دينها فأبت فأمر بقدر من نحاس فملئت ماء وأغلى غليانا شديدا وأمر بالمرأة وولدها فلما أحضروا قال لها ارجعى عن دينك والا ألقيتك أنت وأولادك فى هذا القدر فأبت عليه فأمر بولدها الاكبر فألقى فيه فتفسخ فيه وكذلك الثانى وكان فى حجرها ابن رضيع فأرادوا القاءه فرقت المرأة ونازعتهم فى شأنه فتكلم الغلام الرضيع وقال لها اصبرى فانا جميعا فى الجنة فلما أرادوا أن يلقوها فى القدر قالت لهم لى اليكم حاجة يسيرة قالوا وما هى قالت اذا رميتمونى فى القدر فادفنوها بما فيها من عظامنا فى بيتنا واهدموه علينا ففعلوا ذلك فلما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم وجد رائحة طيبة فقال ماهذه يا جبريل فأخبره بقصتهم وقال هذه رائحتهم وروى ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوما من أهل تلك المدينة ركبوا البحر فى تجارتهم فضربتهم الامواج فتكسرت بهم سفينتهم فانفلت منهم رجلان على لوح من ألواحها فضربتهم الامواج حتى أسندتهما الى جزيرة من جزائر البحر فخرجا يجولان فى الجزيرة فاذا هما بالخضر عليه السلام وعليه ثياب بيض وهو قائم يصلى فجلسا حتى فرغ من صلاته فالتفت اليهما وقال لهما من أنتما قالا نحن من مدينة كذا وكذا خرجنا فى هذا البحر لطلب التجارة فانكسرت بنا هذه السفينة ودفعنا الى هذه الجزيرة فقال اختارا ان شئتما أن تقيما فى هذا الموضع تعبدان الله تعالى وتأتيكما أرزاقكما وان شئتما أردكما الى منازلكما قالا بل تردنا الى منازلنا فقال لهما على أن تعطيانى عهد الله

وميثاقه على انكما لاتخبران بشئ مما تريانه فأعطياه العهد والميثاق على الكتمان فنظر فاذا سحائب تمر فدعاهن وسألهن فقالت كل واحدة منهن أريد بلد كذا وكذا فدعا الذى تريد بلادهما فقال لها احملى هذين حتى تضعيهما على سطوحيهما فسقطت السحابة وانشقت لهما ثم رفعتهما ومضت حتى وضعتهما على سطوحيهما فعزم أحدهما على الكتمان ونزل الى منزله وعزم الآخر على اذاعته فنزل من سطحه وخرج من بابه وانطلق الى باب المدينة ونادى النصيحة فأدخل على الملك فقال له ما نصيحتك فقال رأيت ابنك فى موضع كذا وكذا وصنع بى كذا وكذا فقال لمن يعلم ذلك قال فلان كان رفيقى فبعث اليه وسأله عما قال فقال أما ركوب البحر فقد ركبنا جميعا وقد انكسرت بنا السفينة وصرنا على لوح من ألواحها فلم تزل الامواج تضربنا حتى صرنا الى الساحل فخرجنا من البحر فلم نزل نعيش من الشجر ونبات الارض والثمر ترفعنا أرض وتضعنا أخرى حتى انتهينا الى منازلنا فقال له الغادر ابعث معى رسلك حتى أدفعه اليك وتعلم ان هذا قد كذب فأمر بالرجل الكاتم فحبس وتوعده بالصلب ان وفى صاحبه بما قال وأوعد الغادر بالصلب ان هو كذب ولم يأت به فبعث معه رسلا فركبوا البحر حتى انتهوا الى الجزيرة فطلبوا الخضر فلم يجدوا شيأ فرجعوا بالرجل الى الملك وقالوا هذا أكذب خلق الله ما رأينا مما قال شيأ فصلبه وخلى عن الآخر ثم ان أهل تلك المدينة لم يزالوا يعملون المعاصى حتى غضب الله عليهم قال جبريل عليه السلام فبعثنى الله تعالى اليهم فأدخلت جناحى تحتها واقتلعتها فرفعتها حتى سمع أهل سماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديوك ثم أمرنى فقلبتها فجاءت تهوى بمن فيها حتى انتهت الى وجه الارض فبقى بيت الرجل الكاتم والمرأة الكاتمة من جانب سالمين ثم انطبقت الارض بمن فيها فلم ينج منهم غيرهما فجعلا يدوران فى حدود المدينة فلا يلقى كل واحد منهما غير صاحبه فلما ان كثر ذلك قال الرجل أيتها المرأة قد رأيت ما أصاب القوم وانه لم يفلت غيرى وغيرك فبأى شئ نجوتا فاخبرينى وأنا أخبرك فعاهد كل واحد منهما صاحبه على الكتمان فتصادقا فاذا قصتهما واحدة وانما نجاهما الكتمان فقال لها هل لك ان تزوجينى نفسك ونخرج الى مدينة من هذه المدائن فاكتسب عليك وتكتسبين على حتى يقضى الله من أمرنا ما يشاء ففعلت فذهبا الى مدينة فرعون من الفراعنة فاتخذ لهما بيتا وولد لهما أولاد وتلطفت المرأة لآل فرعون وصارت ماشطة لهم فحظيت عندهم فبينما هى ذات يوم قاعدة تسرح رأس بنت الملك اذ سقط المشط من يدها فقالت بسم الله تعس من كفر بالله ففزعت الجارية من ذلك وقالت لها من الله قالت ربى فقالت لها وان لك لربا غير أبى فقالت نعم هو ربى ورب أبيك ورب كل شئ فهبطت الجارية ودخلت على أبيها وقالت تعلم أن فلانة تقول قولا عجيبا تقول كذا وكذا فارسل اليها فحضرت فقال لها ما هذا الذى بلغنى عنك فقالت هو ما بلغك قال فهل أحد يقول بقولك قالت نعم بعلى وصبيتى فبعث اليهم وامتحنهم فاذا هم يقولون قولا واحدا فقال لهم انا لا نقركم على ما أنتم عليه حتى ترجعوا الى ديننا فقالوا له اصنع ما أنت صانع فامر بقدر من نحاس عظيمة فملئت ماء ثم أشعل تحتها حتى اضطرب الماء ثم دعا بالصبية فعرض عليهم واحدا واحدا ليكفروا فأبوا أن يكفروا فأخذهم وطرحهم فى القدر ثم انه دعا بالزوج وعرض عليه الكفر فأبى فألقاه فى القدر ثم دعا بالمرأة وقال لها ان لك علينا حقا فان أنت رجعت الى ديننا والا ألقيناك

في القدر فقالت له اصنع ما أنت صانع ثم انها قالت له لي اليك حاجة قال وما هي قالت اذا
صنعت ما أنت صانع في بيتنا أن يحفر فيه حفرة ثم تأمر بالقدر فتحمل بما فيها ثم يأتون بها منزلنا
فيسكب ما في القدر في الحفرة ثم يعاد علينا التراب ثم يهدم علينا البيت ففعل ذلك فهذه الرائحة
رائحة المسك تسطع من بيتهم الى يوم القيامة فهذه قصة الخضر مع أبيه وبدو أمره * وكان في
زمن افريدون الملك بن القباء على قول عامة أهل الكتب الاولى وقيل انه كان على مقدمة
ذي القرنين الاكبر الذي كان في زمن ابراهيم عليه السلام وهو الذي قضى ببئر السبع وهي
بئر كان احتفرها ابراهيم عليه السلام لماشيته في صحراء الاردن وان قوما من أهل الاردن
ادعوا الارض الذي احتفرها فيها ابراهيم عليه السلام فحاكمهم ابراهيم عليه السلام الى ذي
القرنين الذي كان الخضر على مقدمته أيام مسيره في البلاد وانه بلغ مع ذي القرنين نهر الحياة
وشرب من مائه وهو لا يعلم به ولا يعلم ذو القرنين ومن معه فخلد وهو في الحياة الى الآن
وقيل ان ذا القرنين الذي كان على عهد ابراهيم عليه السلام وكان الخضر عليه السلام على
مقدمته هو افريدون الملك وزعم بعضهم ان الخضر من ولد من كان آمن بابراهيم خليل الرحمن
واتبعه على دينه وهاجر معه من أرض بابل وروى محمد بن اسحق بن يسار عن وهب بن منبه
ان الخضر هو أرميا بن خلقيا وكان من سبط هرون بن عمران وهو الذي بعثه الله نبيا في أيام
ناشئة بن أموص ملك بني اسرائيل والقول الاول أشبه بالحق وأولى بالعدل والصدق لان ناشئة
ابن أموص كان في عصر كرفشت بن كراراشت في أيام بختنصر وبين افريدون وكرفشت من
الدهور والازمان ما لا يجهله ذو علم بأيام الناس وأخبارهم * وقد صح الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حديث أبي بن كعب ان صاحب موسى بن عمران الذي أمر بطلبه
وبالاقتباس منه هو الخضر عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بالامور
الماضية والباقية وموسى بن عمران انما نبئ في عصر منوشهر الملك وكان منوشهر الملك بعد
ملك جده افريدون فدل هذا على خطاء من قال انه أرميا بن خلقيا لان أرميا كان في أيام
بختنصر وبين عهد موسى وبختنصر من المدة ما لا يخفى على أهل العلم اللهم الا أن يكون الامر
كما قاله من قال انه كان على مقدمة ذي القرنين صاحب ابراهيم عليه السلام فشرب من ماء
عين الحياة فخلد ولم يبعث في أيام ابراهيم ومن بعده الى أيام ناشئة بن أموص فبعث حينئذ نبيا
والله أعلم والصحيح أنه نبي معمر محجوب عن الابصار وروى محمد بن المتوكل عن ضمرة بن
عبد الله بن سوار قال الخضر من ولد فارس والياس من بني اسرائيل يلتقيان في كل عام في
الموسم (وأخبرني) محمد بن القاسم أخبرنا أبو بكر محمد بن القاسم قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن
محمد بن يعقوب قال أخبرنا يزيد بن سمعان بن حبان الواسطي أخبرنا علي بن المنذر عن سفيان
ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال ان الخضر والياس لا يزالان حيين في الارض ما دام القرآن
فيها فاذا رفع القران ماتا وأخبرني أبو عمرو العمراني أخبرنا أبو أحمد محمد بن علي الرازي
أخبرنا ابراهيم بن اسحق الانماطي (أخبرنا) أبو همام الوليد بن شجاع السلمي أخبرنا عمر بن عبد
الواحد السلمي عن ابن ثوبان عن بعض أهل العلم عن أنس بن مالك قال خرجت مع رسول الله صلى

الله عليه وسلم واذا بصوت يجيء من شعب فقال يا أنس انطلق فابصر ما هذا الصوت قال فانطلقت فاذا رجل يصلي و يقول اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمته بذلك فقال لي انطلق فقل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام و يقول لك من أنت فأتيته فأعلمته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي أقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وقل له أخوك الخضر يقول لك ادع الله أن يجعلني من أمتك المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها

(رجعنا الى حديث موسى وفتاه) قالوا فانتهى موسى وفتاه الى الخضر وهو قائم يصلي على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو متشح بثوب أخضر فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بأرضك السلام فقال أنا موسى فقال موسى بني اسرائيل قال نعم قال يا موسى لقد كان لك في بني اسرائيل شغل قال موسى ان ربي أرسلني اليك لاتبعك وأتعلم من علمك ثم جلسا يتحدثان فجاءت خطافة وحملت بمنقارها من الماء فقال الخضر يا موسى خطر ببالك انك أعلم أهل الارض ما علمك وعلمي وعلم جميع الاولين والآخرين في جنب علم الله تعالى الا أقل من الماء الذي حملته الخطافة بمنقارها فذلك قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا أي نبوة وحكمة وعلمناه من لدنا علما (وقال ابن عباس) كان الخضر يعلم علم الغيب فقال له موسى هل أتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا لاني أعلم علم الباطن علما علمنيه الله تعالى وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا يعني على ما لم تعلمه قال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء علمته مما تنكره حتى أحدث لك منه ذكرا وأبين لك شأنه فانطلقا يسيران يلتمسان سفينة يركبان فيها فمرت بهم سفينة جديدة وثيقة فركباها فقال أصحاب السفينة هؤلاء لصوص وأمروهم بالخروج منها فقال صاحب السفينة ما هؤلاء بلصوص ولكني أرى وجوههم وجوه الانبياء وقال أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقا يمشيان على ساحل البحر اذ مرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما لججوا في البحر أخذ الخضر عليه السلام فأسا فخرق لوحا من السفينة حتى دخلها الماء فحشاها موسى بثوبه وقال له أخرقتها لتغرق أهلها وقد حملونا وأحسنوا الينا فخرقت سفينتهم ما هذا جزاؤهم منا لقد جئت شيأ امرا أي عجبا منكرا قال الخضر ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال موسى لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا يعني لا تكلفني ولا تضيق علي أمري (قال ابن عباس) لما خرق الخضر السفينة تنحى موسى ناحية وقال في نفسه ما كنت أصنع بمصاحبة هذا الرجل كنت في بني اسرائيل أتلو عليهم كتاب الله غدوة وعشية وآمرهم فيطيعوني فقال له الخضر يا موسى أتريد أن أخبرك بما حدثت به نفسك قال نعم قال قلت كذا وكذا قال صدقت فانطلقا يمشيان حتى أتيا ابلة فاذا هم بغلمان عشرة فيهم غلام هو أظرفهم وأوضأهم وجها قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحلم وقال الضحاك كان غلاما يعمل الفساد فتتأذى منه أبواه وقال الكلبي كان الغلام يسرق المتاع بالليل فاذا أصبح لجأ الى أبويه فيحلفان دونه شفقة عليه ويقولان لقد بات عندنا واختلفوا في اسمه فقال الضحاك كان اسمه حسنود وقيل الحسين وقال وهب بن منبه كان اسم أبيه ملاس واسم أمه رحمة قال فأخذه

الخضر عليه السلام فقتله واختلفوا في كيفية قتله قال سعيد بن جبير أخذه فأضجعه ثم ذبحه بالسكين وقال الكلبي صرعه ثم نزع رأسه وقال قوم رفسه برجله فقتله وقال آخرون ضرب رأسه بالجدار حتى قتله وفي رواية أخرى أدخل اصبعه في سرة الصبي فاقتلعها فمات فلما قتله قال موسى أقتلت نفسا زكية يعني طاهرة لم تذنب ولم تستوجب القتل بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا أي منكرا قال قتادة المنكر أشد وأعظم من الامر قال فغضب الخضر واقتلع كتف الصبي الايسر وقشر اللحم عنه فاذا في عظم كتفه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبدا * ويدل على صحة هذا القول ما أخبرنا به عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن عبيد الله اخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان أخبرنا يحيى أخبرنا قيس عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا فقال الخضر لموسى ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا أي في فراقي (أخبرنا) عبد الواحد بن حامد الوزان أخبرنا مكي بن عبدان أخبرنا عبد الرحمن بن بشر أخبرنا حجاج بن محمد أخبرنا حمزة الزيات عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحدا بدعا له بدأ بنفسه فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى أخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر العجب العجاب ولكنه قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا يمشيان حتى أتيا أهل قرية واختلفوا في القرية قال ابن عباس هي انطاكية وقال محمد بن سيرين هي ايلة وهي أبعد أرض الله من السماء وقيل هي قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة واليها ينسب النصارى قالوا فوافياها قبل غروب الشمس فاستطعما أهلها واستضافاهم فأبوا أن يضيفوهما قالوا كانوا أهل قرية لئاما وقال قتادة في هذه الآية شر القرى التي لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه قالوا فلم يجدوا تلك الليلة في تلك القرية قرى ولا ماء ولا مأوى وكانت ليلة باردة فالتجأ الى حائط على شارع الطريق يريد ان ينقض أي يكاد ينهدم ويسقط ولم يكن يمر به أهل القرية ولا غيرهم من الناس الا على خوف منه وكان قد بناه رجل صالح وفي بعض الاخبار ان سمك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعا بذراع ذلك القرن وكان طوله على وجه الارض خمسمائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا فأقامه الخضر أي سواه وقال ابن عباس هدمه وبناه وقال سعيد بن جبير مسح الجدار وسواه بيده ومنكبيه فاستقام فقال له موسى لو شئت لاتخذت عليه أجرا يكون لنا قوتا وبلغة على سفرنا اذ استضفناهم فلم يضيفونا فقال له الخضر هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ثم أخذ بغمر له فقال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر الآية قال كعب وغيره كانت لعشرة اخوة زمنى لم يكن لهم معيشة غيرها ورثوها من أبيهم خمسة منهم يعملون في السفينة في البحر وخمسة لا يطيقون العمل فأما العمال منهم فأحدهم كان مجذوما والثاني أعور والثالث أعرج والرابع آدر والخامس محموم لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم والخمسة الذين لا يطيقون العمل أعمى وأصم وأخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذي كانوا يعملون فيه ما بين فارس الى بحر الروم (ويروى) عن عكرمة قال قلت لابن عباس في قوله أما السفينة فكانت لمساكين كانوا

مساكين

مساكين والسفينة تساوى ألف دينار فقال ان المسافر مسكين وان كان معه ألف دينار ولهذا
قيل ان المسافر وماله على قلة الا ما وقى الله تعالى فأردت أن أعيبها قطعا لطمع الطامعين فيها
ودفعا لشرهم وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وراءهم أى أمامهم قال الله تعالى
من ورائه جهنم ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون أى امامهم وقيل خلفهم لانه كان رجوعهم
فى طريقهم عليه ولم يكونوا يعلمون خبره فأعلم الله تعالى الخضر خبره وكان يأخذ كل سفينة
صالحة غصبا وكذلك كان يقرؤها ابن عباس فخرقتها وعبتها كى لا يتعرض لها ذلك الملك
واختلفوا فى اسم ذلك الملك فقال أكثر العلماء اسمه جلندى وكان كافرا وقال ابن اسحق كان
اسمه منواه بن جالند الاردنى وقال شعيب الجبائى كان اسمه هدد بن بدد وقيل كان لهذا الملك
ثلثمائة وستون قصرا فى كل قصر امرأة قال فلما جاوزوا الملك سد الخضر خرق السفينة ورمها
وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أى فعلمنا أن يرهقهما يغشاهما طغيانا وكفرا فيهلكهما
وقيل خشى ان يدركه فيدعو أبويه الى الكفر فيجيباه ويدخلا معه فى دينه لفرط محبتهما له
وقيل خشى على الغلام ان يعمل عمل الفساق فيتغافل أبواه فيدخلان النار فأردنا أن يبدلهما
ربهما خيرا منه زكاة وصلاحا وأقرب رحما (قال ابن عباس) يعنى واصلا للرحم وبرا بوالديه
فأبدلهما الله جارية مؤمنة أدركت يونس بن متى وتزوجها نبى من الانبياء فولدت له نبيا فهدى
الله على يديه أمة من الامم (وأخبرنا) عبد الله بن حامد قال أخبرنا حامد بن احمد قال أخبرنا أبو محمد
عبد الله بن يحيى بن الحرث أخبرنا عبد الوهاب بن فليح أخبرنا ميمون بن عبد الله القداح عن
جعفر بن محمد الصادق عن أبيه فى هذه الآية قال أبدلهما جارية فولدت سبعين نبيا وقال ابن
جريج أبدلهما بغلام مسلم وكان المقتول كافرا وقال قتادة فى هذه الآية قد فرح به أبواه حين
ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقى كان فيه هلاكهما فرضا المؤمن بقضاء الله تعالى فيما يكره خير له
من رضاه فيما يحبه وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة واسمهما أصرم وصريم وكان
تحته كنز لهما واختلفوا فى ذلك الكنز ما هو فقال ابن عباس وسعيد بن جبير كان صحفا مدفونة
تحته فيها علم وقال الحسن وجعفر بن محمد كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن
الرحيم عجبا لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب وعجبا لمن يوقن بالموت
كيف يفرح وعجبا لمن يؤمن بالحساب كيف يجمع وعجبا لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن
اليها لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخرون كان ذلك الكنز مالا يدل عليه
ما أخبرنا أبو بكر الجشادى المزكى اخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن قيدوس الطرائفى أخبرنا
عثمان بن سعيد أخبرنا صفوان بن صالح الدمشقى أخبرنا يزيد بن مسلم الصنعانى عن يزيد بن يزيد عن
مكحول عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وكان تحته
كنز لهما قال كان ذهبا وفضة وكان أبوهما اسمه كاشح وكان صالحا تقيا أمينا فحفظا لصلاح
أبيهما ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الاب الذى حفظا به سبعة آباء (أخبرنا) عبد الله بن
حامد بن محمد قال أخبرنا بشر بن موسى أخبرنا الحميدى أخبرنا سفيان أخبرنا محمد بن سوقة
عن محمد بن المنكدر قال ان الله عز وجل ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقعته التى
هو فيها والدويرات التى حوله فما يزالون فى حفظ الله وستره وعن سعيد بن المسيب انه كان اذا

رأى ابنه قال يابنى لأزيدن فى صلاتى من أجلك لعلى احفظ فيك ويتلو هذه الآية (أخبرنا) يحيى بن اسمعيل بن سلمة قال كانت لى أخت أسن منى فاختلطت وذهب عقلها فتوحشت وكانت فى غرفة فى أقصى سطوحنا فلبثت كذلك بضع عشرة سنة وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الصلاة والطهور فبينما أنا نائم ذات ليلة اذا أنا بباب بيتى يدق نصف الليل فقلت من هذا فقالت بجة فقلت أختى قالت أختك فقلت لبيك فقمت ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها فى البيت أكثر من عشرين سنة فقلت يا أختى خيرا فقالت خيرا يا أخى بت الليلة فأتانى آت فى منامى فقال لى السلام عليك يابجة فقلت وعليك السلام فقال ان الله قد حفظ أباك اسمعيل بن سلمة بن كهيل بسلمة جدك وحفظك بأبيك اسمعيل فان شئت دعوت الله لك فيذهب مابك وان شئت صبرت ولك الجنة فان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما قد تشفعا لك الى الله تعالى لحب أبيك وجدك أياهما فقلت ان كان ولا بد من اختيارى أحدهما فالصبر على ما أنا فيه والجنة وان الله لواسع الفضل لخلقه لا يتعاظمه شئ فى حكمه لو شاء لجمعهما لى قالت فقيل لى قد جمعهما الله لك ورضى عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر فانزلى فان الله أذهب ما كان بك

* ويحكى عن بعض العلوية انه دخل على هرون الرشيد وقد هم بقتله فلما دخل عليه أكرمه وخلى سبيله فقيل له بم دعوت حتى نجاك الله قال قلت يامن حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظنى منه لصلاح آبائى فأراد ربك ان يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما المدفون تحت الجدار وما فعلته عن أمرى وانما فعلته بأمر الله تعالى ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا ويقال لما عاب موسى على الخضر خرق السفينة وقتله الغلام واقامته الجدار محتسبا مجانا قال له ياموسى أتلومنى على خرق السفينة مخافة غرق أهلها ونسيت نفسك حين ألقتك أمك وأنت صغير فى اليم ضعيف فحفظك الله وتلومنى على قتل الغلام الكافر بلا أمر ونسيت نفسك حين قتلت القبطى بغير أمر وتلومنى على ترك أخذ الاجرة فى اقامة الجدار ونسيت نفسك حين سقيت غنم شعيب محتسبا لاجل الملك الجبار قال بعض أهل الاخبار هذا ما كان من قصة موسى وفتاه وقصدهما الخضر حيث كانوا فى التيه فلما فارق موسى الخضر رجع الى قومه وهم فى التيه (ويروى) عن على بن أبى طالب وغيره أن موسى لما أراد فراق الخضر قال له الخضر استودعتك الله ثم قال له موسى أوصنى فقال له الخضر لا تكن مشاء فى غير حاجة واياك واللجاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخاطئين بخطاياهم وابك على خطيئتك ولا تؤخر عمل اليوم الى غد (وروى) أبو أمامة الباهلى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ألا أحدثكم عن الخضر قالوا بلى يارسول الله قال بينما الخضر يمشى فى سوق من أسواق بنى اسرائيل اذ لقيه مكاتب فقال له تصدق على بارك الله لك فقال آمنت بالله وما يقضى الله من أمر يكون ما معى من شئ أعطيكه فقال له الرجل تصدق على بارك الله عليك فانى أرى الخير فى وجهك فرجوت الخير من قبلك فقال له الخضر آمنت بالله وما يقضى الله من أمر سيكون ما معى شئ أعطيكه فقال له السائل أسألك بالله لما تصدقت على فقال له الخضر آمنت بالله ما يقضى الله من أمر سيكون ما معى شئ أعطيكه الا أن تأخذ بيدى وتدخلنى فى السوق فتبيعنى قال الرجل وهل يكون مثل هذا قال الحق أقول انك سألتنى بعظيم سألتنى بوجه ربى وقد أجبتك فخذ بيدى وأدخلنى السوق فبعنى فأخذه

بيد الخضر فأدخله السوق فباعه بأربعمائة درهم فلبث عند المبتاع أياما لا يستعمله فى شئ فقال له الخضر استعملنى فقال له انك شيخ كبير وأكره أن أشق عليك قال لا يشق على ذلك قال فقم فانقل هذه الحجارة من ههنا الى ههنا وكانت الحجارة لا ينقلها الا ستة نفر فى يوم تام فقام ونقلها فى ساعة واحدة وأمده الله تعالى على نقلها بملك من الملائكة فتعجب الرجل منه وقال أحسنت ثم عرض للرجل سفر فقال للخضر انى أراك أمينا فاخلفنى فى أهلى قال نعم ان شاء الله تعالى فاستعملنى فى شئ قال أكره أن أشق عليك قال لا يشق ذلك على فقال اضرب لى لبنا أبنيه لقصرى ووصفه له ثم خرج لسفره فلما قضى حاجته ورجع من سفره اذا هو بالخضر عليه السلام قد شيد بنيانه على ما أراد فازداد منه تعجبا وقال له من أنت قال أنا المملوك الذى كنت اشتريتنى فقال له سألتك بوجه الله أن تخبرنى من أنت فقال الخضر ان هذا القسم هو الذى أوقعنى فى العبودية أما أنا فسأخبرك أنا الخضر سألنى سائل بوجه ربى أن أعطيه ولم يكن معى شئ أعطيه فأمكنته من نفسى حتى باعنى وبلغنى أن من سئل بوجه الله ورد سائله وهو يقدر على قضاء حاجته وقف يوم القيامة بين يدى ربه وليس على وجهه لحم ولا جلد الا عظم يتقعقع قال فبكى ذلك الرجل وانكب عليه يقبله ويقول له بأبى أنت وأمى شققت عليك ولم أعرفك فاحكم على فى مالى وأهلى وان أحببت ان اخلى سبيلك فعلت قال نعم بل أحب أن تخلى سبيلى أعبد ربى وكان الرجل كافرا فاسلم على يديه وأعطاه أربعمائة دينار وخلى سبيله فأوحى الله اليه قد نجيتك من الرق وأسلم الكافر على يديك وأعطاك مكان كل درهم دينارا لتعلم أن لا يخسر أحد فى معاملتى فهذا آخر قصة الخضر وموسى وفتاه والله أعلم *

(باب فى ذكر قصة عاميل قتيل بنى اسرائيل وقصة البقرة)

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قال المفسرون وجد قتيل فى بنى اسرائيل اسمه عاميل لم يدر من قتله واختلفوا فى قاتله وسبب قتله فقال عطاء والسدى كان فى بنى اسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين ولا وارث له غيره فلما طالت عليه حياته قتله ليرثه وقال بعضهم كان تحت عاميل ابنة عم له ما لها فى بنى اسرائيل مثل فى الحسن والجمال فقتله ابن عمها لينكحها فلما قتله حمله من قرية الى قرية أخرى فألقاه هنالك وقال عكرمة كان لبنى اسرائيل مسجد له اثنا عشر بابا لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط جر الى باب سبط آخر فاختصم فيه السبطان وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله ووضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يطلب ثأره ودمه ويدعيه عليه وقيل ألقاه بين القريتين فاختصم أهلهما وجاء أولياؤه الى موسى وأتوه بناس وادعوا عليهم القتل وسألوه القصاص فسألهم موسى عن ذلك فجحدوا ولم يكن لهم بينة فاشتبه أمر القتيل على موسى ووقع بينهم قتال واختلاف وذلك قبل نزول القسامة فى التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم أمر ذلك القتيل فسأل موسى ربه فأمرهم بذبح البقرة فقال لهم موسى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا جئناك لنسألك عن القتيل فتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لتباعد الامرين فى الظاهر ولم يدروا ما وجه الحكمة فيه فقال موسى أعوذ بالله أن أكون من

الجاهلين أى من المستهزئين بالمؤمنين فلما علم القوم ان ذبح البقرة أمر من الله تعالى قد لزمهم سألوا الوصف فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى ولو أنهم عمدوا الى أدنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم لكنهم شددوا الامر على أنفسهم فشدد الله عليهم وانما كان تشديدهم تقديرا من الله وحكمة وكان السبب فيه على ماذكره السدى وغيره ان رجلا فى بنى اسرائيل كان بارا بأبيه وبلغ من بره ان رجلا أتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين ألفا وكان فيها فضل وربح فقال البائع اعطنى ثمن اللؤلؤة فقال ان أبى نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فأمهلنى حتى يستيقظ وأعطيك الثمن فقال أيقظ أباك واعطنى المال فقال ما كنت لافعل ولكن أزيدك عشرة آلاف وأنظرنى حتى ينتبه أبى فقال الرجل أنا أحط عنك عشرة آلاف ان أيقظت أباك وعجلت النقد فقال أنا أزيدك عشرين ألفا ان انتظرت انتباهه فقال قبلت فقعد ولم يوقظ أباه فلما استيقظ أبوه أخبره بذلك فدعاله وجزله خيرا وقال له أحسنت يابنى وهذه البقرة لك بما صنعت وكانت بقية بقر كانت لهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه القصة انظروا ماصنع الله به لاجل البر (وقال ابن عباس ووهب وغيرهما من أهل الكتب) كان فى بنى اسرائيل رجل صالح وله ابن طفل وكان له عجلة فأتى بالعجلة الى غيضة وقال اللهم انى استودعتك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ثم مات الرجل وشبت العجلة فى الغيضة حتى صارت عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن وكان بارا بوالدته وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلى ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتى به السوق فيبيعه بماشاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثلثه ويعطى والدته ثلثه فقالت له أمه يوما يابنى ان أباك ورثك عجلة وذهب بها الى غيضة كذا وكذا واستودعها الله تعالى فانطلق اليها واعزم عليها باله ابراهيم واسمعيل واسحق أن يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل لك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت اسمها المذهبة لحسن خلقها وصفاء لونها وصفرتها فأتى الغيضة فرآها وهى ترعى فصاح بها الفتى وقال لها أعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب أن تردى على فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته اركبنى فان ذلك أهون لك فقال الفتى ان أمى لم تأمرنى بذلك وانما قالت خذ بعنقها فقالت البقرة واله بنى اسرائيل لو ركبتنى ما كنت تقدر على أبدا فانطلق فانك لو أشرت الى الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق لفعل لبرك بوالدتك فانطلق الفتى بها فاستقبله عدو الله ابليس فى صورة راع فقال له أيها الفتى انى راع من رعاة البقر اشتقت الى أهلى فأخذت ثورا من ثيرانى وحملت عليه زادى ومتاعى حتى اذا بلغت شطر هذه الطريق ذهبت لاقضى حاجتى فغدا وسط الجبل وماقدرت عليه وانى لاخشى على نفسى الهلكة فان رأيت أن تحملنى على بقرتك هذه وتنجينى من الموت وأعطيك بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى وقال اذهب فتوكل على الله فلو علم الله منك اليقين لبلغك بلازاد ولا راحلة فقال له ابليس لعنه الله ان شئت فبعنيها بحكمك وان شئت فاحملنى عليها وأعطيك عشرة أمثالها فقال له الفتى ان أمى لم تأمرنى بهذا فبينما الفتى كذلك اذ طار طائر من بين يدى البقرة فنفرت البقرة هاربة فى الفلاة وغاب الراعى فدعاها الفتى وقال بسم الله اله ابراهيم

فرجعت اليه البقرة وقالت أيها الفتى البار بوالدته ألم تر الى الطائر الذى طار فانه ابليس عدو الله اختلسنى أما انه لو ركبنى لما قدرت على أبدا فلما دعوت باله ابراهيم جاءنى ملك انتزعنى من يد ابليس وردنى اليك لبرك بأمك وطاعتك لها فجاء بها الفتى الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها فقال بكم أبيعها فقالت بثلاثة دنانير ولا تبيعها بغير رضاى ومشورتى وكان ثمن البقرة فى ذلك الوقت ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله الى الفتى ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بوالدته وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة فقال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضا والدتى فقال له الملك أنا أعطيك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفتى لو أعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمى فردها الى أمه وأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضاى فانطلق الفتى بالبقرة الى السوق فأتى الملك فقال له استأمرت والدتك قال الفتى نعم أمرتنى أن لا أنقصها عن ستة دنانير على ان استأمرها فقال له الملك انى أعطيك اثنى عشر دينارا على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع الى أمه فأخبرها بذلك فقالت ان ذلك الرجل الذى يأتيك هو ملك من الملائكة يأتيك فى صورة آدمى ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرنى أن أبيع هذه البقرة أم لا ففعل الفتى ذلك فقال له الملك اذهب الى أمك وقل لها امسكى هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل فى بنى اسرائيل ولا تبيعيها الا بملء مسكها دنانير فأمسكا البقرة وقدر الله على بنى اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة فذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى وما سنها قال موسى انه يعنى الله يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر أى لا كبيرة ولا صغيرة عوان بين ذلك نصف بين السنين فافعلوا ما تؤمرون من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين اليها وتعجبهم من حسنها وصفائها لان العين تسر وتولع بالنظر الى الشئ الحسن وقال على بن أبى طالب من لبس نعلا صفراء قل همه لان الله تعالى يقول صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى أسائمة أم عاملة ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو لم يستثنوا لما قبلت منهم الى آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول مذللة بالعمل تثير الارض تقلبها للزراعة ولا تسقى الحرث مسلمة بريئة من العيوب لا شية فيها قال عطاء لا عيب فيها وقال قتادة لا بياض فيها أصلا وقال محمد بن كعب لا لون فيها يخالف معظم لونها قال فلما قال لهم موسى هذا قالوا الآن جئت بالحق أى بالوصف الثابت التام البين فطلبوها فلم يجدوها بكمال وصفها الا عند الفتى البار بأمه فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا وقال السدى اشتروها بوزنها عشر مرات ذهبا فذبحوها وما كادوا يفعلون من غلو ثمنها وقال القرطبى وما كادوا يذبحونها باجتماع أوصافها وذلك قوله تعالى واذ قتلتم نفسا يعنى عاميل وهذه الآية أول القصة فادارأتم فيها أى فاختلفتم فيها والله مخرج أى مظهر ما كنتم تكتمون أى تخفون فقلنا اضربوه يعنى القتيل ببعضها أى ببعض البقرة واختلفوا فى هذا البعض ما هو قال ابن عباس ضربوه

بالعظم الذى يلى الغضروف وهو المقتل وقال الضحاك بلسانها قال حسين بن الفضل وهذا أولى الأقاويل لان المراد من احياء القتيل كلامه واللسان آلة وقال سعيد بن جبير بعجب ذنبها قال غياث وهو أولى التأويلات بالصواب لان عجب الذنب أساس البدن الذى ركب عليه الخلق وهو أول ما يخلق الله وآخر ما يبلى قال مجاهد بذنبها وقال عكرمة والكلبى بفخذها الايمن وقال السدى بالبضعة التى بين كتفيها وقيل بأذنيها ففعلوا ذلك فقام القتيل حيا باذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان ثم سقط ومات مكانه قال الله تعالى كذلك يحيى الله الموتى كما أحيا عاميل بعد موته ويريكم آياته دلائل قدرته وشواهد حكمته لعلكم تعقلون قالوا فلما كان من أمر عاميل ما كان أوحى الله تعالى الى موسى أن يتوجه الى الارض المقدسة بنى اسرائيل لينظر الى كل قتيل يوجد بين قريتين أو محلتين فيأخذ أقرب القريتين اليه ويلزمهم الدية فان علموا قاتله سلموه الى أهله وان لم يعلموا تخيروا خمسين رجلا من شيوخهم وصلحائهم ثم ليأخذوا بقرة حولية ويذبحوها ببطن واد يسميه لهم ثم ليضع الخمسون رجلا أيديهم عليها ثم ليحلفوا بالله العظيم رب السموات والارض اله بنى اسرائيل واسحق ويعقوب واسمعيل انا ما قتلناه ولا علمنا له قاتلا فاذا حلفوا برؤا من دمه وأدوا ديته الى أوليائه فلم يزل موسى يقضى بالقسامة بينهم الى أن مات وكذا بنو اسرائيل حتى جاء الاسلام فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسامة والله أعلم

(باب فى ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة وصفة النار التى كانت تأكل القربان وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك)

قال الله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار الآية (أنبأنى) محمد بن حمدوية باسناده عن وهب بن منبه قال أوحى الى موسى أن يتخذ مسجدا لجماعتهم وبيت قدس للتوراة ولتابوت السكينة وقبابا للقربان وأن يجعل لذلك المسجد سرادقات باطنها وظاهرها من الجلود المدبغة عليها وأن تكون تلك الجلود من جلود ذبائح القربان وحبالها التى تمدبها من أصواف تلك الذبائح وعهد اليه أن لا يغزل تلك الحبال حائض ولا يدبغ تلك الجلود جنب وأمره أن ينصب تلك السرادقات على عمد من نحاس طول كل عمود منها أربعون ذراعا ويجعل فيها اثنى عشر قسما مسرجا فاذا انقضى وصار اثنى عشر جزأ جعل على كل جزء بما فيه من العمد سبطا من أسباط بنى اسرائيل وأمره أن يجعل سعة تلك السرادقات ستمائة ذراع فى ستمائة ذراع وأن ينصب فيه سبع قباب ستة منها مشبكة بقضبان الذهب والفضة كل واحدة منهن منصوبة على عمود من فضة طوله أربعون ذراعا وعليها أربعة دسوت من ثياب محلاة الباطن الاول سندس أخضر والثانى ارجوان أحمر والثالث ديباج والرابع من جلود القربان وقاية لها من المطر والغبار وحبالها التى تمدبها من صوف القربان وأن يجعل سعتها أربعين ذراعا وأن ينصب فى جوفها موائد من فضة مربعة يوضع عليها القربان سعة كل مائدة منها أربعة أذرع فى أربعة أذرع كل مائدة منها على أربع قوائم من فضة كل قائمة ثلاثة أذرع لا ينال الرجل منها الا قائمة وأمره أن ينصب بيت المقدس

على

على عمود من ذهب طوله سبعون ذراعا يضعه على سبيكة من ذهب أحمر طولها تسعون ذراعا مرصع بأنواع الجواهر وأن يجعل أسفله مشتبكا بقضبان الذهب والفضة وأن يجعل حبالها التى تمدها من أصواف القربان وأن يجعله مصبوغا بألوان من أحمر وأصفر وأخضر وأن يلبسه سبعة من الجلال مجللة الباطن الاول منها سندس أخضر والثانى أرجوان أحمر والثالث من الديباج الاصفر والرابع من الحرير الاصفر وكذلك أثواب نحوها وسائرها من الديباج والوشى والظاهر له غاشية من جلود القربان وقاية من الاذى والندى وأمره أن يجعل سعته سبعين ذراعا وأن يفرش القباب بالقز الاحمر وأمره أن ينصب فيه تابوتا من ذهب كتابوت الميثاق مرصع بألوان الجواهر واليواقيت الاحمر والاشهب والزمرذ الاخضر وقوائمه من ذهب وأن يجعل سعته سبعة أذرع فى أربعة أذرع وعلوه قامة موسى وأن يجعل له أربعة أبواب باب تدخل منه الملائكة وباب يدخل منه موسى وباب يدخل منه هرون وباب يدخل منه أولاد هرون وهم سدنة ذلك البيت وخزان التابوت وأمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يأخذ من كل محتلم فيها من بنى اسرائيل مثقالا من ذهب فينفقه على هذا البيت وأن يجعل باقى ذلك المال الذى لا يحتاج اليه من الحلى والحلل التى ورثها الله بنى اسرائيل وموسى وأصحابه من فرعون وقومه دفينا فى أرض بيت المقدس ففعل ذلك فبلغ عدد بنى اسرائيل ستمائة ألف وسبعة وخمسين رجلا فأخذ منهم ذلك المال وأوحى الله اليه انى منزل عليكم من السماء نارا لا دخان لها ولا تحرق شيأ ولا تطفأ أبدا لتأكل القرابين المتقبلة وتسرج القناديل التى فى بيت المقدس وهى من ذهب معلقة بسلاسل من الذهب منظومة من اليواقيت واللآلئ وأنواع الجواهر وأمره أن يضع فى وسط البيت صخرة عظيمة من الرخام وينقر فيها نقرة لتكون كانون تلك النار التى تنزل من السماء فدعا موسى أخاه هرون وقال له ان الله قد اصطفانى بنار تنزل من السماء تأكل القرابين المتقبلة وتسرج منها القناديل وأوصانى بها وانى قد اصطفيتك بها وأوصيتك بها فدعا هرون ابنيه وقال لهما ان الله تعالى قد اصطفى موسى بأمر وأوصاه به وانه قد اصطفانى له وأوصانى به وانى قد اصطفيتكما له وأوصيتكما به وكان أولاد هرون هم الذين يلون سدنة هذا البيت وأمر القربان والنيران فشربوا ذات ليلة حتى ثملوا ثم دخلوا البيت وأسرجوا القناديل من هذه النار التى فى الدنيا فغضب الله عليهم وسلط عليهم تلك النار فأحرقتهما وموسى وهرون يدفعان عنهما النار فلم يغنيا عنهما من أمر الله شيأ فأوحى الله تعالى الى موسى هكذا أفعل بمن عصانى ممن يعرفنى فكيف أفعل بمن لا يعرفنى من أعدائى وهذا آخر القصة والله أعلم

* (باب ذكر مسير بنى اسرائيل الى الشأم حتى جاوزوا البحر وصفة حرب الجبارين وقصة التيه وما يتعلق بذلك) *

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا الآيات اختلفت عبارات المفسرين فى الارض المقدسة ما هى فقال مجاهد هى الطور وما حوله وقال مقاتل هى ايلياء وبيت المقدس وقال عبد الله بن عمر المحرم

بجزم بعقدار ومن السموات والارض والبيت المقدس مقدس بعقدار ومن السموات والارض وقال عكرمة والسدي هي اريحا وقال الكلبي هي دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقال الضحاك هي الرملة والاردن وفلسطين وقال قتادة هي الشام كله

(فصل في فضل الشأم وأهله)

قال زيد بن ثابت بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع اذ قال طوبى لاهل الشأم قيل يارسول الله ولم ذلك قال ان ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم عن عبد الله بن حوالة قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله لايزال هذا الامر فيكم حتى يفتح الله لكم أرض فارس والروم وأرض حمير وحتى تكونوا أجنادا ثلاثة جند بالشأم وجند بالعراق وجند باليمن فقلت يارسول الله اختر لي ان أدركني ذلك فقال أختار لك الشأم فانها صفوة الله تعالى من بلاده واليها يجتبي صفوته من عباده ياأهل الاسلام عليكم بالشأم فان صفوة الله من الارض الشام وان الله تعالى قد تكفل لي بالشأم وأهله وقال عبد الله ابن مسعود حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قسم الله الخير عشرة أجزاء فجعل منه تسعة أجزاء في الشام وواحدا في العراق وقسم الله الشر عشرة أجزاء فجعل منه تسعة في العراق وواحدا بالشام ودخل الشأم عشرة آلاف عين رأت النبي صلى الله عليه وسلم ونزل حمص تسعمائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم سبعون بدريا وقال الكلبي صعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان وقيل له انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك من بعدك فذلك قوله تعالى ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم يعني كتب الله في اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقال ابن اسحق وهبها الله لكم مساكن وقال السدي أمركم أن تدخلوها

(ذكر قصة بلعام بن باعوراء)

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية واختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو بلعام بن باعوراء بن باعر بن ايد بن مارث بن لوط وكان من الكنعانيين من مدينة بلقاء وهي مدينة الجبارين وسميت بلقاء لان ملكها رجل يقال له بالق بن صافورا وكانت قصة بلعام على ماذكره ابن عباس وابن اسحق والسدي والكلبي وغيرهم ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض الشأم أتى قوم بلعام الى بلعام وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا له ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه قد جاء ليخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني اسرائيل وانا قومك وبنو عمك وجيرانك وليس لنا منزل وأنت رجل مجاب الدعوة فاقدم الينا وأشر علينا في هذا الرجل العدو الذي قد أرهقنا فادع الله أن يرد عنا موسى وقومه فقال لهم بلعام ويلكم هذا نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم واني ان فعلت ذلك ذهبت دنياي وآخرتي فلم يزالوا به حتى قال لهم اصبروا حتى أستأمر ربي وكان لايدعو حتى ينظر مايؤمر به في المنام فتوامر في الدعاء عليهم في المنام فقيل له لاتدع عليهم فقال لقومه اني قد آمرت ربي

في

فى الدعاء عليهم فنهيت عن ذلك فراجعوه فقال حتى أؤامر ثانيا فآمر فلم يجب فقال قد آمرت فلم يجب لى شيئا فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما فعل فى المرة الاولى فلم يزالوا يرفقون به ويناشدونه ويتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فقالوا لبعضهم اهدوا اليه فيقال انهم أهدوا اليه هدية فقبلها ويقال ان بلعام بن باعورا لما أبى أن يدعو على موسى وقومه اجتمع آراء قومه على أن يحملوا شيئا الى امرأته وقالوا انها فقيرة وانه يصغى الى رأيها فانطلق عشرة من عظمائهم وحمل كل واحد منهم صحيفة من ذهب حملوا أوورقا فاهدوها لها فاقبلت على صاحبها وألحت عليه حتى قالت له ارجع الى ربك فاسأله أن يأذن لك فى موازرتهم والدعاء على عدوهم فلم تزل به حتى استجاب فلم يجب اليه بشئ فقالت له انه قد خيرك فى الدعاء عليهم فلولم يأذن لك لنهاك قالوا فركب أتانا له متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بنى اسرائيل يقال له حسان وكانت مراكب العباد الاولين الاتن فسار عليها غير بعيد حتى ربضت به فنزل عنها وضربها حتى أذلقها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به فضربها حتى اذا أذلقها اذن الله تعالى لها فى الكلام حجة عليه فقالت له ويحك يا بلعام أين تذهب ألا ترى أن الملائكة أمامى تردنى عن وجهى هذا أتذهب الى نبى الله والمؤمنين تدعو عليهم فلما سمع ذلك خرس اجدا فلم يزل باكيا متضرعا حتى غابت عنه الملائكة ثم رفع رأسه فجاءه الشيطان وقال له امض لوجهك فان ربك يستجيب لك ولولم يرد ذلك لما برحت عنك الملائكة ولما خلوا سبيلك فركب أتانه وخلى الله سبيلها فانطلقت به حتى أشرفت على جبل حسان فجعل لايدعو عليهم بشئ من الشر الاصرف الله به لسانه الى قومه ولايدعو لقومه بخير الاصرف الله به لسانه الى بنى اسرائيل فقال له قومه أتدرى ماتصنع يا بلعام انما تدعو لهم وتدعو علينا فقال هذا أمر لا أملك منه شيأ قد غلبنى الله عليه فاندلع لسانه فوقع على صدره فعلم ما حل به فقال لقومه قد ذهبت منى الدنيا والآخرة ولم يبق الا المكر والحيلة فسآمر لكم واحتال فجملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن الى المعسكر يبعن فيه ويشترين وأمروهن أن لاتمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فانهم لوزنى رجل منهم كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخلت النساء المعسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كيشابنت صور برجل من عظماء بنى اسرائيل يقال له زمرى بن سلوم من سبط شمعون بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فقام اليها وأخذ بيدها حين أعجبه حسنها وجمالها ثم وقف على موسى وقال انى أظنك أن تقول هذه حرام عليك فقال أجل هى حرام عليك لاتقربها قال والله لاأطيعك فى هذا ثم انه دخل بها قبته فواقعها فأرسل الله الطاعون على بنى اسرائيل فى الوقت وكان فنحاص بن عيزار بن هرون صاحب موسى رجلا قد أعطى بسطة فى الخلق وقوة فى البطش وكان غائبا حين صنع زمرى بن سلوم ماصنع فجاء والطاعون يحوس فى بنى اسرائيل فأخبر الخبر فأخذ حربته وكانت حديدا كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظمهما فى حربته ثم خرج بهما رافعهما بيديه الى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة على لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون عنهم فحسب من هلك من بنى اسرائيل من

الطاعون فيما بين ان أصاب زمري المرأة الى أن قتله فنحاص فوجده وقد أهلك منهم سبعين ألف نفس في ساعة واحدة فمن هنالك يعطي بنو اسرائيل لبنيه من كل ذبيحة ذبحوها الخاصرة والذراع واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذه اياها بذراعه واسناده اياها الى لحيته والبكر من كل أموالهم لانه كان بكر العيزار بن هرون ففي بلعام أنزل الله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الآية (قال مقاتل) ان ملك البلقاء قال لبلعام ادع الله على موسى والا قتلتك فقال انه من أهل ديني ولا أدعو عليه فجيء بخشبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو عليه فلما عاين عسكرهم قامت به الاتان ووقفت فضربها فقالت لم تضربني وأنا مأمورة فلا تظلمني وهذه نار أمامي قد منعتني أن أمشي فرجع فأخبر الملك فقال له لتدعون عليه والا صلبتك فدعا على موسى باسم الله الاعظم أن لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى وبنو اسرائيل في التيه بدعائه فقال موسى يارب بأي ذنب وقعنا في التيه قال بدعاء بلعام فقال موسى يارب كما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه أن تنزع منه الاسم الاعظم والايمان فسلخه الله مما كان عليه ونزعت منه المعرفة فخرجت كحمامة بيضاء وأنزل الله تعالى هذه الآية (وقال آخرون) هو نبي من بني اسرائيل يقال له بلعام أوتي النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على ما هم عليه (وقال) عبد الله بن عمرو وزيد بن أسلم وأبو روق أنزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي وكانت قصته انه كان في ابتداء أمره قد قرأ الكتب السالفة وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مر بقتلى بدر فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل أقرباءه فلما مات أمية أتت أخته فارعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن وفاة أخيها فقالت بينما هو راقد اذ أتاه رجلان فكشطا سقف البيت ونزلا فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه أوعى قال وعى قال أزكا قال زكا قالت فسألته عن ذلك فقال خير أريد بي ثم قطرت عينه ثم غشي عليه فلما أفاق قال

كل عيش وان تطاول دهرا * صائر أمره الى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي * في قلال الجبال أرعى الوعولا
ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير يوما ثقيلا

ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطيبه من شعر سألتك بالله أن تنشدي شعر أخيك فأنشدته

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا * فلا شيء أعلى منك جدا وأمجد
مليك على عرش السماء مهيمن * لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهي قصيدة طويلة وأنشدته حتى أتت على آخرها ثم انها أنشدته قصيدته التي يقول فيها

عند ذي العرش يعرضون عليه * يعلم الجهر والكلام الخفيا
يوم نأتيه وهو رب رحيم * انه كان وعده مأتيا
يوم نأتيه مثل ما قال فردا * لم يذر فيه راشدا وغويا

فارعة بنت امية الثقفية صحابية كذا في القاموس ٢ محمد علي

الكشط رفعك شيئا عن شيء قد غشاه وكشط الجلد ... كذا في القاموس

أسعيد

اسعيد سعادة انا أرجو * أم مهان بما كسبت شقيا
رب ان تعف فالمعافاة ظني * أو تعاقب فلم تعاقب بريا
ان أؤاخذ بما اجترمت فاني * سوف ألقى من العذاب فريا

فقال صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه فأنزل الله تعالى فيه واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الآية وقال سعيد بن المسيب نزلت فى أبى عامر بن النعمان بن صيفى الراهب الذى سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فانا عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لست عليها ولكنك أدخلت فيها ما ليس منها فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا فى مناظرته طريدا فريدا وحيدا فخرج الى الشام وارسل الى المنافقين اعدوا القوة والسلاح وابنوا الى مسجدا فانى ذاهب الى قيصر وآتى بجند لنخرج محمدا وأصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعنى انتظار المجيء فمات فى الشام طريدا وحيدا فريدا ومنهم من قال انها نزلت فى البسوس وكان رجلا قد أعطى ثلاث دعوات مستجابات وكان له امرأة وله منها ولد فقالت له اجعل لى منها واحدة فقال لك منها دعوة فما تريدين قالت ادع الله أن يجعلنى أجمل امرأة فى بنى اسرائيل فدعا فجعلت أجمل امرأة فى بنى اسرائيل فلما علمت ان ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الرجل فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار ولا صبر صارت أمنا كلبة نباحة وان الناس يعيروننا بها فادع الله أن يردها الى الحال التى كانت عليها فدعا الله فصارت كما كانت فذهبت فيها الثلاث دعوات كلها

(باب فى ذكر النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم حين بعثهم اياهم الى أرض كنعان جواسيس له ولقومه)

قال الله تعالى ولقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا الآية وذلك ان الله تعالى وعد موسى أن يورثه وقومه الارض المقدسة وهى الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون وهم العمالقة من ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ووعده الله أن يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن بنى اسرائيل فلما استقرت ببنى اسرائيل الدار بمصر أمرهم الله بالمسير الى أريحا من أرض الشام وهى الارض المقدسة فقال يا موسى انى قد كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فانى ناصركم عليهم فخذ من قومك اثنى عشر رجلا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به فاختار موسى من كل سبط نقيبا وأمرهم عليهم وهذه أسماؤهم من سبط روبيل شموع بن زكور ومن سبط شمعون شوقط بن حورى ومن سبط يهودا كالب بن يوفنا ومن سبط جاد حابذ بن يوسف ومن سبط ريالون حدى ابن سورى ومن سبط أشير شاون بن ملكيك ومن سبط يقالى حى بن وقسى ومن سبط دان حل بن وكيل بن جمل ومن سبط لاوى خولا بن ملكا ومن سبط يوسف افرائيم ومن سبط افرائيم يوشع بن نون وهما سبطان لموسى ومن سبط ميشا حى بن سوسى ومن سبط بنيامين ناظم بن زقون ثم انه سار ببنى اسرائيل قاصدا أريحا فبعث موسى اليها هؤلاء النقباء يتجسسون

الاخبار له ويعلمون حالها وحال أهلها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق

(فصل فى ذكر جمل من أخبار عوج بن عنق وأحواله)

قال ابن عمر كان طول عوج ثلاثة وعشرين ألف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا بالذراع الاول وكان عوج يحتجز السحاب ويشرب منه الماء ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله ويروى أنه أتى نوحا فى أيام الطوفان فقال له احملنى معك فى سفينتك فقال له اذهب يا عدو الله فانى لم أومر بك فطبق الماء الارض من سهل ومن جبل وما جاوز ركبتيه وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يد موسى وكان لموسى عسكر فرسخ فى فرسخ فجاء عوج ونظر اليهم ثم جاء الى الجبل وقور منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم فبعث الله عليه الهدهد ومعه الطيور فجعلت تنقر بمناقيرها حتى قورت الصخرة وانثقبت فوقعت فى عنق عوج بن عنق فطوقته وصرعته فأقبل موسى وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع وقفز الى فوق عشرة أذرع فما أصاب منه الا كعبه وهو مصروع فى الارض فقتله قالوا فأقبل جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا رأسه فلما قتل وقع على نيل مصر فجسره سنة قالوا وكانت أمه عنق هى احدى بنات آدم من صلبه ويقال انها كانت أول من بغى على وجه الارض وكان كل اصبع من أصابعها طوله ثلاثة أذرع فى عرض ذراعين فى كل اصبع ظفران حادان مثل المنجلين وكان موضع مقعدها خربة من الارض ولما بغت بعث الله اليها أسودا كالفيلة وذئابا ونمورا كالابل ونسورا كالحمر وسلطهم عليها فقتلوها وأكلوها (قالوا) فلما لقيهم عوج يعنى أصحاب موسى وكان على رأسه حزمة حطب أخذ الاثنى عشر نقيبا وجعلهم فى حزمته وانطلق بهم الى امرأته وقال لها انظرى الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال لاطحننهم برجلى فقالت له امرأته لا تفعل بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك وخلى سبيلهم فجعلوا يتعرفون أحوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة نفر بينهم فى خشبة ويدخل فى قشرة الرمانة اذا نزع حبها خمسة أنفس أو أربعة فلما خرجت النقباء قال بعضهم لبعض يا قوم انكم ان أخبرتم بنى اسرائيل خبر القوم فشلوا وارتدوا عن نبى الله ولكن اكتموا شأنهم وأخبروا موسى وهرون فيريان رأيهما فيهم فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ثم انهم انصرفوا الى موسى وجاؤا بحبة من عنبهم وقشرة من قشور رمانهم وأخبروه بما رأوا ثم ان النقباء نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه وقومه عن قتالهم وأخبروهم بما رأوا من حالهم الا رجلين منهم وفيا بما قالا وهما يوشع بن نون ابن افرائيم فتى موسى وكالب بن يوفنا ختن موسى على اخته مريم بنت عمران فلما سمع القوم ذلك من الجواسيس رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ياليتنا متنا فى أرض مصر أوليتنا نموت فى هذه البرية ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا وأموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل منهم يقول لاصحابه تعالوا نجعل علينا رئيسا وننصرف الى مصر فذلك قوله تعالى اخبارا عنهم قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين الآية قال قتادة كان لهم أجسام وخلق عجيب ليس لغيرهم مثله وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال موسى ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم فان الله سيفتحها عليكم وان الذى أنجاكم من آل فرعون وفلق لكم

البحر هو الذى يبلغكم ويظفركم عليهم فلم يقبلوا قوله ولم يفعلوا وردوا عليه أمره وهموا بالانصراف الى مصر فخرج يوشع بن نون وكالب بن يوفنا الى القوم وهما اللذان أخبر الله عنهما بالتوفيق والعصمة فى قوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما بالتوفيق والعصمة ادخلوا عليهم الباب يعنى باب مدينة الجبارين فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله منجز وعده فانا رأيناهم وخبرناهم فكانت جسومهم عظيمة قوية وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فارادت بنو اسرائيل أن يرجموهما بالحجارة وعصوهما وقالوا ياموسى انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون (وروى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم الحديبية حين صد عن البيت انى ذاهب بالهدى فناحره عند البيت فاستشار أصحابه فى ذلك فقال المقداد بن الاسود الكندى اناوالله لانقول لك كما قال قوم موسى لموسى فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول انا معك مقاتلون والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك وبين يديك ولو خضت بحر الخضناه ولو تسنمت جبلا لعلوناه ولو ذهبت بنا الى برك الغماد يعنى مدينة بالحبشة لتبعناك فلما سمع ذلك أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم تابعوه على ذلك فاشرق لذلك وجه النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لان أكون صاحب هذا المشهد أحب الى من الدنيا ومافيها (قالوا) فلما فعلت بنو اسرائيل مافعلت من معصيتهم نبيهم ومخالفتهم أمر ربهم سوى يوشع وكالب غضب موسى فدعا عليهم وقال رب انى لا أملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أى العاصين وكانت عجلة عجلها موسى فظهر الغمام على باب قبة موسى وأوحى الله تعالى الى موسى الى متى يعصينى هذا الشعب والى متى لايصدقون بهذه الآيات لاهلكنهم جميعا ولأجعلن لك شعبا أقوى وأكثر منهم فقال موسى الهى لو أنك قتلت هذا الشعب كلهم كرجل واحد لقالت الامم الذين سمعوا ذلك انما قتل هذا الشعب من أجل أنه لم يستطع أن يدخلهم الارض المقدسة فقتلهم فى البرية وانك طويل صبرك كثيرة نعمتك وأنت تغفر الذنوب وتحفظ الآباء على الابناء وأبناء الابناء فاغفر لهم ولا توبقهم فقال الله تعالى لموسى انى قد غفرت لهم بكلمتك ولكن بعد ماسميتهم فاسقين ودعوت عليهم حلفت بعزتى لاحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدى يوشع ابن نون وكالب ولاتيهنهم فى هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التى تجسسوا فيها سنة وكانت أربعين يوما ولأتيهم حتفهم فى هذه القفار وأما بنوهم الذين لم يعصونى ولم يعملوا الخير ولا الشر فانهم يدخلون الارض المقدسة فذلك قوله تعالى فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض متحيرين فلا تأس على القوم الفاسقين فلبثوا أربعين سنة فى ستة فراسخ وكانوا ستمائة ألف مقاتل وكانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا هم أمسوا فاذا هم بالموضع الذى منه ارتحلوا وسموا الموضع الذى هم فيه فارتحلوا ومات أولئك النقباء العشرة الذين أفشوا الخبر وكل من دخل التيه ممن جاوز عشرين سنة مات فى المدة غير يوشع بن نون وكالب ابن يوفنا ولم يدخل أحد أريحا ممن قال انا لن ندخلها أبدا فلما هلكوا وانقضت أربعون سنة ونشأت النواشئ من ذراريهم ساروا الى حرب الجبارين وفتح الله لهم

(باب في ذكر النعمة التي أنعم الله بها على بني اسرائيل في التيه وخصهم بذلك ورفع عنهم الهلاك كرامة لنبيه وصفيه موسى عليه السلام)

قال الله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم الآية كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والعدد لا يقع على الواحد التي أنعمت عليكم أي على اجدادكم وأسلافكم وذلك ان الله تعالى فلق لهم البحر وأنجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وأنزل عليهم التوراة فيها بيان كل شئ يحتاجون اليه واعطاهم ما أعطاهم في التيه وذلك انهم قالوا لموسى أهلكتنا وأخرجتنا من العمران والبنيان الى مفازة لا ظل فيها ولا كن فأنزل الله تعالى عليهم غمامة بيضاء رقيقة ليست بغمام المطر بل أرق وأطيب وأبرد منه فاظلتهم وكانت تسير بسيرهم اذا ساروا وتدور عليهم من فوقهم اذا نزلوا وذلك قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام يعني في التيه تقيكم حر الشمس ومنها انه جعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل اذا لم يكن ضوء للقمر فقالوا هذا الظل والنور قد حصل فأين الطعام فأنزل الله عليهم المن واختلفوا فيه فقال مجاهد هو شئ كالصمغ يقع على الاشجار وطعمه كالشهد وقال الضحاك هو البر يحتبز وقال وهب هو الخبز الرقاق وقال السدي كان عسلا يقع على الشجر من الليل فيأكلون منه وقال عكرمة هو شئ أنزله الله عليهم مثل الرب الغليظ وقال الزجاج المن ما يمن الله به مما لا تعب فيه ولا نصب وقال النبي صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين قالوا وكان الله ينزل هذا المن كل ليلة يقع على الاشجار مثل الثلج لكل انسان منهم صاع كل ليلة فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع الله ربك لنا يطعمنا اللحم فدعا موسى فأنزل الله عليهم السلوى واختلفوا فيه فقال ابن عباس وأكثر الناس هو طائر يشبه السماني وقال أبو العالية ومقاتل هو طير أحمر بعثه الله عليهم فامطر به السماء في عرض ميل قدر رمح في السماء بعضها على بعض وكانت السماء تمطر عليهم ذلك وقيل انه كان طيرا مثل فراخ الحمام طيبا سمينا قد تمعط ريشه وزغبه وكانت الريح تأتي به اليهم فيصبحون وهو في معسكرهم وقيل انه كان يأتيهم فيسترسل اليهم فيأخذونه بايديهم وقال عكرمة هو طير يكون بالهند أكبر من العصفور وقال المؤرج هو العسل بلغة كنانة قال شاعرهم

وقاسمها بالله جهد الانتم * ألذ من السلوى اذا ما نشورها

فكان الله ينزل عليهم المن والسلوى وكان أحدهم يأخذ ما يكفيه يومه وليلته فاذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل عليهم يوم السبت فذلك قوله تعالى وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا أي قلنا لهم كلوا من طيبات حلال ما رزقناكم ولا تدخروا لغد فخبؤا لغد فدود وفسد ما ادخروا وقطع الله عنهم ذلك قال تعالى وما ظلمونا أي أضرونا بالمعصية ومخالفة الامر ولكن كانوا أنفسهم يظلمون باستحقاقهم الغذاء وقطع عنهم مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا مشقة في الدنيا ولا حساب ولا تبعة في العقبى (أخبرنا) شعيب بن محمد قال أخبرنا مكي بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن الازهر قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا عوف بن عبد الله عن جلاس بن عمرو عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخنز اللحم ولم يخبث الطعام ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها (ومنها) أنهم عطشوا في التيه فقالوا

يا موسى

الرب بالضم سلافة خثارة لكل ثمرة بعد اعتصارها وتفل السمن ٢ قاموس

ياموسى من أين نشرب فاستسقى لهم موسى فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك الحجر واختلف العلماء فيه فقال وهب كان موسى يقرع لهم أقرب حجر فى أرض الحجارة فينفجر منه عيون لكل سبط منهم عين وكانوا اثنى عشر سبطا ثم تسيل كل عين فى جدول السبط الذى أمر بسقيهم فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فأوحى الله تعالى اليه لاتقرعن الحجارة بالعصا ولكن كلمها تطعك لعلهم يعتبرون وكان يفعل ذلك فقالوا كيف بنا اذا امضينا الى الرمل والى الارض التى ليس فيها حجارة فأمر موسى أن يحمل معه حجرا فحيث مانزل ألقاه وقال آخرون كان حجرا مخصوصا بعينه والدليل عليه قوله تعالى الحجر فأدخل الالف واللام للتعريف والتخصيص كقوله رأيت الرجل ثم اختلفوا فى ذلك الحجر ماهو فقال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا مثل رأس الرجل أمر أن يحمله فحمله فكان يضعه فى مخلاته فاذا احتاجوا الى الماء أخرجه وضربه بعصاه فينفجر عيونا كما ذكرنا فسقاهم * قال أبو روق كان الحجر من الكدان وكان فيه اثنتا عشرة عينا أى حفرة ينبع من كل حفرة عين ماء عذب فيأخذونه فاذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان كل يوم يسقى ستمائة ألف من جميع الاجناس وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذى وضع موسى عليه ثوبه ليغتسل ففر الحجر بثوبه فلما وقف الحجر أتاه جبريل عليه السلام فقال ياموسى ان الله يقول لك ارفع هذا الحجر فلى فيه قدرة ولك فيه معجزة وهو الذى ذكره الله تعالى فى قوله يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا الآية وهو ما أخبرنا به الحسن بن أحمد الخلدى باسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا الا أنه آدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمح فى اثره موسى يقول ثوبى ياحجر ثوبى ياحجر حتى نظر بنو اسرائيل الى سوأة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس قال فقام الحجر بعد ما نظروا اليه بنو اسرائيل فأخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا فقال أبو هريرة والله ان أثر ضرب موسى بالحجر ستة أو سبعة قال عبد العزيز الكنانى كان موسى ضرب الحجر اثنتى عشرة ضربة فكان يظهر فى كل موضع ضربة مثل ثدى المرأة ثم يتفجر بالانهار المطردة فذلك قوله تعالى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا (ومنها) أنهم قالوا لموسى فى التيه من أين لنا اللباس فجعل الله تعالى ثيابهم التى عليهم حتى لاتزيد على الايام ومرور الاعوام الاجدة وطراوة ولا تخلق ولا تبلى وتنمو على صبيانهم كما تنمو فمكثوا على ذلك زمانا طويلا والله أعلم

(باب فتح أريحا ونزول بنى اسرائيل الشام)

اختلف العلماء فيمن تولى حرب الجبارين وفيمن كان على يده الفتح فقال قوم انما فتح أريحا موسى ويوشع وكان يوشع على مقدمته فسار موسى اليهم بمن بقى من بنى اسرائيل فى التيه ولم يمت فى التيه فدخلها بهم يوشع وقتل الجبارين الذين كانوا بها فدخلها موسى ببنى اسرائيل فقام فيها ما شاء الله أن يقيم ثم قبضه الله تعالى ولم يعلم أحد قبره من الناس وهذا أولى الاقاويل بالصدق وأقربها الى الحق لاجماع العلماء باخبار الانبياء ان عوج بن عنق قتله موسى وقال آخرون ماقاتل الجبارين الا يوشع بن نون لم يسر اليهم الا بعد موت موسى وهلاك من كان أبى المسير

اليها وقالوا مات موسى وهرون عليهما السلام فى التيه

(قصة وفاة هرون عليه السلام)

قال السدى أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام انى متوفى هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل واذا هما بشجرة لم ير مثلها وبيت مبنى وفيه سرير عليه فرش واذا فيه ريح طيبة فلما نظر هرون الى ذلك أعجبه وقال ياموسى انى أحب أن أنام على هذا السرير فقال نم عليه فقال انى أخاف أن يأتى رب هذا البيت فيغضب على قال له موسى لاتخف انا أكفيك رب هذا البيت فنم فقال ياموسى نم معى فان جاء رب هذا البيت غضب علينا جميعا فنام موسى وأخذ هرون الموت فلما وجد حسه قال ياموسى خدعتنى فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير الى السماء فلما رجع موسى الى بنى اسرائيل وليس معه هرون قالوا قتل موسى هرون وحسده لحبنا اياه فقال موسى ويحكم ان هرون أخى ووزيرى فكيف أقتله فلما أكثروا عليه قام وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى فنزل السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وقال عمرو بن ميمون مات موسى وهرون فى التيه ومات هرون قبل موسى وكانا خرجا فى التيه الى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه وانصرف الى بنى اسرائيل فقالوا أين هرون قال مات قالوا كذبت ولكنك قتلته لحبنا اياه وكان محببا فى بنى اسرائيل فتضرع موسى الى ربه وشكى الى ربه مالقى من بنى اسرائيل فاوحى الله اليه أن انطلق بهم الى قبره فانى باعثه حتى يخبرهم أنه مات موتا ولم تقتله فانطلق بهم الى قبر هرون فناداه ياهرون فخرج من قبره ينفض التراب عن رأسه فقال له أنا قتلتك قال لا والله ولكنى مت فعادوا وانصرفوا والله أعلم

(ذكر وفاة موسى عليه السلام)

قال ابن اسحق كان موسى قد كره الموت واستعظمه فلما كرهه أراد الله أن يحبب اليه الموت ويكره اليه الحياة وكان يوشع بن نون يغدو اليه ويروح فيقول له موسى يانبى الله ما أحدث الله اليك فيقول له يوشع يانبى الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شئ مما أحدث الله اليك حتى تكون أنت الذى تبتدئ به وتذكره ولايذكر له شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت * قال الاستاذ باسناده حدثنى عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهبا يقول وذكر من كرامة موسى عليه السلام انه ضاق ببنى اسرائيل ذرعا لما كثروا عليه فبعث الله اليه ألف نبى يكونون أعوانا له فلما مال الناس اليهم وجد موسى فى نفسه غيرة فأماتهم الله لكرامته فى يوم واحد * واختلفوا فى صفة موت موسى عليه السلام حدثنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون باسناده عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال له أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها قال فرجع ملك الموت الى الله عز وجل فقال يارب انك أرسلتنى الى عبد لايريد الموت وفقأ عينى فرد الله عليه عينه وقال ارجع الى عبدى وقل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعره فانك تعيش بعدد كل شعرة من ذلك سنة قال ثم ماذا قال ثم تموت قال فالآن من قريب قال يارب فادننى من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت عنده لاريتكم قبره الى

جانب الطور وعند الكثيب الاحمر قال سمعت أبا سعيد بن حمدون يقول سمعت أبا حامد الشرقي يقول سمعت محمد بن يحيى يقول قد صح هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قصة ملك الموت وموسى عليه السلام لا يردها الا كل مبتدع ضال وفي حديث آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ملك الموت كان يأتي الناس عيانا حتى أتى موسى ليقبضه فلطمه ففقأ عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خفية قال السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا بينما موسى عليه السلام يمشي وفتاه يوشع بن نون اذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر اليها يوشع ظن أنها الساعة فقال يا قوم أظن أنها الساعة واني ملتزم موسى نبي الله فانسل من تحت القميص وترك القميص في يدي يوشع فلما جاء يوشع بالقميص اخذته بنو اسرائيل وقالوا قتلت نبي الله فقال والله ما قتلته ولكنه انسل مني فلم يصدقوه وأرادوا قتله فقال لهم اذا لم تصدقوني فأخروني ثلاثة أيام فدعا الله تعالى فأتى كل رجل ممن كان يحرسه آت في المنام وأخبره أن يوشع لم يقتل موسى وانما قد رفعناه الينا فتركوه * قال وهب بن منبه خرج موسى ليقضي حاجة فمر برهط من الملائكة فعرفهم فأقبل اليهم حتى وقف عليهم فاذا هم يحفرون قبرا لم ير شيأ قط أحسن منه ولم ير مثله قط في الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا نحفره لعبد صالح كريم على ربه فقال موسى ان هذا العبد لمن الله بمنزلة عظيمة ما رأيت كاليوم أحسن منه مضجعا فقالت الملائكة يا صفي الله أتحب أن يكون لك قال وددت ذلك قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك ثم تنفس اسهل نفس تتنفسه فنزل فاضطجع فيه ثم توجه الى ربه ثم تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل انه أتاه ملك الموت بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه وروى أن يوشع بن نون رآه بعد موته في المنام فقال له كيف وجدت الموت يا نبي الله قال كشاة تسلخ وهي في الحياة وروى أن موسى لما مات قالت الملائكة بعضهم لبعض مات صفي الله موسى بن عمران فمن الذي يطمع في البقاء وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة عشرون منها في ملك افريدون ومائة سنة في ملك منوجهر (قال الاستاذ رجعنا الى قصة حرب أريحا وخبر الفتح) قال فلما انقضت أربعون سنة ومات موسى بعث الله يوشع بن نون نبيا فأخبرهم انه نبي الله وان الله قد أمره بقتال الجبارين فصدقوه وبايعوه فتوجه ببني اسرائيل الى أريحا ومعه تابوت الميثاق فأحاط بمدينة أريحا ستة أشهر فلما كان في الشهر السابع نفخوا في القرون وصاحوا صيحة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم وجعلوا يقتلونهم فكانت العصابة من بني اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها وكان القتال يوم الجمعة فبقي منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة السبت فخشي يوشع أن يعجزوا فقال اللهم اردد الشمس علي وأنه قال للشمس انك في طاعة الله وأنا في طاعة الله فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من أعداء الله قبل غروب الشمس فردت له الشمس وزيد له في النهار ساعة واحدة حتى قتلهم أجمعين * اخبرنا أحمد بن عبد الله بن حامد الاصفهاني باسناده عن عروة بن عبد الله قال دخلت على فاطمة بنت علي رضوان الله عليهما فرأيت في عنقها خرزا ورأيت في

بيدها سكينين غليظتين وهي عجوز كبيرة فقلت لها ما هذا فقالت انه يكره للمرأة أن تتشبه بالرجل ثم حدثتني ان أسماء بنت عميس الخثعمية حدثتها ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان مع نبي الله وقد أوحى الله اليه فجلله بثوبه ولم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس تقول غابت أو أرادت أن تغيب ثم ان نبي الله سري عنه فقال اصليت يا علي قال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اردد عليه الشمس فرجعت حتى بلغت نصف المسجد * قال ثم أرسل ملوك الارامنة وكانوا خمسة فأرسل بعضهم الى بعض فجمعوا كلمتهم على يوشع وقومه فهزمت بنو اسرائيل الملوك حتى أهبطوهم الى ثنية حوران ورماهم الله بأحجار البرد فكان من قتله البرد أكثر ممن قتله بنو اسرائيل بالسيف وهرب الملوك الخمسة واختفوا في غار فأمر بهم يوشع فأخرجهم وصلبهم ثم أنزلهم فطرحهم في ذلك الغار وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم أحدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام وصار الشام كله لبني اسرائيل وفرق عماله في نواحيها ثم جمع الغنائم فلم تنزل النار فاوحى الله تعالى الى يوشع ان فيها غلولا فأمرهم أن يبايعوك فبايعوه فالتصقت يد رجل بيده فقال له هلم ما عندك فاتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالدر والياقوت والجوهر كان قد غله فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الانبياء فقال للقوم لا يتبعني رجل كان قد ملك بضع امرأة هو يريد أن يبني بها ولا آخر قد بنى له بيتا ولم يرفع سقفه ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها قال فدنا من القوم صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علي ساعة فحبست له ساعة حتى فتح الله عليه قال ثم وضعت الغنيمة فجاءت النار فلم تأكلها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة منكم رجل فبايعوه فالتصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول أنتم غللتم قال فأخرجوا مثل رأس البقرة من ذهب فألقوه في الغنيمة وهي بالصعيد فجاءت النار فأكلتها قال النبي صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنائم لاحد قبلنا وذلك ان الله تعالى رأى عجزنا وضعفنا فوهبها لنا * قالوا ثم أمرهم الله أن يدخلوا أريحاء متواضعين مستغفرين خافضين رؤسهم وذلك قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وكان لهم سبعة أبواب سجدا أي منحنين متواضعين وقولوا حطة أي حط عنا خطايانا قال وهب انهم أذنبوا ذنبا فكانوا يتهم اذا أذنبوا دخول أريحاء لما فصلوا من التيه أحب الله أن يستنقذهم من الخطيئة قال ابن عباس حطة قول لا اله الا الله سميت بذلك لانها تحط الذنوب نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين احسانا فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم وذلك انهم دخلوا متزحفين على استاههم وقالوا حطا سمقاثا يعني حنطة حمراء استخفافا بأمر الله تعالى فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء أي عذابا من السماء بما كانوا يفسقون وذلك أن الله تعالى أرسل عليهم طاعونا وظلمة فهلك منهم سبعون ألفا في ساعة واحدة ثم رفعه الله عنهم ورحمهم قالوا فلما استقرت بنو اسرائيل بالشام وصفت لهم توفى الله نبيه يوشع ودفن في جبل افرائيم وكان عمره مائة وعشرين سنة وتدبيره أمر بني اسرائيل بعد موت موسى سبعا وعشرين سنة

*(مجلس

(مجلس فى ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بامور بنى اسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام)

قالت العلماء بأخبار الماضين وأمور الامم السالفين لما حضرت الوفاة يوشع بن نون استخلف على بنى اسرائيل كالب بن يوفنا ختن موسى عليه السلام وهو أحد الرجلين اللذين أنعم الله عليهما قال الله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما فأحسن الخلافة حتى قبضه الله عز وجل واستخلف على بنى اسرائيل ابنه يوساقوس وكان فيما ذكر يشبه يوسف عليه السلام فى الحسن والجمال والبهاء وكانوا يفتتنون به وكانوا من شغفهم به يأتونه وينظرون اليه ويقولون له يا أيها العبد الصالح جئنا لنسلم عليك وهو يستحيى أن يردهم فلما أكثروا خاف الفتنة فسأل الله أن يغير صورته مع سلامة حواسه وجوارحه فأصابه الجدرى فصار مجدورا ملوحا فلبث فيهم مائة وأربعين سنة ثم قبضه الله اليه والله أعلم

(ذكر خبر حزقيل عليه السلام)

قالت العلماء باخبار الانبياء عليهم السلام لما قبض الله كالب وابنه بعث الله تعالى حزقيل الى بنى اسرائيل نبيا وهو حزقيل بن بورى ويلقب بابن العجوز وانما لقب بابن العجوز لان أمه سألت الله تعالى الولد وهى عجوز وقد كبرت وعقمت عن الولد فوهبه الله تعالى لها وهو الذى أحيا الله تعالى به القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فأحياهم الله تعالى بعد موتهم بدعوته فى قوله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف الآية قال أكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان قرية قبل واسط وقع بها الطاعون فخرج منها طائفة هاربين من الطاعون وبقيت طائفة فهلك أكثر من بقى فى القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا ان أصحابنا كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولئن وقع بها الطاعون ثانية لنخرجن الى الارض التى لا وباء فيها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذى يبتغون فيه النجاة والحياة اذا هم بملك من أسفل الوادى وآخر من أعلاه يناديهم كل واحد منهما أن موتوا فماتوا جميعا وعن محمد ابن زكريا قال سمعت الاصمعى يقول لما وقع الطاعون بالبصرة خرج رجل من أهلها عنها على حمار له ومعه ولده وخلفه عبد حبشى يسوق الحمار فطفق العبد يرتجز ويقول

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذى منعة خطار * قد أصبح الله أمام السارى

فرجع الرجل لما سمع من قوله بعياله وروى عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم بالوباء فى بلدة فلا تقدموا عليه واذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقال الضحاك ومقاتل والكلبى انما فر هؤلاء من الجهاد وذلك أن ملكا من ملوك بنى اسرائيل أمرهم أن يخرجوا الى قتال عدوهم فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واعتلوا وقالوا لملكهم ان فى الارض التى نأتيها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع الوباء عنها فأرسل الله عليهم الموت فلما رأوا أن الموت قد كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فأرهم آية فى أنفسهم حتى

يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار من حكمك وقضائك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموتة رجل واحد فأتى عليهم ثلاثة أيام حتى انفجروا وأروحوا واروحت أجسادهم فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واختلفوا فى مبلغ عددهم فقال عطاء الخراسانى كانوا ثلاثة آلاف وقال ابن عباس ووهب كانوا أربعة آلاف وقال مقاتل والكلبى ثمانية آلاف وقال أبو روق عشرة آلاف وقال أبو مالك ثلاثين ألفا وقال السدى بضعا وثلاثين ألفا وقال ابن جريج أربعين ألفا وقال عطاء بن أبى رباح سبعين ألفا قال فأتى على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت أوصالهم فمر عليهم حزقيل النبى عليه الصلاة والسلام فوقف متفكرا متعجبا فأوحى الله تعالى اليه يا حزقيل تريد أن أريك كيف أحيي الموتى قال نعم يارب فأحياهم الله جميعا هذا قول السدى وجماعة من المفسرين وقال مقاتل والكلبى بل كانوا قوم حزقيل فلما أصابهم ذلك بكى حزقيل وقال يارب كنت فى قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لا قوم لى ولو شئت أحييت هؤلاء فيعمرون بلادك ويعبدونك قال الله تعالى أوتحب أن أفعل ذلك قال نعم يارب قال الله تعالى قد جعلت حياتهم اليك فقال لهم حزقيل احيوا باذن الله تعالى فعاشوا وقال وهب أصابهم بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما أصابهم وقالوا ياليتنا قد متنا واسترحنا مما نحن فيه فأوحى الله الى حزقيل ان قومك قد ضجوا من البلاء وزعموا أنهم ودوا لو ماتوا استراحوا وأى راحة لهم فى الموت أيظنون أنى لا أقدر أبعثهم بعد الموت فانطلق الى جبانة كذا فان فيها أقواما ماتوا فأتاهم فأوحى الله تعالى اليه يا حزقيل قم فنادهم وكانت أجسامهم وعظامهم قد تفرقت ومزقتها الطير والسباع فنادى حزقيل أيتها العظام ان الله يأمرك أن تعودى وتكتسى اللحم فاكتست جميعا اللحم وبعد اللحم جلودا ودما وعصبا وعروقا فكانت أجسادا فنادى أيتها الارواح ان الله تعالى يأمرك أن تعودى الى أجسادك فقاموا جميعا وعليهم ثيابهم التى ماتوا فيها وكبروا تكبيرة واحدة * وروى منصور بن المعتمر عن مجاهد أنهم قالوا حين أحيوا سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله الا أنت فرجعوا الى قومهم وتناسلوا بعد ما أحياهم الله وعاشوا دهرا يعرفون أنهم كانوا موتى بسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد دسما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التى كتب الله لهم * قال ابن عباس فانه ليوجد فى ذلك السبط من اليهود تلك الريح قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت وتقصيرهم فى الجهاد فأماتهم الله عقوبة لهم ثم بعثهم لبقية آجالهم ليوفوها ولو كانت آجال القوم قد جاءت ما بعثوا بعد موتهم فلما أحياهم الله تعالى أمرهم بالجهاد قال وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم

(باب فى قصة الياس عليه السلام)

قال الله تعالى وان الياس لمن المرسلين الى آخر القصة قال ابن اسحق والعلماء من أصحاب الاخبار لما قبض الله تعالى حزقيل عليه السلام عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد الله الذى عهد اليهم فى التوراة حتى نصبوا الاوثان وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله تعالى اليهم الياس نبيا وهو الياس بن ياسين بن فنحاص بن عيزار بن هرون

ابن

ابن عمران وانما كانت الانبياء بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد مانسوا وضيعوا من أحكام التوراة وبنو اسرائيل يومئذ متفرقون فى أرض الشام وفيهم ملوك كثيرة * وكان سبب ذلك أن يوشع بن نون لما فتح أرض الشام وملكها بوأها بنى اسرائيل وقسمها بينهم فأخذ سبط منهم بعلبك ونواحيها وهم سبط الياس فبعث الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له لاجب قد ضل وأضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان هو وقومه يعبدون صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعا وكان له أربعة وجوه وقال ابن اسحق قد سمعت بعض أهل العلم يقولون ما كان البعل الا امرأة كانوا يعبدونها من دون الله تعالى فذلك قوله تعالى اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قال فجعل الياس يدعوهم الى الله تعالى ولا يطيعونه ولا يجيبونه الى ذلك الا ما كان من أمر لاجب الملك الذى كان ببعلبك فانه آمن به وصدقه وكان الياس يقوم أمره ويسدده ويرشده وكان للاجب امرأة يقال لها اربيل وكان يستخلفها على رعيته اذا غاب عنهم فى غزاة أو غيرها فكانت تبرز بين الناس كما يبرز زوجها وتركب كما يركب وتجلس كما يجلس فى مجلس القضاء وتقضى بين الناس وكانت قتالة للانبياء وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتم ايمانه وكان قد خلص من بين يديها ثلثمائة نبى كانت تريد قتل كل واحد منهم اذا بعث سوى الذين قتلتهم وكانت فى نفسها غير محصنة ولم يكن على وجه الارض أفحش منها وهى مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من ملوك بنى اسرائيل وقتلتهم كلهم بالاغتيال وكانت معمرة ويقال انها ولدت سبعين ولدا قال وكان للاجب هذا جار من بنى اسرائيل رجل صالح يقال له مزدكى وكانت له جنينة يعيش منها ويقبل على عمارتها وزينتها وكانت الجنينة الى جانب قصر الملك وامرأته وكانا يشرفان على تلك الجنينة يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقيلان فيها حينا وكان لاجب مع ذلك يحسن جوار صاحبها مزدكى وامرأته أربيل تحسده على ذلك لاجل تلك الجنينة وتحتال على غصبها لما سمعت الناس يذكرون الجنينة من حسنها ويقولون ما أحرى أن تكون هذه الجنينة لاهل هذا القصر ويتعجبون من أمر الملك وامرأته كيف لم يغصباها فلم تزل امرأة الملك تحتال على العبد الصالح مزدكى فى أن تقتله وتأخذ جنينته والملك ينهاها عن ذلك فلا تجد اليه سبيلا ثم انه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد فلما طالت غيبته اغتنمت امرأته اربيل أن تتم لها الحيلة على العبد الصالح مزدكى فى أن تقتله وتأخذ جنينته وهو غافل عما تريده مقبل على عبادة ربه واصلاح معيشته فجمعت اربيل جمعا من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكى بالزور أنه يسب لاجب الملك فأجابوها الى ما سألتهم من الشهادة بالزور وكان حكمهم فى ذلك الزمان على من يسب الملك القتل ان قامت البينة فأحضرت مزدكى وقالت له بلغنا عنك أنك شتمت الملك واغتبته فأنكر مزدكى ذلك فأقامت البينة فشهدوا بالزور عليه بحضرة الناس فأمرت بقتله فقتل وأخذت جنينته غصبا فغضب الله عليهم بقتل العبد الصالح فلما قدم الملك من السفر أخبرته الخبر فقال لها ما أصبت خيرا ولا وفقت ولا أرانا نفلح بعدها أبدا وانا كنا عن جنينته لأغنياء وقد كنا نتنزه فيها وقد جاورنا وتحرم بنا منذ زمان طويل فأحسنا جواره وكففنا عنه الاذى لوجوب حقه علينا فقبحت بنا الجوار وما حملك على اجترائك عليه الاسفهك وسوء رأيك وقلة تفكرك فى العواقب فقالت انما غضبت

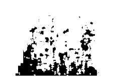
لك وحكمت بحكمك فقال انهما كان يسع حلمك وعظيم خطرك العفو عن رجل واحد
فتحفظ بين جوارمه فقالت قد كان ما كان فبعث الله تعالى الياس عليه السلام الى لاجب وقومه
وامره أن يخبرهم أن الله تعالى قد غضب عليهم لوليه حين قتلوه بين أظهرهم ظلما وقد آلى على
نفسه أنهما ان لم يتوبا من صنعهما ويردا الجنينة على ورثة مزدكى والا يهلكهما يعنى لاجب
وامرأته فى جوف الجنينة أشر ما يكون بسفك دمهما ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها حتى
تتعرى عظامهما عن لحومهما ولا يتمتعان بها الا قليلا قال فجاء الياس وأخبر الملك بما أوحى
الله اليه فى أمره وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه ثم قال له يا الياس والله
ما أرى ما تدعونا اليه الا باطلا والله ما أرى فلانا وفلانا وسمى ملوكا كلهم عبدوا الاوثان الا على
مثل ما نحن عليه يأكلون ويشربون ويتمتعون ملكين ما ينقص من دنياهم ولا من
أمرهم الذى تزعم أنه باطل شئ وما نرى لكم علينا من فضل قال ثم هم بتعذيب الياس وقتله قال
فلما سمع الياس ذلك واحس بالشر رفضه وخرج عنه فلحق بشواهق الجبال وعاد الملك الى عبادة
بعل فارتقى الياس الى أصعب جبل وأشمخه فدخل مغارا فيقال انه بقى فيه سبع سنين شريدا
وحيدا فريدا خائفا يأوى الى الشعاب والكهوف ويأكل من نبات الارض وثمار الشجر
وهم فى طلبه وقد وضعوا عليه العيون يتوقعون أخباره ويجتهدون فى أخذه والله تعالى يستره
ويحفظه ويدفع عنه البلاء فلما تمت له سبع سنين أذن الله تعالى فى اظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم
فأمرض الله تعالى ابن الملك لاجب وكان أحب أولاده اليه وأعزهم عليه وأشبههم به فأدنف
حتى يئس منه فدعا صنمه بعلا وكانوا قد فتنوا ببعل فعظموه حتى انهم سموا مدينتهم به فقالوا الها
بعلبك وجعلوا له أربعمائة سادن فوكلوهم به وجعلوهم أمناءه وجعل الشيطان يدخل فى جوف
الصنم فيكلمهم بأنواع الكلام الاربعمائة يصغون بآذانهم الى ما يقول الشيطان ويوسوس
لهم شريعة من الضلال فيكتبونها للناس ويعملون بها ويسمونهم الانبياء فلما اشتد مرض ابن
الملك طلب الملك أن يشفعوا له الى بعل ويطلبون منه لابنه الشفاء والعافية فدعوه فلم يجبهم
ومنع الله تعالى بقدرته الشيطان عن صنمهم فلم يمكنه الولوج فى جوفه ولا الكلام وهم مجتهدون
فى التضرع اليه والمريض لا يزداد بذلك الا ألما وجهدا فلما طال عليهم ذلك قالوا للاجب
أيها الملك ان فى ناحية الشام آلهة أخرى وهى فى العظم مثل الهك فابعث اليها الانبياء يشفعون
لك اليها فلعلها أن تشفع لك الى بعل فانه غضبان عليك ولولا غضبه عليك لكان قد أجابك
وشفى مرض ابنك فقال لاجب لاى شئ غضب على وأنا أطيعه واطلب رضاه ولم أسخطه ساعة
قط قالوا من أجل أنك لم تقتل الياس وفرطت فيه حتى نجى سالما وهو كافر بالهك يعبد غيره
فذلك الذى أغضبه عليك قال لاجب وكيف لى أن أقتله فى يومى هذا وأنا مشغول عن طلبه
بوجع ابنى وليس لالياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصد فلو عوفى ابنى تفرغت لطلبه ولم يكن
لى هم ولا شغل غيره حتى آخذه واقتله وأريح الهى منه وأرضيه قال ثم انه بعث الاربعمائة
نبى ليشفعوا الى الآلهة التى بالشام ويسألوها أن تشفع الى صنم الملك ليشفى ابنه فانطلقوا الى
الاصنام وكلموها فمنع الله عز وجل الشيطان الولوج فى الاصنام ولم تكلمهم فرجعوا الى
الملك وأخبروه بذلك فقال الملك وكيف لى أن أقتل الياس فى هذا اليوم قال فخرج

اربعمائة حتى اذا كانوا بحيال الجبل الذى فيه الياس أوحى الله اليه أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويستوقفهم ويكلمهم وقال له لا تخف فانى سأصرف عنك شرهم وألقى الرعب فى قلوبهم فنزل الياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم ان الله أرسلنى اليكم والى من وراءكم فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوها صاحبكم ارجعوا اليه وقولوا له ان الله تعالى يقول لك ألست تعلم يا لاجب أنى أنا الله لا اله الا أنا اله بنى اسرائيل الذى خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم فلا يحملنك جهلك وقلة عقلك على أن تشرك بى وتطلب الشفاء لابنك من غيرى ممن لا يملكون لانفسهم شيئا الا ماشئت وانى آليت باسمى لاغيظنك فى ابنك ولاميتنه من فوره هذا حتى تعلم ان أحدا لا يملك له شيئا دونى فلما قال لهم ذلك رجعوا وقد ملئوا منه رعبا فلما صاروا الى الملك وصلوا اليه قالوا له ما قال لهم الياس وأخبروه بان الياس انحط عليهم من الجبل وهو رجل نحيف طويل وقد قشف وقحل وتمعط شعره ويبس جلده وعليه جبة من شعر وعباءة قد خلها على صدره بخلال فاستوقفنا فلما وقفنا صار معنا وقذف له فى قلوبنا الرعب والهيبة وتقطعت ألسنتنا ونحن فى هذا العدد الكثير وهو واحد فلم نقدر ان نكلمه ونراجعه وغلا أعيننا منه حتى رجعنا اليك ثم انهم قصوا عليه كلام الياس فقال لاجب لا ننتفع بالحياة مادام الياس حيا ما الذى منعكم أن تبطشوا به حين لقيتموه وتوثقوه وتأتونى به وأنتم تعلمون أنه طلبتى وعدوى قالوا له قد أخبرناك بالذى منعنا عنه ومن كلامه والبطش به فقال لاجب اذا ما انطبق الياس الا بالمكر والخديعة فقيض له خمسين رجلا من قومه من ذوى القوة والبأس وعهد اليهم عهده وأمرهم بالاحتيال عليه وأن يطمعوه بانهم قد آمنوا به هم ومن وراءهم ليطمئن اليهم ويغتربهم ويمكنهم من نفسه فيأتون به ملكهم فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذى فيه الياس عليه السلام ثم انهم تفرقوا فيه وهم ينادون باعلى أصواتهم ويقولون يا نبى الله ابرز لنا وأشرف علينا بنفسك فانا قد آمنا بك وصدقناك وملكنا لاجب وكذلك جميع قومنا مقرون بذلك ويقرؤن عليك السلام ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت وآمنا بك وأجبناك الى ما دعوتنا اليه فهلم الينا فأنت نبينا ورسول ربنا فاقم بين أظهرنا واحكم بيننا فانا ننقاد الى ما أمرتنا وننتهى عما نهيتنا وليس يسعك أن تتخلف عنا بعد ايماننا بك وطاعتنا لك فتدارك وارجع الينا وكل هذا كان مكرا منهم وخديعة فلما سمع الياس مقالتهم وقع فى قلبه ايمانهم وخاف الله وأشفق من سخطه ان هو لم يظهر لهم ولم يجبهم بعد الذى سمع منهم فلما صمم على البروز اليهم رجع الى نفسه وقال لو انى دعوت الله تعالى فسألته أن يعلمنى ما فى نفوسهم ويطلعنى على حقيقة أمرهم وكان ذلك الهاما من الله تعالى وتوفيقا له فقال اللهم ان كانوا صادقين فيما يقولون فأذن لى فى البروز اليهم وان كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم جميعا فما استتم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فاحترقوا أجمعين قال وبلغ لاجب وقومه الخبر فلم يرتدع عن ضمير السوء واحتال ثانيا فى أمر الياس فقيض له فئة أخرى مثل عدد أولئك وأقوى منهم وأمكن فى الحيلة والرأى فأقبلوا حتى وافوا ذلك الجبل وارتقوه متفرقين وجعلوا ينادون يا نبى الله انا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسطوته انا لسنا كالذين أتوك قبلنا أولئك فرقة نافقوا وخالفوا فصاروا اليك ليمكروا بك من غير رأينا ولا علمنا ولو علمنا بهم لقتلناهم والآن قد كفاك الله أمرهم

وأهلكهم بسوء نياتهم وانتقم لنا ولك منهم فلما سمع الياس مقالتهم دعا الله بدعوته الاولى فامطر
عليهم نارا فاحرقوا جميعا عن آخرهم كل ذلك وابن الملك فى البلاء الشديد من وجعه كما وعده
الله تعالى على لسان نبيه الياس لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابه فلما سمع الملك بهلاك
أصحابه ثانيا ازداد غيظا الى غيظه وأراد أن يخرج فى طلب الياس بنفسه الا أنه شغله عن ذلك
مرض ابنه فوجه نحو الياس الكاتب المؤمن الذى هو كاتب امرأته رجاء أن يأنس اليه فينزل
معه وأظهر للكاتب أنه لا يريد بالياس سوأ ولا مكروها وانما أظهر له ذلك لما اطلع عليه من ايمانه
وكان الملك مع اطلاعه على ايمانه مغضيا عنه لما هو عليه من الكفاية والامانة والحكمة
وسداد الرأى والبصارة بالامور فلما وجهه نحوه ارسل معه فئة من أصحابه وعهد اليهم دون
الكاتب أن يوثقوا الياس ويأتوه به ان أراد التخلف عنهم وان جاء معهم آنسا بالكاتب وواثقا
بمكانته لم يوحشوه ولم يروعوه ثم انه أظهر للكاتب الانابة فقال له انه قد آن لى ان أتوب واتعظ
فقد أصابتنا بلايا من حريق أصحابنا والبلاء الذى فيه ابنى وقد عرفت أن ذلك بدعوة الياس
ولست آمن أن يدعو على وعلى جميع قومى فنهلك بدعوته فكن رسولنا اليه وأخبره
أنا قد تبنا وأنبنا وأنه لا يصلحنا فى توبتنا وما نريد من رضا ربنا وخلع أصنامنا الا أن يكون الياس
بين أظهرنا يأمرنا وينهانا ويخبرنا بما يرضى ربنا قال ثم انه أمر قومه أن يعتزلوا الاصنام
وقال له أخبر الياس بأنا قد خلعنا آلهتنا التى كنا نعبد وقد أهملنا أمرها حتى ينزل الينا فيكون
هو الذى يحرقها ويهلكها وكان ذلك كله مكرا من الملك قال فانطلق الكاتب والفئة معه حتى
علوا الجبل الذى فيه الياس فناداه الكاتب فعرف الياس صوته فتاقت نفسه اليه وأنس به
وكان مشتاقا الى لقائه فأوحى الله تعالى الى الياس عليه السلام ان ابرز الى أخيك الصالح فالقه
وجدد منه العهد فبرز اليه وصافحه وسلم عليه وقال له ما الخبر فقال له المؤمن انه قد بعثنى اليك هذا
الجبار الطاغى وقومه وقص عليه ما قاله وقال له وانى لخائف ان رجعت اليه ولست معى أن
يقتلنى فأمرنى بما شئت ان أفعله وأنتهى اليه ان شئت انقطعت اليك وكنت معك وتركته
وان شئت جاهدته معك وان شئت أرسلتنى اليه بما تحب فابلغه رسالتك وان شئت دعوت ربك
يجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا قال فأوحى الله تعالى الى الياس ان كل من جاءك منهم مكر
وكذب ليظفروا بك وان لاجب ان أخبرته رسله انك قد لقيت هذا الرجل ولم يأت بك اليه فانه
يتهمه ويعرف انه قد داهن فى أمرك ولم يأمن أن يقتله فانطلق معه فان انطلاقك معه عذره
وبراءته عند لاجب وانى سأشغله عنكما وأضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره
ثم أميته على شر حال فاذا مات هو فارجع انت ولا تقم عنده قال فانطلق الياس معهم حتى قدموا
على لاجب فلما دخلوا عليه شدد الله على ابنه الوجع وأخذ الموت يكظمه فشغل الله بذلك
لاجب وأصحابه عن الياس ورجع الياس سالما الى مكانه فلما مات ابن لاجب وفرغوا من أمره
وقرب عهده انتبه لالياس وسال عنه الكاتب المؤمن الذى جاء به فقال له ليس لى به علم وذلك انه
قد شغلنى عنه موت ابنك والجزع عليه ولم أكن أحسبك الا قد استوثقت منه فاطرق عنه
لاجب وتركه لما كان به من الحزن على ابنه فلما طال الامر على الياس مل المكث فى الجبل
والمقام به واشتاق الى العمران والناس فنزل من الجبل وانطلق حتى نزل بامرأة من بنى

اسرائيل

اسرائيل وهي أم يونس بن متى ذى النون فاستخفى عندها ستة أشهر ويونس ابنها يومئذ مولود رضيع وكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها قال ثم ان الياس عليه السلام سئم ضيق البيوت بعد قعوده فى الجبال ودوحها فاحب اللحوق بالجبال فعاد الى مكانه فى الجبال فجزعت أم يونس لفراقه وأوحشها فقده ثم لم يلبث الا قليلا حتى مات ابنها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها به فخرجت فى طلب الياس فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه ووجدته فسلمت عليه وقالت له انى فجعت بعدك بموت ابنى وعظمت به مصيبتى واشتد لفقده بلائى وليس لى ولد غيره فارحمنى وادع ربك تعالى أن يحيى لى ابنى ويجبر مصيبتى فانى قد تركته مسجى لم أدفنه وقد أخفيت مكانه فقال لها الياس عليه السلام ليس هذا مما أمرت به وانما أنا عبد مأمور أعمل بما أمرنى ربى به ولم يأمرنى بهذا فجزعت المرأة وتضرعت فعطف الله قلب الياس عليها فقال لها ومتى مات ابنك فقالت منذ سبعة أيام فانطلق الياس عليه السلام معها وسار سبعة أيام حتى أتى الى منزلها فوجد ابنها يونس ميتا منذ أربعة عشر يوما فتوضأ الياس وصلى ودعا فأحيا الله يونس بن متى فلما عاش وجلس وثب الياس وانصرف وتركه وعاد الى موضعه قال فلما طال عصيان قومه ضاق الياس بذلك ذرعا وأجهده البلاء فاوحى الله اليه بعد سبع سنين وهو خائف مذعور مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذى أنت فيه ألست أمينى على وحيى وحجتى فى أرضى وصفوتى من خلقى فاسألنى أعطك فانى ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال الياس عليه السلام تميتنى وتلحقنى بآبائى فانى قد مللت بنى اسرائيل وملونى وأبغضتهم فيك وأبغضونى فاوحى الله اليه يا الياس ما هذا اليوم الذى أعرى منك الارض وأهلها وانما قوامها وصلاحها بك وأشباهك ولكن سلنى أعطك قال الياس فان لم تمتنى يا الهى فاعطنى ثارى من بنى اسرائيل فأوحى الله تعالى اليه فأى شئ تريد أن أعطيك يا الياس قال تمكنى من خزائن السماء سبع سنين فلا تنشئ عليهم سحابة الا بدعوتى ولا تمطر عليهم سبع سنين قطرة الا بشفاعتى فانهم لا يذلهم الا ذلك قال الله تعالى يا الياس انا أرحم بعبادى من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال انا أرحم بخلقى من ذلك وان كانوا ظالمين قال فخمس سنين قال انا أرحم بخلقى من ذلك وان كانوا ظالمين قال فاربع سنين قال انا أرحم بخلقى من ذلك وان كانوا ظالمين ولكنى أعطيك ثارك منهم ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك ولا أنشئ عليهم سحابة الا بدعوتك ولا أنزل عليهم قطرة الا بشفاعتك قال الياس فباى شئ أعيش قال أسخر لك جيشا من الطير تنقل اليك طعامك وشرابك من الريف والارض التى لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله المطر عنهم ثلاث سنين حتى هلكت المواشى والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مختف من قومه بموضع ينساق له فيه الرزق ويأتيه حيثما كان وقد عرفه بذلك قومه فكانوا اذا وجدوا ريح الخبز فى بيت قالوا لقد دخل الياس هذا المكان فيطلبونه ويلقى منهم أهل ذلك المكان شرا قال ابن عباس أصاب بنى اسرائيل القحط ثلاث سنين فمروا الياس بعجوز فقال لها هل عندك طعام فقالت نعم شئ من دقيق وزيت قليل فجاءته بشئ من الدقيق والزيت فدعا فيهما بالبركة ومسهما فبارك الله فى ذلك حتى ملأت جرابها دقيقا وملأت خوابيها زيتا فلما رأى



بنو اسرائيل ذلك عندها قالوا لها من أين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا ووصفته بصفته فعرفوه وقالوا لها ذلك الياس ثم انهم طلبوه فوجدوه فهرب منهم الى الجبال والله أعلم

(قصة اليسع عليه السلام)

ثم ان الياس أتى الى بيت امرأة من بني اسرائيل لها ابن يسمى اليسع بن أخطوب وكان به ضر فآوته وأخفت أمره فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه فكان يذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد أسن وكبر وكان اليسع غلاما شابا ثم ان الله تعالى أوحى الى الياس عليه السلام انك قد أهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعصوني سوى بني اسرائيل من البهائم والدواب والهوام والشجر والنبات بحبس المطر عن بني اسرائيل فيزعمون والله أعلم ان الياس قال رب دعني أكون الذي أدعو لهم وآتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذي أصابهم لعلهم يرجعون عما هم عليه من عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل وقال لهم ويلكم انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وقد هلكت البهائم والدواب والطير والشجر والنبات بحبس المطر عنكم بخطاياكم وانكم على باطل وغرور فان كنتم تحبون ان تعلموا ان أصنامكم التي تدعونها من دون الله لن تغني عنكم شيأ فاخرجوا بأصنامكم هذه فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم على باطل وغرور فنزعتم ودعوت الله تعالى لكم أن يفرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء قالوا أنصفت فخرجوا ومعهم أوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا الياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا الله الياس ومعه اليسع عليهما السلام بالفرج مما هم فيه وان يسقوا فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون اليها فأقبلت نحوهم وطبقت عليهم الافق ثم أرسل الله عليهم المطر فأغاثهم وأحيت بلادهم قال فشكوا الى الياس هدم الجدران وعدم البذر وقالوا ليست لنا حبوب فأوحى الله تعالى اليه ان يامرهم بان يبذروا الملح في الارض ففعلوا فانبت الله لهم منه الحمص وأمرهم أن يبذروا الرمل فانبت الله لهم منه الدخن فلما كشف الله عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم ولم يقلعوا عن ضلالاتهم وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى الياس ذلك دعا ربه ان يريحه منهم فقيل له انتظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا وكذا فاذا جاءك شئ فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع بن اخطوب حتى اذا كانا بالموضع الذي أمر بالخروج اليه أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرني به فقذف اليه كساءه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة على استخلافه اياه على بني اسرائيل وذهب الياس فكان ذلك آخر العهد به ورفع الله الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش وكان انسيا ملكيا سماويا أرضيا وسلط الله تعالى على لاجب الملك وامرأته وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لا يشعرون به حتى رهقهم فقتل لاجب الملك وامرأته في بستان مزدكي فلم تزل جيفتهما ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله تعالى بعدهما اليسع عليه السلام وبعثه نبيا ورسولا الى بني اسرائيل وأوحى الله تعالى اليه وايده بمثل ما أيد به عبده الياس

فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وينتهون الى رأيه وأمره وحكم الله تعالى فيهم قائم الى أن فارقهم اليسع (أخبرنا) أبو عبد الله الحسن بن محمد الحافظ عن عبد العزيز بن أبى داود قال ان الخضر والياس عليهما السلام يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم فى كل عام (وأخبرنى) ابن فنجويه عن رجل من أهل عسقلان انه كان يمشى بالاردن عند نصف النهار فرأى رجلا فقال يا عبد الله من أنت فقال أنا الياس فوقعت على رعدة شديدة فقلت له ادع الله لى أن يرفع عنى ما أجد حتى أفهم حديثك وأعقل عنك قال فدعا لى بثمان دعوات وهن يا بر يا رحيم يا حنان يا منان يا حى يا قيوم ودعوتين بالسريانية لم أفهمهما وقيل هما باهيا شراهيا فرفع الله عنى ما كنت أجد ووضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين يدى فقلت له أيوحى اليك اليوم فقال منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا فانه لا يوحى الى قال فقلت له فكم من الانبياء اليوم أحياء قال أربعة اثنان فى الارض واثنان فى السماء اما اللذان فى السماء فعيسى وادريس عليهما السلام واما اللذان فى الارض فالياس والخضر عليهما السلام قلت كم الابدال قال ستون رجلا خمسون منهم من لدن عريش مصر الى شاطئ الفرات ورجلان بالمصيصة ورجل بعسقلان وسبعة فى سائر البلدان كلما أذهب الله واحدا منهم جاء بآخر مكانه وبهم يدفع الله عن الناس البلاء وبهم يمطرون قلت فالخضر اين يكون قال فى جزائر البحر فقلت هل تلقاه قال نعم قلت أين قال بالموسم قلت فما يكون حديثكما قال يأخذ من شعرى وآخذ من شعره قال وكان ذلك حين جرى بين مروان بن الحكم وبين أهل الشام القتال قلت فما تقول فى مروان بن الحكم قال رجل جبار عات على الله تعالى والقاتل والمقتول والشاهد فى النار قلت فانى قد شهدت ولم أطعن برمح ولا رميت بسهم ولم أضرب بسيف وأنا أستغفر الله من ذلك المقام ان أعود الى مثله أبدا قال أحسنت فهكذا فكن قال فبينما أنا واياه قاعدان اذ وضع بين يديه رغيفان أشد بياضا من الثلج فأكلت أنا وهو رغيفا وبعض الآخر ثم رفعت وأمى وقد رفع باقى الرغيف الآخر فما رأيت أحدا وضعه ولا رأيت أحدا رفعه قال وله ناقة ترعى فى وادى الاردن فرفع رأسه اليها فلم دعاها جاءت وبركت بين يديه فركبها فقلت له انى أريد أن أصحبك قال انك لا تقدر على صحبتى قال فقلت له انى خالو لا زوجة لى ولا عيال قال تزوج واياك والنساء الاربع الناشزة والمختلعة والملاعنة والبرزة وتزوج ما بدا لك من النساء قال فقلت انى أحب أن ألقاك قال اذا رأيتنى فقد لقيتنى انى أعتكف فى بيت المقدس فى شهر رمضان ثم حالت بينى وبينه شجرة فوالله ما أدرى كيف ذهب وهذا آخر القصة

(مجلس فى قصة ذى الكفل عليه السلام)

قال الله تعالى واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين قال مجاهد لما كبر اليسع قال لو انى استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم فى حياتى حتى أنظر كيف يعمل فجمع الناس ثم قال من يتكفل لى بثلاث استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام اليه رجل شاب تزدريه العيون فقال أنا فرده ذلك اليوم وقال مثلها فى اليوم الثانى فسكت الناس فقام ذلك الرجل وقال أنا اعمل ذلك فاستخلفه قال فلما رأى ابليس ذلك جعل يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم فقال دعونى واياه فأتاه فى صورة شيخ كبير فقير حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام الليل والنهار الا

الا تلك النومة فدق ابليس الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم ففتح الباب فجعل يقص عليه القصة ويقول ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى حضر وقت الرواح وذهبت القائلة فقال له اذا رحت فأتني آخذ لك بحقك فانطلق وراح الى مجلسه فلما جلس جعل ينظر ليرى الشيخ فلم يره وقام يتبعه فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا قال أنا الشيخ المظلوم ففتح له وقال ألم أقل لك اذا قعدت فأتني فقال انهم أخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد يقولون نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدوني قال فانطلق فاذا رحت فأتني وفاتته القائلة فراح وأقبل وجعل ينظره فلا يراه فشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدعن احدا يقرب هذا الباب حتى أقوم فانه قد شق على عدم النوم فلما كانت تلك الساعة جاء فلم يأذن له أحد فلما أعياه نظر فاذا كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت واذا به يدق الباب من داخل فاستيقظ الرجل وقال يا فلان ألم آمرك أن لا تأذن لأحد على فقال أما من قبلي فما أتيت فانظر من قبل من أتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا الشيخ معه في البيت فقال له أتنام والخصوم ببابك فعرفه فقال له يا عدو الله قال نعم اعييتني على هذه الفعال فقال انك أعييتني في كل شيء أردت بك ففعلت معك ما ترى لأغضبك فعصمك الله منى فسمي ذا الكفل لانه تكفل بأمر فوفى به (أخبرنا) ابن فنجويه قال حدثنا عمر بن الفضل عن أبي هاشم أخبرنا ابن الفضل قال أخبرنا الاعمش عن عبد الله بن عبد الله الداري عن سعيد عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو لم أسمعه الا مرة أو مرتين لم أحدث به سمعت منه أكثر من سبع مرات يقول كان في بني اسرائيل رجل يقال له ذو الكفل لا ينزع عن ذنب عمله فاتبع امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن تعطيه نفسها فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت وبكت فقال لها ما يبكيك فقالت من هذا الفعل ما فعلته قط فقال لها أأكرهتك قالت لا ولكن حملني عليه الحاجة فقال لها اذهبي فهي لك ثم انه قال والله لا أعصي الله بعدها قط أبدا فمات من ليلته فقيل مات ذو الكفل فوجدوا على باب داره مكتوبا ان الله تعالى قد غفر لذي الكفل وقال ابو موسى الاشعري ان ذا الكفل لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا تكفل بعمل رجل صالح وكان يصلي لله تعالى في كل يوم مائة صلاة فأحسن الله عليه الثناء وقيل هو الياس وقيل هو زكريا والله أعلم بالصواب

مجلس في قصة عيلي وشمويل وهو اسمعيل بالعبرانية وقصة التابوت وخبر طالوت وجالوت وهذه قصة كبيرة تشتمل على أبواب كثيرة

قال الله تعالى ألم تر الى الملا من بني اسرائيل الآية

(فصل في سياق الآية ومقدمة القصة)

قال وهب بن منبه لما نبأ الله تعالى اليسع بعد الياس عليهما السلام واستخلفه على بني اسرائيل وكان فيهم ما شاء الله أن يكون ثم قبضه الله تعالى اليه وخلف فيهم الخلوف عظمت فيهم الخطايا وكان عندهم التابوت يتوارثونه كابرا عن كابر فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون وكانوا لا يلقاهم عدو فيقدموا التابوت ويرجعون به معهم الا هزم الله تعالى ذلك

العدو وكان الله تعالى قد بارك لهم في أرزاقهم فكان أحدهم فيما يذكرون يجمع التراب على صخرة ثم يبذر فيه الحب فيخرج الله له ما يأكله منه هو وعياله ويكون لأحدهم الزيتونة فيعصر منها ما يأكل هو وعياله سنة فلما كثرت احداثهم وعظمت ذنوبهم وتركوا ما عهد الله اليهم سلط الله عليهم العمالقة وهم قوم كانوا يسكنون غزة وعسقلان وساحل البحر ما بين مصر وفلسطين وكان جالوت الملك فيهم فظهروا على بني اسرائيل وغلبوهم على كثير من أراضيهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من ابناء ملوكهم أربعمائة وأربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم وبقوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من حالهم يتمادون احيانا في غيهم وضلالتهم فسلط الله تعالى عليهم من ينتقم له منهم ليرجعوا الى التوبة احيانا ويكفيهم الله شر من بغى عليهم حتى بعث الله فيهم طالوت ملكا ورد عليهم توراتهم فانتظم أمرهم واستوثق ملكهم وكان مدة ما بين وفاة يوشع بن نون الذي آل أمر بني اسرائيل في بعضها الى السياسة فيهم وفي بعضها الى غيرهم ممن يقهرهم ويملك عليهم الى أن ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة اليهم بشمويل النبي عليه السلام اربعمائة سنة وستين سنة وكان آخر من ملكهم في هذه المدة رجل يقال له ايلاف وكان يدبر امرهم في ملكه شيخ كبير يقال له عيلي الكاهن كان حبرهم وصاحب قربانهم وكانوا ينتهون الى رأيه فلما مضى من وقت قيامه بأمرهم مدة بعث الله شمويل نبيا

(القول في بدء أمر شمويل وصفة نبوته صلى الله على نبينا وعليه وسلم)

قال وهب بن منبه كان لابي شمويل امرأتان احداهما عجوز عاقر لم تلد له ولدا وهي أم شمويل والاخرى قد ولدت له عشرة أولاد قال وكان لبني اسرائيل عيد من أعيادهم أقاموا فيه شرائطه وقربوا القرابين فحضر ابو شمويل وامرأتاه وأولاده العشرة ذلك العيد فلما قربوا قربانهم أخذ كل واحد منهم نصيبا وكان لام الاولاد عشرة أنصباء وللعجوز نصيب واحد فعمل الشيطان بينهما ما يعمل بين الضرائر من الحسد والبغي فقالت ام الاولاد للعجوز الحمد لله الذي كثرني بولدي وقللك فوجدت العجوز وجوما شديدا فلما كان عند السحر عمدت الى متعبدها فقالت اللهم بعلمك وسمعك كانت مقالة صاحبتي واستطالتها على بنعمتك التي أنعمتها عليها وأنت ابتدأتها بالنعمة والاحسان فارحم ضعفي وارزقني ولدا تقيا رضيا واجعله لك ذخرا في مسجد من مساجدك يعبدك ولا يكفرك ويطيعك ولا يجحدك فاذا رحمت ضعفي ومسكنتي واجبت دعوتي فاجعل لي علامة أعرف بها قبول دعائي فلما أصبحت حاضت وكانت قبل ذلك قد يئست من الحيض فجعله الله علامة لما سألته فألم بها زوجها فحملت وكتمت أمرها وافى بنو اسرائيل في ذلك الوقت من عدوهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم فكانوا يسألون الله تعالى أن يبعث لهم نبيا يشير عليهم ويجاهدون عدوهم معه وكان سبط النبوة قد هلك ولم يبق منه الا تلك المرأة الحبلى فلما علموا بحملها تعجبوا من أمرها وقالوا ما حملت هذه الا بنبي لان اليائسات لا يحملن الا بالانبياء كسارة امرأة ابراهيم عليه السلام حملت باسحق وايشاع امرأة زكريا حملت بيحيى عليه السلام فأخذوها وحبسوها في بيت رهب ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها فجعلت المرأة تدعو الله تعالى أن يرزقها ولدا ذكرا فولدت غلاما وسمته

شمويل تقول سمع الله دعائى فلما شب الغلام اسلمته ليتعلم التوراة فكفله عيلى وتبناه فلما بلغ
الغلام الوقت الذى يبعثه الله فيه نبيا أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ عيلى
الكاهن وكان لا يأمن عليه أحدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا شمويل فقام الغلام فزعا مرعوبا
الى الشيخ وقال يا ابتاه أدعوتنى فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بنى ارجع فنم فرجع
الغلام فنام ثم دعاه جبريل ثانيا فانتبه الغلام وقال أدعوتنى يا ابتاه فقال الشيخ ما شأنك قال
أما دعوتنى قال لا فقال شمويل فانى سمعت صوتا فى البيت وليس فيه غيرنا فقال له الشيخ ارجع
فتوضأ وصل فانك ان دعيت باسمك فأجب وقل لبيك انا طوعك فأمرنى بما شئت افعل ما تأمرنى
به ففعل ذلك الغلام فنودى ثالثة فقال لبيك أنا طوعك فأمرنى بأمرك أفعل ما تأمرنى به
فظهر له جبريل عليه السلام فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله سبحانه
عز وجل قد بعثك فيهم نبيا وان الله قد ذرأك يوم ذرأك للنبوة ورحم وحدة أمك ذلك اليوم
الذى تاهت عليها ضرتها فيه فلا أحد اليوم أشد منها عضدا ولا املا ذا فانطلق الى عيلى فقل
له انك كنت خليفة الله على عباده ودينه فقمت زمانا بأمرهما كما بكتابه محافظا على حدوده فلما
اشتدت مدتك ودق عظامك وذهبت قوتك وفنى عمرك وقرب أجلك وصرت أفقر ما يكون الى
الله تعالى ولم تزل فقيرا اليه عطلت الحدود وجرت بين الخصوم وعملت بالرشى والمصانعات
واضعفت حكم الحق حتى عز الباطل واهله وذل الحق وحزبه وظهر المنكر وخفى المعروف وفشا
الكذب وقل الصدق وما كان الله عاهدك على هذا ولا عليه استخلفك فبئسما ختمت به عملك
والله لا يحب الخائنين بلغه هذه الرسالة وقم بعده بالخلافة فلما بلغه شمويل هذه الرسالة فزع
وجزع وكان السبب فيما عاتب الله عبده عيلى ووبخه عليه انه كان له ابنان شابان فاحدثا
شيأ فى القربان لم يكن فيه وذلك انه كان مسواط القربان الذى كانوا يسوطونه به كلابين فما
أخرجا كان للكاهن الذى كان يسوطه فجعل ابناه كلاليب فأوحى الله الى شمويل أن
انطلق الى عيلى فقل له منعك حب الولدان تزجر ابنيك ان يحدثا فى قربانى وان يعصيانى
فلأنزعن الكهانة منك ومن ولديك ولاهلكنك واياهما فأخبر شمويل عيلى ففزع فزعا شديدا
وسار اليهم عدوهم ومن حولهم فأمر عيلى ابنيه أن يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا
وأخرجا معهما التابوت فلما تأهبوا للقتال جعل عيلى يتوقع ماذا صنع القوم فجاءه رجل وهو
قاعد على كرسيه فأخبره بأن الناس قد انهزموا وان ابنيك قد قتلا قال فما فعل بالتابوت
قال ذهب به العدو قال فشهق ووقع على قفاه من كرسيه فمات فلما بلغ ملكهم ايلاف الخبر ان
التابوت قد سلب وان عيلى قد مات فمات كمدا فلما مات الامير والوزير وأخذ التابوت مرج
أمر بنى اسرائيل واختل واجترأ عليهم عدوهم فقالوا لشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل فى
سبيل الله وذلك بعدما دبر شمويل أمرهم عشر سنين فلما نالهم الذل والهوان والقتل والسبى
من عدوهم بشؤم معصيتهم سألوا نبيهم شمويل أن يبعث لهم ملكا يقاتلون معه فى سبيل الله وانما
كان قوام امر بنى اسرائيل بالاجتماع على الملك واطاعة الملك للانبياء وكان الملك هو الذى
يسير بالجيوش ويقاتل العدو وكان النبى منهم هو الذى يقيم له أمره ويشير عليه ويرشده ويأتيه
بالخبر من عند الله تعالى قال وهب بن منبه بعث الله اشمويل نبيا فلبث وأربعين سنة فى أحسن حال

ثم

ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فسألوا شمويل عليه السلام أن يبعث لهم ملكا فذلك قوله تعالى ألم تر الى الملا من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله يعنى شمويل وهو بالعبرانية اسمعيل بن بالى بن علقمة بن ماجد بن عموصا بن النهر بن ضون بن علقمة صاحب عموصا ابن عزريا وقال مجاهد هو شمويل بن هلفاقا ولم ننسبه أكثر من ذلك وقال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام فقال لهم نبيهم هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا فأجابوا بما قص الله فى كتابه قالوا ومالنا أن لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا الآية فلما أخذ شمويل عليهم الميثاق على الطاعة والجماعة والجهاد سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكا

(ذكر قصة الملك طالوت واتيان التابوت وحرب جالوت وما يتعلق به)

قال الله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية قال المفسرون ان شمويل لما قالوا له ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكا فأتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذى يكون ملكا طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذى فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذى فى القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم ثم انهم قاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها وكان طالوت بطولها واسمه بالسريانية سادل وبالعبرانية شاول بن قيش بن أفيل بن صارو بن نحورت بن أفيح بن أنيس بن بنيامين ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام وكان رجلا دباغا يعمل الادم قال وهب ابن منبه كان يدبغ الجلود وعكرمة والسدى يقولان كان سقاء يستقى على حمار له من النيل فضل حماره فخرج فى طلبه قال وهب بن منبه بل ضاعت حمر لابى طالوت فأرسله وغلاما له يطلبانها فمرا ببيت شمويل عليه السلام فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبى فسألناه فى أمر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا فيها بخير فقال له نعم فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له خبر الحمر اذ نش الدهن فى القرن فقام شمويل وقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لشمويل قرب رأسك الى فدهنه بدهن القدس ثم انه قال له أنت ملك بنى اسرائيل وقد أمرنى ربى ان أملكك عليهم فقال طالوت أنا فقال نعم قال أوما علمت ان سبطى أدنى اسباط بنى اسرائيل قال بلى قال أوما علمت ان بيتى أدنى بيت فى بنى اسرائيل قال بلى قال فبأى آية قال بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك الحمر فكان كذلك ثم ان شمويل قال لبنى اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قال مجاهد اميرا على الجيش فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال وانما قالوا ذلك لانه كان فى بنى اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة وكان سبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب ومنهم موسى وهرون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنهم داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من سبط النبوة ولا من سبط المملكة وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا عملوا ذنبا عظيما كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهارا فغضب الله عليهم ونزع النبوة والملك منهم فلما قال لهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا أنكروا ذلك لانه كان من ذلك السبط فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ومع ذلك انه فقير لم يؤت سعة من المال قال لهم شمويل ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم بالحرب والجسم

فنش الغدير ينش نشيشا اخذ ماؤه فى النضوب ج٢ قاموس
نضب سال او جرى والماء نضوبا غار ج٢ قاموس

يعني بالطول في قومه والقوة وانما سمي طالوت لطوله ولذلك كان يفوق الناس برأسه ومنكبيه وقال ابن كيسان بالجمال وكان طالوت أجمل رجل في بني اسرائيل وأعلمهم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم قالوا فما آية ذلك قال لهم نبيهم أن آية ملكه ان يأتيكم التابوت الآية

(قصة التابوت وصفته وابتداء أمره الى انتهائه)

قال أهل التفسير وأصحاب الاخبار ان الله تعالى أهبط تابوتا على آدم عليه السلام من الجنة حين أهبط الى الارض فيه صور الانبياء من أولاده وفيه بيوت بعدد الرسل منهم وآخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم من ياقوتة حمراء واذا هو قائم يصلي وعن يمينه الكهل المطيع مكتوب على جبينه هذا أول من يتبعه من أمته أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعن يساره الفاروق وعلى جبهته مكتوب قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم ومن ورائه ذو النورين آخذ بحجزته مكتوب على جبهته بار من البررة ومن بين يديه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه شاهر سيفه على عاتقه ومكتوب على جبهته هذا أخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من عند الله وحوله عمومته والخلفاء والنقباء والكبكبة الخضراء انصار الله وأنصار رسوله نور حوافر دوابهم يوم القيامة مثل نور الشمس في دار الدنيا وكان التابوت نحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين وكان من عود الشمشاذ الذي يتخذ منه الامشاط مموه بالذهب وكان عند آدم عليه السلام الى أن مات ثم عند شيث الى أن مات ثم توارثه أولاد آدم الى أن بلغ الى ابراهيم عليه السلام فلما مات كان عند اسمعيل لانه أكبر ولده فلما مات اسمعيل كان عند ولده قيذار فنازعه فيه ولد اسحق وقالوا له ان النبوة صرفت عنكم وليس لكم الا هذا النور الواحد يعني نور محمد صلى الله عليه وسلم فأعطنا التابوت فكان يمتنع عليهم ويقول انه وصية أبي ولا أعطيه لاحد من العالمين قال فذهب ذات يوم ليفتح ذلك التابوت فعسر عليه فتحه فناداه مناد من السماء مهلا يا قيذار فليس لك الى فتح هذا التابوت سبيل انه وصية نبي ولا يفتحه الا نبي فادفعه الى ابن عمك يعقوب اسرائيل الله فحمل قيذار التابوت على عنقه وخرج يريد أرض كنعان وكان بها يعقوب عليه السلام قال فلما قرب قيذار صر التابوت صرة سمعها يعقوب عليه السلام فقال لبنيه اقسم بالله لقد جاءكم قيذار بالتابوت فقوموا نحوه فقام يعقوب وأولاده جميعا فلما نظر يعقوب الى قيذار سعى اليه باكيا وقال يا قيذار مالي أرى لونك متغيرا وقوتك ضعيفة أأرهقك عدو أم أتيت بمعصية بعد أبيك اسمعيل قال ما أرهقني عدو ولا أتيت معصية ولكن أثقل ظهري نور محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك تغير لوني وضعف ركني قال يعقوب أفي بنات اسحق قال لا ولكن في العربية الجرهمية وهي العاضرية فقال يعقوب بخ بخ شرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن الله ليخرجه الا في العربيات الطاهرات يا قيذار وأنا مبشرك ببشارة قال وما هي قال اعلم ان العاضرية قد ولدت لك البارحة غلاما قال قيذار وما علمك يا ابن عمي وأنت بأرض الشام وهي بأرض الحرم قال يعقوب قد علمت ذلك لاني رأيت أبواب السماء قد فتحت ورأيت نورا كالقمر المدور بين السماء والارض ورأيت الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة فعلمت أن ذلك من أجل محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان قيذار دفع التابوت الى ابن عمه يعقوب ورجع الى أهله فوجدها قد ولدت غلاما فسماه حملا وفيه نور محمد صلى الله عليه قالوا وكان التابوت في بني اسرائيل الى أن وصل الى موسى وكان موسى يضع فيه

التوراة

الصندوق يريد به صندوق التوراة وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب ٢ بيضاوي

الكبكبة بالضم الجماعة كالكبكبة ٢ قاموس

قيذار وابن اسمعيل أبو العرب ٢ قاموس

وصر كفر يصر صرا صوت وصاح اشتد ليلا ٢ قاموس

رهقه كفرح غشيه ولحقه او دنا منه ٢ قاموس

التوراة ومتاعا من متاعه وكان عنده الى أن مات ثم تداولته أنبياء بنى اسرائيل الى وقت شمويل
عليه السلام فوصل الى شمويل وقد تكامل أمر التابوت بما فيه وكان فيه مما ذكر الله فى كتابه
فيه سكينة من ربكم واختلفوا فى السكينة ماهى فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه
السكينة ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجهها كوجه الانسان وقال مجاهد لها رأس كرأس
الهرة وذنب كذنب الهرة وجناحان وقال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه عن بعض علماء بنى
اسرائيل السكينة رأس هرة كانت اذا صرخت فى التابوت صرخة أيقنوا بالنصر وجاءهم
الفتح وروى السدى عن أبى مالك عن ابن عباس قال هى طست من ذهب الجنة يغسل فيه قلوب
الانبياء وروى بكار بن عبد الرحمن عن وهب بن منبه هى روح من الله تكلمهم اذا اختلفوا
فى شئ فتخبرهم ببيان مايريدون وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون قال المفسرون فيه عصا
موسى ورضاض الالواح وذلك أن موسى لما ألقى الالواح تكسرت فرفع بعضها وجمع ما بقى
فجعله فى التابوت وكان فيه أيضا لوحان من التوراة وقفيز من المن الذى كان ينزل على بنى
اسرائيل ونعلا موسى وعمامة هرون وعصاه قالوا وكان التابوت عند بنى اسرائيل اذا اختلفوا
فى شئ تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال أقاموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم فلما
عصوا وأفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوهم اياه وذلك فى أيام عالى
الكاهن الذى ربى شمويل وقد مضت القصة فيه وكان جالوت يوم سبى قومه التابوت صغيرا
فلما ذهب التابوت اختل أمر بنى اسرائيل الى أن بعث الله طالوت ملكا فسألوه الآية على
ملكه فقال لهم شمويل ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت وكانت قصة ذلك التابوت أن القوم
الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها اردن وجعلوه فى بيت صنم لهم
ووضعوه تحت الصنم الاعظم فأصبحوا من الغد واذا الصنم تحته فأخذوه وجعلوه فوقه وسمروا
قدمى الصنم على التابوت فأصبحوا من الغد وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه وأصبح ملقى تحت
التابوت فأصبحت الاصنام كلها منكسة فأخرجوه من بيت الاصنام ووضعوه فى ناحية من
مدينتهم فأخذ أهل تلك الناحية وجع فى أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس
قد علمتم أن اله بنى اسرائيل لا يقوم له شئ فأخرجوه من مدينتكم قال فأخرجوه الى قرية أخرى
فبعث الله على أهل تلك القرية فارا يبيت الرجل صحيحا فيقرضه الفار فيصبح ميتا وقد أكلت
مافى جوفه فأخرجوه منها الى الصحراء ودفنوه فى مجرى لهم فكان كل من تبرز هناك أخذه
الباسور والقولنج فأخرجوه ووضعوه فى بيت فمكث فيهم عشر سنين وسبعة أشهر لا يدنو أحد منه
الا احترق وأصابهم فى المدينة الآفات والعاهات وفى مواشيهم الموت وفى نسائهم الطاعون
فتحيروا وكانت عندهم امرأة من نساء بنى اسرائيل من أولاد الانبياء فقالت انكم لا تزالون
ترون ما تكرهون مادام هذا التابوت فيكم فأخرجوه عنكم فأتوا بعجلة باشارة تلك المرأة
فحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فأقبل الثوران يسيران ووكل الله
بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما فلم يمر التابوت بأرض الا كانت مقدسة فأقبلا حتى وقفا
على أرض فيها حصاد لبنى اسرائيل فكسرا نيرهما وقطعا حبالهما ووضعا التابوت فيها ورجع
الثوران الى أرضهما فلم تدر بنو اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى

واجتمعوا على طالوت فذلك قوله تعالى تحمله الملائكة أى تسوقه الملائكة * وقال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته فى دار طالوت فأقروا بملكه قال الله تعالى ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين قال ابن عباس ان التابوت وعصا موسى فى بحيرة طبرية وانهما يخرجان قبل القيامة والله أعلم

(باب فى قصة شمويل حين أوحى الله اليه أن يأمر طالوت بالمسير الى قتال جالوت مع بنى اسرائيل وصفة نهر الابتلاء)

قال الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر الآية قال فلما أوحى الله الى شمويل عليه السلام أن يأمر طالوت بالمسير الى جالوت من بيت المقدس بالجنود لم يتخلف عنه الا كبير لهرمه أو مريض لمرضه أو ضرير لضره أو معذور لعذره وذلك أنهم لما رأوا التابوت قالوا قد أتانا التابوت وهو النصر لاشك فيه فسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لى فيما أرى لا يخرج معى رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة مشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج بامرأة ولم يدخل بها ولا يتبعنى الا الشاب النشط الفارغ فاجتمع ثمانون ألفا على شرطه فخرج بهم وكان فى حر شديد فشكوا قلة المياه بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله تعالى أن يجرى لنا نهرا فقال لهم طالوت بأمر شمويل عليه السلام ان الله مبتليكم بنهر يختبركم ليرى طاعتكم وهو أعلم بكم وهو نهر بين الاردن وبين فلسطين عذب يقال له ادمى فمن شرب منه فليس منى أى من أهل دينى وطاعتى ومن لم يطعمه لم يشربه فانه منى ثم استثنى فقال الامن اغترف غرفة بيده وهو ملء الكف ومن فتح الغين أراد المرة الواحدة فشربوا منه الا قليلا منهم (قال السدى) كانوا أربعة آلاف وقال غيره كانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح يدل عليه حديث البراء بن عازب قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر أنتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاوز معه الا مؤمن قال وكانوا يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فمن اغترف غرفة بيده كما أمر الله تعالى قوى قلبه وصح ورجع ايمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شاطئ النهر وجبنوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح فلما جاوز النهر مع طالوت القليل الذين ثبتوا معه قالوا يعنى الذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت وقال الذين يظنون أى يعلمون ويوقنون أنهم ملاقوا الله وهم القليل الذين ثبتوا مع طالوت كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله الآية ومروا قاصدين الجهاد

(باب فى ذكر أمر داود عليه السلام وخبر جالوت وصفة قتله)

قال الله تعالى ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا الى قوله تعالى وقتل داود جالوت قال المفسرون والمخبرون بألفاظ مختلفة ومعان متفقة عبر النهر مع طالوت فيمن عبر ايشا أبو داود ومعه ثلاثة عشر ابنا له وكان داود أصغرهم وأحقرهم فأتى ذات يوم أباه فقال يا أبتاه ما قذفت بمقلاعى هذه شيأ الا أصبته وصرعته فقال ابشر يا بنى فان الله قد جعل رزقك فى قذافتك يعنى فى مقلاعك ثم أتاه يوما آخر فقال يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فرأيت أسدا رابضا فركبته وقبضت

باذنيه

قوله أدمى فى نسخة أرمى بالراء ولیحرر

[illegible]

بأذنيه فلم يهمنى فقبضت على فكيه فقطرتهما برأسه وعنقه الى لبته بيدى من غير سكين ولا ضرب بحديد وتراه هنالك مقتولا فقال له أبوه أبشر يابنى فان هذا خير اعطاكه الله ثم أتاه يوما آخر وقال ياأبتاه انى لامشى بين الجبال فأسبح فمايبقى جبل الاسبح معى قال أبشر يابنى فان هذا خير اعطاكه الله وسيكون لك شأن عظيم قال فلما وصلت غزاة بنى سرائيل مع طالوت الى عسكر جالوت ارسل جالوت الى طالوت ان ابرز الى أو أبرز الى من يقاتلنى فان قتلنى فلكم ملكى وان قتلته فلى ملككم فشق ذلك على طالوت فنادى فى عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتى وناصفته مملكتى فهاب الناس قتال جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم شمويل عليه السلام فدعا الله تعالى فى ذلك فأتى بقرن فيه دهن القدس وشبه تنور من حديد وقيل له ان الذى يقتل جالوت هو الذى يوضع هذا القرن على رأسه فيغلى الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل فى هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت أشداء بنى اسرائيل وأقوياءهم فجربهم فلم يوافقه منهم أحد فأوحى الله الى شمويل عليه السلام ان فى ولد ايشا من يقتل جالوت وانى أريد ان أجعله خليفة فى الارض من بعدك أعلمه فصل الخطاب وهو راعى الغنم فقل لايشا يعرض عليك بنيه واحدا واحدا فدعا ايشا وقال له اعرض على بنيك فأخرج له اثنى عشر ولدا أمثال السوارى وفيهم رجل بارع فجعل يعرضهم على القرن والتنور فلا يرى شيأ ويقول لذلك الجسيم ارجع فيردده على التنور فأوحى الله تعالى اليه انا لا نأخذ الرجال على صورهم ولكنا نأخذهم على صلاح هممهم وقلوبهم فقال لايشا هل بقى لك ولد غيرهم قال لا فقال شمويل رب قد زعم انه ليس له ولد غيرهم فقال كذب فقال شمويل ياايشا ان ربى كذبك قال صدق الله يانبى الله ان لى ابنا صغيرا يقال له داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته وخلفته فى الغنم يرعاها وهو فى شعب كذا وكذا وكان داود عليه السلام قصيرا سقيما مصفرا ازرق العينين فدعاه طالوت ويقال خرج اليه فوجد الوادى قد حال بالماء بينه وبين الزريبة التى كان يتروح اليها فوجده يحمل الغنم شاتين شاتين يعبر بهما السيل ولا يخوض بهما الماء فلما رآه شمويل قال هذا هو لاشك فيه هذا يرحم البهائم فهو أرحم بالناس فدعاه فوضع القرن على رأسه ففاض وأجلسه فى التنور فملأه فلما رأى طالوت ذلك قال له هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتى وأجرى حكمك فى مملكتى قال نعم قال فهل لقيت من نفسك شيأ تتقوى به على قتله قال نعم أنا راعى الغنم فيجىء الاسد والنمر والذئب ليأخذ شيأ فأقوم اليه وأقبضه وأفتح لحييه عنها وأخرقهما الى قفاه فلما سمع طالوت منه ذلك رده الى عسكره فمر داود عليه السلام فى الطريق بحجر فناداه ياداود احملنى فانى حجر هرون الذى قتل به ملك كذا وكذا فوضعه فى مخلاته ثم مر بحجر آخر فناداه ياداود احملنى فانى حجر موسى عليه السلام الذى قتل به ملك كذا وكذا فحمله فى مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال احملنى فانى حجرك الذى تقتل به جالوت وقد خبأنى الله لك فوضعه فى مخلاته فلما تصافوا للقتال برز جالوت وسأل المبارزة فانتدب له داود وكان طالوت أعطاه فرسا ودرعا وسلاحا فركب الفرس ولبس السلاح وسار قليلا فوجد فى نفسه زهوا فانصرف وعاد سريعا الى الملك فقال من حوله جبن الغلام فجاء حتى وقف على الملك فقال له ماشأنك فقال له داود ان الله تعالى ان لم ينصرنى فمايغنى عنى هذا السلاح شيأ

فدعنى أقاتل كما أريد فقال له طالوت افعل ما تريد فأخذ داود عليه السلام مخلاته فتقلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة وزنها ثلثمائة رطل حديد وكان له فرس أبلق مثله فى الشدة والقوة وعظم الخلق فلما برز جالوت الى داود ألقى الله تعالى فى قلبه الرعب فقال له أنت تبرز الى قال نعم وكان جالوت راكبا على فرس أبلق وعليه السلاح التام فقال له يا بنى تأتينى بالحجر بالمقلاع كما يؤتى الكلب بالحجر قال نعم أنت أشر من الكلب قال لا جرم لأقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء فقال داود بسم الله ويقسم الله لحمك بين السباع وطير السماء وأخذ حجرا منها وقال بسم الله اله ابراهيم ووضعه فى مقلاعه وأخذ حجرا ثانيا وقال بسم الله اله اسحق ووضعه فى مقلاعه ثم أخرج ثالثا وقال بسم الله اله يعقوب ووضعه فى مقلاعه قال فصارت الاحجار الثلاث كلها حجرا واحدا وأدار المقلاع ورمى به فسخر الله له الريح حتى أصاب الحجر انف البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا ويقال انه من بعد ما خرج من قفاه تكسر وتفتت باذن الله تعالى حتى عم جميع جنود جالوت فلم يبق منهم أحد الا وقد أصابته منه قطعة ومثل ذلك صار كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين حثا الحثوة من التراب فانهزم الجيش وخر جالوت قتيلا وأسرع داود عليه السلام اليه فحز رأسه وانتزع من يده خاتمه وأقبل برأسه يجره حتى ألقاه بين يدى طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى مدينتهم سالمين غانمين بحمد الله رب العالمين

(ذكر بقية قصة طالوت وما كان منه الى داود عليه السلام بعد قتل جالوت)

قالوا لما قتل داود جالوت ذكر الناس داود وعظم فى أنفسهم فجاء داود الى طالوت وقال له أنجز لى ما وعدتنى وأعطنى امرأتى فقال له طالوت أتريد ابنة الملك بغير صداق فجعل صداق ابنتى وشأنك بها فقال داود لطالوت ما شرطت على صداقا وليس لى شئ فتحكم فى الصداق بما تريد وأقرضنى مهرها وعلى الاداء والوفاء لك به فقال طالوت أصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو اسرائيل لا تظلمه وأنجز له ما وعدته فلما رأى طالوت ميل بنى اسرائيل الى داود أحسن ثناءه عليه وقال لا حاجة لابنتى فى المال ولا أكلفك ما لا تطيق أنت رجل جرىء وفى جبالنا أعداء من المشركين فانطلق فجاهدهم فاذا قتلت منهم مائتى رجل وجئتنى برؤسهم زوجتك ابنتى فأتاهم داود عليه السلام وجعل كلما قتل منهم رجلا احتز رأسه ونظمه فى خيط حتى نظم رؤسهم ثم جاء بهم الى طالوت وألقاهم بين يديه وقال له ادفع الى امرأتى فزوجه امرأته واجرى خاتمه فى ملكه فمال الناس الى داود عليه السلام وأحبه بنو اسرائيل وأكثروا من ذكره فوجد طالوت من ذلك فى نفسه فأراد قتله قال وهب بن منبه كانت الانبياء والملوك يومئذ يتوكؤن على العصى ويغرزون فى أطراف العصى أزجة من حديد وكان داود عليه السلام جالسا فى ناحية البيت فدخل طالوت فرماه بالعصا بغتة ليقتله بها صابرا فلما أحس داود بذلك حاد عن رميته وأمال نفسه من غير أن يبرح من مكانه فارتكزت العكاز فى الجدار فقال له داود أردت قتلى قال له طالوت لا بل أردت أن أقف على ثباتك عند الطعان وربط جأشك للاقران فقال له داود عليه السلام أظننته على ما قدرته فى قال نعم ولكنك لما لك فزعت قال معاذ الله أن أخاف الا الله ولا أخاف

الا اليه ولا يدفع الشر الا هو ثم ان داود انتزعهما من الجدار وهزها هزة منكرة وقال له اثبت لى كما ثبت لك فأيقن طالوت بالهلاك فقال له أنشدك بالله وبحرمة المصاهرة التى بينى وبينك وما كان هذا القول من داود عن قصد قتل طالوت ولكن كان مقال تخويف وتحذير فقال داود لطالوت ان الله قد كتب فى التوراة جزاء السيئة سيئة مثلها واحدة والبادى أظلم قال طالوت أفلا تقول قول هابيل لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا باسط يدى اليك لاقتلك انى أخاف الله رب العالمين فقال داود انى قد عفوت عنك لوجه الله تعالى فلبث طالوت زمانا يريد قتل داود عليه السلام فعزم على أن يأتيه ويقتله فى داره فأخبرت بذلك بنت طالوت زوجة داود وأخبرها رجل يقال له ذو العينين فقالت لداود انك المقتول الليلة قال ومن يقتلنى قالت أبى قال وهل أجرمت جرما قالت حدثنى من لا يكذب ولا عليك بأس أن تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال لئن كان أراد ذلك لا أستطيع خروجا ولكن ائتينى بزق من خمر فأتته به فوضعه فى مضجعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير قال فدخل طالوت نصف الليل وأراد أن يقتل داود فلم يجده فقال لابنته أين بعلك فقالت هو نائم على السرير فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال رحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر وخرج فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيأ فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لخليق أن لا يدعنى حتى يدرك ثاره منى ثم انه استتر بحجابه وحراسه وأغلق دونه الابواب قال فأتى داود ذات ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله عنه الحجاب وفتح الله له الابواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج فلما استيقظ طالوت وجد السهام فعرفها فقال رحم الله داود هو خير منى ظفرت به فقصدت قتله وظفر بى فكف عنى لو شاء لوضع هذا السهم فى حلقى وما أنا بالذى آمنه فلما كانت الليلة القابلة أتاه داود ثانيا وأعمى الله عنه أعين الحجاب فدخل وهو نائم على فراشه فأخذ ابريق طالوت الذى كان يتوضأ منه وكوزه الذى كان يشرب به وقطع شعرات من لحيته وشيأ من هدب ثيابه ثم خرج وهرب وتوارى فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وشدد فى طلبه فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب ذات يوم فوجد داود عليه السلام يمشى فى البرية فقال طالوت فى نفسه اليوم أقتل داود أنا راكب وهو ماش وكان داود اذا فزع لم يدرك فركض طالوت فى أثره واشتد داود فى الجرى فدخل غارا فأوحى الله الى العنكبوت فنسجت عليه بيتا فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لو كان ههنا لخرق بيت العنكبوت فتركه ومضى فلما مضى خرج داود من الغار وانطلق الى الجبل مع المتعبدين فجعل يتعبد فيه فطعن العلماء والعباد على طالوت فى شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه أحد عن قتل داود الا قتله فجعل يقتل العلماء فلم يكن يقدر فى بنى اسرائيل على عالم ويطيق قتله الا قتله ولم يكن يحارب جيشا الا هزمه حتى أتى بامرأة تعلم الاسم الاعظم فأمر خبازه بقتلها فرحمها الخباز وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ووضع الله فى قلب طالوت التوبة فندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكى وينادى أنشد الله عبدا يعلم لى توبة الا أخبرنى بها فلما كثر عليهم بكاؤه ناداه مناد من القبور يا طالوت أما رضى أنك قتلتنا أحياء حتى تؤذينا أمواتا

فازداد حزنا وبكا فرحمه الخباز فقال له مالك أيها الملك فقال هل تعلم لي في الارض عالما أسأله هل لي من توبة فقال له الخباز أيها الملك هل تدري ما مثلك قال لا قال ما مثلك الا كمثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه فقال لا تتركوا في هذه القرية ديكا الا ذبحتموه فلما أراد أن ينام قال لاصحابه اذا صاح الديك فأيقظونا حتى ندلج فقيل له وهل تركت ديكا يسمع صوته وأنت هل تركت عالما في الارض فازداد حزنا وبكاء فلما رأى الخباز ذلك قال أرأيت ان دللتك على عالم لعلك تقتله قال لا فتوثق منه الخباز بالايمان فأخبره أن المرأة العالمة عنده فقال له انطلق بنا اليها اسألها هل لي من توبة وكانت تعلم الاسم الاعظم وكان انما يعلم هذا الاسم أهل بيت لها افنيت رجالهم وعلمت نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب قال له الخباز انها ان رأتك فزعت منك ثم جعله خلفه ودخل عليها الخباز فقال ألست أعظم الناس عليك منة أنجيتك من القتل وأوثقتك عندي قالت بلى قال لي اليك حاجة هذا طالوت يسأل هل له من توبة فلما سمعت بذكره غشي عليها من الفرق فلما أفاقت قال لها انه لا يريد قتلك ولكن يسألك هل له من توبة قالت لا والله ماله من توبة ولكن هل تعلمون قبر شمويل عليه السلام قالوا نعم قالت فانطلقوا بنا الى قبره فلما وصلوا اليه صلت عنده ركعتين ثم انها نادت يا صاحب القبر فخرج شمويل عليه السلام من القبر ينفض التراب عن رأسه فلما نظر الى الثلاثة المرأة والخباز والملك فقال لهم أقامت القيامة قالوا لا ولكن هذا طالوت يسألك هل له من توبة فقال له شمويل ما فعلت يا طالوت بعدي قال لم أدع شيأ من الشر الا فعلته وقد جئت أطلب التوبة قال كم لك من ولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك من توبة الا ان تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك تجاهد في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم انك تقاتل حتى تقتل آخرهم ثم رجع شمويل عليه السلام الى القبر فسقط ميتا ورجع طالوت أحزن ما يكون وخاف أن لا يتابعه ولده فبكى حتى ذهبت أشفار عينيه ونحل جسمه فدخل عليه أولاده فقال لهم أرأيتم لو دفعت الى النار أكنتم تنقذونني قالوا نعم ننقذك بما قدرنا عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا فاعرض علينا مقالتك فذكر لهم القصة فقالوا وانك لمقتول بعدنا قال نعم قالوا لا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت فتجهز بأولاده الى الغزو وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد بعدهم فقاتل حتى قتل فجاء قاتله الى داود يبشره يقول له قد قتلت عدوك فقال داود ما كنت بالذي تحيا بعده فضرب عنقه

(مجلس في خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها) ٦

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض الآية قالت العلماء بأخبار الانبياء لما استشهد طالوت أتى بنو اسرائيل الى داود فأعطوه خزانة طالوت وملكوه على أنفسهم وذلك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين ولم تجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد بعد يوشع بن نون الا على داود عليه السلام فذلك قوله عز وجل وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة الآية

(باب في ذكر نسبه)

هو داود بن ايشا بن عوفيذ بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عمينوذب بن رم ابن حصرون بن

بارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين

(باب في ذكر صفته وحليته)

أخبرني الحسن بن محمد الدينوري باسناده عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زرقة العينين يمن وكان داود عليه السلام أزرق العينين أحمر الوجه دقيق الساقين سبط الشعر أبيض الجسم طويل اللحية فيها جعودة حسن الصوت والخلق طاهر القلب نقيه

باب في ذكر ما خص الله تعالى به نبيه داود عليه السلام من الفضل والكرامات حين أعطاه الله النبوة والملك

(فمنها) انه أنزل عليه الزبور بالعبرانية مائة وخمسين سورة في خمسين منها ذكر ما يكون من بخت نصر وأهل بابل وفي خمسين منها ذكر ما يلقون من الروم من أهل ارون وفي خمسين منها مواعظة وحكمة ولم يكن فيها حلال ولا حرام فذلك قوله تعالى وآتينا داود زبورا (ومنها) الصوت الطيب والنغمة الطيبة اللذيذة والترجيع والالحان ولم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوته وكان يقرأ الزبور بسبعين لحنا بحيث يعرق المحموم و يفيق المغمى عليه وكان اذا قرأ الزبور برز الى البرية فيقوم وتقوم معه علماء بني اسرائيل خلفه وتقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس وتقوم الشياطين خلف الجن وتدنو الوحوش والسباع ويؤخذ بأعناقها وتظله الطيور مصخية و يركد الماء الجاري ويسكن الريح وماصنعت المزامير والبرابط والصنوج الاعلى صوته وذلك أن ابليس لعنه الله حسده واشتد عليه فقال لعفاريته ألا ترون مادهاكم فقالوا له مرنا بما شئت فقال انه لا يصرف الناس عن داود الا ما يضاده و يعاده في مثل حاله فهيؤا المزامير والعيدان والاوتار والملاهي على أجناس أصوات داود فسمعها سفهاء الناس فمالوا اليها فاغتروا بها ويقال ان داود عليه السلام كان اذا قرأ الزبور بعدما قارف الذنب لا يقف له الماء ولا تصغى له الوحوش ولا البهائم ولا الطيور كما كانت قبلها ونقصت نغمته فقال الهي ما هذا فأوحى الله تعالى اليه ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود ان الخطيئة هي التي غيرت صوتك وحالك فقال الهي أوليس قد غفرتها لي قال بلى ولكن ارتفعت الحالة التي بيني وبينك من الود والقرب فلن تدركها أبدا (أخبرنا) أبو سعيد بن أحمد بن حمدون عن وهب بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خفف الله على داود القرآن فكان يأمر بدوابه أن تسرج فكان يقرأ القرآن قبل أن تسرج دابته وكان لا يأكل الامن عمل يده قال الاستاذ الامام أراد بالقرآن الزبور وبالاسناد أخبرنا أبو بكر الجوزقي عن أبي موسى الاشعري قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود فقلت أما والله يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا وأخبرنا أبو بكر قال أخبرنا أبو العباس بالاسناد عن البراء بن عازب قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوت أبي موسى فقال كأن صوت هذا من صوت آل داود (ومنها) تسخير الجبال والطير له يسبحن معه اذا سبح كما قال الله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألناله

الحديد وقوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ويقال ان داود عليه السلام كان اذا تخلل الجبال فسبح الله تعالى جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح ثم قال في نفسه ليلة من الليالي لأعبدن الله تعالى عبادة لم يعبده أحد بمثلها فصعد الجبل فلما كان في جوف الليل داخلته وحشة فأوحى الله تعالى الى الجبال ان آنسي داود فاصطكت الجبال بالتسبيح والتقديس والتهليل فقال داود في نفسه كيف يسمع صوتي مع هذه الاصوات فهبط عليه جبريل عليه السلام وأخذ بعضده حتى انتهى به الى البحر فوكزه برجله فانفرج له البحر فانتهى به الى الارض فوكزها برجله فانفجرت له الارض فانتهى به الى الحوت فوكزه برجله فانتهى به الى الصخرة فوكز الصخرة برجله فانفلقت فخرج منها دودة تنش فقال له جبريل ان ربك يسمع نشيش هذه الدودة في هذا الموضع * قوله تعالى يسبحن بالعشي والاشراق قال المفسرون يعني صلاة الضحى وصلاة الاوابين بين العشاءين (قال ابن عباس) وكان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر والمدر (ومنها) انه أكرمه الله تعالى بالحكمة وفصل الخطاب فالحكمة هي الاصابة في الامور وأما فصل الخطاب فاختلفوا فيه فقال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن المعنى علم الحكم والنظر في القضاء كان لا يتتعتع في القضاء بين الناس قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هو البينة على من ادعى واليمين على من أنكر (أخبرنا) أبو عبد الله قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذي أعطي داود عليه السلام ما أخبرنا أبو حفص عن الاعمش عن أبي صالح عن كعب الاحبار في قوله وفصل الخطاب قال الشهود والأيمان عن الشعبي قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذي أعطي داود أما بعد قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وهو أول من قالها (ومنها) السلسلة التي أعطاها الله تعالى له ليعرف المحق من المبطل في المحاكمة اليه وهو ما روى الضحاك عن ابن عباس قال ان الله تعالى أعطى داود سلسلة موصولة بالمجرة والفلك ورأسها عند محراب داود عليه السلام حيث يتحاكم الناس اليه وكانت قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر ومدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في السماء حادث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحادث ولا يمسها ذو عاهة الا برئ وكان علامة دخول قومه في الدين أن يمسوها بأيديهم ثم يمسحون بأكفهم على صدورهم وكانوا ايضا كون اليها فمن اعتدى على صاحبه أو أنكر ماله من حق أتى السلسلة فمن كان صادقا محقا مد يده الى السلسلة فينالها ومن كان كاذبا ظالما لم ينلها فكانت فيهم الى أن ظهر فيهم المكر والخديعة (قال) بلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما جاء يستردها أنكرها فتحاكما الى السلسلة فعلم الرجل الذي كانت عنده الجوهرة أن يده لا تنال السلسلة فعمد الى عكازة فنقرها ثم ضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر معه غريمه عند السلسلة فقال صاحب الجوهرة أن لي عندك وديعة فقال خصمه ما أعرف لك وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده ثم قيل للمنكر قم أنت أيضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة الزم أنت عكازي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها وقام الرجل وقال اللهم ان كنت تعلم أن هذه الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب مني السلسلة فمد يده فتناولها فتعجب القوم وتفكروا فيها فأصبحوا وقد رفع الله تلك السلسلة وكان عمر بن الخطاب رضي الله

عنه

عنه اذا اشتبه عليه الامر بين الخصمين اللذين يختصمان اليه يقول ما أحوجكما الى سلسلة بنى اسرائيل كانت تأخذ بعنق الظالم فتجره الى الحق جرا (ومنها) القوة فى العبادة وشدة الاجتهاد كما قال الله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الأيد يعنى القوة فى العبادة انه أواب أى تواب مسبح مطيع وكان يصوم يوما ويفطر يوما يصوم النهار ويقوم الليل وما مرت به ساعة من الليل الا وفيها من آل داود قائم يصلى ولا يوم من الايام الا وفيه منهم صائم (ومنها) قوة المملكة كما قال الله تعالى وشددنا ملكه أى قويناه وقرأ الحسن وشددنا ملكه بالتشديد (وقال ابن عباس) كان أشد ملوك الارض سلطانا وكان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل قال السدى كان يحرسه كل ليلة أربعة آلاف رجل (أخبرنا) عبد الله بن حامد عن عكرمة عن ابن عباس ان رجلا من بنى اسرائيل تعدى على رجل من عظمائهم فاجتمعا على داود عليه السلام فقال المتعدى ان هذا قد غصبنى بقرتى فسأل داود الرجل عن ذلك فجحد وسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر فى أمركما فقاما من عنده فأوحى الله تعالى له فى منامه أن يقتل الرجل الذى تعدى فقال هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتبين فأوحى الله تعالى اليه مرة أخرى أن يقتله فقال هذه رؤيا فأوحى الله تعالى اليه مرة ثالثة أن يقتله فأرسل داود الى الرجل فقال له ان الله تعالى قد أوحى الى أن أقتلك فقال له الرجل تقتلنى بغير ذنب ولا بينة فقال داود نعم والله لانفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل على حتى أخبرك انى والله ما أخذت بهذا الذنب ولكنى كنت اغتلت والد هذا فقتلته فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة بنى اسرائيل عند ذلك لداود واشتد له ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه ويقال كان داود اذا جلس للحكم كان على يمينه ألف رجل من الانبياء وعن يساره ألف رجل من الاجناد (ومنها) شدة البطش فيروى انه ما فر ولا انحاز من عدو له قط (ومنها) الانة الحديد له وكان سبب ذلك على ما روى فى الاخبار أن داود عليه السلام لما ملك بنى اسرائيل كان من عادته أن يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم اليه فيسأله عن داود فيقول له ما تقول فى داود والبكم هذا أى الرجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فبينما هو كذلك يوما من الايام اذ قيض الله له ملكا فى صورة الآدميين فلما رآه تقدم اليه داود على عادته فسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود ذلك فقال ما هى يا عبد الله قال ان داود يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سببا يستغنى به عن بيت المال فينفق منه ويطعم عياله فألان له الحديد فصار فى يده مثل الشمع والعجين والطين المبلول وكان يصرفه بيده كيف يشاء من غير ادخال نار ولا ضرب بحديد وعلمه الله تعالى صنعة الدروع فكان يتخذ الدروع وهو أول من عملها وكانت قبل ذلك صفائح فيقال انه كان يبيع كل درع منها بأربعة آلاف درهم فيأكل ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين فذلك قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم وقوله تعالى وألناله الحديد ان أعمل سابغات أى دروعا كوامل واسعات وقدر فى السرد أى لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتكسر الحلق فكان يفعل ذلك حتى اعتقد من ذلك مالا (وروى) ان لقمان الحكيم رأى داود عليه السلام وهو يعمل درعا فتعجب من ذلك ولم يدر ما هو فأراد أن يسأله فسكت حتى فرغ داود من نسج الدرع فقام

فلبسه وقال نعم القميص هذا للرجل المحارب فعلم لقمان ما يراد به فقال الصمت حكمة
وقليل فاعله

(باب فى قصة داود عليه السلام حين ابتلى بالخطيئة وما يتصل بذلك)

قال الله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم الآيات
اختلف العلماء باخبار الانبياء فى سبب امتحان الله تعالى نبيه داود عليه السلام بما امتحنه الله
به من الخطيئة فقال قوم كان سبب ذلك انه تمنى يوما من الايام على ربه تعالى منزلة آبائه ابراهيم
واسحق ويعقوب وسأله أن يمتحنه بمثل الذى كان يمتحنهم ويعطيه من الفضل مثل الذى
أعطاهم فروى السدى والكلبى ومقاتل عن أشياخهم دخل حديث بعضهم فى بعض قالوا
كان داود عليه السلام قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوما يقضى فيه بين الناس ويوما يخلو فيه بنسائه
ويوما لعبادة ربه وقراءة الكتب وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق
ويعقوب عليهم السلام فيقول يارب أرى الخير قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى فأوحى الله
تعالى اليه انهم ابتلوا ببلايا لم يبتل بها أحد فصبروا عليها ابتلى ابراهيم عليه السلام بنار النمروذ
وبذبح ولده وابتلى اسحق بالذبح وذهاب بصره وابتلى يعقوب بالحزن وذهاب بصره على يوسف
وانك لم تبتل بشئ من ذلك فقال داود عليه السلام يارب فابتلنى كما ابتليتهم وأعطنى كما أعطيتهم
فأوحى الله تعالى اليه انك مبتلى فى شهر كذا فى يوم كذا فاحترس على الصبر فلما كان فى اليوم
الذى وعده الله دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلى ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه
الشيطان وتمثل له فى صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن فوقعت بين يديه فمد يده
ليأخذها وفى بعض الروايات ليدفعها الى ابن له صغير فلما أهوى اليها طارت غير بعيد من غير أن
تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت فوقعت فى كوة فذهب ليأخذها
فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فيبعث اليها من يصيدها فنظر الى امرأة فى بستان على
شط بركة تغتسل هذا قول الكلبى وقال السدى رآها تغتسل على سطح لها فرأى امرأة من
أحسن النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت ظل داود عليه السلام
فنشرت شعرها فغطى بدنها كله فزاده ذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل له هى سابغ بنت شائع
امرأة أورياء بن حنان وزوجها فى غزاة البلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود الى
ابن أخته أيوب صاحب بعث البلقاء ان ابعث أورياء الى موضع كذا وكذا وقدمه على التابوت
وكان المقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع الى ورائه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعث
به ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه داود أيضا ان ابعثه الى غزوة كذا وكان رئيسها
أشد منه بأسا فبعثه فقتل فى المرة الثانية فلما انقضت عدتها تزوجها داود فهى أم سليمان
عليه السلام وقال آخرون انما سبب امتحانه أن نفسه حدثته انه يطيق قطع يوم بغير مقارفة
سيئة وعن الحسن أخبرنا شعيب بن محمد قال ان داود عليه السلام جزأ الدهر أربعة أجزاء
يوما لنسائه ويوما العبادة ربه ويوما القضاء حوائج المسلمين ويوما لبنى اسرائيل يذاكرهم
ويذاكرونه يسألهم ويسألونه فلما كان يوم بنى اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتى على الانسان يوم
لا يصيب فيه ذنبا فأضمر داود فى نفسه أنه سيطيق ذلك فلما كان يوم عبادة ربه غلق أبوابه وأمر

ان

أن لايدخل عليه أحد وانكب على التوراة فبينما هو يقرأ اذ هو بحمامة من ذهب فيها كل شئ
حسن قد وقعت بين يديه فأهوى اليها ليأخذها فطارت فوقعت غير بعيد من غير أن تؤيسه
من نفسها فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل فأعجبه خلقها وحسنها فلما رأت ظله
فى الارض جللت جسدها بشعرها فزاده ذلك اعجابا بها وكان قد بعث زوجها فى بعض جيوشه
فكتب اليه ان سر الى مكان كذا وكذا مكانا اذا وصل اليه قتل ولم يرجع ففعل فأصيب
فخطبها داود وتزوجها وقال بعضهم فى سبب ذلك كما أخبرنا قتادة عن الحسن بن محمد ان داود
عليه السلام قال لبنى اسرائيل حين ملك والله لأعدلن فيكم ولم يستثن فابتلى وقال أبو بكر بن
محمد بن عمر الوراق كان سبب ذلك أن داود عليه السلام كان كثير العبادة فأعجب بعمله فقال
هل فى الارض أحد يعمل عملى فأتاه جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يقول أعجبت
بعبادتك والعجب يأكل العبادة فان أعجبت ثانيا وكلتك الى نفسك فقال داود يا رب كلنى الى
نفسى سنة فقال انها لكثير قال فشهرا فقال انه لكثير قال فاسبوعا فقال انه لكثير قال فيوما
قال انه لكثير قال فساعة قال فشأنك بها قال فوكل الحراس ولبس الصوف ودخل المحراب
ووضع الزبور بين يديه فبينما هو فى نسكه وعبادته اذ وقع الطائر بين يديه وكان من أمر المرأة
ما كان قالوا فلما دخل داود بامرأة أوريا لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله تعالى ملكين فى صورة
رجلين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهم الحراس أن يدخلا عليه فتسوروا
المحراب وهو يصلى فما شعر الا وهما بين يديه جالسان فذلك قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم
اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم حين هجما عليه فى محرابه بغير اذنه قالوا
لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط أى ولا تجر ولا تفرط واهدنا
الى سواء الصراط أرشدنا الى وسط الطريق المستقيم ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى
نعجة واحدة وهذا من أحسن التعريض حيث كنى بالنعاج عن النساء والعرب تفعل ذلك كثيرا
تورى عن النساء وتكنى عنها بالقاب كالظباء والنعاج والبقر وهو كثير فاش فى أشعارهم فقال
أكفلنيها وعزنى فى الخطاب قال الضحاك أعطنيها وتحول لى عنها واجعلها كفلى أى نصيبى
وعزنى فى الخطاب قال الضحاك يقول ان تكلم كان أفصح منى وان حارب كان أبطش منى
فقال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه قال السدى باسناده ان أحدهما لما قال ان هذا
أخى له تسع وتسعون نعجة قال داود للآخر ما تقول قال ان لى تسعا وتسعين نعجة وله نعجة واحدة
فأريد أن آخذها منه وأكمل نعاجى مائة قال وهو كاره قال نعم قال اذا لا ندعك وان رمت ذلك
ضربنا منك هذا وهذا يعنى طرف الانف وأصل الجبهة فقال الرجل يا داود وأنت أحق بضرب
هذا منى حيث كان لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأوريا الا امرأة واحدة فلم تعرضه للقتال
حتى قتل وتزوجت امرأته فهذا وجه الآية لان داود حكم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر
قالوا ثم ان داود نظر فلم ير أحدا فعرف ما قد وقع فيه فذلك قوله تعالى وظن داود انما فتناه اى
ابتليناه وقال سعيد بن جبير انما كانت فتنة داود بالنظر قال الاستاذ رحمه الله تعالى ولم يتعمد
داود عليه السلام النظر الى المرأة ولكنه أعاد النظر اليها فصارت عليه وبالا كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وعليك الاخيرة فهذه أقاويل السلف

الصالحين من أهل التفسير فى قصة داود عليه السلام وقد روى الحرث الاعور عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص معتقدا صحته جلدته حدين لعظيم ما ارتكب وجليل ما احتقب يعنى ما اكتسب من الوزر والاثم برمى من قد رفع الله محله وارسله من خلقه رحمة للعالمين وحجة للمجتهدين وقال القائلون بتنزيه المرسلين فى هذه القصة ان لاذنب انما كان تمنى أن تكون له امرأة أوريا حلالا وحدث نفسه بذلك فاتفق له غزوة فأرسل أوريا فقدمه امام الحرب فاستشهد فلما بلغه قتله لم يجزع عليه ولم يتوجع له كما كان يجزع على غيره من جنده اذا هلك ووافق قتله مراده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهى عظيمة عند الله وقال بعضهم كان ذنب داود أن اوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب فى غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا غما شديدا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها الاول وقد كان عنده تسع وتسعون امرأة ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يبيع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه ومما يصدق ما ذكرناه ما قيل عن المفسرين المتقدمين مما أخبرنا به عقيل بن محمد الفقيه المغافرى عن زكريا عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود عليه السلام حين نظر الى المرأة قطع على بنى اسرائيل بعثا وأوصى صاحب البعث اذا حضر العدو فقدم فلانا بين يدى التابوت وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يديه لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم الجيش عنه فقتل زوج المرأة ونزل الملكان ليقصان عليه قصته ففطن داود وسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا يبكى حتى نبت الزرع من دموعه حول رأسه وأكلت الارض جبينه وهو يقول فى سجوده زل داود وزلة هى أبعد مما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر له ذنبه جعلت ذنبه حديثا فى الخلائق من بعده فجاء جبريل عليه السلام بعد أربعين ليلة فقال يا داود ان الله قد غفر لك الهم الذى هممت به فقال داود قد علمت ان الله قادر على أن يغفر الهم الذى هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يحيف فكيف بفلان يعنى أوريا اذا جاء يوم القيامة فقال يارب دمى الذى عند داود قال جبريل ما سألت ربك عن ذلك ولئن شئت لأفعلن قال نعم فرجع جبريل عليه السلام وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم نزل فقال قد سألت الله يا داود عن الذى أرسلتنى فيه فقال الله تعالى قل له يا داود ان الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لى دمك الذى عند داود فيقول هو لك يارب فأقول ان لك فى الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا عن دمك أخبرنا ابن فضيو باسناده عن كعب الاحبار عن وهب بن منبه قالوا جميعا ان داود عليه السلام لما دخل عليه الملكان وقضى على نفسه تحولا فى صورتهما فعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود أنما افتتنه فخر ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة لابد منها أو صلاة مكتوبة ثم يعود فيسجد تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكى حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادى ربه تعالى ويسأله التوبة وكان يقول فى سجوده سبحان الملك الاعظم الذى يبتلى الخلائق بما يشاء سبحان خالق النور ۞ سبحان الحائل بين القلوب ۞ الهى خليت بينى وبين عدوى ابليس فلم أتنبه لفتنته اذ نزل بى قدمى سبحان خالق النور ۞ الهى تبكى الثكلى على ولدها اذا فقدته ويبكى داود على

خطيئته سبحان خالق النور * يغسل الثوب فيذهب درنه ووسخه والخطيئة لازمة لي لا تذهب عني سبحان خالق النور * الهي لم أتعظ بما وعظت به غيري سبحان خالق النور * الهي أمرتني أن أكون لليتيم كالاب الرحيم وللارملة كالزوج العطوف فنسيت عهدك سبحان خالق النور * الهي خلقتني وفي سابق علمك كان ما أنا صائر اليه سبحان خالق النور * الهي الويل لداود اذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور * الهي بأي عين أنظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور * الهي بأي قدم أقوم امامك يوم تزل أقدام الخاطئين يوم القيامة من سوء الحساب سبحان خالق النور * الهي مضت النجوم وكنت أعرفها بأسمائها فتونسني فتركتني والخطيئة لازمة لي سبحان خالق النور * الهي أمطرت السماء ولم تمطر حولي وأعشبت الارض ولم تعشب حولي بخطيئتي سبحان خالق النور * الهي أنا الذي لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور * الهي أنا الذي لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور * الهي كنت تستر الخاطئين بخطاياهم وأنت شاهد حيث كانوا سبحان خالق النور * الهي فرق القلب وجمدت العينان من مخافة الحريق على جسدي سبحان خالق النور * الهي الطير تسبح لك وأنا العبد الخاطئ الضعيف الذي لم أرع وصيتك سبحان خالق النور * الهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصاب ولا علم له بذلك سبحان خالق النور * الهي أنا المستغيث وأنت المغيث فمن يدعو المغيث الا المستغيث سبحان خالق النور * الهي اسألك بابي ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب أن تعطيني سؤلي سبحان خالق النور * اللهم برحمتك اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواني فانك أرحم الراحمين سبحان خالق النور * الهي اني أعوذ بك من دعوة لا تستجاب وصلاة لا تقبل وذنب لا يغفر وعذاب لا يفتر سبحان خالق النور * الهي اني أعوذ بك وبنور وجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني سبحان خالق النور * الهي فررت اليك من ذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم يبعثون سبحان خالق النور * الهي فرغ الحنين وفرغت الدموع وتناثر الدود من ركبتي وخطيئتي ألزم لي من جلدي سبحان خالق النور * قالوا فاتاه النداء أجائع أنت فتطعم أو ظمآن أنت فتسقى أو مظلوم أنت فتنصر ولم يجبه في ذكر خطيئته بشئ فصاح صيحة فهاج منها ما حوله ثم نادى يارب الذنب الذي أصبته فنودي ياداود ارفع رأسك فقد غفرت لك فلم يرفع رأسه حتى أتاه جبريل عليه السلام فرفعه (قال وهب بن منبه) ان داود عليه السلام أتاه نداء اني قد غفرت لك فقال يارب كيف وأنت لا تظلم أحدا فقال اذهب الى قبر أوريا فناده وأنا أسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود عليه السلام حتى أتى قبره وقد لبس المسوح فجلس عند قبره ثم ناداه ياأوريا فقال لبيك من هذا الذي قطع علي لذتي وأيقظني قال أنا داود قال ماجاء بك يانبي الله قال جئت أتحلل مما كان مني اليك قال وما كان منك الي قال عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة وأنت في حل فأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ألم تعلم أني حكم عدل لا أقضي الا بالحق الا أعلمته انك تزوجت امرأته قال فانطلق داود اليه فناداه ياأوريا فأجابه فقال من هذا الذي قطع علي لذتي قال أنا داود قال يانبي الله ما جاء بك أليس قد عفوت عنك قال نعم لكن أنا ما فعلت بك ذلك الا لمكان امرأتك واني قد تزوجتها قال

فسكت أورياء ولم يجبه فدعاه فلم يجبه فقام عند قبره وحثا التراب على رأسه ثم نادى الويل ثم الويل لداود سبحان خالق النور * الويل لداود ثم الويل الطويل لداود سبحان خالق النور * الويل لداود ثم الويل الطويل له اذا نصبت الموازين القسط ليوم القيامة سبحان خالق النور * الويل لداود ثم الويل الدائم له حين يؤخذ برقبته ثم يدفع الى المظلوم سبحان خالق النور * الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور * الويل لداود ثم الويل الطويل له حين تقربه الزبانية مع الظالمين الى النار سبحان خالق النور * قال فأتاه النداء من السماء يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك وزنيت لطول مكانك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يارب كيف لى أن تعفو عنى وصاحبى لم يعف عنى قال يا داود وان يعف أو لم يعف فانا أعطيه يوم القيامة مالم تر عيناه ولم تسمع أذناه فأقول له قد رضيت عبدى فيقول يارب من أين هذا ولم يبلغه عملى فأقول هذا عوض من أجل عبدى داود فأستوهبك منه فيهبك لى فقال داود يارب الآن قد عرفت أنك قد غفرت لى فذلك قوله عز وجل فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب (وروى ابو معشر) عن محمد ابن كعب ومحمد بن قيس قالا فى قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ان أول من يشرب الكأس يوم القيامة داود عليه السلام (أخبرنا) أبو الحسين بن محمد حدثنا محمد بن على أخبرنا بكر بن احمد بن مقبل أخبرنا عمر بن محمد الشرقى قال النصر الكعبى قال حدثنا أبو سعيد عبد الله المزنى قال حدثنا محمد بن المنكدر عن محمد بن عبد الرحمن بن عوف حدثنى أبو سعيد الخدرى قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله انى رأيت الليلة فى منامى كأنى تحت شجرة والشجرة تقرأ سورة ص فلما بلغت الشجرة الى السجدة سجدت فسمعتها تقول فى سجودها اللهم اكتب لى بها أجرا واحطط عنى بها وزرا وارزقنى بها شكرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أفسجدت أنت يا أبا سعيد قال قلت لا يارسول الله فقال أنت أحق بالسجدة من الشجرة ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ السجدة فسجد ثم قال مثل قول الشجرة (قال وهب بن منبه) ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا ترقأ له دمعة ليلا ولا نهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة وقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أقسام يعنى أربعة أيام فجعل يوما للقضاء بين الناس ويوما للنسائه ويوما يسيح فى الفيافى والجبال والقفار والسواحل ويوما يخلو فى داره وفيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح بعضهم على بعض ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافى فيرفع صوته كالمزامير ويبكى فيبكى معه الشجر والمدر والطير والوحش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجىء الى الجبال فيرفع صوته كالمزامير فيبكى وتبكى معه الجبال والحجارة والدواب والطير حتى تسيل الاودية من بكائهم ثم يجىء الى الساحل فيرفع صوته كالمزامير فيبكى وتبكى معه الحيتان ودواب البحر والطير والماء والسباع فاذا أمسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده (قال) فيدخل الدار التى فيها المحاريب فيبسط له ثلاث فرش من مسوح حشوها الليف ليجلس عليها وتجىء الرهبان أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وعليهم المسوح

وفى

وفى أيديهم العصى ثم يجلسون فى تلك المحاريب ثم يرفع صوته بالبكاء والنوح فيرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكى حتى يغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان عليه السلام فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفه ثم يمسح بها وجهه ويقول يارب اغفر لى ماترى فلو عدل بكاء داود ودموعه بكاء أهل الارض ودموعهم لعدلها (أخبرنا) ابن فنجويه عن عثمان بن أبى عاتكة انه قال كان من دعاء داود عليه السلام سبحانك الهى اذا ذكرت خطيئتى ضاقت على الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الى روحى الهى أتيت أطباء عبادك ليداوونى فكلهم عليك دلونى وقال صلى الله عليه وسلم خد الدمع فى وجه داود مثل خد الماء فى الارض (أخبرنا) ابن فنجويه عن الحسن بن عبد الله القرشى قال لما أصاب داود الخطيئة فزع الى العباد فاتى راهبا فى قلة جبل فناداه بصوت عال فلم يجبه فلما أكثر عليه الصوت قال الراهب من هذا الذى ينادينى قال أنا داود نبى الله قال صاحب القصور الحسنة الحصينة والخيول المسومة والنساء والشهوات لئن نلت الجنة بهذا لانت أنت قال داود فمن أنت قال أنا راهب راغب منزو مترقب قال فمن أنيسك ومن جليسك قال اصعد تراه ان كنت تريد ذلك قال فتطلل داود الجبل ورقى الى القلة فاذا هو بميت مسجى فقال له هذا أنيسك هذا جليسك قال نعم قال وما هذا قال تلك قصته مكتوبة فى لوح من نحاس عند رأسه فقرأ داود الكتاب فاذا فيه أنا فلان بن فلان ملك الملوك عشت ألف عام وبنيت ألف قصر وألف مدينة وهزمت ألف عسكر وتزوجت ألف امرأة وافتضضت ألف بكر فبينما أنا فى ملكى اذ أتانى ملك الموت فأخذنى وأخرجنى مما كنت فيه فهذا التراب فراشى والدود جيرانى قال فخر داود عليه السلام مغشيا عليه * وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يعودون داود عليه السلام فيظنون أنه مريض ومابه الا الحياء والخوف من الله تعالى (قال وهب بن منبه) لما تاب الله على داود كان يبدأ اذا دعا فيستغفر للخاطئين قبل نفسه فيقول اللهم اغفر للخاطئين فعسالك أن تغفر لداود معهم (وعن قتادة) عن الحسن قال كان داود بعد الخطيئة لايجالس الا الخاطئين ثم يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا وهو ممزوج بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس فى قصعته ولا يزال يبكى حتى يبتل بدموعه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين قال وكان داود عليه السلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله (وقال وهب) ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه قال يارب اغفرت لى قال نعم قال فكيف لى ان لا أنسى خطيئتى فأستغفر منها الى وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله خطيئته فى يده اليمنى فمارفع بها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا فى الناس الا بسط راحته فاستقبل الناس ليروا وسم الخطيئة (وأخبرنا) عبد الله بن حامد عن ثابت قال كان داود عليه السلام اذا ذكر عقاب الله تعالى تخلعت أوصاله ولا يشدها الا الانين فاذا ذكر رحمة الله تعالى تراجعت (وعن أبى عبد الله البجلى) قال مارفع داود بعد الخطيئة رأسه الى السماء قط حتى مات صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

(باب فى ذكر خروج ابن داود على أبيه وما كان من أمرهما)

قال وهب وغيره من أهل الكتاب ان داود عليه السلام لم يزل قائما بالملك بعد طالوت الى ان كان من أمره وأمر امرأة أوريا ما كان فلما واقع الخطيئة واشتغل بالتوبة منها استخفت به بنو اسرائيل واستضعفوه واجتمع أهل الزيغ من بني اسرائيل وذهبوا الى ابن لداود من ابنة طالوت يقال له شالون وقيل ايشا وقالوا له قد كبر أبوك واشتغل بخطيئته وتوبته وضاعت حقوق الناس وضعف أمر الملك فلم يزالوا به حتى بايعوه وخلعوا داود وعدلوا عنه ودعا هذا الابن الى نفسه فلما رأى ذلك داود خرج من بين أظهرهم مع ابن أخ له يقال له ثواب وتوغل في الجبال فأشار قومه على ابنه أن يقتل أباه فلما بلغ ذلك داود أرسل اليه رفيقه وقال له قل له هل سمعت بابن قتل أباه فقال له الابن وهل سمعت أنت بنبي أذنب فلم تقبل توبته فقال له الرسول ان كان الله تعالى قد أذن لك في هلاكه فلا تباشره أنت فانه لا يجعل في الآخرة حدوثه منك فقبل منه ذلك فكف عن قتل أبيه داود وبقي ابنه ملكا سنتين فلما تاب الله على داود صارت الناس تائبه لحارب ابنه فهزمه ووجه في طلبه قائدا من قواده وأوصاه ان يتوقى حتفه ويتلطف في أسره فطلبه القائد وهو منهزم فاضطره الى شجرة فربض بها وكان الغلام ذا جمة فتعلق بغصن من أغصانها بشعره فحبسه ولحقه القائد فقتله مخالفا لامر داود عليه السلام فحزن عليه داود حزنا شديدا وتنكر للقائد وكان له بأس شديد في ملاقاة العدو فكره داود أن يقتله فتركه لاجل مجاهدة العدو فلما حضر داود الموت أوصى ولده سليمان عليهما السلام بقتل القائد فقتله حين فرغ من دفن أبيه وكانت مدة داود من يوم خرج من ملكه وانقطع عنه الوحي الى أن قبل الله توبته ورد عليه ملكه ورجع الى قومه سنتين

(باب في قصة أصحاب السبت)

قال الله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت الآية (قال ابن عباس) ووهب بن منبه ان قوما من بني اسرائيل سكنوا قرية على شاطئ البحر بين مصر ومدين يقال لها ايلة حرم الله عليهم صيد الحيتان وسائر العمل يوم السبت وأمرهم أن يتفرغوا لعبادته ذلك اليوم وذلك في زمان داود عليه السلام فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هنالك ويخرجن من الماء خراطيمهن حتى لا يرى الماء من كثرتهن حتى اذا مضى السبت تفرقن ولزمن مقر البحر لا يرى منهن الا القليل فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم الآية (سمعت أبا القاسم) قال سمعت أبي يقول سئل الحسن بن الفضيل هل تجد في كتاب الله الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جزافا قال نعم في قصة داود عليه السلام وأهل ايلة اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم قال فعمد رجال منهم فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا اليها من الانهار فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج بالحيتان الى الحياض فلا تطيق الخروج منها لبعد عمقها وقلة الماء فاذا كان يوم الاحد أخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون الحبال والشصوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد قال وكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كثيرا وفي غير يوم السبت لا يأتيهم حوت واحد فأخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا ثم ربطه الى خشبة في الساحل ثم تركه في الماء الى يوم الاحد فأخذه فشواه فوجد جاره ريح الحوت فقال له

يافلان انى أجد فى بيتك ريح الحوت فأنكره فاطلع الجار فى تنوره فاذا هو فى بيته فقال له انى أرى الله سيعذبك فلما رأى العذاب لم يأخذه أخذ فى السبت الآخر حوتين فلما رأوا العذاب لا ينزل عليهم أخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا فأثروا وكثرت أموالهم ولم تنزل عليهم عقوبة فقست قلوبهم وتجبروا وتجرؤا على الذنب وقالوا ما نرى السبت الا قد أحل لنا وانما حرم ذلك على آبائنا لانهم قتلوا أنبياءهم فلما فعلوا ذلك صار أهل تلك القرية وكانوا نحوا من سبعين ألفا ثلاثة أصناف صنف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه وصنف انتهكوا الحرمة فكان الذين نهوا اثنى عشر ألفا فلما أبى المجرمون قبول النصيحة قال الناهون والممسكون والله لنخرجن من القرية ولا نساكنكم فى قرية واحدة ثم قسموا القرية بينهم بجدار ومكثوا على ذلك سنين فلعنهم الله على لسان داود عليه السلام وغضب عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم والمجرمون لم يفتحوا بابهم ولا خرج منهم أحد فلما أبطؤا تسوروا عليهم الحائط فاذا هم جميعهم قد مسخوا قردة فذلك قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس أى شديد بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين أى صاغرين نظيره قوله تعالى لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود يعنى عصاة أهل أيلة وعيسى بن مريم يعنى كفار أصحاب المائدة ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون قالوا فلما دخلوا عليهم ورأوا أنهم قد مسخوا عرفت القردة أنسباءهم من الانس ولم تعرف الانس أنسباءهم من القردة فجعل القرد يأتى نسيبه من الانس فيشم ثيابه ويبكى فيقول له الرجل ألم ننهكم فيقول القرد برأسه نعم قال قتادة صارت الشباب قردة والشيوخ خنازير فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم ثم خرج الممسوخون من المدينة وهاموا على وجوههم متحيرين ومكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا وكذلك لم يبق قوم مسخوا أكثر من ثلاثة أيام ولم يتوالدوا ولم يتناسلوا ثم بعث الله عليهم ريحا ومطرا فقذفهم فى البحر فاذا كان يوم القيامة أعادهم الله تعالى الى صورهم البشرية فيدخلهم النار (وروى) أبو نصر عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أهلك الله قوما ولا قرنا ولا أمة بعذاب من السماء بعد ما أنزل الله التوراة على وجه الارض غير أهل القرية التى كانت حاضرة البحر الذين مسخوا قردة ألم تسمع قول الله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى الآية

(باب فى قصة داود وسليمان عليهما السلام فى الحرث)

قال الله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين (قال ابن عباس) وقتادة كان الحرث زرعا وقال ابن مسعود وشريح كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا فأفسدته والنفش بالليل والهمل بالنهار وهما جميعا الرعى بلا راع وكنا لحكمهم شاهدين لا يخفى علينا منه شئ قال ابن عباس وقتادة ان رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال صاحب الزرع ان هذا انفلتت غنمه ليلا فوقعت فى حرثى فلم تبق منه شيأ قال له داود اذهب فان الغنم لك فأعطاه رقاب الغنم بالحرث فمرا على سليمان فقال لهما كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان

لو وابت أمر كما قضيت بغيره هذا فأخبر ابذلك داود فدعاه فقال له كيف كنت تصنع في القضاء بينهما قال كنت أدفع الغنم الى صاحب الحرث سنة فيكون له نسلها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لاهل الحرث مثل حرثهم فاذا كان العام المقبل وصار الحرث كهيئته يوم أكل فيه دفع الى أهله ويأخذ صاحب الغنم غنمه (وقال) ابن مسعود وشريح ان راعيا نزل ذات ليلة بجنب كرم فدخلت الاغنام الكرم وهو لا يشعر فأكلت القضبان وأفسدت الكرم فصار صاحب الكرم من الغد الى داود فقضى بالاغنام لصاحب الكرم لأنه لم يكن بين ثمن الاغنام وثمن الكرم تفاوت قال فمرا بسليمان وهو ابن احدى عشرة سنة فقال لهما ما قضى بينكما داود فقصا عليه القصة فقال سليمان غير هذا أرفق بالفريقين فعادا الى داود فاخبراه بذلك فدعا سليمان وقال له بحق النبوة والابوة الا أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الاغنام الى صاحب الكرم لينتفع بنسلها وصوفها ومنافعها ويعمل الراعي في اصلاح الكرم الى أن يعود كهيئته ثم يسلمه صاحبه وترد الاغنام الى صاحبها فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فذلك قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما قال الحسن كان الحكم ما قضى به سليمان ولم يعنف الله داود في حكمه قال الاستاذ وهذا يدل على أن كل مجتهد مصيب

(باب في قصة استخلاف داود ابنه سليمان عليهما السلام وذكر بدء أمر الخاتم)

قال أبو هريرة رضي الله عنه أنزل الله تعالى كتابا من السماء على داود عليه السلام مختوما بخاتم من ذهب فيه ثلاث عشرة مسئلة فاوحى الله تعالى اليه ان سل عنها ابنك سليمان فان هو أخرجها فهو الخليفة من بعدك قال فدعا داود عليه السلام سبعين قسا وسبعين حبرا وأجلس سليمان بين أيديهم وقال يا بني ان الله تعالى أنزل علي كتابا من السماء فيه مسائل وأمرني أن أسألك عنها فان أخرجتها فانت الخليفة من بعدي فقال سليمان ليسأل نبي الله عما بدا له وما توفيقي الا بالله قال داود يا بني ما أقرب الاشياء وما أبعدها وما آنس الاشياء وما أوحشها وما أحسن الاشياء وما أقبحها وما أقل الاشياء وما أكثرها وما القائمان وما الساعيان وما المشتركان وما المتباغضان وما الامر الذي اذا ركبه الرجل حمد آخره وما الامر الذي اذا ركبه الرجل ذم آخره فقال سليمان عليه السلام أما أقرب الاشياء فالآخرة وأما أبعد الاشياء فما فاتك من الدنيا وأما آنس الاشياء فجسد فيه روح وأما أوحش الاشياء فجسد لا روح فيه وأما أحسن الاشياء فالايمان بعد الكفر وأما أقبح الاشياء فالكفر بعد الايمان وأما أقل الاشياء فاليقين وأما أكثر الاشياء فالشك وأما القائمان فالسماء والارض وأما الساعيان فالشمس والقمر وأما المشتركان فالليل والنهار وأما المتباغضان فالموت والحياة وأما الامر الذي اذا ركبه الرجل حمد آخره فالحلم عند الغضب وأما الامر الذي اذا ركبه الرجل ذم آخره فالحدة عند الغضب (قال) ففكوا الخاتم فاذا جواب المسائل سواء على ما نزل من السماء فقال القسيسون والرهبان لا نرضى حتى نسأله عن مسئلة فان أخرجها فهو الخليفة من بعدك فقال سليمان عليه السلام سلوني وما توفيقي الا بالله فقالوا له ما الشيء الذي اذا صلح صلح كل شيء من الانسان واذا فسد فسد كل شيء من الانسان فقال هو القلب فقام داود فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال ان الله تعالى يأمرني أن أستخلف عليكم سليمان قال فضجت بنو اسرائيل وقالوا غلام حدث

يستخلف علينا وفينا من هو أفضل منه وأعلم فبلغ ذلك داود عليه السلام فدعا رؤساء أسباط بنى اسرائيل وقال لهم انه قد بلغنى مقالتكم فأرونى عصيكم فأى عصاة أثمرت فان صاحبها ولى هذا الامر بعدى قالوا قد رضينا فجاؤا بعصيهم فقال لهم داود ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه فكتبوا ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثم أدخلت بيتا وأغلق عليها الباب وسدّ بالاقفال وحرسه رؤس أسباط بنى اسرائيل فلما أصبح صلى بهم الغداة ثم أقبل ففتح الباب فأخرج عصيهم كما هى واما عصا سليمان فقد أورقت وأثمرت قال فسلموا الامر فى ذلك لداود عليه السلام فلما رأى ذلك داود حمد الله وحمل سليمان خلفه ثم سار به فى بنى اسرائيل فقال ان هذا خليفتى عليكم من بعدى (قال وهب بن منبه) لما استخلف داود ابنه سليمان عليهما السلام وعظه فقال يابنى اياك والهزل فان نفعه قليل ويهيج العداوة بين الاخوان واياك والغضب فان الغضب يستخف بصاحبه وعليك بتقوى الله وطاعته فانهما يغلبان كل شئ واياك وكثرة الغيرة على أهلك من غير شئ فان ذلك يورث سوء الظن بالناس وان كانوا برآء واقطع طمعك عن الناس فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر واياك ومايعتذر منه من القول والفعل وعود نفسك ولسانك الصدق والزم الاحسان فان استطعت أن يكون يومك خيرا من أمسك فافعل وصل صلاة مودع ولا تجالس السفهاء ولا ترد على عالم ولا تماره فى الدين واذا غضبت فالصق نفسك بالارض وتحول من مكانك وارج رحمة الله فانها وسعت كل شئ * قالوا ثم ان سليمان بعد ان استخلف أخفى أمره وتزوج بامرأة واستتر عن الناس وأقبل على العلم والعبادة ثم ان امرأته قالت له ذات يوم بأبى أنت وأمى ما أكمل خصالك وأطيب رائحتك ولا أعلم لك خصلة أكرهها الا انك فى مؤنة أبى فلو دخلت السوق فتعرضت لرزق الله لرجوت أن لا يخيبك الله فقال سليمان انى ما عملت عملا قط ولا أحسنه ثم انه دخل السوق صبيحة يومه ذلك فلم يقدر على شئ فرجع فاخبرها فقالت غدا يكون ان شاء الله فلما كان اليوم الثانى مضى حتى انتهى الى ساحل البحر فاذا هو بصياد فقال له هل لك أن أعينك وتعطينى شيأ قال نعم فاعانه فلما فرغ أعطاه الصياد سمكتين فاخذهما وحمد الله تعالى ثم انه شق بطن احداهما فاذا هو بخاتم فى بطنها فاخذه وصره فى ثوبه وحمد الله عز وجل وأخذ السمكتين وجاء بهما الى منزله ففرحت امرأته بذلك فاخرج الخاتم ولبسه فى اصبعه فعكفت عليه الطير والريح ووقع عليه بهاء الملك ثم لم يلبث أبوه ان مات فلما مات حمل المرأة وأباها الى اصطخر والله أعلم

(باب فى ذكر وفاة داود عليه السلام)

(قال الشيخ أبو يزيد) سمعت الشيخ أبا عمرو الفارابى يروى ان داود عليه السلام كانت له وصيفة تغلق الابواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح ثم تنام ويقبل داود على ورده فى العبادة فاغلقت ذات ليلة الابواب وجاءت بالمفاتيح ثم ذهبت لتنام فرأت رجلا قائما فى وسط الدار فقالت له ما أدخلك هذه الدار فان صاحبها رجل غيور فخذ حذرك فقال لها أنا الذى أدخل الدور على الملوك بغير اذنهم قال فلما سمع داود ذلك وكان فى المحراب واقفا يصلى فزع واضطرب وقال لها على به فأتاه فقال له داود ما أدخلك هذه الدار فى هذا الوقت بغير اذن فقال له أنا الذى أدخل الدور على الملوك بغير اذن فقال له اذا فانت ملك الموت قال نعم قال أفجئت داعيا أم ناعيا فقال بل ناعيا فقال

داود عليه السلام فهلا أرسلت الى قبل ذلك وآذنتنى لاستعد للموت فقال كم أرسلت اليك فلم تنتبه قال ومن كانت رسلك التى أرسلت الى فقال يا داود أين أبوك ايشا وأين أمك أين أخوك أين جارك أين فهار ومتمك أين فلان وفلان فقال ماتوا كلهم فقال أما علمت انهم رسلى اليك وان النوبة تبلغك (قال) الاستاذ رضى الله عنه وفى هذا المعنى قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لايزال المرء ينعى أخاه حتى يكونه وقد يرجو الرجاء فيحول الموت دونه وقد نظمه بعض الشعراء فقال

واذا حملت الى القبور جنازة * فاعلم بأنك بعدها محمول

واذا وليت أمور قوم مدة * فاعلم بأنك عنهم معزول

وقال أهل التاريخ كان عمر داود عليه السلام مائة سنة وكانت مدة ملكه أربعين سنة وقد مضى فى قصة آدم وما وهب لداود من عمره عليهما السلام

(مجلس فى قصة سليمان عليه السلام وما يتعلق به)

قال الله تعالى وورث سليمان داود يعنى نبوته وحكمته وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ابنا (وقال مقاتل) كان سليمان عليه السلام أعظم ملكا من أبيه داود وأقضى منه وكان داود عليه السلام أشد تعبدا من ابنه سليمان وكان سليمان حين آتاه الله الملك والحكمة ابن ثلاث عشرة سنة وكان ملكه ما بين الشام الى اصطخر وقيل انه ملك الارض كلها (وروى) مجاهد عن ابن عباس قال ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنان فسليمان عليه السلام وذو القرنين وأما الكافران فالنمروذ بن كنعان وبختنصر

(باب فى صفة حليته عليه السلام)

(قال وهب بن منبه وكعب الاحبار) كان سليمان أبيض جسيما وضيئا جميلا كثير الشعر يلبس من الثياب البياض وكان خاشعا متواضعا يخالط المساكين ويجالسهم ويقول مسكين جالس مسكينا وكان أبوه فى أيام ملكه يشاوره فى كثير من أموره مع صغر سنه ووفور عقله وعلمه صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم

(باب فيما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه من أنواع المناقب والمواهب وغير ذلك)

قال الله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقال تعالى اخبارا عنه رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك أنت الوهاب فأجاب الله دعاءه وأكرمه بخصائص لم يكرم بها أحدا من خلقه قبله ولا بعده فمنها تسخير الله له الريح كما قال عز وجل فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب أى أراد بلغة حمير (قال محمد بن اسحق) وغيره من أصحاب الاخبار كان سليمان عليه السلام رجلا غزاء لا يكاد يقعد عن الغزو وكان لا يسمع بملك فى ناحية من الارض الا أتاه حتى يذله ويقهره وكان اذا أراد الغزو أمر بعسكره فيضرب له خشب ثم ينصب له على الخشب سرير ثم يحمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها حتى اذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت تلك الخشب

فحملتها حتى اذا استقلتها أمر الرخاء فرت به شهرا فى غدونه وشهرا فى روحته الى حيث أراد كما قال تعالى ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر (وقال ابن اسحق) ذكر لى أن رجلا نزل منزلا من ناحية الدجلة فوجد فيه كتابا مكتوبا كتبه بعض أصحاب سليمان اما من الجن أو من الانس نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون ان شاء الله تعالى فبائتون الشام قال وكان فيما بلغنى تمر بعسكره الريح الرخاء تهوى به الى حيث أراد وانها لتمر بالمزرعة فلا تحركها (وأخبرنا) الحسن بن محمد بن فنجويه باسناده عن وهب بن منبه عن أبيه قال ان سليمان عليه السلام ركب الريح يوما فمرت بحراث فنظر اليها الحراث وقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فحملت الريح كلامه وألقته فى أذن سليمان عليه السلام فنزل حتى أتى الحراث وقال له انى سمعت قولك وانما نزلت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ان تسبيحة واحدة يقبلها الله منك خير مما أوتى آل داود فقال له الحراث أذهب الله همك كما أذهبت همى * وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطا فرسخا فى فرسخ ذهبا فى ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب فى وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسى من الذهب والفضة فيقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلهم الطير بأجنحتها لئلا تقع عليهم الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومسيرة شهر من الرواح الى الصباح (أخبرنا) ابن فنجويه باسناده عن محمد بن كعب القرظى قال بلغنى أن عسكر سليمان عليه السلام كان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون منها للجن وخمسة وعشرون منها للوحوش وخمسة وعشرون منها للطير وكان له ألف بيت من القوارير على الخشب فيها ثلثمائة سرية وسبعمائة امرأة فيأمر الريح العاصفة فتحمله ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك انه لا يتكلم أحد من الخلائق بشئ الا جاءت الريح به اليك فأخبرتك به ومنها أنه علمه الله له كلام الطير حتى النمل كما قال تعالى يا أيها الناس علمنا منطق الطير الآية (قال ابن فنجويه) باسناده عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا فقال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة عند سليمان فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول استغفروا الله يا مذنبين فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله قال وصاح الطيطوا فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كل حى ميت وكل جديد بال قال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربى الاعلى ملء سمائه وملء أرضه وصاح قمرى فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان الحى الذى لا يموت أبدا وصاح غراب فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يلعن العشارين والحدأة تقول كل شئ هالك الا وجهه والقطا تقول من سكت

سلم والعنقاء تقول ويل لمن الدنيا همه والبازى يقول سبحان ربى الاعلى وبحمده والضفدع يقول سبحان ربى القدوس والعصفور يقول سبحان المذكور بكل مكان (وأخبرنا ابن ميمون) باسناده عن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى وباسناده عن صالح المرى عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الديك اذا صاح يقول اذكروا الله يا غافلين وروى عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن على عليهم السلام انه قال اذا صاح النسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت فان آخرك الموت واذا صاح العقاب قال فى البعد عن الناس أنس واذا صاح القنبر قال اللهم العن مبغضى آل محمد واذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين ويمد الضالين كما يمدها القارئ (وقال فرقد السنجى) مر سليمان ببلبل فوق شجرة وهو يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ورسوله أعلم قال انه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا (وأخبرنا) أبو عبد الله بن حامد باسناده عن ابن مسعود عن أبيه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفرة فمررنا بشجرة فيها فرخا حمامة فأخذناهما فجاءت الحمامة وشكت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم من فجع هذه الحمامة بفرخيها فقلنا نحن فقال ردوهما الى موضعهما (وروى) أن قنبرة باضت فى طريق سليمان عليه السلام فقال الذكر للانثى ألم أنهك ان تبيضى فى طريق سليمان الملك لو ركب البنا لحطم بيضنا فقالت الانثى ويحك ان نبى الله أرحم بنا من ذلك فسمع سليمان قولهما فبعث اليهما جنيا حين أراد ان يركب وقال اجعل بيضها تحت رجليك واياك أن تصيبها بشئ فلما مر سليمان فى موكبه وجاوزها قالت الانثى ألم أقل لك ان نبى الله أرحم بنا من ذلك فقال الذكر للانثى عندى للملك هدية قالت وما عندك قال عندى جرادة ادخرتها الولدى فقالت الانثى عندى تمرة ادخرتها لولدى قال فأخذا التمرة والجرادة ثم طارا حتى وقفا بين يدى سليمان وهو على سريره فى مجلسه فوضعاهما بين يديه وسجدا له فدعا لهما ومسح بيده على رؤسهما فيروى ان هذه القشرة التى على راس القنبر من مسح سليمان عليه السلام اياهما قال ومر سليمان بموكبه على نملة فقالت النملة سبحان الله العظيم ما أعظم ما أوتى آل داود فتبسم سليمان من قولها وفسر قولها لجنوده ثم قال الا أنبئكم بخبر هو أعجب من هذه النملة قالوا بلى قال تقول اتقوا الله فى السر والعلانية والقصد فى الغنى والفقر والعدل فى الغضب والرضا (وروى) أن سليمان عليه السلام خرج يوما يستسقى ومعه الانس والجن فمر بنملة عرجاء ناشرة جناحيها رافعة يديها وهى تقول اللهم انا خلق من خلقك لا غنى لنا عن رزقك فلا تؤاخذنا بذنوب بنى آدم واسقنا فقال سليمان لمن معه ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم (وحكى) أن نملة دبت على سليمان فحملها ورمى بها فوقعت النملة فقالت ما هذه الصولة وما هذا البطش اما علمت انى أمة من أمة عبده فغشى على سليمان فلما أفاق قال ائتونى بها فأتوه بها فسألها فقالت له جلدى رقيق وبدنى ضعيف وأخذتنى ورميتنى فقال لها سليمان اجعلينى فى حل فانى لم أقصد ذلك فقالت بشرط أن لا تنظر الى الدنيا بعين الشهوة ولا تستغرق فى شهواتك وضحكك ولا يستعين أحد بجاهك الا بذلته له قال قد فعلت ذلك قالت فأنت فى حل (ومنها قصة وادى النمل) قال الله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون أى يحبس أولهم على آخرهم حتى اذا أتوا

على وادى النمل الآية قال الشعبى وكعب وغيرهما من أهل الكتب ان سليمان عليه السلام كان اذا ركب حمل أهله وحشمه وخدمه وكتابه فى مركبه الذى هيئ له وقد اتخذ فيه مطابخ ومخابز يحمل فيها تنانير الحديد وقدورا عظاما يسع كل قدر عشرة من الجزر وقد اتخذ ميادين للدواب أمامه فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وتجرى الدواب بين يديه بين السماء والارض والريح تهوى بهم فسار من اصطخر الى اليمن وتوغل فى البادية فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبى يبعث فى آخر الزمان طوبى لمن آمن به واتبعه ثم أتى أرض الحرم فرأى حول البيت أصناما تعبد من دون الله فجاوز البيت فلما جاوزه سليمان بكى البيت فأوحى الله تعالى الى البيت ما يبكيك فقال يارب هذا نبى من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا على فلم يهبطوا بى ولم يصلوا عندى ولم يذكروك بحضرتى وهذه الاصنام تعبد حولى من دونك قال فأوحى الله تعالى اليه لاتبك فانى سوف أملؤك وجوها سجدا الى وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك فى آخر الزمان نبيا هو أحب الانبياء الى وأجعل فيك عبادا من خلقى يعبدوننى وأفرض على عبادى فريضة يزفون بها اليك زفا مثل زفيف النسور الى أوكارها ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الاوثان وعبدة الشيطان ثم امر الله سليمان عليه السلام أن ينزل عليه ويصلى فيه ويقرب عنده قربانا ففعل ذلك قال فذبح عند الكعبة خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن حضر من أشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبى عربى ويعطى النصر على جميع من ناواه ويكون السيف على رقبة من خالفه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده سواء لاتأخذه فى الله لومة لائم فطوبى لمن أدركه وصدقه قالوا فكم بيننا وبين خروجه يانبى الله قال قريب من ألف عام (قال) ثم ان سليمان مضى حتى أتى على وادى السدير واد من الطائف فأتى على وادى النمل فقامت نملة تمشى وكانت عرجاء تتكاوس وكانت مثل الذئب العظيم وقال الشعبى كانت ذات جناحين واختلفوا فى اسمها فأخبرنى ابن ميمونة باسناده عن الضحاك قال كان اسم نملة سليمان طاخية وقيل حزمى فنادت لما رأت سليمان فى موكبه ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون وكان لايتكلم خلق الا حملته الريح وألقته فى مسامع سليمان قال مقاتل فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى الآية وفى بعض الاخبار أن سليمان لما سمع قولها نزل عليها وقال ائتونى بها فأتوه بها فقال لها لم حذرت النمل هل سمعتم انى ظالم اما علمتم انى نبى عدل فلم قلت لايحطمنكم سليمان وجنوده قالت النملة يانبى الله أما سمعت قولى وهم لايشعرون مع انى ما أردت حطم النفوس وانما أردت حطم القلوب خشيت أن يتمنين ما أعطيت فيفتتن ويشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح فقال لها عظينى فقالت له النملة هل علمت لم سمى أبوك داود قال لا قالت لانه داوى جراحة قلبه ثم قالت وهل تدرى لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سليم ركنت الى ما أوتيت بسلامة صدرك وحق لك أن تلحق بأبيك داود ثم قالت أتدرى لم سخر الله تعالى لك الريح قال لا قالت ليخبرك أن الدنيا كلها ريح فتبسم ضاحكا من قولها متعجبا وقال رب أوزعنى ان أشكر نعمتك التى

أنعمت على وعلى والدى الآية (أخبرنى) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أربعة من الدواب الهدهد والصرد والنحلة والنملة (ومنها قصة العنقاء فى اثبات القضاء والقدر) أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد باسناده عن محمد بن جعفر الصادق قال عاتب سليمان الطير فى بعض عتابه فقال لها انك تأتين كذا وتفعلين كذا فقالت والله رب السماء والثرى انا لنحرص على الهدى ولكن قضاء الله يأتى الى منتهى علمه وقدره قال صدقت لا حيلة فى القضاء فقالت العنقاء لست أومن بهذا فقال لها سليمان الا اخبرك بأعجب العجب قالت بلى قال انه ولد الليلة غلام بالمغرب وجارية بالمشرق هذا ولد ملك كبير وهذه ابنة ملك والجارية والولد يجتمعان فى أمنع المواضع بقدرة الله تعالى وأهولها على سفاح فى جزيرة فى وسط البحر فقالت العنقاء يا نبى الله أوقد ولد هذان المولدان المذكوران قال نعم الليلة قالت فهل أخبرت بمن هما ومن هما وما اسمهما واسم أبيهما قال بلى اسمهما كذا وكذا واسم أبيهما كذا وكذا فقالت العنقاء يا نبى الله أنا أبطل القدر وأفرق بينهما فقال لها سليمان انك لا تقدرين على ذلك قالت بلى فأشهد سليمان عليها الطير وكفلتها البومة فمرت العنقاء وكانت فى كبر الجمل عظما ووجهها وجه انسان ويداها يدا انسان وثدياها ثديا امرأة وأصابعها كذلك فحملت فى الهواء حتى أشرفت على الدنيا فأبصرت كل دار وما فيها وكل انسان وأبصرت الجارية وهى فى مهدها وقد اجلسوها فاختلست الجارية من المهد وطارت بها حتى انتهت الى جبل شاهق فى السماء فى جوف البحر ووسط جزيرة وفى الجزيرة شجرة عالية لا ينالها طائر الا بجهد طيرانه ولها أغصان عظيمة تزيد على ألف غصن كل غصن كأعظم ما يكون من شجر الارض كثيرة الورق فاتخذت لها وكرا فى وسط الشجر عجيبا واسعا مضيا وطيا وأرضعتها وحضنت الجارية تحت جناحها وصارت تأتيها بانواع الطعام والشراب وتحفظها من البرد والحر وتؤنسها بالليل ولا تخبر أحدا بشأنها كى يتم أمرها وهى تغدو الى سليمان وتروح الى وكرها فعلم سليمان بذلك ولم يبده لها فبلغ الغلام مبلغ الرجال وصار ملكا من ملوك الدنيا وكان يلهو بالصيد ويحبه ويطلبه فصار لا يقر ليلا ولا نهارا وكان أبوه ملكا عظيما فلما رأى الملك ولده لاهيا بالصيد لم يزجره عنه حتى نال منه منالا طويلا وأمرا عظيما فقال يوما لاصحابه كل صيد البر وفلواته ومفازاته قد نلت منه فلو ركبت البحر فأنال من صيده فانه كثير الصيد وكثير العجائب فقال له المشيرون من وزرائه نعم ما رأيت وهو أكثر شئ من خلق الله صيدا وعجائب فأمر الغلمان بتجهيز ما يحتاجون اليه وهيأ السفن وجعل يأخذ من كل شئ يملكه وأخذ من الوزراء والندماء والمشيرين والغلمان والجوارى والطباخين والخبازين والدواب والبزاة والصقور وكلاب الماء وجميع ما يحتاجون اليه مما يريده ويشتهيه من الملاهى وركب السفن ومر فى البحر كذلك يتصيد ويتلذذ بالفرح ولا يعرف شيأ غير ذلك حتى سار مسيرة شهر فأرسل الله على سفينته ريحا خفيفة فضربتها وساقتها حتى قربت من جزيرة العنقاء والجارية وهى مسيرة خمسين سنة فى منتهى خمسين ليلة كل ليلة مسيرة سنة ثم ركدت سفينته باذن الله تعالى وأصبح الغلام فرأى سفينته راكدة فأخرج رأسه منها ناحية ونظر فاذا هو بجبل شاهق فى وسط جزيرة فى البحر فى لون الزعفران طويلة

لايدرى

لايدرى أين منتهاها ولا عرضها واذاهو بشجرة خضراء فى رأس الجبل ملتفة كثيرة الاغصان والاوراق ورقها فى عرض آذان الفيلة تفوح بريح الاقحوان ليس لها ثمر بيضاء الساق فقال لاصحابه انى أرى عجبا أرى جبلا شاهقا فى وسط جزيرة لم أر مثله ولا مثل طوله ولا عرضه وأرى شجرة فيها كل حسن قد أعجبنى منظرها ثم انه حرك سفينته وجاء بها الى الجزيرة التى فيها الجبل وأرساها عندها وقال لاصحابه أقيموا ههنا حتى أمضى وأبصر هذه الجزيرة وهذا الجبل الذى فى وسطها هل فيها عمارة أو أثر آدمى فى تلك الجزيرة وآتيكم بخبرها ثم انه نزل من السفينة هو ورفقته وداروا فى الجزيرة فلم يروا فيها أثر عمارة ولا عبر بها آدمى قبله ثم انه صعد الى رأس الجبل فرأى أصل الشجرة وكانت الجارية قد نظرت الى السفينة وهى جارية فلم تعرف ماهى لانها أخذت صغيرة ولم تدر ما السفن فبقيت متعجبة وليس عندها أحد تسأله عن ذلك فبينما هى متفكرة فى أمر السفينة اذ احس حديث الآدميين فأخرجت رأسها من الوكر فنظرت يمينا وشمالا فلم تر أحدا فنظرت الى أصل الشجرة فاذا بالغلام ورفقته فتعجبت منهم لما رأت من حسنهم وجمالهم وكيف وصلوا الى ذلك الموضع وان الغلام لما بلغ أصل الشجرة نظر يمينا وشمالا وبقى متعجبا من عظم تلك الشجرة ورفعها فى السماء وصار ينظر الى أغصانها وكانت الجارية قد أخرجت رأسها لتنظر الى السفينة فحانت منها التفاتة الى أصل الشجرة فوقعت عينها فى عين الغلام فرأى الغلام صورتها ورأى عجبا من عظم جمالها وكثرة شعرها وذوائبها فقال لها الغلام بلسان فصيح أجنية أنت ام انسية قالت لا والله أنا من خيار الانس فمن أنت فأفهمها الغلام فقالت لا أدرى ما تقول وما أنت الا انى أرى وجهك كوجهى وكلامك ككلامى وانى لا أعرف شيأ غير العنقاء وهى أمى التى ربتنى وحضنتنى وهى تأتينى كل ليلة وتضمنى تحتها فقال لها الغلام وأين العنقاء فقالت هى فى نوبتها فقال الغلام وما نوبتها قالت تغدو كل يوم الى ملكها سليمان فتسلم عليه وتقيم عنده الى الليل ثم تجيئنى وتحدثنى بكل ما يحكم به سليمان وانه لملك عظيم على ما تصفه لى أمى العنقاء من ملكه وانها تخبرنى انه أحسن الناس وجها وأتم خلقا منى قال فارتعد الغلام ثم قال عرفته وهو الذى قتل أبى وسبى دولته وانى لمن طلقائه وممن يؤدى اليه الخراج وقد سخر الله له الطير والرياح ثم بكى الغلام ساعة فقالت له الجارية ما يبكيك قال على وحدتك فى مثل هذا الموضع الذى لا انس فيه ولا أحد وان مثلك فى الدنيا عند الشجر والمدر وكلهم فى مقاصير الذهب والفضة والعيش الهنى والرغد واللذة الحسنة مع الازواج يتعانقون ويتنعمون ويتوالدون الاولاد مثل خلقك وخلقى أرأيت ان هاجت الريح فأزعجتك من وكرك من يمنعك ان تقعى فى البحر وان وقعت فى البحر فمن ذا الذى يخرجك قال ففزعت الجارية من قوله قالت وكيف لى أن يكون معى انسى مثلك يحدثنى بمثل حديثك ويحفظنى مما ذكرت فقال لها الغلام أولا تعلمين ان الله اتخذ سليمان نبيا وسخر له الريح والطير هو الذى رحلك وساقنى اليك لا كون لك الفا وصاحبا وأنيسا وانى لمن أولاد الملوك فقالت له الجارية وكيف تصير الى وأصير اليك وان العنقاء هذه تروح وتجىء وتحضننى الى صدرها بين جناحيها فقال لها الغلام تكثرين جزعك ووحشتك وبكاءك على العنقاء الملك هذه فاذا جاءت اليك وقالت لك ما تحبين وما تريدين وما شأنك فأخبريها بوحدتك فى نهارك

ثم انظري ما يكون من ردها عليك فاخبريني بذلك ففعلت وان العنقاء رجعت اليها فوجدتها
باكية حزينة فقالت لها يا بنية مالك فقالت لها الوحدة والوحشة قتلتني واني لمزعجة على نفسي
من ذلك فقالت لها يا بنية لا تخافي ولا تحزني فاني أستأمر سليمان عليه السلام أن آتيه يوما
ويوما لا آتيه فيكون ذلك أنسا لك فلما أصبحت أخبرت الغلام بجوابها فقال لها أو تصبرين على
ذلك لا ولكني سأنحر من دوابي هذه فرسا وأبقر بطنه وأخرج ما فيه وأطيبه بطيب معي وأدخل
أنا في جوفه وألقيه على رأس سفينتي هذه فاذا جاءتك العنقاء تقولين لها أرى عجبا أرى خلقة
ملقاة على كوثل هذه السفينة فلو اختطفتيها وحملتيها الي فكانت معي في وكري فأنظر اليها
وآنس بها كان أحب الي من كونك عندي نهارا وامساكك عن أخبار سليمان وأخبار
المسلمين فلما رجعت العنقاء وجدتها على حالتها وكان سليمان قد شغل عنها فلم تصل اليه في
استئذانها اياه في المقام يوما والغدو يوما فقالت لها يا بنية ان نبي الله قد اشتغل عني اليوم بالحكم
بين الآدميين فلم أصل اليه قالت لها اني لا أريد أن تتخلفي عني نهارا المكان أخبار سليمان وأخبار
المسلمين واني أرى عجبا في البحر أرى شيئا مر تفعا فما هو وقالت لها العنقاء هذه سفينة قوم سيارة
راكبين في البحر قالت فما الذي أراه ملقى على رأس هذه السفينة قالت دابة ميتة ألقوها
قالت فاحمليها الي لاستأنس بها وأنظر اليها فانقضت العنقاء فاختطفت الفرس وكان
الغلام في بطنها فحملتها الى عشها فقالت الجارية يا أماه ما أحسنه وضحكت ففرحت العنقاء
بذلك وقالت يا بنية لو علمت لكنت أتيتك بمثل هذا منذ حين ثم انها طارت الى نوبتها عند سليمان
فخرج الغلام من بطن الفرس فلاعبها ولامسها وافتضها وأحبلها من ساعتها وفرح كل
واحد منها بصاحبه واستأنس به وكان سليمان عليه السلام قد جاءه الخبر باجتماعهما من قبل
الريح وان العنقاء راحت وكان مجلس سليمان يومئذ مجلس الطير وحكمهم فجلس سليمان
عليه السلام للطير في مرتبته ودعا بعرفاء الطير وأمرها ان لا تدع طيرا الا حشرته اليه فحشرت
اليه جميع الطيور ثم أمر عرفاء الجن ان يحشروا قبائل الجن من سكان البحار وسكان الجزائر
والهواء والمغارات والفلوات والامصار فحشروا اليه وأمر الشياطين فاحضرت كذلك
وكذلك الانس كهيئتهم ثم كل دابة تدب على وجه الارض فاشتد الخوف وقالوا في أنفسهم
نشهد بالله ان نبي الله قد أهمه أمر عظيم فاول سهم قد خرج في تقديم الطير سهم الحدأة وكانت
الطير لا تتقدم الا بالسهام وكذلك الجن والشياطين فتقدمت الحدأة تدعي على زوجها وكان
قد جحدها ولدها فقالت يا نبي الله انه سفدني حتى اذا احتضنت بيضي وأخرجت ولدي جحدنيه
فقال سليمان للذكر ما تقول فقال يا نبي الله انها لا تمتنع من الطير وهي تحوم البراري
فلا أدري هل هو مني أو من غيري قال فأمر سليمان بولدها فجيء به فوجد الشبه واحدا
فألحقه بالذكر ثم قال لها لا تمكنيه من السفاد حتى تشهدي عليه بذلك الطير بالصراخ فانه
لا يجحدك بعدها أبدا الى يوم القيامة فهي اذا سفدها ذكرها صاحت وقالت يا طيور سفدني
اشهدوا معاشر الطيور اشهدوا ثم خرج سهم العنقاء فتقدمت اليه فقال لها سليمان ما قولك
في القدر فقالت يا نبي الله لي من القوة والاستطاعة ما أدفع الشر وآتي بالخير فقال لها سليمان
فأين الشرط الذي كان بيني وبينك زعمت انك تفرقين بقوتك واستطاعتك بين الجارية

والغلام فقالت قد فعلت قال سليمان الله أكبر فاتينى بها الساعة والخلق شهود لاعلم صدق قولك ثم أمر عريف الطير أن يكون معها لا يفارقها حتى تأتى بها فرت العنقاء حتى قربت من الجارية وكانت الجارية اذا قربت منها العنقاء تسمع حفيف أجنحتها فيبادر الغلام ويدخل جوف الفرس فلما رأتها البنت قالت لها كالفزعة انك شأنا اذ رجعت من ساعتك قالت لها اى لعمرى ان لى شأنا هذا سليمان قد أمر باحضارك الساعة لامر كان بينى وبينه فى أمرك وانى لارجو نصرتى اليوم فيك قالت لها كيف تحملينى قالت على ظهرى قالت وهل أستقر على ظهرك وانى أرى أهوال البحر فلا آمن أن أزل فأسقط وأهلك قالت فى منقارى قالت فكيف أصبر فى منقارك قالت لها فكيف أصنع ولابد لى من احضارك عند سليمان وهذا عريف الطير معى وقد عاب كفيلتى البومة فقالت لها أدخل فى جوف هذا الفرس ثم ترفعينه على ظهرك أو فى منقارك فلا أرى شيأ ولا أسقط ولا أفزع من شئ قالت أصبت قال فدخلت جوف الفرس واجتمعت مع الغلام وحملت العنقاء الفرس فى منقارها وطارت حتى وضعت الفرس بين يدى سليمان عليه السلام فقالت يا نبى الله هى الآن فى جوف الفرس فأين الغلام فتبسم سليمان طويلا ثم قال لها أتؤمنين بقضاء الله وقدره وانه لاحيلة لاحد فى دفع قضائه وقدره وعلمه السابق الكائن من خير وشر فقالت أومن بالله وأقول ان المشيئة الى العباد والقوة فمن شاء فليفعل خيرا أو شرا قال سليمان كذبت ما جعل الله من المشيئة للعباد شيأ ولكن من شاء الله أن يكون سعيدا كان سعيدا ومن شاء أن يكون كافرا كان كافرا ولا يقدر أحد أن يدفع قضاء الله وقدره بحيلة لا بفعل ولا بعلم وان الغلام الذى قد ولد بالمغرب مع الجارية التى ولدت بالمشرق قد اجتمعا الآن فى مكان واحد على سفاح وقد حملت الجارية من الغلام بولد فقالت العنقاء لا تقل يا نبى الله هذا فان الجارية معى فى جوف هذا الفرس فقال سليمان الله أكبر أين البومة المتكفلة بالعنقاء قالت ها أنا يا نبى الله قال سليمان أنت على مثل قول العنقاء قالت نعم فقال سليمان قدر الله السابق قبل الخلق أخرجهما على قضائه ومشيئته قال فأمر البومة ففتحت جوف الفرس وأخرجتهما جميعا من جوف الفرس فأما العنقاء ففزعت وذهبت وطارت فى السماء فأخذت نحو المغرب واختفت فى بحر من بحاره وآمنت بالقدر وحلفت لا تنظر فى وجه طير أبدا استحياء منه وأما البومة فانها لزمت الآجام والجبال وقالت أما بالنهار فلا خروج لى ولا سبيل الى المعاش فهى اذا خرجت نهارا وبختها الطير واجتمعت عليها وقالت لها يا قدرية فهى تخضع لهذا وهذا ما كان من شأن العنقاء والبومة فى القضاء والقدر والله أعلم بالغيب (ومنها) تخصيص الله تعالى سليمان عليه السلام بالخيل الجياد العراب التى أخرجها له من البحر فى قول أكثر أهل الاثر قال الله تعالى اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد والصافنات الخيل القائمات على ثلاث قوائم وقد أقامت الاخرى على طرف الحافر من يد أو رجل والجياد السراع قال الحسن بلغنى انها كانت خيلا خرجت من البحر لها أجنحة وقال الكلبى غزا سليمان أهل نصيبين فأصاب منهم ألف فرس وقال مقاتل ورث سليمان من أبيه داود ألف فرس وكان أبوه أصابها من العمالقة قالوا فصلى سليمان صلاة الظهر وقعد على كرسيه فعرض عليه منها تسعمائة فاشتغل بحسنها وكثرتها والاعجاب بها حتى غابت الشمس

ثم انظرى ما يكون من ردّها عليك فاخبريني بذلك ففعلت وان العنقاء رجعت اليها فوجدتها
باكية حزينة فقالت لها يا بنية مالك فقالت لها الوحدة والوحشة قتلتني وانى لمنزعجة على نفسى
من ذلك فقالت لها يا بنيـة لا تخافى ولا تحزنى فانى أستأمر سليمان عليه السـلام أن آتيه يوما
ويوما لا آتيه فيكون ذلك أنسا لك فلما أصبحت أخبرت الغلام بجوابها فقال لها أو تصبرين على
ذلك لا ولكنى سأنحر من دوابى هذه فرسا وأبقر بطنه وأخرج ما فيه وأطيبه بطيب معى وأدخل
أنا فى جوفه وألقيه على رأس سفينتى هذه فاذا جاءتك العنقاء تقولين لها أرى عجبا أرى خلقة
ملقاة على كوثل هـذه السفينة فلو اختطفتيها وحملتيها الىّ فكانت معى فى وكرى فأنظر اليها
وآنس بها كان أحب الىّ من كونك عنـدى نهارا وامساكك عن أخبار سليمان وأخبار
المسلمين فلما رجعت العنقاء وجـدتها على حالتها وكان سليمان قد شـغل عنها فلم تصـل اليه فى
استئذانها اياه فى المقام يوما والغدو يوما فقالت لها يا بنية ان نبى الله قد اشتغل عنى اليوم بالحكم
بين الآدميين فلم أصل اليه قالت لها انى لا أريد أن تتخلى منه نهارا المكان أخبار سليمان وأخبار
المسلمين وانى أرى عجبا فى البحر أرى شيا مرتفعا فما هو قالت لها العنقاء هذه سفينة قوم سيارة
راكبين فى البحر قالت فما الذى أراه ملقى على رأس هـذه السفينة قالت دابة ميتـة ألقوها
قالت فاحمليها الىّ لاستأنس بها وأنظر اليها فانقضت العنقاء فاختطفت الفرس وكان
الغلام فى بطنها فحملتها الى عشها فقالت الجارية يا أماه ما أحسنه وضحكت ففرحت العنقاء
بذلك وقالت يا بنية لو علمت لكنت أتيتك بمثل هذا منذ حين ثم انها طارت الى نوبتها عند سليمان
فخرج الغـلام من بطن الفرس فلاعبها ولامسها وافتضها وأحبلها من ساعتها وفرح كل
واحد منهما بصاحبه واستأنس به وكان سليمان عليه السلام قد جاءه الخبر باجتماعهما من قبـل
الريح وان العنقاء راحت وكان مجلس سليمان يومئـذ مجلس الطير وحكمهم فجلس سليمان
عليه السلام للطير فى مرتبته ودعا بعرفاء الطير وأمرها ان لا تدع طيرا الا حشرته اليه فحشرت
اليه جميع الطيور ثم أمر عرفاء الجن ان يحشروا قبائل الجن من سكان البحار وسكان الجزائر
والهواء والمغارات والفلوات والامصار فحشروا اليـه وأمر الشياطين فاحضرت كذلك
وكذلك الانس كهيئتهم ثم كل دابة تدب عـلى وجـه الارض فاشتد الخوف وقالوا فى أنفسهم
نشهد بالله ان نبى الله قد أهمه أمر عظيم فأول سهم قد خرج فى تقـديم الطير سهم الحدأة وكانت
الطير لا تتقـدم الا بالسهام وكذلك الجن والشياطين فتقدمت الحدأة تدعى على زوجها وكان
قد جحد ولدها فقالت يا نبى الله انه سفدنى حتى اذا احتضنت بيضى وأخرجت ولدى جحدنيه
فقال سليمان للذكـر ما تقول فقال يا نبى الله انها لا تمتنع من الطـير وهى تحوم البرارى
فلا أدرى هل هو منى أو من غيرى قال فأمر سليمان بولدها فجىء به فوجـد الشبه واحـدا
فألحقـه بالذكر ثم قال لها لا تمكنيه من السفاد حتى تشهدى عليه بذلك الطـير بالصراخ فانه
لا يجحدك بعدها أبدا الى يوم القيامة فهى اذا سفدها ذكرها صاحت وقالت يا طيور سفدنى
اشهدوا يا معاشر الطيور اشهدوا ثم خرج سهم العنقاء فتقدمت اليـه فقال لها سليمان ما قولك
فى القدر فقالت يا نبى الله لى من القوة والاسـتطاعة ما أدفع الشر وآتى بالخير فقال لها سليمان
فأين الشرط الذى كان بينى وبينـك زعمت انك تفرقين بقوتك واستطاعتك بين الجارية

والغلام

والغلام فقالت قد فعلت قال سليمان الله أكبر فاتينى بها الساعة والخلق شهود لاعلم صدق قولك ثم أمر عريف الطير أن يكون معها لا يفارقها حتى تأتى بها فمرت العنقاء حتى قربت من الجارية وكانت الجارية اذا قربت منها العنقاء تسمع حفيف أجنحتها فيبادر الغلام ويدخل جوف الفرس فلما رأتها البنت قالت لها كالفزعة ان لك شأنا اذ رجعت من ساعتك قالت لها اى لعمرى ان لى شأنا هذا سليمان قد أمر باحضارك الساعة لامر كان بينى وبينه فى أمرك وانى لارجو نصرتى اليوم فيك قالت لها كيف تحملينى قالت على ظهرى قالت وهل أستقر على ظهرك وانى أرى أهوال البحر فلا آمن أن أزل فأسقط وأهلك قالت فى منقارى قالت فكيف أصبر فى منقارك قالت لها فكيف أصنع ولا بد لى من احضارك عند سليمان وهذا عريف الطير معى وقد دعا بكفيلتى البومة فقالت لها أدخل فى جوف هذا الفرس ثم ترفعينه على ظهرك أو فى منقارك فلا أرى شيأ ولا أسقط ولا أفزع من شئ قالت أصبت قال فدخلت جوف الفرس واجتمعت مع الغلام وحملت العنقاء الفرس فى منقارها وطارت حتى وضعت الفرس بين يدى سليمان عليه السلام فقالت يا نبى الله هى الآن فى جوف الفرس فأين الغلام فتبسم سليمان طويلا ثم قال لها أتؤمنين بقضاء الله وقدره وانه لا حيلة لاحد فى دفع قضائه وقدره وعلمه السابق الكائن من خير وشر فقالت أومن بالله وأقول ان المشيئة الى العباد والقوة فمن شاء فليفعل خيرا أو شرا قال سليمان كذبت ما جعل الله من المشيئة للعباد شيأ ولكن من شاء الله أن يكون سعيدا كان سعيدا ومن شاء أن يكون كافرا كان كافرا ولا يقدر أحد أن يدفع قضاء الله وقدره بحيلة لا بفعل ولا بعلم وان الغلام الذى قد ولد بالمغرب مع الجارية التى ولدت بالمشرق قد اجتمعا الآن فى مكان واحد على سفاح وقد حملت الجارية من الغلام بولد فقالت العنقاء لا تقل يا نبى الله هذا فان الجارية معى فى جوف هذا الفرس فقال سليمان الله أكبر أين البومة المتكفلة بالعنقاء قالت ها أنا يا نبى الله قال سليمان أنت على مثل قول العنقاء قالت نعم فقال سليمان قدر الله السابق قبل الخلق أخرجهما على قضائه ومشيئته قال فأمر البومة ففتحت جوف الفرس وأخرجتهما جميعا من جوف الفرس فأما العنقاء ففزعت وذهبت وطارت فى السماء فأخذت نحو المغرب واختفت فى بحر من بحاره وآمنت بالقدر وحلفت لا تنظر فى وجه طير أبدا استحياء منه وأما البومة فانها لزمت الآجام والجبال وقالت أما بالنهار فلا خروج لى ولا سبيل الى المعاش فهى اذا خرجت نهارا وبختها الطير واجتمعت عليها وقالت لها يا قدرية فهى تخضع لهذا وهذا ما كان من شأن العنقاء والبومة فى القضاء والقدر والله أعلم بالغيب (ومنها) تخصيص الله تعالى سليمان عليه السلام بالخيل الجياد العراب التى أخرجها له من البحر فى قول أكثر أهل الاثر قال الله تعالى اذ عرض عليه بالعشى "الصافنات الجياد" والصافنات الخيل القائمات على ثلاث قوائم وقد أقامت الاخرى على طرف الحافر من يد أو رجل والجياد السراع قال الحسن بلغنى انها كانت خيلا خرجت من البحر لها أجنحة وقال الكلبى غزا سليمان أهل نصيبين فأصاب منهم ألف فرس وقال مقاتل ورث سليمان من أبيه داود ألف فرس وكان أبوه أصابها من العمالقة قالوا فصلى سليمان صلاة الظهر وقعد على كرسيه فعرض عليه منها تسعمائة فاشتغل بحسنها وكثرتها والاعجاب بها حتى غابت الشمس

وفاتته صلاة العصر ولم يعلمه أحد بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردّوها عليّ فردوها فعرقبها وعقرها بالسيف وقربها الى الله تعالى وبقي منها مائة فرس فما في أيدي الناس من الخيل العراب فهي من نسل تلك المائة (وقال كعب) كانت الافراس أربعة عشر فأمر بضرب أعناقها وسوقها بالسيف وقتلها فسلب الله ملكه أربعة عشر يوما لانه ظلم الخيل بقتلها قال الحسن فلما عقر الخيل لاجل الله تعالى أبدله الله تعالى مكانها خيرا منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره رخاء كيف يشاء غدوها شهر ورواحها شهر وكان يغدو من ايليا فيقيل في اصطخر ثم يروح منها فيبيت ببابل ويروى ان سليمان سار من أرض العراق غاديا فقال بمدينة مرو وصلى العصر بمدينة بلخ تحمله الريح وتظله الطير بظله وجنوده ثم سار من مدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزها الى أرض الصين ثم عطف بيمينه على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض الهند ثم خرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزهما حتى أتى أرض فارس فنزلها أياما ثم غدا منها فقال بكسكر ثم رجع الى الشام وكان مستقره مدينة تدمر وكان قد أمر الشياطين قبل خروجه من الشام الى العراق أن يبنوا له تدمر فبنوها بالصفائح والعمد والرخام الابيض والاصفر وفي ذلك يقول الشاعر

وإذ كر سليمان اذ قال المليك له * قم في البرية فاحددها عن الفند
وخيس الجيش انى قد أبحت لهم * بناء تدمر بالاحجار والعمد

قال ووجدت هذه الابيات منقورة في صخرة بأرض كسكر أنشأها بعض اصحاب سليمان بن داود عليهما السلام

ونحن ولا حول سوى حول ربنا * نروح الى الاوطان من أرض تدمر
اذا نحن رحنا كان أمر رواحنا * مسيرة شهر والغدو لآخر
اناس سروا والله طوع نفوسهم * لنصرة دين للنبي المطهر
لهم في معالي الدين فضل ورأفة * وان نسبوا يوما فمن خير معشر
متى ركبوا الريح المطيعة أسرعت * مبادرة عن شهرها لم تقصر
تظلهم طير صفوفا عليهم * متى رفرفت من فوقهم لم تفتر

(رجعنا الى القصة) وقال قوم من العلماء معنى قوله تعالى فطفق مسحا بالسوق والاعناق حبسها في سبيل الله وكوى اسوقها بميسم الصدقة وقال الزهري مسح سوقها وأعناقها من الغبار قال وهي رواية الواقدي عن ابن عباس قال قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثم ان الله أمر الملائكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان وصلى العصر في وقتها (حدثنا) أبو عبد الله عقيل الانصاري باسناده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الله تعالى أن يخلق الخيل قال للريح الجنوب اني خالق منك خلقا فاجعله عزا لاوليائي ومذلة لاعدائي وجمالا لاهل طاعتي فقالت الريح الهي وسيدي ومولاي الى مطيعة فقبض منها قبضة فخلق فرسا وقال له خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بناصيتك والغنائم مجموعة على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح فانت للطلب وأنت للهرب وسأجعل على ظهرك رجالا يسبحوني ويحمدوني ويكبروني فتسبحني اذا سبحوا وتهللني اذا هللوا

وتكبرني

وتكبرني اذا كبروا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من تسبيحة وتحميدة وتمجيدة وتكبيرة يكبرها صاحبها فتسمعها الا تجيبه بمثلها قال فلما سمعت الملائكة صفتها ونظروا خلقتها قالوا ربنا نحن ملائكتك نسبحك ونحمدك فماذا لنا فخلق الله لهم خيلا بلقا أعناقها كأعناق البخت فلما أرسل الله الفرس الى الارض واستوت قدماه عليها صهل فقيل له بورکت من دابة اذل بصهيلك أذل الله المشركين وأذل بك أعناقهم وملأ بك آذانهم وارعب بك قلوبهم فلما عرض الله تعالى على آدم من كل شئ قال له اختر من خلقي ما شئت فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ما خلدوا وباقيا ما بقوا بركتي عليك وعليهم ما خلقت خلقا أحب الى منك ومنهم (ومنها) قوله تعالى وأسلنا له عين القطر أذبنا له عين النحاس أسيلت ثلاثة أيام كما يسيل الماء وكانت بأرض اليمن وانما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله لسليمان عليه السلام (ومنها) تسخير الله تعالى له الجن والانس والطير والوحش والشياطين يعملون له ما يشاء كما قال تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير وذلك أن الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقته فما عملت له الشياطين بأمره وأحدثوه له الحمامات والطواحين والقوارير والصابون أشياء كثيرة واحتفروا له نهر الملك وألقوا ترابه بين خانقين وقصر شيرين * ومما عملوا له الغياصة كما قال تعالى ومن الشياطين من يغوصون له الآية وقال تعالى والشياطين كل بناء وغواص وكانوا يغوصون في البحار ويستخرجون أنواع اللآلئ من الدر والمرجان وسائر الجواهر البحرية وكانوا يستخرجون له اليواقيت والزمرذ وأنواع الجواهر الثمينة من المعادن وهم أول من فعل ذلك

(حديث القبة)

قال وهب بن منبه بينما سليمان عليه السلام على ساحل البحر والريح من تحته والانس عن يمينه والجن عن شماله والطير تظله اذ نظر الى عظيم امواج البحر فدعته نفسه أن يعلم ما في قعر البحر فأمر الريح فسكنت من تحته ثم قعد على كرسي ملكه ثم دعا رأس الغواصين فقال له اختر لي من أصحابك مائة رجل فاختار له مائة فقال اختر لي من المائة ثلاثين فاختار له ثلاثين فقال اختر لي من الثلاثين عشرة فاختار له عشرة فقال اختر لي من العشرة ثلاثة فاختار له ثلاثة فقال لواحد منهم غص حتى تنظر الى قعر البحر وتأتيني بالخبر فقال له سمعا وطاعة لك يا نبي الله فغاص وأبعد ثم خرج فقال له سليمان ما الذي رأيت قال يا نبي الله ما رأيت الا أمواجا وحيتانا غير أني رأيت ملكا عظيما فقال لي أين تريد فقلت له ان نبي الله سليمان أرسلني أنظر له قعر هذا البحر فقال ارجع اليه فاقرأ عليه مني السلام وقل له ان قوما ركبوا هذا البحر منذ أربعين عاما فعاب عليهم مركبهم فخرجوا يصلحونه فسقط من أحدهم قدوم فهو يتجلجل في البحر ولم يبلغ قعره بعد فرجع اليه وأخبره بالخبر فتعجب نبي الله سليمان عليه السلام من ذلك واهاله ما كان قصد قال فبينما هو على شاطئ البحر اذ رأى قبة من زجاج تضربها الامواج في لجة البحر فعارضها وقال للغواصين غوصوا في أثرها فغاصوا فأخرجوها فلما وضعت القبة على ساحل

البحر انفتح لها بابان بمصراعين وخرج من القبة شاب عليه ثياب أبيض من اللبن وكان رأسه تقطر ماء فجاء حتى وقف بين يدى سليمان فقال له سليمان يافتى من الجن أنت أم من الانس قال بل من الانس قال فتعجب سليمان منه ومن زيه ثم قال له مابلغ بك ما أرى فقال يانبى الله كانت لى والدة وكنت من أبر الناس بها أطعمها وأسقيها بيدى ولا أترك شيأ من صنائع البر الا صنعته بها فلما حضرتها الوفاة سألتها أن تدعو لى فرفعت رأسها الى السماء وقالت يارب قد عرفت بر ولدى بى فارزقه العبادة فى موضع لا يكون لابليس وجنوده عليه سبيل ثم ماتت فدفنتها فخرجت يوما الى ساحل البحر فاذا أنا بهذه القبة فدعتنى نفسى أن أدخلها فلما دخلتها انطبقت على أبوابها وتزاخرت الامواج بها وكان هذا آخر عهدى يانبى الله فقال له سليمان فمن أين مطعمك ومشربك فقال يانبى الله اذا كان الليل جاءنى طائر أبيض فى منقاره شئ أبيض فيدفعه الى فآكله فهو يغنينى من الطعام والشراب فقال له سليمان فمن أين تعرف الليل والنهار وأنت فى ظلمة هذا البحر قال يانبى الله فى القبة خيطان خيط أبيض وخيط أسود فاذا رأيت الخيط الابيض زائدا علمت أنه النهار واذا رأيت الخيط الاسود زائدا علمت أنه الليل فقال له سليمان هل لك فى صحبتنا رغبة قال لا يانبى الله ان تشأ تأذن لى أن أعود الى قبتى فأذن له فانطلق ودخلها وانطبق عليه بابها وتزاخرت به الامواج فكان آخر العهد به (ومنها) قوله تعالى يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابى يقال انها الحياض كانت تسع الجفنة الواحدة طعام ألف رجل فيجتمعون عليها يأكلون بين يديه وقدور راسيات ثابتات لا تزول يسع القدر الواحد عشر جزر

(قصة مدينة سليمان عليه السلام التى كان يسافر بها فى الهواء)

ومما عملوا له مدينة من قوارير عشرة آلاف ذراع فى عشرة آلاف ذراع فيها ألف سقف ما بين كل سقفين عشرة أذرع فى كل سقف جميع ما يحتاج اليه من المساكن والقباب والمرافق أسفلها أغلظ من الحديد وأعلاها أرق من الماء يرى من داخلها ما وراء خارجها من صفائه ونقائه والشمس بالنهار والقمر بالليل وعلى السقف الاعلى قبة بيضاء عليها علم أبيض يستضىء به فى الليل الداجى العسكر كله يتلالأ شعاعه مد البصر وبها من الاركان ألف ركن على مناكب الشياطين تحت كل ركن منها عشرة من الشياطين تسع سليمان وجنوده وحشمه وأولياءه علوا وسفلا تحملها الريح الى حيث يشاء وكانت تلك المدينة له مستقرا يأكل ويشرب وينام ويتمتع بها وفى أسفلها مرابط واصطبلات وأوارى وأواخى لخيله ودوابه * ومما عملوا له كرسى ملكه

(صفة كرسى سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب روى أن نبى الله سليمان عليه السلام أمر الشياطين باتخاذ كرسى يقعد عليه للقضاء وأمر أن يعمل بديعا مهولا بحيث لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وبهت قال فعملوا له كرسيا من أنياب الفيلة وفصصوه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر وحفوه بأربع نخلات من الذهب شماريخها الياقوت الاحمر

والزمرد

والزمرذ الاخضر على رأس نخلتين منها طاوسان من ذهب وعلى رأس الاخريين نسران من ذهب بعضها مقابل بعض وجعلوا من جانب الكرسي أسدين من ذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرذ الاخضر وقد عقدوا على النخلات أشجار الكرم من الذهب الاحمر واتخذوا عناقيدها من الياقوت الاحمر بحيث يظل عريش الكروم والنخل الكرسي قالوا وكان سليمان اذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي ورجله فيها ويدور دوران الرحى المسرعة وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها ويبسط الاسدان أيديهما ويضربان الارض بأذنابهما وكذلك يفعل في كل درجة يصعدها سليمان فاذا استوى بأعلاها أخذ النسران اللذان على النخلتين المسك والعنبر ثم تتناول حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسي التوراة فتفتحها لسليمان فيقرؤها على الناس ويدعوهم الى فصل القضاء قال وتجلس عظماء بني اسرائيل على كراسي الذهب والفضة المفصصة بالجواهر وهي ألف كرسي على يمينه وتجيء عظماء الجن فيجلسون على كراسي الفضة عن يساره وهي ألف كرسي حافين به جميعا ثم تظلهم الطير وتتقدم الناس اليه للقضاء فاذا دعا بالبينات وتقدمت الشهود لاقامة الشهادات دار الكرسي بجميع ما فيه وما حوله دوران الرحى المسرعة قال معاوية لوهب بن منبه ما الذي كان يدير ذلك الكرسي قال بلبلان من ذهب وذلك الكرسي مما عمله له صخر الجني قالوا فاذا دار الكرسي بسط الاسدان أيديهما ويضربان الارض بأذنابهما وينشر النسران والطاوسان أجنحتهما فتفزع منه الشهود ويداخلهم من ذلك رعب شديد فلا يشهدون الا بالحق فهذا شأن كرسي سليمان عليه السلام وعجائب ما كان فيه فلما توفي سليمان عليه السلام بعث بختنصر فأخذ ذلك الكرسي وحمله الى انطاكية فأراد أن يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا بأحواله فلما وضع قدميه على الدرجة السفلى رفع الاسد يده اليمنى فضرب ساقه ضربة شديدة دقها وأدماه فحمل بختنصر فلم يزل يعرج ويتوجع منها حتى مات وبقي الكرسي بانطاكية حتى غزاهم ملك من الملوك يسمى كداش بن سداس فهزم خليفة بختنصر ورد الكرسي الى بيت المقدس فلم يستطع أحد من الملوك الجلوس عليه ولا الاستمتاع به فوضع تحت الصخرة فغاب ولم يعرف خبره ولا يدري أين هو والله أعلم

*(ومنها بيت المقدس * صفة بنيانه وبدء أمره)* قال الله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الآية وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قيل بالمياه والاشجار والثمار وقيل ان كل ماء عذب يخرج من تحت أصل الصخرة التي ببيت المقدس يهبط من السماء اليها ثم يتفرق في الارض وذلك قوله تعالى باركنا فيها للعالمين (وروى) خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة وتلك النخلة على نهر من أنهار الجنة على ذلك النهر آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران رضي الله عنهما ينظمان حلي أهل الجنة الى يوم القيامة وأما بدء بناء بيت المقدس وصفة بنائه على ما ذكره أهل البصيرة بالسير هو ان الله تعالى بارك في نسل ابراهيم حتى جعلهم في الكثرة غاية لا يحصون فلما كان زمان داود عليه السلام لبث فيهم مدة مديدة بأرض فلسطين وهم يزدادون كل يوم كثرة فأعجب داود بكثرتهم وأراد أن يعلم عدد بني اسرائيل

كم هم فأمر بعددهم وبعث بذلك عرفاء ونقباء وأمرهم أن يرفعوا اليه ما يبلغ من عددهم فكانوا يعدون زمانا من الدهر حتى عجزوا فبعث الله جبريل عليه السلام وأوحى اليه يا داود قد علمت انى وعدت أباك ابراهيم يوم أمرته بذبح ولده فصبر وأتم أمرى بأن أبارك له فى ذريته حتى يصيروا بعدد نجوم السماء واجعلهم بحيث لا يحصى عددهم فأردت أن تعلم عددهم انه لا يحصى عددهم غيرى وانى قد أقسمت لابتلينهم ببلية يقل منها عددهم ويذهب عنك اعجابك بهم وبكثرتهم فاختاروا اما أن أبتليكم بالجوع والقحط ثلاث سنين أو أسلط عليكم عدوكم ثلاثة أشهر أو الموت ثلاثة أيام فجمع داود بنى اسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله تعالى اليه وخيرهم فيه فقالوا له أنت أعلم بما هو أيسر لنا وأنت نبينا فانظر لنا غير ان الجوع لا صبر لنا عليه وتسليط العدو أمر فاضح فان كان لا بد فالموت لانه بيده لا بيد غيره فأمرهم داود أن يتجهزوا للموت فاغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الاكفان وبرزوا الى صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد بالذرارى والاهلين وأمرهم أن يضجوا الى الله تعالى ويتضرعوا اليه لعله أن يرحمهم فأرسل الله اليهم الطاعون فأهلك منهم فى يوم وليلة الوفا كثيرة لا يدرى عددهم ولم يفرغوا من دفنهم الا بعد ما تم بشهر فلما أصبحوا فى اليوم الثانى خر داود عليه السلام ساجدا لله تعالى يبتهل الى الله تعالى ويقول يارب انا آكل الخل الحامض وبنو اسرائيل يضرسون يعنى اذنبت وبنو اسرائيل يعاقبون فما كان من شئ فبى أنزله واعف عن بنى اسرائيل فاستجاب الله دعاءه وكشف عنهم الطاعون ورفع عنهم الموت فرأى داود عليه السلام الملائكة سالين سيوفهم فغمدوها وارتقوا فى سلم من ذهب فى صخرة بيت المقدس الى السماء فقال داود لبنى اسرائيل ان الله تعالى قد من عليكم ورحمكم فجددوا له شكرا قالوا فكيف تأمرنا قال آمركم أن تتخذوا فى هذا الصعيد الذى رحمكم الله فيه مسجدا لا يزال فيه منكم ومن بعدكم ذاكر لله تعالى فأخذ داود فى بنائه فلما أرادوا أن يبتدئوا بالبناء جاء رجل صالح فقير يختبرهم ليعلم كيف اخلاصهم فى بنائهم فقال لبنى اسرائيل ان لى فيه موضعا أنا محتاج اليه ولا يحل لكم ان تحجبونى عن حقى فقالوا يا هذا ما من أحد من بنى اسرائيل الا وله فى هذا الصعيد حق مثل حقك فلا تكن أبخل الناس ولا تضايقنا فيه فقال أنا أعرف حقى وأنتم لا تعرفون حقكم فقالوا له أما ترضى وتطيب نفسك والا أخذناه منك كرها فقال لهم أتجدون هذا فى حكم الله وحكم داود قال فرفع خبره الى داود عليه السلام فقال ارضوه فقالوا بكم نأخذه منه يا نبى الله قال خذوه بمائة شاة فقال الرجل زدنى يا نبى الله قال داود خذوه بمائة بقرة قال زدنى قال بمائة بعير قال زدنى يا نبى الله فانما تشتريه لله تعالى والله كريم لا يبخل فقال داود حيث قلت هذا فاحتكم أعطيكه قال تشتريه بحائط مثله زيتونا ونخلا وعنبا قال نعم فقال الرجل انت تشتريه لله تعالى فلا تبخل قال سل ما شئت قال أنت أكرم على الله منى ولكن ابن لى حوله جدارا مشمرا قائم تملؤه ذهبا وان شئت ورقا قال داود هذا هين فالتفت الرجل الى بنى اسرائيل وقال لهم هذا هو التائب المخلص ثم قال لداود يا نبى الله لان يغفر الله لى ذنبا واحدا أحب الى من كل شئ وهبت لى ولكنى كنت اختبرتكم فجدوا فى بناء بيت المقدس وكان ذلك فيما قيل لاحدى عشرة سنة مضت من ملك داود وكان داود ينقل الحجارة على ظهره وكذلك احبار بنى اسرائيل حتى رفعوه قامة وعجزوا فأوحى الله تعالى اليه ان

هذا

هذا بيت مقدس وانك رجل سفاك الدماء ولست تبانيه ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أسلمه من سفك الدماء وأقضى اتمامه على يديه ويكون صيته وذكره واجره لك باقيا فصلوا فيه زمانا الى ان توفى داود عليه السلام واستخلف سليمان فامره الله باتمام بيت المقدس فجمع سليمان الجن والانس والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل يصلح لها وأرسل الجن والشياطين فى تحصيل عمل الرخام والبلور الابيض الصافى من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثنى عشر ربضا لكل ربض منها سبط من الاسباط وكانوا اثنى عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ فى بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فريق منهم يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنه وفريق يغوصون فى البحر ويستخرجون أنواع الدر وفريق يقطعون أنواع الرخام وفريق يغوصون على الجواهر وفريق يأتون بالمسك والعنبر وأنواع الطيب من أماكنها فأتى بشئ من ذلك لا يحصيه الا الله تعالى ثم انه أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الحجارة وتنضيدها ألواحا واصلاح تلك الجواهر ونقشها فكانوا يعالجونها فتصوت صوتا شديدا لصلابتها فكره سليمان تلك الاصوات فدعا الجن وقال لهم هل عندكم حيلة فى نحت هذه الجواهر من غير تصويت فقالوا يا نبى الله ليس فى الجن أكثر تجاربا ولا أكثر علما من صخر العفريت فأرسل اليه من يأتيك به فطبع سليمان بخاتمه طابعا وكان يطبع للشياطين بالنحاس ولسائر الجن بالحديد وكان اذا طبع بخاتمه لمع ذلك كالبرق الخاطف فكان لا يراه أحد من جن ولا شيطان الا انقاد اليه باذن الله تعالى فارسل الطابع مع عشرة من الجن فأتوه به وهو فى بعض جزائر البحر فأروه الطابع فلما نظر اليه كاد أن يصعق خوفا فأقبل مسرعا مع الرسل حتى دخل على سليمان فسأل سليمان رسله عما أحدث العفريت فى طريقه فقالوا يا نبى الله انه كان يضحك فى بعض الاحايين من الناس فقال له سليمان ما رضيت بتمردك على وتركك المجىء الى طاعتى حتى صرت تسخر من الناس فقال يا نبى الله انى لست أسخر منهم غير أن ضحكى كان تعجبا مما كنت أسمع وأرى فى طريقى فقال له سليمان وماذاك قال مررت على شط نهر فوجدت رجلا ومعه بغلة يريد أن يسقيها وجرة يريد ان يستقى بها فسقى البغلة وملأ الجرة ثم أراد أن يقضى حاجته فشد البغلة باذن الجرة فنفرت البغلة وكسرت الجرة فضحكت من حمق الرجل حيث توهم ان الجرة تحبس البغلة ومررت أيضا برجل آخر وهو جالس عند اسكاف يستعمله فى اصلاح خف له فسمعته يشترط عليه أن يصلحه بحيث يبقى معه أربع سنين ونسى نزول ملك الموت اليه من قبله فضحكت من قلة عقله وجهله ومررت بعجوز تتكهن وتخبر الناس بما لا يعلمون من أمور السماء وقد كنت عهدت رجلا دفن فى موضع فراشها ذهبا كثيرا فى الدهور الخالية فرأيتها تموت جوعا وتحت رأسها ذهب كثير وهى لا تعلم بمكانه ثم تخبر الناس بأمر السماء فضحكت منها ومررت برجل فى بعض المدن وقد كان به داء فيما قبل فأكل البصل فبرئ من دائه فصار يطبب الناس وكان لا يأتيه أحد يسأله عن علة الا أمره بأكل البصل وانه لا أضر شئ حتى ان ضرره يصل الى الدماغ فضحكت منه ومررت فى بعض الاسواق فرأيت الثوم وهو أفضل الادوية يكال كيلا ورأيت الفلفل وهو من السموم القاتلة يوزن وزنا فضحكت ومررت بناس قد جلسوا يبتهلون الى الله ويسألونه الرحمة والمغفرة فقل منهم قوم فقاموا وجاء آخرون فجلسوا

فرأيت الرحمة قد نزلت عليهم واخطأت الذين كانوا من قبل وغشيت الذين جاؤا فضحكت تعجبا
للقضاء والقدر فقال له سليمان هل علمت من كثرة تجاربك وجولانك فى البحار شيأ ينحت لى هذه
الجواهر فتلين ويسهل نحتها وثقبها بلا صوت قال نعم يا نبى الله أعرف حجرا أبيض كاللبن يقال له
السامور غير انى لا أعرف معدنه الذى هو فيه وليس فى الطير شئ أحيل ولا أهدى من العقاب
فأمر بفراخه أن تجعل فى صندوق من تلك الجواهر فانه يأتى بذلك الحجر فيضرب به الصندوق
حتى يثقبه ليصل الى أولاده قال فأمر سليمان بفراخ العقاب أن تضم فى صندوق من حجر منها يوما
وليلة تحجب عن افراخه فر مسرعا وجاء بالحجر بعد يوم وليلة فثقب به الصندوق حتى وصل الى
افراخه فوجه سليمان مع العقاب نفرا من الجن حتى أتوه منه بقدر ما علم ان فيه الكفاية
واستعمل ذلك فى أدوات الصناع فسهل عليهم نحتها من غير صوت وهو حجر يستعمل فى نقش
الخواتيم وثقب الجواهر الى اليوم وهو ثمين عزيز قالوا فبنى سليمان المسجد بالرخام الابيض
والاصفر والاخضر وعمده من المها الصافى وسقفه بالواح الجواهر الثمينة وفصص سقفه
وحيطانه باللآلئ واليواقيت وأنواع الجواهر وبسط أرضه بالواح الفيروزج فلم يكن
يوجد يومئذ فى الارض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد وكان يضىء فى الليل كالقمر فى ليلة
البدر فلما فرغ منه جمع اليه أحبار بنى اسرائيل وأعلمهم أنه بناه لله تعالى وكل شئ منه خالص لله
تعالى واتخذ ذلك اليوم الذى فرغ منه عيدا لم يتخذ فى الارض قط أعظم عيدا من ذلك اليوم
ولا أطعمة أكثر منه فذبح فيه من الجزور ألف جزور ومن البقر خمسة وعشرين ألفا معلوفة
ومن الغنم أربعمائة ألف شاة قالوا ومن عجائب ما اتخذه سليمان بيت المقدس أنه بنى بيتا
وطين حائطه بالجص وصقله فكان اذا دخله البار استبان خياله فى ذلك الحائط أبيض واذا
دخله الفاجر استبان خياله فى ذلك الحائط أسود فارتدع من ذلك كثير من الناس عن الفجور
والخيانة ونصب فى زاوية من زوايا المسجد عصا أبنوس فكان من مسها من أولاد الانبياء لم
يضره مسها شئ ومن مسها من غيرهم احترقت يده فلما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس قرب
قربانا على الصخرة ثم قال اللهم أنت وهبت لى هذا الملك منا منك على وجعلتنى خليفتك على
أرضك وأكرمتنى به من قبل أن أكون شيأ فلك الحمد اللهم انى أسألك لمن دخل هذا المسجد
خصالا أن لا يدخله أحد يصلى فيه ركعتين مخلصا فيهما الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ولا
يدخله مذنب الا تبت عليه ولا خائف الا أمنته ولا سقيم الا شفيته ولا مجدب الا أخصبته
وأغنيته واذا اجبت دعوتى وأعطيتنى طلبتى فاجعل علامته أن تتقبل قربانى قال فنزلت نار
من السماء فسدت ما بين الخافقين ثم امتد منها عنق فاحتمل القربان وصعد به الى السماء وكان
بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام الى ان غزا بختنصر بنى اسرائيل فخرب بيت
المقدس وألقى فيه الجيف وكبسه بالتراب ونقل جميع ما فيه من الذهب والفضة والجواهر
والآنية الى أرض بابل وكان بيت المقدس خرابا الى ان بناه المسلمون فى زمن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه بامره والله أعلم

(باب فى قصة بلقيس ملكة سبا والهدهد وما يتصل به)

قال الله تعالى وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد ام كان من الغائبين الآية قالت العلماء

باخبار

باخبار القدماء ان نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى أرض الحرم فتجهز للمسير واصطحب معه من الناس والجن والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ عسكره مائة فرسخ وأمر الريح الرخاء فحملتهم فلما وافوا الحرم أقام به ماشاء الله أن يقيم وقرب القرابين وقضى المناسك وبشر أهله بخروج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرهم انه سيد الانبياء وخاتم النبيين وان ذلك مثبت فى زبورهم ثم أحب أن يسير الى أرض اليمن فخرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن يؤم نجم سهيل فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا بيضاء حسنة تزهر بخضرتها فأحب النزول بها ليصلى ويتغدى فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان الهدهد دليله على الماء وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى أحدكم كأسه بيده فينقر الارض فيعرف موضع الماء وعمقه ثم تجيء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الاهاب يستخرجون الماء قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا الحديث قال له نافع ابن الازرق كيف يبصر الماء من تحت الارض ولا يبصر الفخ اذا غطى له بقدر اصبع من تراب قال ويحك اذا جاء القدر عمى البصر وروى قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهاكم عن قتل الهدهد فانه كان دليل سليمان على الماء فطلب سليمان الهدهد فلم يجده فتوعده ثم ان الهدهد لما جاء قال وجئتك من سبا بنبا يقين انى وجدت امرأة تملكهم الآية وذلك انه لما نزل سليمان قال الهدهد فى نفسه ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع الى نحو السماء ونظر الى طول الدنيا وعرضها ونظر يمينا وشمالا فرأى بستان بلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيها فاذا هو بهدهد اليمن فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من أين أقبلت والى أين تريد قال أقبلت من الشام مع صاحبى سليمان بن داود عليه السلام فقال له الهدهد ومن سليمان بن داود قال ملك الجن والانس والشياطين والوحوش والرياح فمن أين أنت قال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة قال فما اسمها قال يقال لها بلقيس وان لصاحبكم سليمان ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها ملكة اليمن كله وتحت يدها اثنا عشر ألف قيل مع كل قيل مائة ألف مقاتل والقيل هو القائد بلغة أهل اليمن فهل أنت منطلق معى حتى تنظر الى ملكها قال فانى أخاف أن يتفقدنى سليمان فى وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء فقال له الهدهد اليمانى ان صاحبك ليسره ان تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه حتى أتى بلقيس ونظر ملكها وما رجع الى سليمان الا وقت صلاة العصر قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت صلاة العصر طلب الهدهد وذلك أنه نزل على غير ماء فسأل الانس عن الماء فقالوا لا نعلم ههنا ماء فسأل الجن والشياطين فقالوا لا نعلم فتفقد عند ذلك الهدهد فلم يجده فتوعده قال ابن عباس فى بعض الروايات عنه وقعت قطعة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدرى أين هو وما أرسلته الى موضع فغضب عند ذلك سليمان وقال لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه واختلف العلماء فى العذاب الشديد ما هو فقال أكثر المفسرين كان عذابه أن ينتف ريشه وذنبه ويدعه ممعطا ثم يلقيه فى بيت النمل فتلدغه وقال الضحاك لأنتفنه ولأشدن رجليه ولأشمسنه وقال مقاتل لأطلينه بالقطران ولأشمسنه وقيل لأودعنه القفص

وقيل لافرق بينه وبين الفه وقيل لامنعنه من خدمتي أوليأتيني بسلطان مبين أي حجة واضحة وروى عكرمة عن ابن عباس قال كل سلطان في القرآن حجة قال ثم دعا العقاب سيد الطيور فقال له علي بالهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى التصق بالهواء فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم فنظر يمينا وشمالا فاذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده فلما رأى الهدهد ان العقاب يريده بسوء ناشده الله وقال له بحق الذي قواك وأقدرك علي الا رحمتني ولا تتعرض لي بسوء قال فولى العقاب عنه وقال له ويلك ثكلتك أمك ان نبي الله سليمان قد حلف أن يعذبك أو يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى المعسكر تلقاهما النسر والطير كله وقالوا له أين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله سليمان وأخبروه بما قال فقال الهدهد وما استثنى نبي الله قالوا بلى انه قال أو ليأتيني بسلطان مبين فطار الهدهد والعقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا لسليمان فمد سليمان يده الى رأسه فجبذها وقال أين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال له الهدهد يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعفا عنه أخبرني الحسين بن محمد الثقفي باسناده عن عكرمة قال انما صرف سليمان عن ذبح الهدهد بره بوالديه ثم سأله ما الذي أبطأك عني قال الهدهد ما أخبر الله به احطت بما لم تحط أي علمت مالم تعلم به وجئتك من سبإ بنبإ يقين اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ واسمها بلقيس بنت البشرخ وهو الهدهاذ وقيل هي بلعمة بنت شراحيل بن ذي جدن بن البشرخ بن الحرث بن قيس بن صنعاء بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان أبو بلقيس الذي يسمى البشرخ و يلقب بالهدهاذ ملكا عظيم الشان وكان ملك أرض اليمن كلها وكان يقول للملوك الاطراف ليس أحد منكم كفؤا لي وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت الشكر وكانت الانس اذ ذاك ترى الجن وتخالطهم فولدت له بلعمة وهي بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وتصديق هذا ما أخبر به ابن ميمونة باسناده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان أحد أبوي بلقيس جنيا قالوا فلما مات أبو بلقيس ولم يخلف ولدا غيرها طمعت في الملك وطلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وعصاها آخرون فاختاروا عليها رجلا فملكوه عليهم وافترقوا فرقتين كل فرقة منهم استولت على طرف من أرض اليمن ثم ان هذا الرجل الذي ملكوه أساء السيرة في أهل مملكته حتى كان يمد يده الى حرم رعيته يفجر بهن فأراد أصحابه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فارسلت اليه وعرضت نفسها عليه فاجابها الملك الى ذلك وقال ما منعني أن ابتدئك بالخطبة الا اليأس منك فقالت لا أرغب عنك فانك كفؤ كريم فاجمع رجال قومي واخطبني منهم فجمعهم وخطبها منهم فقالوا لا نراها تفعل هذا فقال انما هي التي ابتدأتني واني أحب أن تسمعوا قولها فنشهدوا عليها فلما جاؤها وذكروا لها ذلك قالت نعم اني أحببت الولد ولم أحبه منذ كنت أرغب عن هذا والساعة قد رضيت له فزوجوها منه فلما زفت عليه خرجت في ناس كثير من خدمها وحشمها حتى غصت منازله ودوره بهم فلما جاءته سقته الخمر حتى سكر ثم حزت رأسه وانصرفت من الليل الى منزلها

فلما

فلما اصبح الناس ورأوا الملك قتيلا ورأسه منصوب على باب دارها علموا ان تلك المناكحة كانت مكرا وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا لها انت أحق بهذا الملك من غيرك فقالت لولا العار والشنار ماقتلته ولكن رأيته قدعم فساده فاخذتني الحمية ففعلت به مافعلت فملكوها واستتب امرها في المملكة وروى ابن ميمونة باسناده عن الحسن بن على عن أبي بكر قال ذكرت بلقيس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لايفلح قوم ولوا أمرهم امرأة قالوا فلما ملكت بلقيس اتخذت قصرا وعرشا

(صفة القصر الذي بنته بلقيس)

قال الشعبي روى ان بلقيس لما ملكت أمرت ببناء قصر فحمل اليها خمسمائة اسطوانة من رخام طول كل اسطوانة خمسون ذراعا فامرت بها فنصبت على تل قريب من مدينة صنعاء وجعلت بين كل اسطوانتين عشرة أذرع ثم جعلت فيها سقفا منظومة بالواح الرخام وألحم بعضها الى بعض بالرصاص حتى صارت كأنها لوح واحد ثم بنت فوق ذلك قصرا مربعا من آجر وجص في كل زاوية من زواياه قبة من ذهب مشرفة في الهواء وفيما بين ذلك مجالس حيطانها من ذهب وفضة مرصعة بالوان الجواهر المربعة وجعلت فيه أي في باب ذلك القصر مما يلي المدينة درجا من الرخام الابيض والاخضر والاحمر وفي جوانبه حجر لحجابها ونوابها وحراسها وخدمها وحشمها على قدر مراتبهم * صفة عرشها كان مقدمه من ذهب مفصص باليواقيت الحمر والزمرذ الاخضر ومؤخره من فضة مكلل بالوان الجواهر وله اربع قوائم قائمة من ياقوت أحمر وقائمة من ياقوت أخضر وقائمة من زمرذ اخضر وقائمة من در أصفر وصفائح السرير من ذهب وعليه سبعون بيتا وعلى كل بيت باب مغلق وكان طوله ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعا في الهواء فذلك قوله عز وجل وأوتيت من كل شئ أي مما تحتاج اليه في الملك من الآلة والعدة ولها عرش عظيم أي سرير ضخم حسن وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وذلك انها قالت لوزرائها ما كان يعبد آبائي الماضون قالوا كانوا يعبدون اله السماء قالت واين هو قالوا هو في السماء وعلمه في الارض قالت فكيف أعبده وأنا لا أراه ولست أعرف شيأ أشد من نور الشمس فهي أولى ما ينبغي لنا عبادته فعبدت الشمس من دون الله تعالى وحملت قومها على عبادتها وكانوا يسجدون لها اذا اطلعت واذا غربت (قال) فلما قال ذلك الهدهد لسليمان قال له سليمان سننظر أصدقت ام كنت من الكاذبين ثم ان الهدهد دلهم على الماء فاحتفروا الركايا وهي الآبار التي لم تطو بيطن كل واد فروي الناس والدواب وكانوا قد عطشوا ثم كتب سليمان كتابا من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد ان لاتعلوا على وائتوني مسلمين قال ابن جريج وغيره لم يزد سليمان على ماقص الله تعالى في كتابه شيأ وكان أبلغ الناس في كتابه وأقله املاء وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يكتبون جلا ولا يطيلون كتابا ولا يكثرون قالوا فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم وكن قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون أي يردون من الجواب فاخذ الهدهد الكتاب وأتى به الى بلقيس وكانت بأرض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام فوافاها في قصرها وقد غلقت الابواب وكانت اذا رقدت

غلقت الابواب واخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها ومضت الى فراشها فأتاها الهدهد وهى
نائمة مستلقية على ظهرها فألقى الكتاب على نحرها هذا قول قتادة وقال مقاتل حمل الهدهد
الكتاب بمنقاره وطار حتى وقف على رأس المرأة فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت
المرأة رأسها فألقى الكتاب فى حجرها وقال وهب بن منبه كانت لها كوة يعنى طاقة مستقبلة للشمس
تقع الشمس فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد الى تلك الكوة فسدها
بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فاستبطأت الشمس فقامت تنظر فرمى الصحيفة فى وجهها
قالوا فأخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة كاتبة عربية من قوم تبع بن شراحيل الحميرى
فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان فى خاتمه وعرفت ان الذى أرسل هذا
الكتاب هو أعظم ملكا منها وقالت ان ملكا تكون رسله الطير لملك عظيم فقرأت الكتاب وتأخر
الهدهد غير بعيد ثم انها جاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم
اثناعشر ألف قيل تحت يد كل قيل منهم مائة ألف مقاتل وكانت تكلمهم من وراء الحجاب فاذا
أحزنها أمر اسفرت عن وجهها فلما جاؤا وأخذوا مجالسهم قالت لهم بلقيس انى ألقى الى كتاب
كريم أى شريف لشرف صاحبه وقال الضحاك سمته كريما لانه كان مختوما يدل عليه ما أخبرنى
به أبو حامد الوراق باسناده عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كرم الكتاب
ختمه وقيل سمته كريما لانه مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم فذلك قوله تعالى انه من سليمان وانه
بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على وأتونى مسلمين ثم قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى
وأشيروا على فيما عرض لى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون أى تحضرون فقالوا مجيبين لها
نحن أولو قوة وأولو بأس شديد عند الحرب والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين تجدينا لامرك
طائعين فقالت لهم بلقيس حين عرضوا أنفسهم للحرب ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها
وجعلوا أعزة أهلها أذلة أى اهانوا أشرافها وكبراءها لكى يستقيم لهم الامر فصدق الله قولها
فقال وكذلك يفعلون أنشدنى أبو القاسم الجندى فى هذا المعنى قال أنشدنى أبى فى معناه

ان الملوك بلاء حيثما حلوا * فلا يكن لك فى أكنافهم ظل
ماذا تؤمل من قوم اذا غضبوا * جاروا عليك وان أرضيتهم ملوا
وان مدحتهم خالوك تخدعهم * واستثقلوك كما يستثقل الكل
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما * ان الوقوف على أبوابهم ذل

قال الله تعالى مخبرا عنها وانى مرسلة اليهم بهدية وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة
قد ساست الملأ من قومها وجربت الامور وساسته انى مرسلة اليهم الى سليمان وقومه بهدية
أصانعه عن ملكى وأختبره بها أملك ام نبى فان يك ملكا قبل الهدية وانصرف وان يك نبيا
لم يقبل الهدية ولم يرض منا الا أن نتبعه على دينه ثم انها اهدت اليه وصفاء ووصائف قال ابن
عباس ألبستهم لباسا واحدا حتى لا يكون يعرف الذكر من الانثى وقال مجاهد ألبست الغلمان
لباس الجوارى وألبست الجوارى لباس الغلمان واختلفوا فى عددهم فقال الكلبى عشرة
جوار وعشرة غلمان وقال مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مجاهد مائتا غلام
ومائتا جارية وقال وهب خمسمائة غلام وخمسمائة جارية وارسلت اليه أيضا بصنائع الذهب

واختلفوا فى كيفيتها وعددها (اخبرنى) ابن ميمونة أيضا باسناده عن ثابت البنانى فى قوله تعالى
وانى مرسلة اليهم بهدية قال اهدت له صفائح الذهب فى أوعية الديباج فلما بلغ ذلك سليمان أمر
الجن فموهوا له الآجر بالذهب ثم أمر به فألقى فى الطريق فى كل مكان فلما جاؤا ورأوه ملقى
فى الطريق فى كل مكان قالوا قد جئنا نحمل شيأ نراه ههنا ملقى لا يلتفت اليه فصغر فى أعينهم
ما جاؤا به وقيل كانت أربع لبنات من ذهب وقال وهب بن منبه وغيره من أهل الكتب عمدت
بلقيس الى خمسمائة جارية وخمسمائة غلام فألبست الجوارى لباس الغلمان الاقبية والمناطق
وألبست الغلمان لباس الجوارى وجعلت فى سواعدهم أساور من ذهب وفى أعناقهم اطواقا
من ذهب وفى آذانهم اقراطا وشنوفا مرصعات بأنواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة
فرس والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من ذهب مرصع بالجواهر غواشيها من
الديباج الملون وبعثت اليه أيضا خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجا مكللا
بالدر والياقوت المرتفع وأرسلت اليه أيضا بالمسك والعنبر والعود والالنجوج وعمدت الى حقة
فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزع خرزة مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف
قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها أصحاب رأى وعقل وكتبت معهم كتابا
بنسخة الهدية وقالت فى الكتاب ان كنت نبيا فميز بين الوصائف والوصفاء وأخبرنا بما فى الحقة
قبل أن تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا وأدخل خيطا فى الخرزة ثم أمرت بلقيس الغلمان
فقالت لهم اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وأمرت
الجوارى أن يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم انها قالت للرسول انظر الى الرجل
اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك فلا يهولك منظره فأنا أعز منه وان
رأيته رجلا بشاشا لطيفا فاعلم انه نبى مرسل فتفهم كلامه ورد الجواب فانطلق الرسول
بالهدايا فلما رأى الهدهد ذلك أقبل مسرعا الى سليمان وأخبره بالخبر كله فأمر سليمان الجن
أن يصنعوا له لبنا من الذهب والفضة ففعلوا ذلك ثم أمرهم أن يبسطوا له من موضعه الذى
هو فيه الى تسع فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميدان حيطانا
مشرفة من الذهب والفضة ففعلوا ذلك فقال لهم أى الدواب أحسن مما رأيتم فى البر
والبحر فقالوا يا نبى الله انا رأينا فى بحر كذا دواب مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص
فقال سليمان على بها الساعة فأتوه بها فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات
الذهب والفضة وألقوا لها علوفة فيها ثم قال للجن على بأولادكم فاجتمع خلق كثير فأقامهم فيها
عن يمين الميدان وعن يساره ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع أربعة آلاف كرسى عن
يمينه ومثلها عن يساره وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفا فراسخ وأمر الانس فاصطفوا
فراسخ وأمر الوحوش والسباع والهوام والطيور فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره فلما
أقبل القوم ودنوا من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا الدواب التى لم تر أعينهم مثلها تروث
على لبن الذهب والفضة تقاصرت اليهم أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا وفى بعض
الروايات ان سليمان عليه السلام لما أمر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وأمرهم أن
يتركوا فى طريقهم على قدر اللبنات التى معهم فلما رأت الرسل موضع اللبنات خاليا وكل

الارض مفروشة خافوا ان يتهموهم بذلك فطرحوا ما معهم فى ذلك المكان قال فلما جاؤا الى الميدان ورأوا الشياطين نظروا الى منظر عجيب ففزعوا منهم فقيل لهم جوزوا فلا خوف عليكم قال فكانوا يمرون على كردوس كردوس من الجن والانس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدى سليمان عليه السلام فنظر اليهم سليمان نظرا حسنا بوجه طلق وقال ما وراءكم فأخبره رئيس القوم بما جاؤا به وأعطوه كتاب الملكة فلما نظر اليه وقرأه قال لهم أين الحقة فأتى بها فحركها فجاءه جبريل عليه السلام فأخبره بما فى الحقة فقال ان فيها درة ثمينة بلا ثقب وخرزة مثقوبة معوجة الثقب فقال له الرسول صدقت فاثقب الدرة وأدخل الخيط فى الخرزة فقال سليمان عليه السلام من لى بثقبها فسأل الانس فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الشياطين فقالوا له ارسل الى الارضة فأرسل اليها فلما أتت أخذت شعرة فى فيها ومرت فى الخرزة حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان سلى حاجتك قالت أن تصير رزقى فى الشجر قال لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها بالخيط فقالت دودة بيضاء أنا لها يانبى الله فأخذت الدودة خيطا فى فيها ودخلت الثقب فخرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت أن تصير رزقى فى الفواكه قال لها لك ذلك ثم انه ميز بين الجوارى والغلمان بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم تجعله فى اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه والغلام يأخذه من الاناء بيديه ويضرب به وجهه وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام يحدر الماء على ساعده حدرا فميز بينهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كلها وقال أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون لانكم أهل المفاخرة والمكاثرة فى الدنيا ولا تعرفون غير ذلك وليست الدنيا من حاجتى لان الله تعالى قد مكننى منها وأعطانى ما لم يعط أحدا من العالمين فيها ومع ذلك فالله سبحانه وتعالى أكرمنى بالنبوة والحكمة ثم انه قال للمنذر بن عمرو أمير القوم ارجع اليهم بالهدية فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ان لم يأتونى مسلمين قالوا فلما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان وأخبروها قالت والله ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فبعثت الى سليمان انى قادمة عليك بملوك قومى حتى أنظر ما أمرك وما تدعوا اليه من دينك ثم ان بلقيس أمرت بعرشها فجعل فى سبع أبيات بعضها داخل بعض فى آخر قصر من قصورها ثم أغلقت دونه الابواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم انها قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكى فلا تخلص اليه أحدا ولا يراه حتى آتيك ثم انها أمرت مناديا ينادى فى أهل مملكتها يؤذنهم بالرحيل ثم شخصت الى سليمان فى اثنى عشر ألف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل مائة ألف مقاتل قال ابن عباس وكان سليمان عليه السلام رجلا مهيبا لا يبتدأ بشئ حتى يكون هو الذى يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس يارسول الله قال وقد نزلت منا بهذا المكان قالوا نعم قال ابن عباس وكان ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فاقبل سليمان على جنوده وقال أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين أى طائعين خاضعين واختلف العلماء فى السبب الذى لاجله أمر سليمان باحضار العرش

فقال

فقال اكثرهم لان سليمان علم انها اذا أسلمت حرم عليه مالها فاراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه باسلامها وقال قتادة لانه أعجبه صفته لما وصفه الهدهد فاراد أن يراه قبل أن يراها وقيل ليريها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه فى معجزة يأتى بها فى عرشها قال عفريت من الجن وهو المارد القوى أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك أى من مجلسك الذى تقضى فيه قال ابن عباس كان له غداة كل يوم مجلس يقضى فيه الى نصف النهار واختلفوا فى اسمه فقال وهب انه كودى وقال شعيب كوذان وانى عليه لقوى أى قوى على حمله أمين على مافيه من الجواهر فقال سليمان أريد أسرع من هذا فقال الذى عنده علم من الكتاب الآية واختلفوا فيه فقال بعضهم هو جبريل عليه السلام وقال آخرون ملك من الملائكة أيد الله به نبيه عليه السلام وقال آخرون بل كان رجلا من بنى آدم ثم اختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو آصف بن برخيا ابن شمعيا بن ملكيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى (أخبرنا) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال ان آصف قال لسليمان حين صلى ودعا الله تعالى مدّ عينك حتى ينتهى طرفك قال فمدّ سليمان عينيه فنظر نحو اليمن فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الارض يخدون الارض خدا حتى انخرقت الارض بالسرير فنبع بين يدى سليمان واختلف العلماء فى الدعاء الذى دعا به آصف بن برخيا عند الاتيان بالعرش فروى عن عائشة رضى الله عنها وعن أبيها ان الاسم الاعظم الذى دعا به آصف بن برخيا ياحى ياقيوم وروى عن الزهرى قال دعاء الذى عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا أنت ائتنى بعرشها وقال مجاهد ياذا الجلال والاكرام (حدثنا) ابن ميمونة باسناده عن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال الذى عنده علم من الكتاب رجل صالح وكان فى جزيرة من جزائر البحر فخرج ذلك اليوم ينظر من ساكن الارض وهل يعبد الله أولا يعبد فوجد سليمان فدعا باسم من أسماء الله تعالى فاذا هو بالعرش قد حمل فأتى به سليمان عليه السلام من قبل أن يرتد اليه طرفه * وباسناده عن مجاهد قال حدثنا اسمعيل بن حرب قال زعم ابن أبى برة ان اسم الذى عنده علم من الكتاب اسطوم وقال قتادة اسمه مليخا وقال محمد بن المنكدر انما هو سليمان آتاه الله علما وفقها قال له عالم من بنى اسرائيل انا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فقال سليمان هات قال أنت النبى ابن النبى وليس أحد عند الله أوجه منك فان دعوت الله وطلبت منه كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجئ بالعرش فى الوقت فلما رأى سليمان العرش مستقرا عنده محمولا اليه من مأرب الى الشام فى قدر ارتداد الطرف وهو مدة يسيرة قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه اى لم ينفع بذلك الا نفسه حيث استوجب شكره لتمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ومن كفر فان ربى غنى عن شكره كريم بالافضال عمن يكفر نعمته فقال سليمان عليه السلام نكروا لها عرشها أى زيدوا فيه وانقصوا منه واجعلوا أعلاه أسفله واسفله أعلاه ننظر أتهتدى الى عرشها فتعرفه أم تكون من الجاهلين الذين لا يهتدون اليه * اراد أن يختبر عقلها وانما حمل سليمان على ذلك ما ذكره وهب بن منبه ومحمد بن كعب وغيرهما من أهل العلم أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان ويستولدها فتفشى اليه اسرار الجن فلا ينفكون من

تسخير سليمان وذريته من بعده فأرادوا ان يزهدوه فيها فأساؤا الثناء عليها وقالوا له ان في عقلها شيأ وان رجليها كحافر حمار فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها و ينظر الى قدميها ببناء الصرح فلما جاءت بلقيس قيل لها أهكذا عرشك قالت كأنه هو فشبهته به وكانت قد تركته خلفها في بيت خلف سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها فلم تقر بذلك ولم تنكر فعلم سليمان كمال عقلها قال الحسين بن الفضل شبهوا عليها فشبهت عليهم وأجابتهم على حسب سؤالهم ولو قالوا لها هذا عرشك لقالت نعم فقال سليمان وأوتينا العلم بالله لانها وجميعها طائعة من قبلها أي من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين خاضعين لله تعالى هذا قول مجاهد وغيره وقال بعضهم هو من قول بلقيس لما رأت عرشها عند سليمان قالت قد عرفت هذا وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان عليه السلام بالآيات المتقدمة من قبلها أي من قبل هذه الآية وكنا مسلمين اى منقادين لك مطيعين لامرك من قبل ان جئنا لك فلما وافت سليمان عليه السلام قيل لها ادخلي الصرح وذلك أن سليمان لما أقبلت بلقيس تريده أمر الشياطين فبنوا له صرحا أي قصرا من زجاج كأنه الماء بياضا وأجروا من تحته الماء والقى فيه السمك ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس وانما أمر ببناء الصرح لان الشياطين قال بعضهم لبعض قد سخر الله لسليمان ما سخر وبلقيس ملكة سبا ينكحها فتلد غلاما فلا ننفك من العبودية والسخرة أبدا فأرادوا أن يزهدوه فيها فقالوا ان رجلها رجل حمار وانها شعراء الساقين لان أمها كانت جنية فأراد سليمان ان يعلم حقيقة ذلك و ينظر قدميها وساقيها فأمر ببناء الصرح وقال وهب بن منبه انما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها ليعاينها بذلك كما فعلت هي بتوجيهها اليه الوصائف والوصفاء ليميز بين الذكر والانثى فلما جاءت بلقيس قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وهي معظم الماء فكشفت عن ساقيها لتخوضه الى سليمان فنظر سليمان عليه السلام فاذا هي أحسن الناس ساقا وقدما الا أنها كانت شعراء الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداها انه صرح ممرد من قوارير وليس بماء فلما جلست قالت له يا سليمان انى أريد ان أسألك عن شئ قال سلي قالت اسألك عن ماء رواء ليس من الارض ولا من السماء وكان سليمان اذا جاءه شئ لا يعلمه سأل عنه الانس فان كان عندهم علم ذلك والا سأل الجن فان علموا والا سأل الشياطين فسأل الشياطين عن ذلك فقالوا ما اهون ذلك أتمر الخيل أن تجرى ثم املا الآنية من عرقها فقال لها سليمان عرق الخيل فقالت صدقت ثم قالت اخبرني عن كون ربك فوثب سليمان عن سريره وخر ساجدا وصعق فقامت عنه وتفرقت جنوده فجاء جبريل عليه السلام وقال له يا سليمان يقول لك ربك ماشأنك قال يا جبريل ربى اعلم بما قالت قال فان الله يأمرك ان تعود الى سريرك فترسل اليها والى من حضرها من جنودك وجنودها فتسألها وتسألهم عما سألتك عنه ففعل ذلك سليمان فلما دخلوا عليه واستقروا قال لها عماذا سألتني قالت عن ماء رواء ليس من أرض ولا من سماء فأجبت قال وعن أى شئ سألتني أيضا قالت ما سألتك عن شئ الا هذا فسأل الجنود فقالوا مثل قولها وأنساهم الله تعالى ذلك وكفى الله سليمان الجواب ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال الهدهد والهدية والرسل والعرش والصرح فأجابت وقالت رب انى ظلمت نفسي بالكفر وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين واختلف العلماء في أمرها

بعد الاسلام فقال أكثرهم لما اسلمت بلقيس أراد سليمان ان يتزوجها فلما هم بذلك كره لما رأى من شدة كثرة شعر ساقها وقال ما اقبح هذا فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المرأة ما مسني حديد قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقها فسأل الجن فقالوا لا ندري ثم سأل الشياطين فتنكروا عليه وقالوا لا ندري فلما ألح عليهم قالوا نحن نحتال لك عليه حتى يكون كالفضة البيضاء فاتخذوا لها النورة والحمام قال ابن عباس انه أول يوم رؤيت فيه النورة فاستنكحها سليمان عليه السلام (اخبرني) ابن ميمونة بسنده عن ابي موسى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال اول من اتخذ الحمامات سليمان عليه السلام فلما التصق ظهره بالجدار قال أوّاه من عذاب الله تعالى قالوا فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين وغمدان وبينون ثم ان سليمان كان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها الى ملكها ويقيم عندها ثلاثة ايام ثم يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام * وروى محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم عن وهب بن منبه قال سليمان لبلقيس لما اسلمت وفرغ من امرها اختاري رجلا من قومك حتى أزوجك اياه قالت ومثلي ينكح الرجال يا نبي الله وقد كان لي في ملكي وقومي من السلطان ما كان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما احل الله لك قالت زوجني ان كان ولا بد من تبع الاكبر ملك همدان فزوجه اياها ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على اليمن ودعا سليمان زوبعة أمير جن اليمن فقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه قال فصنع لذي تبع المصانع باليمن ثم لم يزل بها ملكا يعمل فيها ما أراد حتى مات سليمان عليه السلام قال فلما حال الحول وبلغ الجن موت سليمان أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى اذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته يا معشر الجن ان سليمان نبي الله قد مات فارفعوا أيديكم قال فعمدت الشياطين الى حجرين عظيمين فكتبوا فيهما كتابا بالمسند يعني خط الحميرية نحن بنينا سلحين وابنين وبينا صرواح ومرواح وفنقون وهندة وهنيدة ودلوم وهذه الحصون كانت باليمن عملتها الشياطين لذي تبع ولولا صارخ بتهامة لم يرفعوا أيديهم فانطلقوا وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان عليه السلام والله أعلم

* (باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام أبا زوجته الجرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه) *

قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب * روى محمد بن اسحق عن بعض العلماء أن سليمان أخبر أن في جزيرة من جزائر البحر رجلا يقال له صيدون ملك عظيم الشأن لم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شئ في بر ولا بحر فخرج الى تلك المدينة فحملته الريح على ظهرها حتى نزل عليها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى ما فيها فأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فأسلمت على يده في الظاهر على خيفة منه وقلة ثقة فأحبها حبا شديدا لم يحبه أحدا من نسائه وكانت منزلتها عنده منزلة عظيمة وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي

لا يرقأ فقالت انى أذكر أبى وأذكر ملكه وسلطانه وما كان فيه فيحزننى ذلك فقال لها سليمان قد
أبدلك الله ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا هو أعظم من سلطانه وهداك الله الى الاسلام وهو
خير لك من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك ولكنى اذا ذكرته أصابنى ماترى من الحزن فلو أنك
أمرت الشياطين يصورون لى صورته فى دارى التى أنا فيها أراه بكرة وعشية لرجوت أن يذهب
ذلك حزنى ويسلينى عن بعض ما أجد فى نفسى فأمر سليمان الشياطين أن يمثلوا لها صورة أبيها
فى دارها حتى لا تنكر منه شيأ فمثلوه لها حتى نظرت الى أبيها بعينه الا أنه لا روح فيه فعمدت اليه
حين صنعوه فأزرته وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التى كان يلبسها ثم انها كانت اذا خرج
سليمان من دارها تغدو اليه فى ولائدها فتسجد له ويسجدن له معها كما كانت تصنع معه فى
ملكه وتروح اليه كل عشية تفعل معه مثل ذلك وسليمان لا يعلم بشئ من ذلك أربعين صباحا فبلغ
ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن باب سليمان أى ساعة أراد دخول بيته دخل
حاضرا أم غائبا فأتاه فقال يانبى الله كبرسنى ودق عظمى ونفد عمرى وقد حان الذهاب منى وقد
أحببت أن أقوم مقاما قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى عليهم بعلمى فيهم
وأعلم الناس بعض ما يجهلون من كثير من أمورهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم
خطيبا فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى على كل نبى بما فيه وذكر ما فضلهم الله به حتى انتهى
الى سليمان فقال له ما كان أحكمك فى صغرك وأورعك فى صغرك وأفضلك فى صغرك وأحكم
أمرك فى صغرك وأبعدك من كل ما يكره فى صغرك ثم انصرف فوجد سليمان فى نفسه من ذلك حتى
امتلأ غيظا فلما دخل سليمان داره أرسل اليه فلما أتاه قال له يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء
الله تعالى فأثنيت عليهم خيرا فى كل زمانهم وعلى كل حال من أمورهم فلما ذكرتنى أثنيت على بخير
فى صغرى وسكت عما سوى ذلك من أمرى فى كبرى فما الذى أحدثت فى آخر عمرى فقال له ان
غير الله يعبد فى دارك أربعين صباحا فى هوى امرأة فقال سليمان فى دارى قال نعم فى دارك فقال
انا لله وانا اليه راجعون لقد علمت انك ماقلت ماقلت الا عن شئ بلغك ثم ان سليمان رجع الى داره
فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم انه أمر بثياب الطهر فأتى بها وهى ثياب لا يغزلها
الا الابكار ولا تمسها امرأة ذات دم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وأمر برماد ففرش
ثم أقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا
اليه يبكى ويدعو ويستغفر مما كان فى داره ويقول فيما يقول رب ما كان ينبغى لآل داود
أن يعبدوا غيرك وأن يقروا فى دورهم وأهاليهم عبادة غيرك فلم يزل كذا يومه حتى أمسى ثم رجع
الى داره وكانت له وليدة يقال لها أمينة كان اذا دخل مذهبه أو أراد قضاء حاجة أو أراد اصابة
امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو متطهر لان خاتمه كان
من ياقوتة خضراء أتاه بها جبريل عليه السلام مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان ملكه فى خاتمه فوضعه يوما من الايام عندها كما كان يضعه عند دخول مذهبه
فأتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وكان اسمه صخرا فظنته سليمان لانها لم تنكر
منه شيأ فقال يا أمينة خاتمى فناولته اياه فجعله فى يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان فعكفت
عليه الطير والجن والانس والشياطين فخرج سليمان فأتى الى أمينة وقد تغير من حاله وهيئته

ما كان معهود الله عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمي فقالت ومن أنت قال سليمان بن داود فقالت كذبت لست سليمان فقد جا سليمان وأخذ خاتمه وها هو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن الخطيئة قد أدركته فخرج سليمان وجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون انظروا الى هذا المجنون وأي شئ يزعم يقول انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك خرج متوجها الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر من البحر الى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع احدى السمكتين بأرغفة وشوى الاخرى فيأكلها فمكث كذلك أربعين صباحا عدة ما كان ذلك الوثن يعبد في داره فأنكر آصف بن برخيا وعلماء بني اسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الاربعين يوما فقال آصف يا معشر بني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان ما رأيت قالوا نعم فقال أمهلوني حتى أدخل على نسائه فأسألهن هل أنكرن منه في خاصة أمره ما أنكرناه من عامة أمر الناس وعلانيته فدخل على نسائه فقال لهن ويحكن هل أنكرتن من أمر سليمان بن داود ما أنكرناه فقلن أشد ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة فقال آصف انا لله وانا اليه راجعون ان هذا لهو البلاء المبين ثم انه خرج الى بني اسرائيل فقال ما في الخاصة أعظم مما في العامة فلما مضت أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر في البحر فقذف الخاتم فيه فابتلعته سمكة فاصطادها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى اذا كان العشاء أعطاه السمكتين وكان من جملتهما السمكة التي ابتلعت الخاتم فحمل سليمان سمكتيه فباع التي ليس في بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد الى السمكة الاخرى فشقها ليشويها فوجد خاتمه في جوفها فأخذه فجعله في يده ووقع ساجدا فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين وأقبل على الناس وعلم أن الذي دخل عليه لما أحدث في داره من عبادة الوثن فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه ثم أمر الشياطين وقال ائتوني بصخر المارد فطلبته الشياطين حتى أتت به فنحت له صخرة فأدخله فيها ثم سد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف في البحر فهذا حديث وهب بن منبه * وقال السدي في سبب ذلك كان لسليمان مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهي آثر نسائه وآمنهن عنده وكان اذا أراد أن يأتي حاجته أو دخل مذهبه نزع الخاتم ولم يأتمن عليه أحدا من الناس غيرها فجاءته يوما من الايام وقالت له ان أخي بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضي له اذا جاءك فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله فأعطاها خاتمه ودخل المخرج فخرج الشيطان في صورته فقال لها هات الخاتم فأعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان وخرج سليمان بعده فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت له ألم تأخذه قال لا فخرج من مكانه تائها ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما فأنكر الناس حكمه واجتمع قراء بني اسرائيل وعلماؤهم فجاؤا حتى دخلوا على نسائه فذكروا لهن ما أنكروا فقالوا ونحن قد أنكرنا هذا فان كان سليمان قد ذهب عقله وأساء أحكامه فليس لنا صبر على ذلك فبكى النساء عند ذلك قال فأقبلوا يمشون حتى أتوه وأحدقوا به وأخذوا مجالسهم ثم انهم نشروا التوراة فقرؤها فلما قرؤا التوراة طار من بين أيديهم حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه الحوت قال وأقبل سليمان على حالته التي كان فيها حتى انتهى الى صياد من الصيادين وهو جائع وقد اشتد

جوعه فاستطعمهم من صيدهم وقال انى سليمان بن داود فقام اليه بعضهم فضربه بعصاه فشجه فسال دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذى ضربه وقالوا له بئسما صنعت حيث ضربته فقال انه زعم أنه سليمان بن داود فأعطوه سمكتين مما ضرب عندهم فلم يشغله ما كان فيه من ألم الضرب حتى قام الى شاطئ البحر فشق بطنهما وجعل يغسلهما فوجد خاتمه فى بطن احداهما فأخذه ولبسه فرد الله عليه ملكه وبهاءه وجاءت الطير حتى حامت عليه فعرفه القوم فجاؤا يعتذرون اليه مما صنعوا فقال ما أؤاخذكم على عدوانكم ولا ألومكم على ما كان منكم هذا ما كان لابد منه ثم جاء حتى أتى ملكه وأمر أن يأتوا بالشيطان الذى أخذ خاتمه فأتى به فجعله فى صندوق من حديد ثم أطبقه وأقفل عليه بقفل وختمه بخاتمه ثم أمر به فألقى فى البحر وهو فيه كذلك الى الساعة * وفى بعض الروايات أن سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فأخذه سليمان وأعاده عليه فسقط من يده فلما رآه سليمان لا يثبت فى يده أيقن بالفتنة فقال آصف لسليمان انك مفتون بذنبك والخاتم لا يتماسك أربعة عشر يوما ففر الى الله تائبا من ذنبك وأنا أقوم مقامك وأسير فى عملك وأهل بيوتك بسيرتك الى أن يتوب الله عليك ويردك الى ملكك ففر سليمان هاربا الى ربه وأخذ آصف الخاتم فوضعه فى يده فثبت وأن الجسد الذى قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب هو آصف كاتب سليمان وكان عنده علم من الكتاب فأقام آصف فى ملك سليمان وعاله يسير بسيرته ويعمل بعمله أربعة عشر يوما الى ان رجع سليمان الى منزله تائبا الى الله تعالى ورد الله عليه ملكه فأقام آصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسيه وأعاد الخاتم فى يده فثبت * وقيل سبب ذلك ما أخبرنا شعيب بن محمد العجلى باسناده عن سعيد بن المسيب أن سليمان بن داود احتجب عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله اليه أن يا سليمان احتجبت عن عبادى ثلاثة أيام فلم تنظر فى أمورهم ولم تنصف مظلوما من ظالم وذكر حديث الخاتم وأخذ الشيطان اياه كما رويناه وقال فى آخره قال على كرم الله وجهه ذكرت ذلك للحسن فقال ما كان الله تعالى ليسلط على نسائه ونعوذ بالله أن يسلط الشيطان على نساء أنبيائه بالمباشرة وكيف يعتقد ذلك أحد وقد نزه الله تعالى أنبياءه عن مثل هذا القبيح وهذا قول أصح الاقوال وأليق بأنبياء الله تعالى وأقرب الى التقوى * وقال بعض المفسرين كان سبب فتنة سليمان انه أمر أن لا يتزوج امرأة الا من بنى اسرائيل فتزوج امرأة من غيرهم فعوقب على ذلك * وقيل ان سليمان عليه السلام لما أصاب بنت الملك صيدون أعجب بها وعرض عليها الاسلام فامتنعت فخوفها سليمان فقالت له ان أكرهتنى على الاسلام قتلت نفسى فخاف سليمان أن تقتل نفسها فتزوج بها مشركة فكانت تعبد صنما لها من ياقوتة أربعين صباحا فى خفية من سليمان الى ان أسلمت فعوقب سليمان بزوال ملكه أربعين يوما * وقال الشعبى فى سبب زوال ذلك ولد لسليمان ابن فاجتمعت الشياطين فقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم تنفك مما نحن فيه من البلاء والسخرة فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله فعلم سليمان ذلك فأمر السحاب أن تأخذ ابنه وأمر الريح فحملته وغذا ابنه فى السحاب فأمن مضرة الشياطين فعاتبه الله لتخوفه من الشياطين ومات الولد فألقى على كرسيه وهو الجسد الذى قصه الله علينا بقوله وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب والله أعلم

(باب فى ذكر وفاة سليمان عليه السلام)

قال

قال الله تعالى فلما قضينا عليه الموت الآية قال أهل التاريخ لبث سليمان في ملكه بعد أن رد
الله عليه تعمل له الجن والشياطين ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور
راسيات وغير ذلك ويعذب من الشياطين من يشاء ويطلق من يشاء ويأمرهم بحمل الحجارة
الثقيلة ونقلها الى حيث أحب قال فتريا لهم ابليس وهم دائبون في العمل فقال كيف أنتم قالوا
ما لنا طاقة بما نحن فيه فقال ابليس تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فراغا لا تحملون شيأ
قالوا نعم قال فأنتم في راحة قال فبلغت الريح ذلك سليمان فأمرهم أن يحملوا ذاهبين وراجعين
فجاءهم ابليس فقال كيف أنتم فشكوا اليه وأخبروه أنهم يحملون ذاهبين وراجعين
فقال لهم ابليس أتنامون بالليل قالوا نعم قال فأنتم في راحة قال فبلغت الريح ذلك سليمان
فأمرهم أن يعملوا بالليل والنهار فتريا لهم ابليس فشكوا اليه أنهم يعملون بالليل والنهار وأنهم
دائبون في العمل فقال كيف أنتم قالوا لا طاقة لنا بما نحن فيه فقال لهم ابليس وما يشاء فعله قالوا
نعم قال فتوقعوا الفرج وقد بلغ الامر منتهاه فلم يلبثوا الا قليلا وقد مات سليمان عليه السلام
* قال ابن عباس وغيره كان سليمان عليه السلام يحتجب في بيت المقدس السنة والسنتين
والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه بطعامه وشرابه فدخله في المرة التي مات
فيها وكان بدء أمره في ذلك انه لم يكن يوما يصبح فيه الا تنبت له ببيت المقدس شجرة فيسألها سليمان
ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فيقول لاي شيء أنت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها
فتقطع فان كانت تنبت لغرس غرسها في مكان كذا وكذا وان كانت لدواء كتب عليها لكذا وكذا
فبينما هو يصلي يوما اذ رأى شجرة نابتة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخرنوبة قال ولاي شيء
نبت قالت لخراب هذا المسجد فقال سليمان ما كان الله تعالى ليخربه وأنا حي أنت الذي
على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له ثم قال اللهم عم على الجن
موتي حتى تعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس أنهم يعلمون من الغيب
اشياء وأنهم يعلمون ما يكون في غد ثم ان سليمان دخل المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه
فمات ثم بقي على تلك الحالة ولم يعلم بذلك من الشياطين أحد وهم مع ذلك يعملون له ويخافون ان
يخرج فيعاقبهم * وقال عبد الرحمن بن زيد قال سليمان لملك الموت اذا أمرت بي فأعلمني قال فأتاه
فقال يا سليمان قد أمرت بك وقد بقي لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا له صرحا من قوارير ليس
له باب فقام يصلي واتكأ على عصاه فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه
* وفي رواية أخرى ان سليمان عليه السلام قال ذات يوم لاصحابه ان الله تعالى آتاني من الملك
ما ترون وما مر علي يوم في ملكي صاف من الكدر وقد أحببت أن يكون لي يوم واحد يصفو لي
الى الليل ولا أغتم فيه وليكن ذلك اليوم غدا فلما كان من الغد دخل قصرا له وأمر باغلاق أبوابه
ومنع الناس من الدخول عليه ومنع من رفع الاخبار اليه لئلا يسمع شيأ يسوءه ثم أخذ العصا
بيده ووضعها فوق خصره واتكأ عليها ينظر الى ممالكه اذ نظر شابا حسن الوجه عليه ثياب
بيض قد خرج عليه من جانب القصر فقال له السلام عليك يا سليمان فقال وعليك السلام فكيف
دخلت علي هذا القصر بغير اذني وقد منعت من دخوله أما منعك البواب والحجاب أما استحيت
حين دخلت قصري بغير اذني فقال أنا الذي لا يحجبني حاجب ولا يدفعني البواب ولا أخاف الملوك

ولا أقبل منهم الرشا وما كنت لأدخل هذا القصر بغير إذن فقال له سليمان فمن أذن لك في دخوله
فقال له ربي قال فارتعد سليمان وعلم أنه ملك الموت فقال له أنت ملك الموت قال نعم قال فيم جئت
قال لأقبض روحك قال يا ملك الموت هذا يوم أردت أن يصفو لي ولا أسمع فيه ما يغمني فقال
يا سليمان إنك أردت يوما يصفو لك فيه عيشك حتى لا يغمك فيه شيء وذلك يوم لم يخلق في الدنيا فارض
بقضاء ربك فإنه لا مرد له قال فاقبض كما أمرت فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه
قالوا وكانت الشياطين تجتمع حوله وحول محرابه ومصلاه أينما كان وكان للمحراب بابان باب بين
يديه وباب خلفه فقال بعض الشياطين لأصحابه إن كنت جلدا فادخل من الباب الذي بين يديه
واخرج من الباب الذي خلفه فدخل ذلك البعض ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان في المحراب
إلا احترق فمر ذلك الشيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فوقف بالبيت فلم يحترق فنظر إلى سليمان
وقد سقط ميتا فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحوا عليه فأخرجوه ووجدوا منسأته
وهي العصا بلغة الحبشة قد أكلتها الأرضة فلم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الأرضة على العصا
فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه
وينظرون إليه ويحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلاته
قبل ذلك * وفي رواية ابن مسعود فمكثوا يدأبون له بعد موته حولا كاملا فأيقن الناس أن الجن
كانوا يكذبون في ادعائهم علم الغيب فلو أنهم علموا الغيب لعلموا موت سليمان ولم يلبثوا في العذاب
والعذاب سنة يعملون له ثم إن الشياطين قالوا للأرضة لو كنت تأكلين الطعام لأتيناك بأطيب
الطعام ولو كنت تشربين الماء لأسقيناك أعذب الشراب ولكنا ننقل إليك الماء والطين شكرا لك
فالذي يكون في جوف الخشب فهو مما تأتيها به الشياطين والشياطين تشكر لها فذلك قوله
تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته الآية قال أهل
التاريخ كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه منها أربعين سنة وذلك
أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لأربع سنين مضين من ملكه ثم
ملك من بعد سليمان ابن له يقال له رحبعم وكان قد استخلفه فنبأه الله وكان نبيا ولم يكن رسولا ثم
قبض وكان ملكه سبع عشرة سنة ثم ملكهم بعده ابنه آبيا بن رحبعم وكان ملكه ثلاثا وستين
سنة ثم ملك بعده ابنه أسا بن آبيا وكان رجلا صالحا وكان أعرج يعتريه عرق النسا فطمع فيه
الملوك لضعفه وافترقت ملوك بني إسرائيل فغزاهم ملك من ملوك الهند يقال له روح الهندي
في جمع كثير وقبيلة كبيرة فبعث الله عليهم الملائكة فهزمتهم فقصدوا البحر حتى إذا ركبوا
جميعا بعث الله عليهم الرياح والأمواج فضربت سفنهم بعضها في بعض فتكسرت وغرق روح
الهندي ومن كان معه واضطربت الأمواج حتى ألقت أثقالهم وأموالهم وسلبهم إلى محلة
بني إسرائيل ونودوا أن خذوا ما غنمكم الله تعالى وكونوا له من الشاكرين ثم لم تزل تغزوهم الملوك
ملك بعد ملك من ملوك العراق وغيرهم فيهلكهم الله تعالى إلى أن ظهر فيهم الظلم والفساد
وفشت فيهم المعاصي وعبد بعض ملوك بني إسرائيل الأصنام من دون الله تعالى فغضب الله
عليهم بكفرهم ومعصيتهم وسلط عليهم بختنصر

مجلس في قصة بختنصر وخبر شعيا وارميا ودانيال وعزير

عليهم

عليهم وعلى الأنبياء السلام وما يتصل به) *

قال الله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب الى قوله عز وجل وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا

(قصة شعياء عليه السلام)

قال محمد بن اسحق وغيره من أهل السير والاخبار كان مما أنزل الله تعالى على موسى خبر بنى اسرائيل من احداثهم وما هم فاعلون بعده كما قال تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا الى قوله حصيرا فكانت بنو اسرائيل يركبون الاحداث والذنوب وكان الله تعالى يتجاوز عنهم تعطفا عليهم واحسانا اليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم من تلك الوقائع كما أخبر الله تعالى عن لسان موسى عليه السلام أنه ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله تعالى اذا ملك ملكا من الملوك بعث له نبيا يسدده ويرشده ويكون واسطة فيما بينه وبين الله تعالى فيما يحدث من أمورهم ولا ينزل عليهم كتبا وانما يأمرهم أن يأمروهم بأحكام التوراة والنهى عن المعاصى والمنكرات والدعاء الى ما تركوا من الطاعات فلما ملك ذلك الملك بعث الله تعالى شعياء بن امضيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى وشعياء هو الذى بشر بيت المقدس حين شكى اليه الخراب فقال أبشر فانه يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك ذلك الملك بنى اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه فيهم عظمت فيهم الاحداث الرديئة وشعياء معه فبعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل فنزل هو وجنوده فى ستمائة ألف راية فأقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض فى ساقه قرحة شديدة فجاء اليه شعياء فقال يا ملك بنى اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل هو وجنوده فى ستمائة ألف راية وأقبل سائرا حتى نزل بيت المقدس وقد هابهم الناس وتفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبى الله هل أتاك وحى من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبعدونا سنجاريب وجنوده فقال النبى لم يأت وحى فبينما هم كذلك اذ أوحى الله تعالى الى شعياء عليه السلام أن ائت ملك بنى اسرائيل فأمره أن يوصى بوصيته ويستخلف على مملكته من يشاء من أهل بيته وعترته فأتى شعيا صديقة فقال ان ربك قد أوحى الى أن آمرك أن توصى بوصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعياء لصديقة أقبل على الله تعالى وصلى ودعا وبكى وقال فى دعائه وهو يبكى ويتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص وظن صادق اللهم رب الارباب واله الآلهة القدوس المقدس يا رحمن يا رحيم يا رؤف يا من لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرنى بنيتى وفعلى وحسن قضائى فى بنى اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت اعلم به منى سرى وعلانيتى لك ثم ان الله استجاب دعاءه ورحمه وكان عبدا صالحا فأوحى الله تعالى الى شعياء وأمره أن يخبر صديقة الملك أن ربه قد استجاب له ورحمه وقبل منه وقد أخر أجله خمس عشرة سنة وأنجاه الله من عدوه سنجاريب ملك بابل وجنوده فأتى شعياء اليه وأخبره بذلك فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الهزال وخر ساجدا لله تعالى وقال يا الهى واله آبائى لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذى تعطى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة

أنت الاول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذى أجبت دعوتى ورحمت تضرعى فلما رفع رأسه أوحى الله الى شعياء أن قل للملك حزقية أن يأمر عبدا من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ففعل ذلك فبرئ فقال الملك لشعياء سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا فقال الله لشعياء قل له انى كفيتك عدوك هذا وأنجيتك منه وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنجاريب وخمسة نفر من كبرائه وكتابه فلما أصبحوا جاءهم صارخ يصرخ على باب المدينة يا ملك بنى اسرائيل قد كفاك الله عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك التمس سنجاريب فلم يوجد فى الموتى فبعث الملك فى طلبه فادركه الطلب هو ومن معه فى خمسة نفر من كبرائه فى مغارة أحدهم بختنصر فجعلوهم فى الجوامع ثم أتوا بهم ملك بنى اسرائيل فلما رآهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال يا سنجاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال له سنجاريب قد أتانى خبر ربكم ونصرته اياكم من قبل أن أخرج من بلادى فلم أطع مرشدا ولم يلقنى فى الشقوة الا قلة عقلى فلو سمعت أو عقلت ما غزوتكم ولكن الشقوة غلبت على وعلى من معى قال فقال صديقة الحمد لله رب العالمين الذى كفاناكم بما شاء ان ربنا لم يبقك ومن معك لكرامتك عليه ولكن انما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقاوة فى الدنيا وعذابا فى الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم وبمن معكم ولدمك ودم من معك أهون عند الله من دم قرادة لو قتلت * ثم ان ملك بنى اسرائيل أمر أمير حرسه فقذف فى رقابهم الجوامع وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايليا وكان يطعمهم كل يوم رغيفين من شعير لكل رجل منهم فقال سنجاريب لملك بنى اسرائيل القتل خير مما تفعل بنا فافعل ما أردت فأمر بهم الملك الى سجن القتل فأوحى الله الى شعياء أن قل للملك يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرموا وليحملوا حتى يبلغوا بلادهم فبلغ شعياء الملك ذلك ففعل فخرج سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم حتى قدموا بابل فلما قدم جمع سنجاريب الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك قد كنا نقص عليك خبرهم وخبر نبيهم ووحى الله اليه فلم تطعنا وهى أمة لا يستطيعها أحد وكان فى أمر سنجاريب مما خوفوا به ثم كفاهم الله اياه تذكرة وعبرة ثم لبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف من بعده بختنصر وكان ابن ابنه وكان بختنصر يعمل كما يعمل جده ويقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله تعالى ملك بنى اسرائيل صديقة فمرج أمر بنى اسرائيل وتنافسوا الى الملك حتى قتل بعضهم بعضا وظهر فيهم البغى والفساد ونبيهم شعياء معهم لا يرجعون اليه ولا يقبلون قوله فلما فعلوا ذلك قال الله تعالى لشعياء عليه السلام قم فى قومك أوح على لسانك فلما قام النبى أطلق الله لسانه بالوحى فقال يا سماء اسمعى ويا أرض أنصتى فان الله أراد أن يقضى شأن بنى اسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده واستقبلهم بالكرامة وهم كالغنم الضائعة التى لا راعى لها فآوى شاردها وجمع ضالها وجبر كسيرها وداوى مريضها وأسمن هزيلها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضهم بعضا حتى لم يبق منهم عظم صحيح يجبر اليه كسير فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لا يدرون أين جاءهم الحين ان البعير

البعير يذكر وطنه فينتابه وان الحمار يذكر الآرى الذى يشبع علمه فيراجعه وان الثور يذكر المرج الذى يسرح فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يدرون من أين جاءهم الخير وهم أولو الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير انى ضارب لهم مثلا فليسمعوه وقل لهم كيف ترون فى أرض كانت خرابا مواتا فبقيت خرابا زمانا طويلا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوى فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه فأحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وأجرى نهرا وأنبت عليها غرسا من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب وأنواع الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه ذا رأى حفيظا قويا أمينا فانتظرها فلما أطلعت جاء طلعها خرنوبا فقال بئست الارض هذه نرى أن يهدم جدرها وقصرها ويغيض ما نهرها ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت خرابا أول مرة ولا عمران فيها فقال الله تعالى قل لهم ان الجدار ذمتى وان القصر شريعتى وان النهر كتابى وان القيم نبيي والغراس هم وان الخرنوب الذى أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة وانى قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وانه مثل ضربه الله لهم فرهم يتقربوا الى بذبح البقر والغنم وليس ينالنى اللحم ولا آكله ولكن يتقربون الى بالتقوى والكف عن ذبح النفس التى حرمتها فأيديهم مخضوبة منها وثيابهم مزملة بدمائها ويشيدون لى البيوت والمساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها فأى حاجة لى الى تشييد البيوت ولست أسكنها وأى حاجة لى الى تزويق المساجد ولست أدخلها وانما أمرت برفعها لاذكر فيها وأسبح ولتكون معلما لمن أراد أن يصلى فيها يقولون لو كان الله يقدر على أن يجمع ألفتنا لجمعها ولو كان الله يقدر أن يفقه قلوبنا لفقهها فاعمد الى عودين يابسين ثم ائت بهما ناديهم فى أجمع ما يكونون فقل للعودين ان الله يأمركما أن تكونا عودا واحدا فلما قال لهما ذلك اختلطا فصارا عودا واحدا فقال الله تعالى قل لهم انى قدرت على أن أؤلف بين العودين اليابسين فكيف لا أقدر على ألفتهم ان شئت أم كيف لا أقدر على أن أفقه قلوبهم وأنا الذى صورتهم يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور قلوبنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا وان دعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء الذئاب فى كل ذلك لا يسمع ولا يستجاب لنا قال الله تعالى فسلهم ما الذى يمنعنى أن أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأنظر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين أذات يدى قلت كيف ويداى مبسوطتان بالخير أنفق كيف أشاء مفاتيح الخزائن عندى لا يفتحها غيرى أم يقولون رحمتى ضاقت فكيف ورحمتى وسعت كل شىء انما يتراحم المتراحمون بفضلى أم يقولون البخل يعترينى أولست أكرم الاكرمين وأنا الفتاح بالخيرات ألست أجود من أعطى وأكرم من سئل ولو أن هؤلاء القوم نظروا لانفسهم بالحكمة التى نورت فى قلوبهم فنبذوها واشتروا بها الدنيا لابصروا وتيقنوا أن أنفسهم هى أعدى العداة لهم فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بالزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم طاغية تركن الى من يحاربنى وينتهك محارمى أم كيف تزكو عندى صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم وانما أجزى عليها أهلها المغصوبين أم كيف أستجيب لهم دعاء وانما هو قول بألسنتهم والفعل من ذلك بعيد انما أستجيب قول المستضعف المسكين وان من علامة رضاى رضا المسكين ولو رحموا المساكين وقربوا الضعفاء وأنصفوا المظلوم ونصروا المغصوب وعالوا الغائب وأدوا الى الفقير

واليتيم والارملة والمسكين حقه ولو كان ينبغي لي أن اكلم البشر اذا لكلمتهم وكففت أذاهم وكنت أنور أبصارهم وأسمع آذانهم ومعقول قلوبهم وأعمرت أركانهم وكنت قوة أيديهم وأرجلهم وكنت ألسنتهم الانهم يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي انها أقاويل منقولة وأحاديث متواترة وتآليف يؤلف السحرة والكهنة وزعموا أن لو يشاؤا أن يأتوا بحديث مثله لفعلوا وان يطلعوا على علم الغيب بما توحي اليهم الشياطين اذا طلعوا وكلهم يستخفي بالذي يقول ويسروه يعلمون اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما يبدون وما يكتمون واني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء يثبته على نفسي وجعلت له أجلا مؤجلا لابد أنه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى انفذه وفي أي زمان يكون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أقضي فاني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه الحكمة التي أدبر بها أمر ذلك القضاء ان كانوا صادقين فاني قضيت يوم خلقت السموات والارض بان أجعل النبوة في الاحرار وأجعل الملك في الرعاء وأجعل العز في الاذلاء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء والثروة في الاقلال والمدائن في الفلوات والآجام في المفاوز والثرى في الغيطان والعلم في الجهلة والحكم في الاميين فسلهم متى هذا ومن القيم بهذا وعلى يد من أنشئه ومن أعوان هذا الامر وأنصاره فاني باعث لذلك نبيا أميا لا أعمى من العميان ولا ضال من الضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا بصخاب في الاسواق ولا متزي بالفحش ولا قوال بالخنا أسدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة واغنى به بعد الفقر وأجمع به بعد الفرقة وأولف به قلوبا مختلفة وأهواء مشتتة وأمما متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بآياتي وتوحيدي يصلون قياما وقعودا وركوعا وسجودا ويقاتلون في سبيل الله صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم واموالهم ابتغاء رضوان الله الهمهم التكبير والتحميد والتسبيح والتمجيد والتوحيد في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤس الاشراف ويطهرون لي الوجوه والاطراف ويعقدون الثياب في الانصاف قربانهم دماؤهم وقرآنهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فلما فرغ نبيهم شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها فادركه الشيطان فاخذ بهدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه وهو في وسطها والله أعلم

(قصة أرمياء عليه السلام)

فاستخلف الله على بني اسرائيل بعد قتلهم شعياء رجلا منهم يقال له ناشئة بن أموص وبعث الله اليهم الخضر نبيا ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى واسم الخضر أرمياء بن خلقيا وكان من سبط هرون بن عمران وانما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تزهر خضراء فقال الله

تعالى لارمياء حين بعثه الى بنى اسرائيل يا أرمياء من قبل أن أخلقك اخترتك ومن قبل أن أصورك فى بطن أمك قدستك ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ومن قبل أن تبلغ السعى نبأتك ولامر عظيم اجتبيتك فذكر قومك نعمى وعرفهم احداثهم وادعهم الى فقال أرمياء انى ضعيف ان لم تقونى عاجز ان لم تنصرنى فقال الله تعالى أنا ألهمك فقام أرمياء فيهم خطيبا ولم يدر ما يقول فالهمه الله تعالى فى الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال لهم فى آخرها فانى أحلف بعزتى وجلالى لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا البسه الهيبة وأنزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله تعالى الى أرمياء عليه السلام انى مهلك بنى اسرائيل بيافث ويافث هم أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع أرمياء بكى وصاح وشق ثيابه وحثا الرماد على رأسه فلما سمع الله تضرع أرمياء وبكاءه ناداه يا أرمياء أشق عليك ما أوحيت اليك قال نعم يا رب اهلكنى قبل أن أرى فى بنى اسرائيل ما لا أسر به فقال الله وعزتى وجلالى لا أهلك أحدا من بنى اسرائيل حتى يكون الامر فى ذلك من قبلك ففرح أرمياء بذلك وطابت نفسه وقال والذى بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بنى اسرائيل ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان ملكا صالحا ففرح واستبشر وقال أن يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وان يرحمنا فبرحمته ثم انهم لبثوا بعد الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا فيها الا معصية وتماديا فى الشر وذلك حين اقترب هلاكهم وقل الوحى ودعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر فخرج فى ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل بختنصر سائرا الى الملك أتى الملك الخبر فقال الملك لارمياء أين زعمت ان الله أوحى اليك فقال أرمياء ان الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الاجل وأراد الله هلاكهم بعث الله الى أرمياء ملكا قد تمثل له فى صورة رجل من بنى اسرائيل فقال له يا نبى الله انى أستفتيك فى أهل رحمى وصلت أرحامهم ولم أزل اليهم محسنا ولا يزيدا كرامى اياهم الا اسخاطا فافتنى فيهم فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فمكث الا أياما ثم أقبل عليه فى صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له ارمياء وما طهرت اخلاقهم لك بعد قال يا نبى الله والذى بعثك بالحق نبيا ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس الى أهل رحمه الا قدمتها اليهم وأفضل قال أرمياء عليه السلام رجع الى أهلك فأحسن اليهم وسل الله الذى يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم فقام الملك فمكث أياما وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس باكثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل وشق عليهم فقال ملكهم لارمياء يا نبى الله أين ما وعدك الله به قال انى بربى لواثق ثم أقبل الملك على أرمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذى وعده فقعد بين يديه وقال له أنا الذى أتيتك فى شأن أهلى مرتين فقال له أرمياء عليه السلام ألم يأن لهم ان ينتهوا من الذى هم فيه فقال له يا نبى الله كل شئ كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه واليوم رأيتهم فى عمل لا يرضى الله تعالى فقال أرمياء عليه السلام على أى عمل رأيتهم قال على عمل عظيم من سخط الله تعالى فغضبت لذلك وأتيتك لاخبرك وانى أسألك بالله الذى بعثك بالحق نبيا الا ما دعوت الله تعالى عليهم ليهلكهم فقال أرمياء يا ملك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب مابقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فاهلكهم قال فلما خرجت الكلمة من فم أرمياء

غناما حتى أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها فلما رأى ذلك أرميا صاح وبكى وشق ثيابه وحثا الرماد على رأسه وقال يا مالك السموات والارض أين ميعادك الذي وعدتني فنودي انه لم يصبهم الذي أصابهم الا بفتياك ودعائك فاستيقن أرمياء عليه السلام انها فتياه وان ذلك السائل كان رسول ربه فطار أرمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس فقذفوا فيه التراب حتى ملؤه ثم انصرفوا الى بابل واحتمل معه سبايا بني اسرائيل وأمرهم أن يجمعوا ما كان في بيت المقدس فجمعوا كل صغير وكبير من بني اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبي فلما أراد أن يقسم الغنائم في جنده قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرائيل ففعل ذلك فاصاب كل واحد منهم أربعة غلمان وكان من اولئك الغلمان دانيال وحنانيا وعزاريا وميشايل وسبعة آلاف من أهل بيت داود واحد عشر ألفا من سبط يوسف ابن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط يساخر بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط بن زبولون بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابني يعقوب ومن بقي من بني اسرائيل جعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلثا أقر بالشام وثلثا سبي وثلثا قتل وذهب بأواني بيت المقدس حتى أقدمها بابل وذهب بالغلمان السبعين ألفا وسائر السبايا حتى قدم بهم بابل وكانت هذه الوقعة الاولى التي أنزلها الله على بني اسرائيل باحداثهم وظلمهم وذلك قوله تعالى فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد يعني بختنصر وجنوده وكان بدء أمر بختنصر على ماروى حجاج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قال كان رجل من بني اسرائيل يقرأ التوراة حتى اذا بلغ بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد بكى وفاضت عيناه وأطبق المصحف ثم انطلق الى المسجد وقال رب أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني اسرائيل على يديه فاري في المنام انه مسكين ببابل يقال له بختنصر فانطلق بمال واعبد له وكان رجلا موسرا فقيل له أين تريد قال أريد التجارة ثم ذهب حتى نزل دارا ببابل فاستكراها ليس فيها أحد غيره فجعل يدعو المساكين ويتلطف بهم حتى لا يأتيه أحد مسكين الا أعطاه فقال هل بقي مساكين غيركم قالوا انعم مسكين بفج آل فلان مريض يقال له بختنصر فقال لغلمانه انطلقوا وانطلق معهم حتى أتاه فقال له ما اسمك قال بختنصر فقال لغلمانه احملوه فنقله اليه ومرضه حتى برأ فكساه وأعطاه نفقة ثم أذن الاسرائيلي في الرحيل فبكى بختنصر فقال الاسرائيلي ما يبكيك فقال أبكي لانك فعلت معي ما فعلت ولا أجد شيأ أجازيك به فقال بلى شيء يسير قال وما هو قال له ان صرت ملكا وملكت بيت المقدس أتعطيني ما أطلبه فجعل يتبعه ويقول له أتستهزئ بي ولا يمنعه أن يعطيه ما سأله الا أنه يرى انه يستهزئ به قال فبكى الاسرائيلي وقال قد علمت ما يمنعك أن تعطيني ما سألتك الا الله تعالى يريد أن ينفذ قضاءه فكتب له كتابا وضرب الدهر ضربانه فقال يوما صيحون وهو ملك بابل لو انا أرسلنا طليعة الى الشام قالوا ما ضرك لو فعلت قال فمن ترون قالوا فلانا فبعث رجلا وأعطاه مائة ألف فخرج بختنصر في مطبخه لم يخرج الا ليأكل في مطبخه فلما قدم الى الشام رأى صاحب الطليعة أكثر أهل الارض فرسانا ورجالا جلادا فكبر ذلك في عينه

فلم يصل ولم يسألهم عن شيء وكان بختنصر دخل الشام ولم يزل يجالس مجالس أهل الشام ويسألهم ويقول لهم ما منعكم أن تغزوا بابل فلو غزوتموها لغنمتم منها شيأ كثيرا فقالوا انا لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى انتقد مجالس أهل الشام وعرف سرائرهم ثم ان الطليعة رجعوا فأخبروا ملكهم بما رأوا وكان بختنصر رجع معهم فجعل يقول لفراش الملك لو دعاني الملك لأخبرته غير الخبر الذي أخبره فلان وفلان فرفع ذلك الى الملك فدعاه فأخبره الخبر وقال ان فلانا لما رأى أكثر أهل الارض كراعا ورجالا جلدا كبر ذلك في ذرعه ولم يسألهم عن شيء واني لم أدع مجلسا بالشام الا جلست فيه أسأل أهله فقلت لهم كذا وكذا وقالوا كذا وكذا قال سعيد بن جبير قال صاحب الطليعة لبختنصر فضحتني لك مائة ألف دينار وترجع عما قلت فقال له لو أعطيتني بيت مال بابل ما رجعت عما قلت ثم ضرب الدهر ضربانه فقال الملك لو بعثنا جريدة خيل الى الشام فان وجدوا مساغا ساغوا والا أمسكوا ما قدروا عليه فقالوا ما ضرك لو فعلت ذلك قال فمن ترون قالوا فلانا قال بل الرجل الذي أخبرني بما أخبرني فدعا بختنصر فبعثه ثم انتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم فانطلقوا فجاسوا خلال الديار فسبوا ما شاء الله تعالى ولم يخربوا ولم يقتلوا ومات صيحون الملك فقالوا استخلفوا ملكا قالوا على رسلكم حتى تأتي أصحابكم فانهم فرسانكم فامتهلوا حتى جاء بختنصر بالسبي وما معه فقسمه بين الناس فقالوا ما رأينا أحدا أحق بالملك منه فهذه القصة الاولى فملكوه على أنفسهم وقال السدي باسناده ان رجلا من بني اسرائيل رأى في المنام أن خراب بيت المقدس وهلاك بني اسرائيل على يد غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل يدعى بختنصر وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم فأقبل يسأل عنه حتى نزل في بيت أمه وكان قد ذهب يحتطب فجاء وعلى رأسه حزمة حطب فألقاها ثم قعد في جانب البيت فكلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم وقال له اشتر بها طعاما وشرابا فاشترى بدرهم لحما وبدرهم خبزا وبدرهم خمرا وجاء به فأكلوا وشربوا حتى اذا كان اليوم الثاني فعل به مثل ذلك واليوم الثالث فعل كذلك ثم قال له الاسرائيلي اني أحب أن تكتب لي أمانا اذا أنت ملكت يوما من الدهر فقال بختنصر أتسخر مني قال لا أسخر منك ولكن ما عليك أن تجعل عندي لك يدا فكلمته أمه فقالت ما عليك ان كان والا لم ينقصك شيأ فكتب له أمانا فقال أرأيت ان جئتك والناس حولك قد حالوا بيني وبينك فاجعل لي علامة تعرفني بها قال ترفع صحيفتك على قصبة فأعرفك بها فكتب له أمانا وأعطاه اياه ثم ان ملك بني اسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا عليهما السلام ويدني مجلسه ويستشيره في أمره ولا يقطع أمرا دونه وان الملك هوي أن يتزوج بنت امرأة له هذا قول السدي وقيل كانت بنت أخيه لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث عيسى ابن مريم يحيى بن زكريا عليهم السلام في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس وكان فيما نهاهم عنه نكاح بنت الاخت قال وكان لملكهم ابنة أخت تعجبه ويريد أن يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة يقضيها لها وذكر الحديث في مقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام رجعنا الى حديث السدي قال فسأل يحيى عن نكاحها فقال لست أرضاها لك فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها فعمدت حين جلس الملك على شرابه فألبست ابنتها ثيابا حمرا رقاقا فاخرة وطيبتها وألبستها من الحلي شيأ لا قيمة له من غايته وألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه

الخمر وأن تتعرض له فان راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته ويكون الذى تسأله أن تؤتى برأس يحيى بن زكريا فى طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه الخمر وتتعرض له فلما أخذ من يدها الشراب راودها عن نفسها فقالت لا افعل حتى تعطينى ما أسالك قال وما تسالينى قالت أسالك أن تبعث الى يحيى بن زكريا فتاتينى برأسه فى طشت فقال ويحك سلينى غير هذا قالت ما أريد غير هذا فلما أبت عليه بعث الى يحيى فاتى برأسه فجعلت الرأس تتكلم حتى وضعت بين يديه وهى تقول انها لا تحل لك فلما أصبح الملك واذا دم يحيى يغلى فامر بالتراب فالقى عليه فرقى الدم فوق التراب يغلى فالقى عليه أيضا فارتفع الدم فوقه فلم يزل يلقى عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلى فبلغ سنجاريب ملك بابل ذلك فنادى فى الناس وأراد أن يبعث اليهم جيشا ويؤمر عليهم رجلا فأتاه بختنصر وكلمه وقال ان الذى أرسلت تلك المرة ضعيف وانى قد دخلت المدينة وسمعت كلام أهلها فابعثنى فبعث بختنصر حتى اذا بلغوا ذلك المكان ورآهم أهله تحصنوا فى مدائنهم فلم يطقهم فلما اشتد عليه المقام وجاع أصحابه أرادوا الرجوع فخرجت اليهم عجوز من عجائز بنى اسرائيل وقالت أين أمير الجند فأتى بها اليه فقالت له بلغنى انك تريد الرجوع بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة قال نعم قد طال مقامى وجاع أصحابى فلست أستطيع المقام فوق الذى كان منى قالت أرأيتك ان دللتك على فتح المدينة تعطينى ما أسألك وتقتل ما آمرك بقتله وتكف عمن آمرك بالكف عنه قال لها نعم قالت اذا أصبحت فاقسم جندك أربعة أقسام ثم اقسم على كل زاوية ربعا ثم ارفعوا أيديكم الى السماء ونادوا يا رب نسألك بدم يحيى بن زكريا عليهما السلام فانهم اذا فعلوا ذلك تساقط سور المدينة ففعلوا ذلك فتساقط سور المدينة ودخلوا من جوانبها فانطلقت به الى دم يحيى بن زكريا عليهما السلام وقالت له اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفا حتى سكن فلما سكن الدم قالت له كف يدك فان الله تعالى اذا قتل نبى لا يرضى حتى يقتل من قتله ومن رضى بقتله وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته وخرب بيت المقدس وأمر أن تطرح فيه الجيف وقال من طرح عليه جيفة فله جزيته فى تلك السنة وأعانه على خرابه الروم من اجل ان بنى اسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا فلما خربه بختنصر ذهب بوجوه بنى اسرائيل وسراياهم

(قصة دانيال عليه السلام)

وذهب دانيال وقوم من اولاد الانبياء وذهب معه براس جالوت فلما قدم بختنصر ارض بابل وجد سنجاريب قد مات فلك مكانه واستقام له الامر وثبت على ذلك مدة ثم ان بختنصر راى رؤيا هيبة فافزعته فسال عنها السحرة والكهنة فعجزوا عن تفسيرها فبلغ ذلك دانيال وكان فى السجن مع اصحابه وقد احبه صاحب السجن واعجب به لما رأى من حسن سمته وهديته فقال دانيال لصاحب السجن انك قد احسنت الى وان صاحبكم قد رأى رؤيا فدله على لاعبرها له فجاء السجان واخبر بختنصر بقصة دانيال فقال على به وكان لا يقف بين يديه احد الا سجد له فاتوا به فقام بين يديه ولم يسجد له فقال لهما الذى منعك من السجود لى فقال له ان لى ربا آتانى العلم والحكمة وأمرنى ان لا اسجد الا له فخشيت ان سجدت لغيره ان ينزع منى والعلم الذى آتانى ويهلكنى فاعجب به وقال نعم ما فعلت وقد أحسنت حيث وفيت بعهده وأجللت علمه

ثم قال هل عندك علم بهذه الرؤيا وهل لك فى تعبيرها قال نعم قال فاخبرنى فأخبره برؤياه التى رآها
قبل أن يخبره بها ثم عبرها له وكانت الرؤيا ما أخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن وهب بن منبه
يقول ان بختنصر رأى فى منامه صنما رأسه من ذهب وصدره من فضة وبطنه من نحاس وفخذه
من حديد وساقه من فخار ثم رأى حجرا من السماء قد وقع عليه فدقه ثم ربا الحجر حتى ملأ ما بين
المشرق والمغرب ورأى شجرة أصلها فى الارض وفرعها فى السماء ثم رأى رجلا بيده فاس وسمع
مناديا ينادى اضرب جذعها ليتفرق الطير من فروعها وتتفرق الدواب والسباع من تحتها
واترك أصلها قائما فعبرها له دانيال عليه السلام فقال أما الصنم الذى رأيت رأسه من ذهب
فأنت الرأس الذهب وأنت أفضل الملوك وأما الصدر الذى رأيت من فضة فهو ابنك يملك من
بعدك وأما البطن الذى رأيت من نحاس فملك يكون بعد ابنك وأما ما رأيت من الفخذ الذى من
حديد فتتفرق فرقتان فى فارس تكونان أشد الملوك وأما الفخار فآخر ملكهم يكون دون الحديد
وأما الحجر الذى رأيت قد وقع من السماء وربا حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب فنبى يبعثه الله
فى آخر الزمان فيفرق ملكهم كله ويربو ملكه حتى يملأ ما بين المشرق والمغرب وأما الشجرة
التى رأيت والطير الذى عليها والسباع والدواب التى تحتها وما أمر بقطعها فيذهب ملكك
ويردك الله طائرا نسرا عظيما فملك الطيور ثم يردك الله ثورا فملك الدواب ثم يردك الله أسدا
فملك السباع والوحوش وتكون منذ مسخك الله على ما ذكرنا سبع سنين فى ذلك كله
وقلبك قلب انسان حتى تعلم أن الله له ملك السموات والارض وهو يقدر على الارض ومن عليها
وأما ما رأيت من أن أصلها قائم فان ملكك قائم فسئل وهب بن منبه أكان مؤمنا أم لا فقال
وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا فى ذلك فمنهم من قال مات مؤمنا ومنهم من قال مات كافرا لانه
حرق بيت المقدس والكتب التى فيه وقتل الانبياء وغضب الله عليه غضبا شديدا فلم يقبل منه
يومئذ توبة قالوا فلما عبر دانيال لبختنصر رؤياه وأخبره بها أكرمه وأكرم أصحابه وجعل يقبل
عليه ويستشيره فى أموره حتى كان أكرم الناس عليه وأحبهم اليه فحسده المجوس على
ذلك فوشوا به وبأصحابه الى بختنصر فقالوا له ان دانيال وأصحابه ما يعبدون الهك ولا يأكلون
ذبيحتك فدعاهم وسألهم فقالوا أجل ان لنا ربا نعبده ولسنا نأكل من ذبيحتكم فأمر بأخدود
فخد لهم وألقوا فيه وهم ستة وألقى معهم سبع ضارى ليأكلهم ثم قال انطلقوا لنأكل ونشرب
فذهبوا فأكلوا وشربوا ثم انهم رجعوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم ولم يخدش
منهم أحدا ولم ينكهم بشئ ووجدوا معهم رجلا زائدا فعدوهم فوجدوهم سبعة فقالوا ما بال هذا
السابع وانما كانوا ستة فخرج اليهم السابع وكان ملكا من الملائكة فلطم بختنصر لطمة
فصار فى الوحوش والسباع ومسخه الله سبع سنين ثم رده الى صورته ورد عليه ملكه قال السدى
فلما رد الله عليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فحسدهم المجوس أيضا ووشوا بهم
ثانية وقالوا لبختنصر ان دانيال اذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عارا فجعل
لهم بختنصر طعاما وشرابا فأكلوا وشربوا ثم قال للبواب انظر أول من يخرج عليك ليبول
فاضربه بالطبرزين وان قال أنا بختنصر فقل له كذبت بختنصر أمرنى فحبس الله عن دانيال
وأصحابه البول فكان أول من قام من القوم يريد البول بختنصر فقام مدلا وكان ذلك ليلا فقام

يسحب ثيابه فلما رآه البواب شد عليه فقال له أنا بختنصر فقال كذبت ان بختنصر أمرني ان أقتل كل من يخرج أولا ثم ضربه فقتله وأما محمد بن اسحق فانه قال في هلاك بختنصر غير ما قال السدى وذلك أنه قال باسناده لما أراد الله هلاك بختنصر قال لمن كان في يده من بني اسرائيل أرأيتم هذا البيت الذى خربت وهؤلاء الناس الذين قتلت من هم وما هذا البيت فقالوا هذا بيت الله تعالى ومسجد من مساجده وهؤلاء أهله كانوا من ذرارى الانبياء فظلموا وتعدوا وعصوا فسلط الله عليهم عدوهم بذنوبهم قال فأخبروني ما الذى يطلع بى الى السماء وأطلع عليها فأقتل من فيها وأتخذها ملكا فانى قد فرغت من الارض وما فيها قالوا ما يقدر عليها أحد من الخلق فقال لتفعلن أو لاقتلنكم عن آخركم فشكوا الى الله وتضرعوا فبعث الله تعالى عليه بقدرته ليريه ضعفه وهوانه بعوضة فدخلت في منخره ثم ساخت فيه حتى عضت بأم دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يضرب على أم دماغه فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله اذا أنا مت فشقوا رأسى وانظروا ما الذى قتلنى فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة بأم دماغه ليرى الله العباد قدرته وسلطانه ونجى الله تعالى من كان بقى في يديه من بنى اسرائيل ورحمهم وردهم الى ايلياء والشام فبنوا فيها وربوا وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه فيزعمون أن الله أحيا المؤمنين الذين قتلوا ولحقوا بهم ثم انهم لما رجعوا الى الشام وجدوا بختنصر قد أحرق التوراة وليس معهم عهد من الله فجدد الله توراتهم وردها اليهم على لسان عزير وسنذكر القصة فيه ان شاء الله تعالى وكان عمر بختنصر أيام مسخه نيفا وخمسمائة عام وخمسين يوما فلما مات بختنصر استخلف ابنه فلسطاس وكانت آنية بيت المقدس التى حملها بختنصر الى بابل عنده وكان نجسها بلحوم الخنازير وشرب فيها الخمر وأقصى دانيال فلم يقبل منه فاعتزل دانيال فبينما فلسطاس قاعد ذات يوم اذ بدت له كف معلقة بغير ساعد فكتبت ثلاثة أحرف بمشهده ثم غابت فعجب من ذلك وتحير ولم يدر ما هى فدعا دانيال عليه السلام واعتذر اليه وسأله أن يقرأ له ذلك الكتاب ويخبره بتأويله فقال دانيال بسم الله الرحمن الرحيم وزن فخف ووعد فانجز وجمع ففرق فقال أما قوله وزن فخف أى وزن عملك في الميزان فخف ووعد فانجز أى وعد ملكك بالخراب فأنجز اليوم وجمع ففرق أى جمع لك ولوالدك من قبلك ملكا عظيما ثم فرق اليوم فلا يجتمع الى يوم القيامة فلم يلبث الا قليلا حتى أهلكه الله تعالى وضعف ملكهم وبقى دانيال عليه السلام بأرض بابل الى أن مات بالسوس والله أعلم

(خبر وفاة دانيال عليه السلام)

قال أهل الاخبار لما فتح الله السوس على يد أبى موسى الاشعرى في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قتل أبو موسى ملكها سابور واحتوى على المدينة فغنم ما فيها وأخذ أموال سابور وملكها وجعل يدور في الخزائن فيأخذ ما فيها حتى أفضى الى خزانة مقفلة وقد ختم على قفلها بالرصاص فقال أبو موسى الاشعرى لاهل السوس ما في هذه الخزانة فانى أراها مختومة بالرصاص فقالوا له أيها الامير ليس فيها شئ من حاجتك فقال لا بد لى أن أعلم ما فيها فافتحوا بابها حتى أنظر ما فيها فكسروا القفل وفتحوا الباب فدخل أبو موسى الخزانة فنظر فاذا هو بحجر طويل محفور على مثال الحوض وفيه رجل ميت وقد كفن بأكفان

منسوجة بالذهب ورأسه مكشوف قال فتعجب أبو موسى من طوله وكل من كان معه ثم انهم شبروا أنفه فاذا هو يزيد على شبر فقال أبو موسى لاهل السوس ويحكم من هذا الرجل قالوا ان هذا الرجل كان بالعراق وكان أهل العراق اذا احبس عنهم المطر استسقوا به فيسقون فأصابنا من قحط المطر ما كان يصيب أهل العراق فأرسلنا اليهم وسألناهم أن يدفعوه الينا حتى نستسقى به فأبوا علينا فرهنا عليه عندهم خمسين رجلا وحملناه الى بلدنا هذا ثم استسقينا به فسقينا فرأينا من الرأى أن لا نرده اليهم فلم يزل مقيما عندنا الى أن أدركه الموت فمات فهذه قصته وحاله قال فأقام أبو موسى الاشعرى بالسوس وكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخبره بما فتح الله عليهم من مدينة السوس وماوالاها وكتب فى كتابه أمر ذلك الرجل الميت فلما وصل الكتاب وقرأه عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعا أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ذلك فما وجد عند واحد منهم علمه فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ان هذا الرجل دانيال الحكيم وهو نبى غير مرسل كان فى قديم الزمان مع بختنصر ومن كان بعده من الملوك وجعل على بن أبى طالب رضى الله عنه يحدث عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن قصة دانيال من أولها الى آخرها الى وقت وفاته ثم قال اكتب الى صاحبك ومره أن يصلى عليه ويدفنه فى موضع لا يقدر عليه أهل السوس فكتب عمر الى أبى موسى بذلك فلما قرأ أبو موسى كتاب عمر أمر اهل السوس أن يكفوا نهرهم الى موضع آخر ثم أمر بدانيال فكفن بأكفان غير التى كانت عليه ثم صلى عليه هو وجميع من كان معه من المسلمين ثم أمر بقبر فحفر له فى وسط النهر ثم دفنه وأجرى عليه النهر فيقال ان دانيال عليه السلام فى نهر السوس والماء يجرى عليه الى يومنا هذا والله أعلم *

قال الاستاذ رضى الله عنه فهذا الذى ذكرت جميع أمر بختنصر الذى جاء فى التفسير الا أن رواية من يروى ان بختنصر هو الذى غزا بنى اسرائيل عند قتلهم يحيى غلط عند أهل السير والاخبار والعلماء بأمور الماضين من أهل الكتاب والمسلمين وذلك انهم مجمعون على ان بختنصر انما غزا بنى اسرائيل عند قتلهم نبيهم شعياء وفى عهد أرمياء عليه السلام وهى الوقعة الاولى التى قال الله تعالى فيها فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار الآية يعنى بختنصر وجنوده قالوا ومن عهد أرمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا أربعمائة واحدى وستون سنة وذلك انهم يعدون من لدن تخريب بختنصر بيت المقدس الى آخر عمرانه فى عهد كيرش بن حرسو بن شير بن أصهيل ببابل من قبل بهمن اسفنديار بن بستاسف سبعين سنة ثم من بعد عمرانه الى ظهور الاسكندر على بيت المقدس واحصاره ملكها وضمها الى مملكته ثمانية وثمانون سنة ثم من بعد ملكه بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا ثلثمائة وثلاثون سنة وانما الصحيح فى ذلك ما ذكره محمد بن اسحق بن يسار قال عمرت بنو اسرائيل بيت المقدس بعد ما عمرت الشام وعاد اليها ملكها بعد اخراب بختنصر اياها وسبيهم منها فجعلوا يحدثون الاحداث بعد مهلك عزير عليه السلام فبعث الله فيهم الانبياء ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله اليهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من آل داود عليه السلام فمات زكريا وقتل يحيى بسبب نهيه الملك عن نكاح تلك المرأة فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا عليهم السلام

بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له كردوس فسار اليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام
فلما دخل عليهم أمر رئيسا من رؤس جنوده يقال له بنورازادان صاحب القتل فقال له انى
قد حلفت بالهى لئن أنا ظهرت وظفرت على أهل بيت المقدس لاقتلنهم حتى تسيل دماؤهم وسط
عسكرى الا أنى لا أجد أحدا أقتله فأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بنورازادان دخل
بيت المقدس فأقام فى البقعة التى كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلى فسألهم عنه فقالوا
هذا دم قربان قربناه فلم يقبل منا فلذلك هو يغلى كما تراه ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان
فقبل منا الا هذا قال ما صدقتمونى الخبر فقالوا له لو كان أول دمائنا القبل منا ولكنه قد
انقطعت منا الملوك والانبياء والوحى فلذلك لم يقبل فذبح منهم بنورازادان على ذلك الدم
سبعمائة وسبعين رئيسا من رؤسهم فلم يهدأ الدم فأمر بسبعة آلاف من بنيهم وأزواجهم
فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما رأى بنورازادان الدم لا يهدأ قال لهم ويلكم يا بنى اسرائيل
اصدقونى قبل أن افنيكم واصبروا على أمر ربكم فلقد طالما ملكتم فى الارض تفعلون فيها
ماشئتم اصدقونى قبل ان لا أترك منكم نافخ نار لا أنثى ولا ذكرا الا قتلته فلما رأوا الجد وشدة القتل
صدقوه الخبر وقالوا ان هذا دم نبى منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فلو أنا أطعناه
فيها لكان أرشد لنا وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه وقتلناه فهذا دمه يغلى فقال بنورازادان
ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الآن صدقتمونى بمثل هذا ينتقم منكم ربكم فلما رأى
بنورازادان أنهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله اغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان
ههنا من جيش كردوس وبقوا من بقى من بنى اسرائيل ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربى وربك
ما أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل أن لا أبقى أحدا من
قومك فهدأ دم يحيى بن زكريا باذن الله تعالى ورفع بنورازادان عنهم القتل ثم قال آمنت بالذى
آمنت به بنو اسرائيل وصدقت به وأيقنت انه لا رب غيره فأوحى الله تعالى الى رأس من رؤس
بقية الانبياء ان بنورازادان حنون صدوق وحنون بالعبرانية حديث الايمان ثم ان بنورازادان
قال لبنى اسرائيل ان عدو الله كردوس أمرنى ان أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره
وانى لست استطيع ان أعصيه فقالوا له افعل ما أمرت به فأمرهم فحفروا خندقا ثم أمر
بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحوها حتى سال الدم فى العسكر
وأمر بنقل الذين كانوا اقتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم وكانوا فوقهم فلم يظن
كردوس الا أن ما فى الخندق من بنى اسرائيل فلما بلغ الدم الى عسكره ارسل الى بنورازادان ان
ارفع عنهم القتل فقد بلغتنى دماؤهم ثم انه انصرف عنهم الى بابل وقد أفنى بنى اسرائيل أو كاد أن
يفنيهم وهى الوقعة الاخيرة التى أنزل الله تعالى فيها قوله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب
لتفسدن فى الارض مرتين الآيات فكانت الوقعة الاولى لبختنصر وجنوده ثم رد الله لهم الكرة
عليهم وكانت لهم الديانة والرياسة وكانت الوقعة الاخيرة لكردوس وجنوده فلم تقم لهم من بعد ذلك
قائمة ولا راية وانتقل عن الشام ونواحيها الى الروم واليونانية الى أن تناسل بنو اسرائيل وكثروا
وانتشروا بعد ذلك وأحدثوا الاحداث واستحلوا المحارم وضيعوا الحدود فسلط الله عليهم
بطلوس بن اسنابوس فخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله تعالى منهم الملك والرياسة وضرب

عليهم الذلة فليسوا فى أمة من الامم الا وعليهم الصغار والذلة والجزية والملك فى غيرهم وبقى بيت المقدس خرابا الى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعمره المسلمون بأمره والله أعلم

(باب فى ذكر الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها)

قال الله تعالى أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها الآية واختلفوا فى ذلك المار من كان فقال عكرمة وقتادة والربيع بن أنس والضحاك والسدى هو عزير بن شرخيا وقال وهب ابن منبه وعبد الله بن حميد وعبيد بن عمير هو أرمياء بن خلقيا وكان من سبط هرون بن عمران وهو الخضر واختلفوا أيضا فى القرية التى مر عليها فقال عكرمة ووهب وقتادة والربيع هى بيت المقدس وقال الضحاك هى الارض المقدسة وقال السدى هى سلاباد وقال الكلبى هى دير سابراباذ وقيل هى دير هرقل وقيل هى قرية العنب وهى على فرسخين من بيت المقدس وكان السبب فى ذلك ماروى محمد بن اسحق بن يسار عن وهب بن منبه ان بختنصر لما وطئ الشام وخرب بيت المقدس وقتل بنى اسرائيل وسباهم طار أرمياء حتى خالط الوحوش فلما ولى بختنصر عنهم راجعا الى بابل ومعه سبايا بنى اسرائيل أقبل أرمياء على حماره ومعه عصير عنب فى ركوة وسلة تين حتى غشى ايليا فلما وقف عليها ورأى خرابها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها ثم ربط أرمياء حماره بحبل جديد وألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع منه الروح مائة عام ومات حماره وعصيره وتينه عنده وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع الله السباع والطير عن لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له يوشك فقال له ان الله يأمرك ان تنفر بقومك وتعمر بيت المقدس وايلياء وأرضها حتى يعودا أعمر ما كانا فانتدب الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونها وأهلك الله تعالى بختنصر ببعوضة دخلت فى دماغه ونجى الله تعالى من بقى من بنى اسرائيل ولم يمت منهم جميعا أحد ببابل وردهم الله تعالى الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا كاحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة عام على عزير أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه متفرقة بيض تلوح وسمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية ان الله يأمرك ان تجتمعى فاجتمع بعضها الى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نادى ثانية ان الله يأمرك ان تكتسى لحما ودما وجلدا فكان كذلك ثم نادى ان الله يأمرك أن تحيى فقام حماره ينهق باذن الله تعالى وعمر الله أرمياء فهو الذى يوجد فى الفلوات (أخبرنى) ابن فنجويه الحافظ باسناده عن وهب قال ليس فى الجنة كلب ولا حمار الا كلب أهل الكهف وحمار أرمياء الذى أماته الله مائة عام ثم بعثه وقال الذين قالوا ان المار كان عزيرا ان بختنصر لما خرب بيت المقدس قتل أربعين ألف رجل من قراء التوراة والعلماء بها وقتل فيهم أبا عزير وجده وكان عزير يومئذ غلاما قد قرأ التوراة وتقدم فى العلم فأقدمه مع سبايا بنى اسرائيل الى أرض بابل وهو من ولد هرون وكان معه سبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حماره حتى نزل على دير هرقل على شاطئ دجلة فطاف فى القرية فلم ير فيها أحدا وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة فى سلة وفضل العصير فى زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال أنى

يحيي هذه الله بعد موتها لم يشك في البعث ولكن قالها تعجبا ثم ربط حماره بحبل جديد ونام فأماته
الله مائة عام ثم بعثه فأتاه جبريل عليه السلام فقال له كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم وذلك
أن الله تعالى أماته ضحى وأحياه آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى أن
الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية الشمس فقال أو بعض يوم فقال له جبريل عليه السلام
بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك يعني التين وشرابك يعني عصير العنب لم يتسنه يعني لم يتغير
وانظر الى حمارك قال قوم وذلك ان الله تعالى لم يمت حماره فأحيا له الله تعالى رأسه وسائر جسده
ميت ثم قال له انظر الى حمارك فنظر فرأى حماره قائما كهيئته يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة
عام ونظر الى الرسن في عنقه جديدا لم يتغير وهذا قول الضحاك وقتادة وتقدير الآية على هذا
القول وانظر الى حمارك وانظر الى عظامك كيف ننشزها وقال آخرون أراد به عظام حماره كما
قدمنا ذكره فذلك قوله تعالى ولنجعلك آية للناس أي عبرة ودلالة على البعث بعد الموت وقال
الضحاك هو أنه عاد الى قريته وأولاده وأولاد أولاده فوجدهم شيوخا وعجائز وهو أسود الرأس
واللحية (أخبرنا) أبو عبد الله الحسين بن محمد الحافظ باسناده عن ابن عباس قال لما أحيا الله عزيرا
بعد ما أماته مائة سنة ركب حماره حتى أتى محلته فأنكره الناس وأنكر منازله فانطلق على وهم
منه حتى أتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت أمة له خرج
عنهم عزير وهي بنت عشرين سنة وكانت عرفته وعقلته فلما أصابها الكبر أصابتها الزمانة فقال
لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير ما رأيت كذا وكذا سنة يذكر عزيرا وقد
نسيه الناس قال فاني أنا عزير قالت سبحان الله فان عزيرا قد فقدناه منذ مائة سنة ولم نسمع له بذكر
قال فاني أنا عزير كان الله قد أماتني مائة سنة ثم بعثني قالت فان عزيرا كان رجلا مستجاب
الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية والشفاء فيعافيه الله تعالى ويشفيه فادع الله
تعالى أن يرد على بصري حتى أراك فان كنت عزيرا عرفتك قال فدعا ربه ومسح بيده على
وجهها وعينيها فاستجاب الله له فعوفيت ورد الله عليها بصرها ثم أخذ بيدها وقال لها قومي باذن
الله تعالى فأطلق الله رجليها فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال فنظرت الى عزير فعرفته
فقالت أشهد أنك عزير ثم انها انطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم وابن
عزير شيخ ابن مائة سنة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ في المجلس فنادت هذا عزير قد جاءكم
فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم دعا لي ربه فرد على بصري وأطلق رجلي وزعم ان الله أماته
مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس وأقبلوا اليه فقال ابنه كانت لأبي شامة سوداء مثل
الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هي بحالها فعرف عند ذلك انه عزير عليه السلام

(باب في ذكر تمام قصة عزير عليه السلام وحاله بعد ما رجع الى قومه)

قال الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله روى عطية العوفي عن ابن عباس قال كان عزير من أهل
الكتاب وكانت التوراة عندهم فعملوا بها ما شاء الله أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق وكان
التابوت فيهم فلما رأى الله تعالى أنهم قد أضاعوها وعملوا بالأهواء رفع الله عنهم التابوت وأنساهم
التوراة ونسخها من صدورهم فأرسل الله عليهم مرضا فاستطلقت بطونهم حتى كان الرجل يمس
كبده حتى نسوا التوراة وفيهم عزير فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من

صدورهم وكان عزير قد أمر علماءهم أن يدعوا الله تعالى فدعا الله هو واياهم وابتهل اليه أن يرد اليه مانسخ من صدره فبينما هو يصلى مبتهلا الى الله تعالى اذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعاد اليه الذى كان ذهب من صدره من التوراة فأذن فى قومه وقال ياقوم قد آتانى الله التوراة وردها الى فطفق يعلمهم فمكثوا ماشاء الله أن يمكثوا وهو يعلمهم التوراة ثم ان التابوت نزل بعد ذلك بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذى كان يعلمهم عزير فوجدوه مثله فقالوا والله ماأوتى عزير هذا الالانه ابن الله * قال السدى وابن عباس فى رواية عمار انما قالت اليهود هذا لان العمالقة ظهروا عليهم فقتلوهم وأخذوا التوراة وهرب علماؤهم الذين بقوا ودفنوا التوراة فى الجبال وغيرها ولحق عزير بالجبال والوحوش وجعل يتعبد فى رؤس الجبال ولايخالط الناس ولاينزل الايوم عيد وجعل يبكى ويقول يارب تركت بنى اسرائيل بغير عالم وجعل يبكى حتى سقطت أشفار عينيه فنزل مرة الى العيد فلما رجع فاذا هو بامرأة قد تمثلت له عند قبر من تلك القبور وهى تبكى وتقول يامطعماه يامكسياه فقال لها عزير ياهذه اتقى الله واصبرى واحتسبى أما علمت أن الموت سبيل الناس ثم قال لها ويحك من كان يطعمك ويسقيك ويكسوك قبل هذا الرجل يعنى زوجها الذى كانت تندبه فقالت الله تعالى قال فان الله عزوجل حى لايموت أبدا قالت ياعزير فمن كان يعلم العلماء قبل بنى اسرائيل قال الله تعالى قالت فلم تبكى عليهم وقد علمت أن الموت حق وأن الله حى لايموت فلما علم عزير أنه قد خصم ولى مدبرا فقالت له ياعزير انى لست امرأة ولكنى الدنيا أما انه سينبع لك فى مصلاك عين وتنبت شجرة فكل من ثمر تلك الشجرة واشرب من ماء تلك العين واغتسل وصل ركعتين فانه سيأتيك شيخ ويعطيك شيأ فما أعطاك فخذ منه فلما أصبح نبعت العين فى مصلاه ونبتت شجرة ففعل ماأمر به فجاء شيخ وقال له افتح فاك ففتح فاه فألقى فيه شيأ كهيئة القوارير ثلاث مرات ثم قال له ادخل هذه العين فامش فيها حتى تبلغ أملك قال فدخل وجعل لايرفع قدمه الازيد فى علمه فرجع اليهم وهو من أعلم الناس بالتوراة ثم قال يابنى اسرائيل قد جئتكم بالتوراة قالوا ياعزير ما كنت كذابا فربط على كل اصبع له قلما وكتب بأصابعه كلها حتى كتب التوراة كلها عن ظهر قلبه فأحيا لهم التوراة والسنة فلما رجع العلماء استخرجوا كتبهم التى دفنوها وقابلوها بتوراة عزير فوجدوها مثلها فقالوا ماأعطى الله هذا الالانه ابنه * وقال الكلبى ان بختنصر لما ظهر على بنى اسرائيل وهدم بيت المقدس وقتل من قرأ التوراة وكان عزير اذ ذاك غلاما صغيرا فاستصغره فلم يقتله ولم يدر أنه قد قرأ التوراة فلما مات مائة سنة ورجعت بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى فيهم عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية فأتاهم عزير وقال أنا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت عزيرا كما تزعم فأمل علينا التوراة فكتبها وقال هذه التوراة ثم ان رجلا قال ان أبى حدثنى عن جدى أن التوراة جعلت فى خابية دفنت فى كرم فلان فى موضع كذا فانطلقوا معه حتى احتفروا وأخرجوا الخابية والتوراة فيها فأخذوها وقابلوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر منها آية ولاحرفا فعجبوا وقالوا ان الله تعالى لم يقذف التوراة فى قلب رجل واحد منا بعدما ذهبت من قلوبنا الاأنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله

(مجلس فى ذكر غزوة بختنصر العرب وقصة يوحنا بن برخيا وخراب حضور)

قال الله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين الى قوله حصيدا خامدين * قال هشام بن محمد الكلبى وغيره كان بدء نزول العرب أرض العراق واتخاذهم الحيرة والانبار منزلا أن الله تعالى أوحى الى يوحنا بن برخيا بن رزبابيل بن سنبسل وسنبسل هذا هو أول من اتخذ الطفيشل وكان من ولد يهوذا بن يعقوب أن ائت بختنصر وأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب ويطأ بلادهم ويقتل مقاتلهم ويستبيح أموالهم لكفرهم بى واتخاذ الآلهة دونى وتكذيبهم أنبيائى ورسلى وذلك بعد قتل أهل حضور وهى بلدة باليمن بعث الله اليهم نبيا فأقبل يوحنا حتى قدم على بختنصر ببابل فأخبره بما أوحى الله اليه وقص عليه ما أمره به وذلك فى زمن معد بن عدنان فأوحى الله تعالى الى يوحنا انى قد سلطت بختنصر على أهل قرية خربة لا تتقدم به منهم فعليك بمعد بن عدنان الذى من ولده النبى محمد صلى الله عليه وسلم الذى أخرجه فى آخر الزمان وأختم به النبوة وأرفع به من أطاعه فخرج تطوى له الارض حتى سبق بختنصر فلقى عدنانا وقد تلقاه فنظر الى معد ولمعد يومئذ اثنتا عشرة سنة فحمله يوحنا على البراق وأردفه خلفه فانتهيا الى أرض نجران من ساعتهما قالوا ووثب بختنصر على من كان فى بلاده من تجار العرب وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والامتيار فجمع من ظفر به منهم فبنى لهم ديرا على نجف وحصنه ثم ضمهم فيه فقيدوا ووكل بهم حرسا وحفظة ثم نادى فى الناس بالغزو فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت اليه طوائف منهم مسالمين مستأمنين فاستشار بختنصر فيهم يوحنا فقال ان خروجهم اليك من بلادهم قبل نهوضك اليهم رجوع منهم عما كانوا عليه فاقبل منهم وأحسن اليهم قال فأنزلهم بختنصر السواد على شاطئ الفرات والتقى بختنصر مع العرب فهزمهم وأثخن فيهم بالقتل والاسر وسار حتى بلغ الحجاز والتقى عدنان فى قومه من العرب وبختنصر بذات عرق فهزمهم ونادى مناد من جوف السماء يا لثارات الانبياء فأخذتهم السيوف من خلفهم ومن بين أيديهم فندموا على ذنوبهم ونادوا بالويل فذلك قوله تعالى فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون أى يسرعون هاربين فأخذتهم السيوف وقالت لهم الملائكة لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم الآية فلما عرفوا أنه واقع بهم أقروا بالذنوب قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يدعون بها حتى هلكوا فذلك قوله تعالى فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ثم رجع بختنصر الى بابل بما جمع من سبايا العرب فألقاهم فى الانبار فقيل أنبار العرب وانضم اليه المستأمنون من العرب وخلى بختنصر أهل الدير بعد فراغه من غزو العرب وابتنوا لانفسهم بلدين فسموا احداهما الانبار والأخرى الحيرة وخالطهم بعد ذلك النبط ومات عدنان وبقيت بلاد العرب خرابا فى حياة بختنصر فلما مات بختنصر رجع معد بن عدنان ومعه أنبياء بنى اسرائيل حتى أتى مكة فأقام أعلامها وحج الانبياء معه

(مجلس فى ذكر لقمان الحكيم عليه السلام وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه)

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني العقل والعلم والعمل به والاصابة في الامور واختلفوا في نسبه فقال محمد بن اسحق بن يسار هو لقمان بن باعور بن ناخور بن تارخ وهو آزر أبو ابراهيم عليه السلام وقال وهب كان ابن أخت أيوب عليه السلام وقال مقاتل كان ابن خالة أيوب وقال الواقدي كان قاضي بني اسرائيل وقال آخرون كان عبدا وقال مجاهد كان لقمان عبدا أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وروى الاوزاعي عن عبد الرحمن بن حرملة قال جاء أسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من أجل أنك أسود فانه قد كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا من سودان مصر ذا مشافر (حدثنا) الامام أبو منصور الحمشاوي لفظا باسناده عن سعيد بن المسيب أن لقمان عليه السلام كان عبدا حبشيا نجارا (وأخبرني) ابن فنجويه باسناده عن سعيد بن المسيب أن لقمان عليه السلام كان خياطا واتفق العلماء أنه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه كان يقول ان لقمان كان نبيا تفرد بهذا القول (حدثنا) أبو منصور الحمشاوي عنه باسناده أنه قال كان نبيا قال بعضهم خير لقمان بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وروى نافع عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حقا أقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا اعصمه الله تعالى كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فأحبه الله فمن عليه بالحكمة وذلك أنه كان نائما نصف النهار فجاءه النداء يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلوى وان عزم على فسمعا وطاعة فاني أعلم أنه ان فعل بي أعانني وعصمني فقالت الملائكة لم يا لقمان قال لان الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان أصاب فأرجو أن ينجو وان أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن تخير الدنيا على الآخرة نفته الدنيا ولا يبقى له الآخرة فتعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطى الحكمة فانتبه فتكلم بها ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط بما اشترط لقمان فهم بالخطيئة غير مرة كل ذلك ويعفو الله عنه وكان لقمان يوازره بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء وأعطي داود الخلافة وابتلي بالبلية والفتنة

(باب في ذكر بعض ما روى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن)

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم الآيات (أخبرنا) أبو عبد الله الحسين الدينوري عن عكرمة قال كان لقمان من أهون مملوك على سيده قال فبعثه مولاه مع رفقة له الى بستان له ليأتوه بشيء من ثمره فجاؤا وليس معهم شيء وقد أكلوا الثمرة وأحالوا على لقمان فقال لمولاه ان ذا الوجهين لا يكون عند الله أمينا فاسقني واياهم ماء حميما ثم أرسلنا فلتقذفه ففعل فجعلوا يتقايؤن الفاكهة وجعل لقمان يتقيأ ماء نقيا فعرف صدقه من كذبهم قال فأول ما روى من حكمته أنه بينما هو مع مولاه اذ دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان ان طول الجلوس على الخلاء يفجع منه الكبد ويورث الباسور وتصعد الحرارة الى الرأس فاجلس هوينا وقم قال فخرج

وكتب حكمته على باب الحش قال وكان مولاه يوما خاطر أقواما على أن يشرب ماء بحيرة فلما أفاق عرف ما وقع فيه فدعا لقمان ثم قال له لمثل هذا اليوم كنت خبأتك قال أخرج كرسيك وأباريقك ثم اجمعهم فلما اجتمعوا قال لهم على أى شئ خاطرتمونى قالوا على ماء هذه البحيرة فقال لهم لقمان ان لها موادا فاحبسوا عنها موادها حتى يشربها قالوا وكيف نستطيع أن نحبس موادها فقال لقمان وكيف يستطيع شربها ولها مواد (أخبرنا) ابن فنجويه باسناده عن خالد الربعى قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له سيده اذبح لنا شاة فذبح له شاة فقال ائتنى بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فقال له أما كان فيها شئ أطيب من هذا قال لا فسكت عنه ثم قال له اذبح لنا شاة فذبح شاة فقال ائتنى بأخبث مضغتين منها فجاءه باللسان والقلب فقال له أمرتك أن تأتينى بأطيبها مضغتين فأتيتنى باللسان والقلب وأمرتك أن تأتينى بأخبثها مضغتين فأتيتنى باللسان والقلب فقال انه ليس بأطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا (وأخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده عن محمد بن عجلان قال قال لقمان الحكيم ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس (وأخبرنا) عبد الله باسناده عن أبى هريرة قال مر رجل بلقمان والناس مجتمعون عليه فقال له ألست العبد الاسود الذى كنت راعيا بموضع كذا وكذا قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث وأداء الامانة وترك ما لا يعنينى (أخبرنى) الحسين بن محمد عن أبيه قال قال لقمان ضرب الوالد لولده كالماء للزرع وعن عبد الله ابن دينار أن لقمان قدم من سفر فتلقاه غلامه فى الطريق فقال له ما فعل أبى قال مات قال الحمد لله ملكت أمرى قال فما فعلت امرأتى قال ماتت قال جدد فراشى قال ما فعلت أختى قال ماتت قال سترت عورتى قال ما فعل أخى قال مات قال انقطع ظهرى (أخبرنا) الحسين ابن الحسن بن محمد باسناده عن شقيق قال قيل للقمان أى الناس أشرف قال الذى لا يبالى أن يراه الناس مسيئا وقيل للقمان ما أقبح وجهك قال تعيب بهذا على النقش أو على النقاش وروى المحاربى عن سفيان الثورى قال قال لقمان لابنه ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وليكن حشوها ايمانك بالله وشراعها التوكل على الله فلعلك تنجو وما أظنك ناجيا يا بنى كيف لا يخاف الناس ما يوعدون وهم فى كل يوم ينقصون يا بنى خذ من الدنيا بلغة ولا تدخلن فيها دخولا فتضر فيها بآخرتك ولا ترفضها فتكون عيالا على الناس وصم صوما يقطع شهوتك ولا تصم صوما يمنعك عن الصلاة فان الصلاة عند الله أعظم من الصوم يا بنى لا تتعلم العلم لتباهى به العلماء وتمارى به السفهاء أو ترائى به فى المجالس ولا تترك العلم زهادة فيه ورغبة فى الجهالة يا بنى اختر المجالس على عينك فان رأيت قوما يذكرون الله فاجلس اليهم فانك ان تك عالما ينفعك علمك ويزيدوك علما وان تكن جاهلا يعلموك ولعل الله أن يظلهم برحمته فتعمك معهم واذا رأيت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس اليهم فانك ان تكن عالما لا ينفعهم علمك وان تكن جاهلا يزيدوك جهلا فلعل الله يظلهم بالعقوبة فتعمك معهم يا بنى لا تضع برك الا عند راعيه كما ليس بين الكبش والذئب خلة كذلك ليس بين البار والفاجر خلة ومن يصحب المراء يشتم ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن يقارن قرين السوء لا يسلم ومن لا يملك لسانه يندم يا بنى كن عبدا للاخيار ولا تكن خليلا للاشرار

يا بنى

يا بنيّ كن أمينا تكن غنيا ولا ترِ الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر يا بنيّ جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ولا تجادلهم فيمنعوك حديثهم والطف بهم في السؤال اذا تركوك ولا تعجزهم فيملوك يا بنيّ لا تطلب من الامر مدبرا ولا ترفض منه مقبلا فان ذلك يقل الرأى ويزرى بالعقل يا بنيّ ان تأدبت صغيرا انتفعت كبيرا يا بنيّ اذا سافرت فلا تأمن على دابتك فان ذلك سريع في ادبارها وليس ذلك من فعل الحكماء الا أن تكون في محل يمكنك فيه التمدد واذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك وسر بها ابدأ بعلفها قبل نفسك واياك والسفر في أول الليل وعليك بالتعريس والادلاج من نصف الليل الى آخره وسافر بسيفك وخفك وعمامتك وكسائك وسقائك وابرتك وخيوطك ومخرزك وتزود من الادوية ما تنتفع به أنت ومن معك وكن لاصحابك موافقا موافيا الا في معصية الله يا بنيّ اياك والتقنع فانه بالنهار شهرة وبالليل ريبة يا بنيّ لا تأمر الناس بالبر وتنسى نفسك فيكون مثلك مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه يا بنيّ لا تحقرن من الامور صغارها * ان الصغار غدا تصير كبارا يا بنيّ اياك والكذب فانه يفسد دينك وينقص عند الناس مروأتك فعند ذلك يذهب حياؤك وبهاؤك وجاهك وتهان ولا يسمع منك اذا حدثت ولا تصدق اذا قلت ولا خير في العيش اذا كان هكذا يا بنيّ اياك وسوء الخلق والضجر وقلة الصبر فلا يستقيم لك على هذه الخصال صاحب ولا يزال لك من الناس عليها مجانب والزم نفسك التودد في أمورك والصبر على مرارات الاحوال وأحسن مع جميع الناس خلقك فان من حسن خلقه واظهر بشره وبسطه حظى عند الاخيار وأحبه الاخيار وجانبه الفجار يا بنيّ لا تعلق نفسك بالهموم ولا تشغل قلبك بالاحزان واياك والطمع وارض بالقضاء واقنع بما قسم الله لك يصف عيشك وتسر نفسك وتستلذ حياتك وان أردت أن يجمع لك غنى الدنيا فاقطع طمعك عما في أيدى الناس فان ما بلغ الانبياء والصديقون ما بلغوا الا بقطع طمعهم عما في أيدى الناس يا بنيّ ان الدنيا قليل وعمرك فيها قليل من قليل وقد بقى قليل من قليل القليل يا بنيّ اجعل معروفك في أهله ولا تضعه في غير أهله فتخسر في الدنيا وتحرم ثوابه في الآخرة وكن مقتصدا ولا تكن مبذرا ولا تمسك المال تقتيرا ولا تعطه تبذيرا يا بنيّ الزم الحكمة تكرم بها وأعزها تعز بها وسيد أخلاق الحكمة دين الله عز وجل يا بنيّ للحاسد ثلاث علامات يغتاب صاحبه ان غاب ويتملق اذا شهد ويشمت فيه بالمصيبة تم خبر لقمان الحكيم وما وصى لابنه انعم والله أعلم

(مجلس في قصة بلوقيا)

(أخبرنا) أبو بكر محمد بن عبد الله الجزرقي باسناده عن عبد الله بن سلام الاسرائيلي قال كان في بني اسرائيل رجل يقال له أوشيا وكان من علمائهم وكان كثير المال وكان اماما لبني اسرائيل وكان قد عرف بعث النبيّ عليه السلام وأمته في التوراة فخبأه وكتمه عنهم وكان له ابن يقال له بلوقيا خليفة أبيه في بني اسرائيل وكان ذلك بعد سليمان فلما مات والده أوشيا وبقى بلوقيا والامامة والقضاء في يده ففتش يوما خزائن والده فوجد فيها تابوتا من حديد مقفلا بقفل من حديد فسأل الخزان عن ذلك فقالوا لا ندرى فاحتال على القفل حتى فكه فاذا فيه صندوق من خشب الساج ففكه فاذا فيه أوراق فيها نعت النبيّ صلى الله عليه وسلم وأمته مختومة بالمسك

ففكها وقرأ مافيها على بنى اسرائيل ثم انه قال الويل لمن يأبى من الله فيما كتبت وكتمت من الحق عن بنى اسرائيل فرده الى أهله فقال بنو اسرائيل يا بلوقيا لولا أمك امامنا وكبيرنا لنبشنا قبره واخرجناه منه وأحرقناه بالنار فقال يا قوم لاضير انما يتبع حظ نفسه وخسر دينه ودنياه فألحقوا بعث النبى صلى الله عليه وسلم وأمته بالتوراة قال وكانت أم بلوقيا من الاحياء فاستأذنها فى الخروج الى بلاد الشام وكانوا يومئذ ببلاد مصر فقالت له وما تصنع بالشام فقال اسأل عن محمد وأمته فلعل الله تعالى أن يرزقنى الدخول فى دينه فأذنت له فبرز بلوقيا ليدخل بلاد الشام فبينما هو يسير اذا انتهى الى جزيرة من جزائر البحر فاذا هو بحيات كأمثال الابل عظاما وفى الطول ماشاء الله وهن يقلن لا اله الا الله محمد رسول الله فلما رأينه قلن له أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك فقال اسمى بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل فقلن وما اسرائيل قال من ولد آدم فقلن سمعنا باسم آدم ولم نسمع باسم اسرائيل قال فقال لهم بلوقيا أيتها الحيات من أنتن فقلن نحن من حيات جهنم ونحن نعذب الكفار فيها يوم القيامة قال بلوقيا وما تصنعن ههنا وكيف تعرفن محمدا فقلن ان جهنم تفور وتزفر فى كل سنة مرتين فتلقينا الى ههنا ثم نعود اليها فشدة الحر من حرها فى الصيف وشدة البرد من بردها فى الشتاء وليس فى جهنم دركة من دركاتها ولا باب من أبوابها ولا سرادق من سرادقاتها الا وقد كتب الله عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك عرفنا محمدا صلى الله عليه وسلم قال بلوقيا أيتها الحيات هل فى جهنم مثلكن أو أكبر منكن فقلن ان فى جهنم حيات تدخل احدانا فى أنف احداهن وتخرج من فيها ولا تشعر بها لعظمها قال فسلم بلوقيا عليهن ومضى حتى أتى جزيرة أخرى فاذا هو بحيات كأمثال الجذوع والسوارى وعلى متن احداهن حية صفيرة صفراء كلما مشت اجتمعت الحيات حولها فاذا نفخت صرن تحت الارض خوفا منها فلما رأيتها ورأتنى قالت أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك قلت اسمى بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل من ولد ابراهيم الخليل فأخبرنى أيتها الحية من أنت قالت أنا موكلة بالحيات واسمى تمليخا ولولا انى موكلة بهن لقتلت بنى آدم كلهم فى يوم واحد ولكنى اذا صفرت صفرة واحدة وسمعن صوتى دخلن تحت الارض ولكن يا بلوقيا ان لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاقرئه منى السلام ثم مضى بلوقيا الى بلاد الشام فأتى بيت المقدس وكان بها حبر من أحبارهم يسمى عفان الحبر فأتاه فسلم عليه فقال له يا بلوقيا ليس هذا زمان محمد ولا زمان أمته بينك و بينه قرون وسنون ثم قال عفان الحبر يا بلوقيا أرنى موضع الحية التى اسمها تمليخا فان قدرت أن أصيدها رجوت أن أنال معك ملكا عظيما ونحيا حياة طيبة الى أن يبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فندخل فى دينه فحرص بلوقيا على الدخول فى دين محمد صلى الله عليه وسلم قال أنا أريك المكان فقام عفان وأخذ تابوتا من حديد وعمل فيه قدحين من فضة فى أحدهما خمر وفى الآخر لبن ثم سارا جميعا حتى انتهيا الى موضع الحية ففتحا باب التابوت وتنحيا فجاءت الحية تبغى الرائحة فدخلت التابوت فشربت اللبن والخمر فسكرت ونامت فقام عفان ودب الى التابوت دبيبا خفيفا فأغلق عليها باب التابوت وحصنه وأخذاها ومرا جميعا فلم يمرا بشجر ولا نبت الا كلمهما باذن الله تعالى فمرا بشجرة يقال لها القرمل فقالت يا عفان من يأخذنى و يقطعنى

ويدقنى

ويدقني ويعصر مائي ودهني ويطلي به قدميه فانه يخوض البحار السبعة فلا تبتل قدماه
ولا يغرق فقال عفان ابالله طلبت ثم انه قطع تلك الشجرة فدقها وعصر ماءها وأخرج دهنها
وجعله في كوز ثم خلي عن الحية فطارت بين السماء والارض وهي تقول يابني آدم ما أجرأكم على
ربكم وان تصلوا الى ما تريدون قال فذهبت الحية وسار عفان وبلوقيا الى البحر فطليا اقدامهما
ثم دخلا في اليم ومشيا في الماء كأنما كانا يمشيان على الارض حتى قطعا البحر الاول ثم الثاني
فاذا هما بجبل في وسط البحر ليس بعال ولا ممتد ان ترابه كالمسك عليه غمام أبيض وفيه كهف
وفي الكهف سرير من ذهب وعلى السرير شاب مستلق على قفاه ذو وفرة واضع يده اليمنى على
صدره والشمال على بطنه كالنائم وليس بنائم وهو ميت وعلى رأسه تنين وخاتمه بالشمال وكان
هذا سليمان بن داود عليه السلام وكان ملكه في خاتمه وكان خاتمه من ذهب وفصه من ياقوت أحمر
مربع مكتوب عليه أربعة أسطر في كل سطر اسم الله الاعظم وكان عند عفان علم من الكتاب
فقال بلوقيا من هذا الميت يا عفان فقال هذا سليمان بن داود نريد أن نأخذ خاتمه ونملك ما ملكه
ونرجو الحياة الى أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقال بلوقيا أليس قد سأل ربه فقال رب
هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فأعطاه اياه على ما سأل ولا ينال ملك سليمان الى
يوم القيامة لدعائه فقال عفان يا بلوقيا اسكت ان الله معنا ومعنا اسم الله الاعظم ولكن أنت
يا بلوقيا اقرأ التوراة فتقدم عفان لينزع الخاتم من يد سليمان من اصبعه فقال التنين ما أجرأك
على ربك ان غلبتنا بأسماء الله تعالى فنحن نغلبك بقدرة الله تعالى فكلما نفخ التنين ذكر
بلوقيا اسم الله تعالى فلم تعمل نفخات التنين فيهما شيأ ودنا عفان من السرير لينزع الخاتم من
اصبعه فاشتغل بلوقيا بالنظر الى نزول جبريل عليه السلام من السماء فلما نزل صاح بهما صيحة
ارتجت الارض والجبال وتزلزلت منها فاختلطت مياه البحار وهاجت والتطمت حتى صار كل
عذب مالحا من شدة صيحته وسقط عفان على وجهه وسقط بلوقيا على وجهه ونفخ التنين فخرج
من بطنه شعلة كأنها البرق الخاطف واحترق عفان وعادت نفخته في البحر فلما مرت النفخة بشئ
الا أحرقته ولا بماء الا أسخنته وأغلته وان بلوقيا لما رأى العذاب ذكر اسم الله الاعظم فلم تنله
مكروه ثم تراءى جبريل عليه السلام في صورة رجل فقال له يا ابن آدم ما أجرأك على الله فقال له
بلوقيا من أنت يرحمك الله فقال له أنا جبريل أمين الله رب العالمين فقال بلوقيا يا جبريل
انما خرجت حبا لمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه ولم أقصد الخطأ ولم أتعمده قال فبذلك نجوت
ثم صعد جبريل عليه السلام الى السماء ومضى بلوقيا فطلى قدميه بذلك الدهن فضل الطريق
الذي جاء منه وأخذ في طريق أخرى فسار ومضى ستة أبحر ووقع في السابع فاذا هو بجزيرة
من ذهب حشيشها الورس والزعفران وأشجارها الزيتون والنخل والرمان فقال بلوقيا ما أشبه
هذا المكان بالجنة على ما وصفت قال فدنا بلوقيا من بعض الشجر فتناول من ثمرها فقالت
الشجرة يا خاطئ يا ابن الخاطئ لا تأخذ مني شيأ فبقي متعجبا واذا بحذاء الشجرة قوم يتراكضون
وبأيديهم سيوف مسلولة وهم يتناوشون بعضهم بعضا بالضرب والطعن فلما رأوا بلوقيا
أحاطوا به وأحدقوا من ورائه وهموا به سوأ فذكر بلوقيا اسم الله فتعجبوا منه وهابوه وأغمدوا
سيوفهم وقالوا بأجمعهم لا اله الا الله محمد رسول الله ثم قالوا له ممن أنت يا عبد الله فقال أنا من بني

آدم فقالوا ما اسمك قال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل فقالوا نعرف آدم ولا نعرف اسرائيل
فما الذى أوقعك الينا فقال انى خرجت فى طلب نبى يسمى محمدا صلى الله عليه وسلم وانى قد ضللت
الطريق الذى أردته ورأيت من الاهوال كذا وكذا فقالوا يا بلوقيا نحن من الجن المؤمنين
ونحن مع ملائكة الله فى السماء ثم نزلنا الى الارض وقاتلنا كفرة الجن ونحن ههنا مقيمون
نغزوهم ونجاهدهم الى يوم القيامة ولسنا نموت الى يوم القيامة وأنت تصير معنا فقال بلوقيا
لملك الجن وكان اسمه صخرا يا صخر أخبرنى عن خلق الجن كيف كان قال لما خلق الله تعالى جهنم
خلق لها سبعة أبواب وسبعة ألسنة وخلق منها خلقين خلقا فى سمائه سماه جبليت وخلقا
فى أرضه سماه تملت فأما جبليت فانه خلق فى صورة أسد وتملت فى صورة ذئب وجعل الاسد
ذكرا والذئب أنثى وجعل طول كل واحد منهما مسيرة خمسمائة عام وجعل ذنب الذئب بمنزلة
ذنب العقرب وذنب الاسد بمنزلة ذنب الحية وأمرهما أن ينتفضا فى النار انتفاضة فسقط من
ذنب الذئب عقرب ومن ذنب الاسد حية فحيات جهنم وعقاربها من ذلك ثم أمرهما
أن يتناكحا فحملت الذئب من الاسد فولدت سبع بنين وسبع بنات فأوحى الله اليهم أن يزوجوا
البنين من البنات كما أمر آدم فستة من البنين أطاعوا وواحد لم يطع ولم يتزوج فلعنه أبوه وهو
ابليس وكان اسمه الحرث وكنيته أبو مرة فهذا أول خلق الجان يا بلوقيا وان دوابنا لا تثبت
مع الانس ولكنى أجلل فرسى وابرقعه حتى لا يعرف من راكبه واركب عليه على اسم الله
تعالى فاذا انتهيت الى أقصى أعمالى على ساحل بحر كذا وكذا فاذا أنت بشيخ وشاب ومشايخ
معهما فانك ستلقاهما هنالك فادفع الفرس اليهما وامش فى حفظ الله راشدا فركب بلوقيا على
ذلك الفرس حتى انتهى اليهم فسلم على الشيخ والشباب ونزل عن الفرس ودفعها اليهما
وكان قد فصل من عند ملك الجن عند الغداة وبلغ اليهما نصف النهار فقالا له يا بلوقيا منذ كم
فارقت الملك قال فارقته من غدوة قالا ما أسرع ما جئت قد اتعبت فرسنا فقال يا بلوقيا ما مددت
اليه يدا ولا حركت عليه رجلا ولم أركضه ركضا قالا بلى ولكن فرسنا أحس بك وبمنزلتك وثقلك
فطار ما بين السماء والارض ليريح نفسه منك فكم تراه جاب بك قال خمس فراسخ أو أكثر
قالا بل جاب بك فى هذه المدة مسيرة مائة وعشرين سنة وكان يطير بك بين السماء والارض حول
الدنيا دون قاف وأنت لا تعلم قال خلوا عنه السرج واللجام والبرقع فاذا العرق يقطر ويسيل
من كل شعرة منه وله جناحان انقضا وانكسرا من كثرة الطيران والدوران والاعياء والكلال
قال بلوقيا هذا والله لعجيب فقالوا عجائب الله لا تنقضى ثم سلم عليهما ومضى فركب اليم فبينما
هو يسير اذ رأى ملكا احدى يديه بالمشرق والاخرى بالمغرب وهو يقول لا اله الا الله
محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت أيها الخلق المخلوق قال أنا بلوقيا وأنا من
بنى اسرائيل من ولد آدم ثم قال له بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال اسمى يوحايل وأنا ملك موكل
بظلمة الليل وضوء النهار قال فما بال يديك مبسوطتين قال فى يدى اليمنى ضوء النهار وفى يدى
اليسرى ظلمة الليل ولو سبق النهار الليل أضاءت السموات والارض ولم يكن الليل أبدا ولو سبقت
الظلمة النور لاظلمت السموات والارض ولم يكن ضوء أبدا وبين يدى لوح معلق فيه سطران سطر
أبيض وسطر أسود فاذا رأيت السواد ينقص نقصت الظلمة واذا رأيت السواد يزداد ازدادت

الظلمة واذا رأيت السطر الابيض يزداد زدت النهار واذا انتقص نقصت فلذلك الليل في الشتاء أطول من النهار والنهار أقصر وفي الصيف النهار أطول والليل أقصر ثم سلم بلوقيا ومضى فاذا هو بملك آخر قائم يده اليمنى في السماء ويده اليسرى في الارض وقدماه تحت الثرى وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت وما اسمك قال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل واسرائيل من ولد آدم ثم قال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال ميخائيل قال فما لي أرى يمينك في السماء وشمالك في الماء قال احبس الريح بيميني والماء بشمالي ولو رفعت شمالي عن الماء لزخرت البحار كلها في ساعة واحدة وتلاطمت باذن الله وأغرقت الدنيا ومن عليها ويدي اليمنى في الهواء أحبس الريح عن ولد آدم لان في السماء ريحا تسمى الهائمة ولو أرسلتها لنسفت من في السماء ومن في الارض قال فسلم بلوقيا ومضى فاذا هو بأربعة من الملائكة أحدهم رأسه كرأس الثور والآخر رأسه كرأس النسر والثالث رأسه كرأس الاسد والرابع رأسه كرأس الانسان فأما الملك الذي رأسه كرأس الثور فانه يقول اللهم ارحم البهائم ولا تعذبها وارفع عنها برد الشتاء وحر الصيف واجعل في قلوب بني آدم لها الرأفة والرحمة كي لا يكيدوهن ولا يكلفوهن فوق طاقتهن واجعلني من أهل شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذي رأسه كرأس النسر فيقول اللهم ارحم الطيور وادفع عنها برد الشتاء وحر الصيف واجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذي رأسه كرأس الاسد فيقول اللهم ارحم السباع ولا تعذبها وادفع عنها حر الصيف وبرد الشتاء واجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذي رأسه كرأس الانسان فانه يقول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم المسلمين ولا تعذبهم وادفع عنهم النار واجعلني من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ومضى بلوقيا حتى انتهى الى جبل قاف فاذا هو بملك قائم على جبل قاف وان جبل قاف محيط بالدنيا من ياقوتة خضراء وذلك قوله تعالى ق والقرآن المجيد فسلم بلوقيا على الملك فقال له الملك من أنت قال أنا بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد آدم فقال له الملك وأين تريد قال خرجت في طلب نبي من العرب يقال له محمد ولست أرى أثره ولا أدري بأي بلاد أنا فقال له الملك لا اله الا الله محمد رسول الله قد أمرنا بالصلاة على محمد فقال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال اسمي جزقيائيل قال وما تصنع ههنا قال أنا أمين الله على جبل قاف وفي يده وتر مرة يعقده ومرة يحله وعروق الارض كلها مشدودة عليه والوتر في كفه قال فاذا أراد الله أن يضيق على عباده أمرني أن أمد الوتر وأعقده وأوثق عروق الارض فتضيق الدنيا على العباد واذا أراد الله أن يوسع عليهم أمرني أن أرخي الوتر فأفتق عروق الارض فتتسع الدنيا على العباد واذا أراد الله أن يخوف قوما أمرني أن أحرك عروق تلك الارض فمن أجل ذلك موضع يهتز وموضع لا يهتز وموضع يتزلزل وموضع لا يتزلزل قال بلوقيا أيها الملك ما وراء قاف قال وراء قاف أربعون دنيا غير الدنيا التي جئت منها في كل دنيا أربعمائة ألف باب في كل باب أربعمائة ألف ضعف مثل الدنيا التي جئت منها وليست فيها ظلمة بل كلها نور وأرضها ذهب عليها حجب من نور وسكانها الملائكة لا يعرفون آدم ولا ابليس ولا جهنم وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ألهموا

ولذلك خلقوا وبه أمروا الى يوم القيامة قال بلوقيا فلوراءهم أيها الملك قال حجب وراء الحجب علم الله وقدرته قال بلوقيا أخبرني أيها الملك على أي شيء هذا الجبل موضوع قال بين قرني ثور واسمه يهموت وهو أبيض رأسه بالمشرق ومؤخره بالمغرب بين قرنيه مسيرة ثلاثين ألف سنة وهو ساجد لربه تعالى على صخرة بيضاء قال بلوقيا أيها الملك كم الارضون وكم البحار قال الارضون سبع والبحار سبع قال فجهنم أين هي قال تحت الارض السابعة فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى حجاب طرفه في السماء وأسفله في الماء عليه باب مقفل وعلى القفل خاتم من نور وعلى الباب ملكان أحدهما رأسه كرأس الثور والآخر رأسه كرأس الكبش وبدنه كبدن الثور وهما يقولان لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليهما بلوقيا فردا عليه السلام وقالا لبلوقيا أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك قال اسمى بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل من ولد آدم فقالا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه أسماء ما عرفناها قال كيف تعرفون محمدا وما تعرفون آدم ومحمد من نسله فقالا هكذا خلقنا وبهذا أمرنا ولم نسمع باسم آدم ولا اسرائيل فقال بلوقيا افتحا الى الباب حتى أجوز فقالا لا نحسن فتحه وان لله ملكا في السماء اسمه جبريل عسى أن يقدر على فتحه فدعا بلوقيا ربه قال فأمر الله تعالى جبريل فنزل اليه وفتح له ثم قال يا ابن آدم ما أجرأك على الله ثم جاز بلوقيا حتى انتهى الى بحر بين بحر مالح وبحر عذب فرأى بينهما حاجزا وفي البحر المالح جبلا من ذهب وفي البحر العذب جبلا من فضة وبينهما ملك على صورة النملة ومعه ملائكة على تلك الصورة فسلم عليهم بلوقيا فردوا عليه السلام وقالوا من أنت فاخبرهم بقصته ثم قال لهم بلوقيا من أنتم قالوا نحن أمناء الله على هذين البحرين لا يلتقيان ولا يبغيان فقال لهم بلوقيا ما هذا الجبل الاحمر قالوا هذا كنز الله في الارض فكل ذهب يظهر في الارض من هذا الجبل الاحمر وكل ما في الدنيا من ماء عذب أو ملح انما هو من ماء هذين البحرين وماؤهما انما يجي من تحت العرش من قبل أن يخلق الله الملائكة والجبل الابيض من فضة وهو كنز الله وكل فضة في الدنيا ومعدن من فضة فن عروق هذا الجبل ثم سلم بلوقيا ومضى حتى انتهى الى بحر عظيم فاذا هو بحيتان كثيرة عظيمة قد اجتمعت وحوت عظيم يقضى بين الحيتان فلما نظر الى بلوقيا قال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسلم عليه بلوقيا ثم قال له من أنت فأخبره بحاله وانه خرج يطلب النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال له يا بلوقيا ان لقيت محمدا فاقرئه منى السلام فقال بلوقيا نعم ان شاء الله تعالى ثم انه قال أيتها الحيتان انى جائع عطشان وماء هذا البحر مالح وما أجد ما آكل وما أشرب قال فقال الحوت الاعظم يا بلوقيا سأطعمك طعاما اذا أكلته تسير أربعين سنة لا تعيا ولا تنام ولا تجوع ولا تعطش فأطعمه ذلك الحوت قرصا أبيض فأكله ومضى حتى بلغ العمران ومن قبل أن يبلغه رأى شابا يجرى على الماء كأنه البدر فقال له بلوقيا من أنت فقال سل الذى خلقنى فسار بلوقيا وما ولى له فاذا هو بآخر يجرى على الماء ضوءه كضوء القمر فقال له بلوقيا من أنت قال سل الذى خلقنى فسار بلوقيا وما ولى له فاذا هو بثالث كأنه القمر يلوح في آخر الشمس فقال له بلوقيا أنشدك الله الا ما وقفت على فوقف وقال لبلوقيا لماذا تستوقفنى قال خشيت أن تفوتنى مثل أصحابك الماضين ثم قال له من كان الاول قال اسرافيل صاحب الصور

والثانى ميكائيل صاحب المطر وأرزاق العباد والثالث جبريل أمين الله تعالى فقال له بلوقيا فماذا تصنعون فى هذا اليم قال حية من حيات البحر قد آذت سكانه فدعوا عليها فاستجاب الله دعاءهم وأنا أمرنا أن نسوقها الى جهنم ليعذب الله بها الكفار يوم القيامة قال بلوقيا كم طولها وكم عرضها قال طولها مسيرة ثلاثين سنة وعرضها مسيرة عشرين سنة فقال بلوقيا أيكون فى جهنم مثل هذه الحية أو أكبر منها قال نعم ان فى جهنم من الحيات ما تدخل هذه الحية فى انف احداهن ولا تشعر بها وتخرج من فيها ولا تشعر بها من عظم خلقها قال فسلم بلوقيا ومضى الى جزيرة أخرى فاذا هو بغلام أبيض أمرد بين قبرين فسلم عليه بلوقيا وقال له يا شاب من أنت وما اسمك قال اسمى صالح قال فما هذان القبران قال أحدهما قبر أبى والآخر قبر أمى وكانا صالحين فأنا ههنا وأنا عند قبرهما حتى أموت فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى جزيرة فاذا هو بشجرة عظيمة عليها طائر واقف رأسه من ذهب وعيناه من ياقوت ومنقاره من لؤلؤ ويداه من زعفران وقوائمه من زمرذ واذا مائدة موضوعة تحت الشجرة وعليها طعام وحوت مشوى فسلم عليه بلوقيا فرد الطائر عليه السلام فقال له بلوقيا من أنت أيها الطائر قال أنا من طيور الجنة وان الله تعالى قد بعثنى الى آدم بهذه المائدة لما أهبط من الجنة وانى كنت معه حين لقى حواء وأباح الله له الاكل وأنا ههنا من لدن ذلك الوقت فكل غريب وعابر سبيل من عباد الله الصالحين يمر بها يأكل منها وأنا أمين الله عليها الى يوم القيامة فقال بلوقيا ولا تتغير ولا تنقص فقال طعام الجنة لا يتغير ولا ينقص قال بلوقيا افآكل منها قال كل فأكل حاجته ثم قال له أيها الطائر وهل معك أحد فقال معى أبو العباس يأتينى أحيانا قال ومن أبو العباس قال الخضر عليه السلام فلما ذكر الخضر اذا به قد أقبل وعليه ثياب بيض فما خطا خطوة الا نبت الحشيش تحت قدميه قال فسلم على بلوقيا وسأله عن حاله فقال بلوقيا طالت غيبتى وأريد الرجوع الى أمتى فقال الخضر بينك وبين أمتك مسيرة خمسمائة عام وأنا أردك اليها فى مسيرة خمسمائة شهر فقال الطائر ان كان بينك وبينها مسيرة خمسمائة سنة فأنا أردك اليها مسيرة خمسمائة يوم فقال الخضر عليه السلام فأنا أردك اليها فى ساعة واحدة ثم قال غمض عينيك فغمضهما ثم قال له افتح عينيك ففتحهما فاذا هو جالس عند أمه فسألها من جاءنى اليك قالت طير أبيض يطير بك بين السماء والارض فوضعك قدامى ثم ان بلوقيا حدث بنى اسرائيل بما رأى من العجائب والاخبار فأثبتوها وكتبوها الى يومنا هذا فهذا ما كان من حديث بلوقيا وما رأى من العجائب فى البحر والبر سهلا وجبلا والله أعلم

(مجلس فى ذكر قصة ذى القرنين عليه السلام)

قال الله تعالى ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا

(باب فى نسبه ولقبه)

قال أكثر أهل السير هو الاسكندر بن فيلبش بن بطريوس بن هرمس بن هردوس بن منطون بن رومى بن لطين بن يونان بن يافث ويقال نسبه ينتهى الى العيص بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وزعم بعض القبط انه اقليمون الاسكندر وهو أخو دارا بن دارا وذلك أن دارا

الاكبر بن بهمن بن اسفنديار بن بستاسف كان تزوج أم الاسكندر وكانت بنت ملك الروم وكان اسمها هلانة وانها حملت الى زوجها دارا الاكبر فوجد منها رائحة كريهة فأمر أن يحتال فى زوال ذلك منها فاجتمع رأى أهل المعرفة فى مداواتها على شجرة يقال لها سندروس فطبخت لها وغسلت بمائها فأذهب ذلك كثيرا من نتنها ومن عرقها ولم يذهب ذلك كله فانتهت نفسه عنها لبقية نتنها وعافها فردها الى أهلها وقد علقت منه فولدت له فى أهلها غلاما فسمته باسمه واسم الشجرة التى غسلت بمائها اسكندروس فهذا أصل اسمه ثم خفف فقيل اسكندر وكنى بذى القرنين واختلفوا فى سبب تسميته بذلك فقال بعضهم سمى بذلك لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه كان فى مقدم رأسه شبه القرنين من لحم وقيل لانه رأى فى المنام كأنه أخذ بقرنى الشمس وكان تأويل رؤياه أنه طاف المشرق والمغرب وقيل لانه دعا قومه الى التوحيد فضربوه على قرنه الايمن ثم دعاهم الى التوحيد فضربوه على قرنه الايسر وقيل لانه كان له ذؤابتان حسنتان والذؤابة تسمى قرنا وقيل لانه كان كريم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل أبيه وأمه وقيل لانه كان انقرض فى وقته قرنان من الناس وهو حى وقيل لانه كان اذا حارب قاتل بيديه وركابه جميعا وقيل لانه أعطى علم الظاهر والباطن وقيل لانه دخل النور والظلمة والله أعلم

(باب فى ذكر بدو أمره وسبب استكمال ملكه)

قال الله تعالى انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا فأتبع سببا وقال قوم كان فيلبش اليونانى أبو الاسكندر ملك اليونانيين فلما مات ملك بعده الاسكندر وقال آخرون ان الاسكندر أخو دارا الاصغر وكان أبو هلانة جد الاسكندر لامه ما كا من ملوك الروم فلما مات صار الملك لابن بنته الاسكندر وكانت ملوك الروم يؤدون الاتاوة جميعا الى ملوك الفرس وكانت الاتاوة التى كان أبو الاسكندر يؤديها الى ملوك الفرس بيضة من ذهب فلما ملك الاسكندر وكان رجلا ذا عزيمة وقوة وملك غزا ملوك الروم فقهرهم واستجمع له ملك الروم ثم غزا بعض ملوك العرب فظفر بهم فآنس بذلك من نفسه القوة فاستعصى على دارا الاصغر ملك فارس فامتنع من حمل ما كان أبوه يحمله اليه من الخراج والاتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فكتب اليه دارا بن دارا يقصة الخراج والاتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فأجابه الاسكندر انى قد ذبحت تلك الدجاجة التى كانت تبيض ذلك البيض وأكلت لحمها فلما وصل اليه الكتاب بذلك سخط عليه وكتب اليه يؤنبه بسوء صنيعه فى امتناعه عن حمل الخراج اليه وبعث اليه بصولجان وكرة وقفيزى سمسم واعلمه فيما كتب به اليه انك صبى وانه ينبغى لك أن تلعب بالصولجان والكرة التى بعثت بهما اليك ولا تتقلد الملك ولا تتلبس به ولا تستعصى والا بعثت اليك من يأتى بك فى وثاق ولو كانت جنودك بعدد حب السمسم الذى بعثت به اليك فبعث اليه الاسكندر فى جواب ذلك انى قد فهمت ما كتبت قد نظرت ما ذكرت فى كتابك من ارسال الصولجان والكرة وضممت الكرة الى الصولجان وشبهت الكرة بأرضك وانى محتو على ملكك وأضيفه الى ملكى وأضيف بلادك الى بلادى وانى نظرت الى السمسم الذى بعثته الى كنظرى الى الصولجان والكرة وبعث الى دارا مع كتابه صرة من خردل وأعلمه فى الجواب انما بعثت اليك بذلك لان جنودك مثل ذلك فلما وصل الى دارا بن دارا جواب الاسكندر جمع جنوده وتأهب لمحاربة الاسكندر

وان الاسكندر أيضا تأهب للقائه ونادى فى عسكره بالرحيل وسار نحو بلاد دارا فالتقيا بناحية خراسان مما يلى الخزر واقتتلا أشد القتال وصارت الدائرة على جند دارا فعرض له فارسان من قرابته وأهل بيته وثقته وقيل ان أحدهما كان صنيعه فطعناه فأردياه عن مركبه وأرادا بطعنهما اياه الحظوة عند الاسكندر والوسيلة اليه وان الاسكندر نادى أن يؤخذ دارا أسيرا ولا يقتل فأخبر بشأن دارا فأسرع حتى وقف عليه فرآه يجود بنفسه فنزل اليه وجلس عند رأسه وأخبره أنه لم يهم قط بقتله وأن الذى أصابه لم يكن قط برأيه وانما غدر به ثقاته ثم قال له سلنى عما بدا لك فأسعفك به فقال له دارا ان لى اليك حاجتين احداهما أن تنتقم لى من الرجلين اللذين فتكا بى وسماهما وبلادهما والثانية ان تتزوج ابنتى روشنك فأجابه الى الحاجتين وأمر بصلب الرجلين وأن ينادى عليهما هذا جزاء من اجترأ على ملكه وغش أهل بلده وتزوج ابنته روشنك وكان ملك دارا أربع عشرة سنة فلما قتل اجتمع ملك الروم وكان قبل الاسكندر متفرقا وتفرق ملك فارس وكان قبل الاسكندر مجتمعا

(باب فى ذكر الحوادث التى كانت فى أيام ذى القرنين بعد قتل دارا ووصف مسيره الى البلاد والآفاق)

قالت العلماء بأخبار القدماء لما قتل الاسكندر دارا ملك البلاد ودانت له العباد فهدم ما كان فى بلاد الفرس من بيوت النيران وما كان بأرض الهند من بيوت الاوثان وقتل الهرابذة وأحرق كتبهم ودعا الناس الى الاسلام والتوحيد *قال المرتضى فى سبب احراق كتبهم ان المجوس جعلوا حروف كتبهم من الذهب المضروب بمسامير الذهب على جلود النيران فبلغ عددها اثنى عشر ألفا فأحرقوها لحصول ذلك الذهب وبنى اثنتى عشرة مدينة منها ثلاث مدائن بخراسان هراة ومرو وسمرقند ومدينة بأرض أصفهان بنيت على مثال الحنية ومدينة بأرض اليونان يقال لها هيلاقوس ومدينة بأرض بابل لزوجته روشنك بنت دارا ومدينة الاسكندرية ثم أنه رأى فى منامه أنه أخذ بقرنى الشمس ورأى فى منامه أنه يسير الى آفاق الارض شرقا وغربا *واختلف العلماء فى نبوته فروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أدرى أكان ذو القرنين نبيا أم لا فلو صح الحديث لكان الخوض فى مثل هذه المسئلة تكلفا ثم اختلفوا بعد فيه فقال قوم لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا وملكا عادلا فاضلا وقال آخرون بل كان نبيا غير مرسل والصحيح ان شاء الله أنه كان نبيا غير مرسل لما روى وهب وغيره من أهل الكتب قالوا كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر ويقال كان اسمه عياش وكان عبدا صالحا فلما استحكم ملكه واجتمع أمره أوحى الله تعالى اليه ياذا القرنين انى قد بعثتك الى جميع الخلائق ما بين الخافقين وجعلتك حجتى عليهم وهذا تأويل رؤياك وانى باعثك الى أمم الارض كلهم وهم سبع أمم مختلفة ألسنتهم منهم امتان بينهما عرض الارض وأمتان بينهما طول الارض وثلاث أمم فى وسط الارض وهم الانس والجن ويأجوج ومأجوج فأما الامتان اللتان بينهما طول الارض فأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك وأمة أخرى بحيالها يقال لها منسك وهى عند مطلع الشمس وأما الامتان اللتان بينهما عرض الارض فأمة فى قطر الارض الايمن يقال لها هاويل والاخرى بحيالها فى قطر الارض الايسر

يقال لهاتاويل فلما قال الله تعالى له ذلك قال ذو القرنين الهى انك قد ندبتنى الى أمر عظيم لا يقدر عليه الا أنت فأخبرنى عن هذه الامم التى بعثتنى اليها بأى قوة أكابرهم وبأى جمع وحيلة أكاثرهم وبأى صبر أقاسيهم وبأى لسان أناطقهم وكيف لى بأن أفقه لغاتهم وبأى سمع أسمع أقوالهم وبأى بصر أنقدهم وبأى حجة أخاصمهم وبأى عقل أعقل عنهم وبأى قلب وحكمة أدبر أمرهم وبأى قسط أعدل بينهم وبأى حلم أصابرهم وبأى معرفة أفصل بينهم وبأى علم أتقن أمورهم وبأى يد أسطو عليهم وبأى رجل أطؤهم وبأى طاقة أحصيهم وبأى جند أقاتلهم وبأى رفق أؤلفهم وليس عندى يا الهى شئ مما ذكرت يقوم لهم ويقوينى عليهم وأنت الرؤف الرحيم لا تكلف نفسا الا وسعها ولا تحملها فوق طاقتها ولا تشقيها بل أنت ترحمها فقال الله تعالى سأطوقك ما حملتك وأشرح لك سمعك وصدرك فتسمع وتعى كل شئ وأشرح لك فهمك فتفقه كل شئ وأبسط لك لسانك فتنطق بكل شئ وأفتح لك بصرك فتنقد كل شئ وأحصى لك قوتك فلا يفوتك شئ وأشد لك عضدك فلا يهولك شئ وأشد لك ركنك فلا يغلبك شئ وأشد لك قلبك فلا يفزعك شئ وأشد لك يديك فتسطو على كل شئ وأشد لك وطأك فتهلك كل شئ وألبسك الهيبة فلا يروعك شئ وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما جندا من جنودك يهديك النور أمامك وتحوطك الظلمة من ورائك فلما قيل له ذلك حدثته نفسه بالمسير وألح عليه قومه بالمقام فلم يفعل وقال لا بد من طاعة الله تعالى ثم أمرهم أن يبنوا له مسجدا وأن يجعلوا طول المسجد أربعمائة ذراع وعرضه مائتى ذراع وعرض أساس حائطه أربعة وعشرين ذراعا وطوله فى السماء مائة ذراع وأمرهم أن ينصبوا فيه السوارى قالوا كيف نصنع قال اذا فرغتم من شأن الحيطان فاكبسوها بالتراب حتى يستوى الكبس مع حائط المسجد فاذا فرغتم فرضتم من الذهب على الموسر قدره وعلى المقتر قدره وقطعتموه مثل قلامة الظفر ثم خلطتموه بذلك الكبس وجعلتم خشبا من نحاس ووتدا من نحاس وصفائح من نحاس تذيبون ذلك وأنتم ممكنون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية وجعلتم طول كل خشبة مائة ذراع وأربعة وعشرين ذراعا ومائتى ذراع فيما بين الحيطان لكل حائط اثنا عشر ذراعا ثم تدعون المساكين لنقل التراب فيسارعون اليه لما فيه من الذهب والفضة فمن حمل شيأ فهو له ففعلوا ذلك فأخرج المساكين ذلك التراب واستقر السقف بما عليه واستغنى المساكين فكان جندهم أربعين ألفا فجعلهم أربعة أجناد فى كل جند عشرة آلاف ثم عرض جنده فوجدهم فيما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف منهم من جنده ثمانمائة ألف ومن جند دارا ستمائة ألف ومن المساكين أربعين ألفا ثم انطلق يؤم الامة التى عند مغرب الشمس فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة أى ذات حمأ ومن قرأ حامية بألف من غير همز فمعناه حارة (أخبرنا) عبد الله بن حامد الاصفهانى باسناده عن ابن عباس قال أقرأنيها أبى بن كعب كما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عين حمئة وقال ابن عباس كنت جالسا عند معاوية اذ قرأ هذه الآية وجدها تغرب فى عين حامية فقلت ما نقرؤها الا حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرؤها قال أقرؤها كما قرأتها يا أمير المؤمنين قال ابن عباس فأطلت الجدال معهما فأرسل معاوية الى كعب فجاءه فقال له أين تجد الشمس تغرب فى التوراة يا كعب قال أما العربية فأنتم أعلم بها منى وأما الشمس فانى أجدها فى التوراة تغرب فى ماء وطين وأنشدك

[illegible]

ما تزداد به تبصرا وهو قول تبع

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما * ملكا تدين له الملوك وتسجد

بلغ المشارق والمغارب يبتغي * أسباب أمر من حكيم مرشد

فرأى مغيب الشمس عند غروبها * في عين ذي خلب وثأط حرمد

فقال معاوية ما الخلب يا كعب فقلت الطين بكلامهم قال فما الثأط قلت الحمأة قال وما الحرمد قلت الاسود فدعا رجلا فقال اكتب ما يقول * فلما بلغ مغرب الشمس وجد عندها جمعا وعددا لا يحصيه الا الله تعالى وقوة وبأسا لا يطيقه الا الله تعالى ورأى ألسنة مختلفة وأهواء مشتبهة فذلك قوله تعالى وجد عندها قوما يعني ناسا فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث عساكر منها فأحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور ودعاهم الى الله تعالى والى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم ودخلت في بيوتهم ودورهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب فلما خوفوا صاحوا وتحيروا فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجوا بصوت واحد فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوته فجند من أهل المغرب أمم عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم والنور أمامه يقوده ويدله وهو يسير في ناحية الارض الايمن وهو يريد الامة التي في قطر الارض اليمين التي يقال لها هاويل وسخر الله قلبه ويده ورأيه وعقله ونظره فلا يخطئ اذا عمل عملا فانطلق يقود تلك الامم وهي تتبعه حتى اذا انتهى الى بحر أو مخاضة هيأ سفنا من ألواح صغار مثل النعال فيلحمها في ساعة ثم يحمل فيها جميع ما معه من تلك الامم وتلك الجنود واذا قطع البحار والانهار فتقها ثم يدفع الى كل رجل منهم لوحا فلا يكترث بحمله فلم يزل ذلك دأبه حتى انتهى الى هاويل ففعل فيها كفعله في ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الارض اليمنى حتى انتهى الى منسك عند طلوع الشمس وجدها تطلع على قوم فعمل فيها وجند فيها جنودا كفعله في الامتين اللتين قبلها ثم كر مقبلا حتى أتى ناحية الارض اليسرى وهو يريد تاويل وهي الامة التي بحيال هاويل وهما متقابلتان بينهما عرض الارض كله فلما بلغها عمل فيها وجند جنودا كفعله فيما قبلها فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء وكانوا يكنون في اسراب لهم حتى اذا زالت الشمس خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقال الحسن كانت أرضهم أرضا لا تحتمل البناء وكانوا اذا طلعت الشمس عليهم دخلوا الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم * وقال ابن جريج جاءهم مرة جيش للتفرج على طلوع الشمس فنهاه أهلها فقالوا لا نبرح حتى تطلع الشمس فتراها ثم انهم قالوا ما هذه العظام فقالوا هذه جيف قوم طلعت عليهم الشمس ههنا فماتوا ههنا قال فذهبوا هاربين في الارض * وقال الكلبي هم أمة يقال لها منسك حفاة عراة عماة عن الحق قال وحدثنا عمرو ابن مالك بن أمية قال وجدت رجلا بسمرقند يحدث الناس وهم حوله مستمعون له مجتمعون فسألت بعض من سمع حديثه فأخبرني أنه حدثهم عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس قال

خرجت حتى جاوزت الصين ثم سألت عنهم فقيل لي ان بينك و بينهم يوما وليلة فاستأجرت رجلا ثم سرت بقية يومي وليلتي حتى صبحتهم فاذا أحدهم يفرش أذنه و يلتحف الاخرى وكان صاحبي يحسن لسانهم فسألهم فقالوا له اذا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي فوقعت فلما أفقت قمت وهم يمسحون علي بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي على الماء كهيئة الزيت واذا طرف السماء كهيئة الفسطاط فلما ارتفعت أدخلوني سربا لهم انا وصاحبي فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك و يطرحونه في الشمس فينضج والله أعلم

(باب في صفة سد ذي القرنين وما يتعلق به)

قال الله تعالى حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا * قالت العلماء بأخبار القدماء لما فرغ ذو القرنين من أمر الامم الذين هم في أطراف الارض وطاف المشرق والمغرب عطف منها على الامم التي في وسط الارض من الجن والانس و يأجوج ومأجوج فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الانس ياذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله ليس فيهم مشابهة من الانس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب و يفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع و يأكلون حشرات الارض كلها من الحيات والعقارب وكل ذي روح مما خلق الله في الارض وليس لله خلق ينمو نماءهم ولا يزدادون كزيادتهم فان أنت اطلعت على ما ينمو من نمائهم وزيادتهم فلا تشك انهم سيملؤن الارض و يخرجون أهلها منها و يظهرون عليها و يفسدون فيها وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم الا ونحن نتوقع أن يطلع علينا أوائلهم من بين هذين الجبلين فهل نجعل لك خرجا أي جعلا وأجرا على أن تجعل بيننا و بينهم سدا حاجزا فلا يصلون الينا فقال لهم ذو القرنين ما مكني فيه ربي أي قواني عليه خير من خراجكم فأعينوني بقوة أجعل بينكم و بينهم ردما حاجزا كالحائط قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة قالوا وما تلك الآلة قال آتوني زبر الحديد أي قطعه واحدتها زبرة وآتوني النحاس فقالوا من أين لنا من الحديد والنحاس ما يسع هذا العمل قال سادلكم على معادنهما فالوافي بأي قوة نقطع الحديد والنحاس فاستخرج لهم معدنا آخر يقال له الساهون وهو أشد ما خلق الله في الارض بياضا وهو الذي قطع به سليمان أساطين بيت المقدس وصخوره وجواهره ثم انه قاس ما بين الجبلين ثم أوقد على ما جمع من الحديد والنحاس النار وصنع منها زبرا مثل الصخور العظام ثم أذاب النحاس فجعله كالطين والملاط لتلك الصخور التي هي من الحديد ثم بنى *(وكيفية بنائه)* على ما ذكر أهل السير أنه لما قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ فلما أنشأ في عمله حفر له الاساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا ثم وضع الحطب بين الجبلين ثم نسج عليه الحديد ثم نسج الحطب على الحديد فلم يزل يجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى ساوى بين الصدفين وهما الجبلان ثم أمر بالنار فأرسلت فيه ثم قال انفخوا حتى جعل يفرغ القطر فيه وهو النحاس المذاب فجعلت النار تأكل الحطب و يصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس فصار كأنه برد حبرة من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد وغبرته

فصار

فصار سدا طويلا عظيما حصينا قال تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه أى يعلوه وما استطاعوا له نقبا قال قتادة ذكر لنا أن رجلا قال يا نبى الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال انعته لى قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء فقال له قد رأيته ويقال ان موضع السد وراء زخرد بقرب مشرق الارض بينه وبين الخزر مسيرة اثنين وسبعين يوما وذكر أن الواثق بالله أمير المؤمنين رأى فى المنام أن السد مفتوح فوجه سلام الترجمان فى خمسين رجلا وأعطاه خمسة آلاف دينار وأعطى كل رجل من الخمسين خمسين ألف درهم ورزق سنة وأعطاه مائتى بغلة تحمل الزاد والماء وخرج من سر من رأى بكتاب الواثق بالله الى اسحق بن اسمعيل صاحب ارمينية وكان بتفليس وكتب له اسحق الى صاحب السرير وكتب له صاحب السرير الى ملك اللان وكتب له ملك اللان الى الازالى طلجند فى بلاد دشا ملك الخزر فأقام عنده حتى أخذ معه خمسين رجلا ادلاء فساروا خمسة وعشرين يوما حتى انتهوا الى أرض سوداء منتنة الريح وكانوا قد حملوا معهم شيأ يشمونه من الرائحة الذكية فساروا تسعة وعشرين يوما ثم سألوا عن سبب نتن الريح ما هى فقالوا مات ههنا قوم ثم ساروا فى مدن خراب عشرين يوما فسألوا عن تلك المدن فقالوا قد ظهر فيها يأجوج ومأجوج فخربوها ثم ساروا الى حصون بالقرب من الجبل يتكلمون بالعربية والفارسية يقرؤن القرآن ولهم مكاتب ومساجد فقالوا لنا من هؤلاء القوم قلنا رسل أمير المؤمنين فقالوا ومن هو أمير المؤمنين قلنا من أولاد العباس ملك بالعراق فتعجبوا منه وقالوا شيخ أو شاب وزعموا أنهم لم يبلغهم خبره ثم فارقوهم وساروا الى جبل أملس ليس عليه خضرة واذا جبل مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعا وعضادتاه مبنيتان مقابلتا الجبل عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا مبنية بلبن من حديد مركبة فى نحاس فى سمك خمسين ذراعا واذا وتد من حديد طرفاه على عضادتين طوله مائة وعشرون ذراعا قد ركب على العضادتين على كل واحدة مقدار عشرة أذرع فى عرض خمسة أذرع فوق ذلك اللبن الحديد المغيب فى النحاس الى رأس الجبل وارتفاعه مد البصر وفوق ذلك شرف من حديد فى طرف كل شرافة قرنان مبنى بعضها الى بعض منظومة كل واحدة فى صاحبتها فاذا باب له مصراعان منصوبان من حديد عرض كل باب خمسون ذراعا فى ارتفاع خمسين ذراعا قائمتاهما فى دورهما على قدر الدربند وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع فى غلظ ذراع وارتفاع القفل من الارض خمسة وخمسون ذراعا وفوق القفل مقدار خمسة أذرع غلق وعلى الغلق مفتاح طوله ذراع ونصف معلق فى سلسلة طولها ثمانية أذرع فى استدارة أربعة أشبار والحلقة التى فى السلسلة مثل حلقة المنجنيق وعرض عتبة الباب عشرة أذرع فى طول مائة ذراع سوى ما فى العضادتين والظاهر منها خمسة أذرع وهذا كله بذراع السواد ورئيس تلك الحصون يركب كل جمعة فى عشرة فوارس مع كل فارس مرزبة من حديد وزن كل واحدة خمسون منا فيضرب القفل بالمرزبات كل يوم ثلاث ضربات ليسمع من وراء الباب الصوت فيعلموا أن هنالك حفظة ويعلم هؤلاء ان أولئك لم يحدثوا فى الباب حدثا فاذا ضربوا اصغوا اليه بآذانهم فيسمعون من داخل دويا وبالقرب من هذا الجبل حصن كبير عظيم عشرة فراسخ فى مسيرة مائة فرسخ لانها عشرة فى عشرة ومع الباب حصنان طول كل واحد منهما مائتا ذراع فى

مائتى ذراع وعلى باب هذين الحصنين صخرتان وبين الحصنين ماء عين عذب فى أحد الحصنين آلة البناء التى بنى بها السد من قدور الحديد ومغارف من حديد وهنالك بعض اللبن من الحديد قد التزق بعضه ببعض من الصدا واللبنة ذراع ونصف فى عرض شبر وسألنا اهل وراء ذلك أحد من أهل يأجوج ومأجوج فذكروا أنهم رأوا منهم عدة فوق الشرف فهبت ريح سوداء فالقتهم الى جانبهم وكان مقدار الرجل فى رأى العين شبرا ونصفا قال فلما انصرفنا أخذ بنا الادلاء على نواحى خراسان فعدلنا اليها فوقفنا الى القرب من سمرقند على سبعة فراسخ وكان أصحاب الحصن ثم زودونا الطعام ثم سرنا الى عبد الله بن طاهر فوصلنا بمائة ألف درهم ووصل كل رجل كان معى بخمسمائة درهم واجرى على كل فارس خمسة دراهم وعلى كل راجل ثلاثة دراهم كل يوم حتى صرنا الى الرى ورجعنا الى سر من رأى بعد ثمانية وعشرين شهرا والله أعلم

باب فى دخول ذى القرنين الظلمات مما يلى القطب الشمالى لطلب عين الحياة

روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال كان ذو القرنين قد ملك ما بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة اسمه رفائيل يأتيه ويزوره فبينما هما ذات يوم يتحدثان اذ قال له ذو القرنين يا رفائيل حدثنى عن عبادتكم فى السماء فبكى وقال يا ذا القرنين وما عبادتكم عند عبادتنا ان فى السماء من الملائكة من هو قائم لا يجلس أبدا ومن هو ساجد لا يرفع رأسه ابدا ومن هو راكع لا يستوى قائما أبدا يقولون سبحان القدوس رب الملائكة والروح ربنا ما عبدناك حق عبادتك فبكى ذو القرنين بكاء شديدا ثم قال انى أحب أن أعيش فابلغ من عبادة ربى حق عبادته فقال رفائيل أوتحب ذلك يا ذا القرنين قال نعم قال رفائيل فان لله عينا فى الارض تسمى عين الحياة فيها من الله عزوجل ان من يشرب منها شربة لا يموت أبدا حتى يكون هو الذى يسأل ربه الموت فقال له ذو القرنين هل تعلمون أنتم موضع تلك العين فقال لا غير أنا نتحدث فى السماء ان لله فى الارض ظلمة لا يطؤها انس ولا جان فنحن نظن أن تلك العين فى تلك الظلمة فجمع ذو القرنين علماء أهل الارض وأهل دراسة الكتب وآثار النبوة فقال لهم أخبرونى هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله تعالى وما جاءكم من الاحاديث وسألتم من كان قبلكم من العلماء ان الله وضع فى الارض عينا سماها عين الحياة فقالت العلماء لا فقال عالم من العلماء انى قرأت وصية آدم عليه السلام فوجدت فيها ان الله خلق فى الارض ظلمة لم يطأها انس ولا جان ووضع فيها عين الخلد فقال ذو القرنين أين وجدتها قال وجدتها فى الارض التى على قرن الشمس فبعث اليها ذو القرنين وحشد اليها الفقهاء والاشراف من الناس والملوك ثم سار يطلب مغرب الشمس فسار اثنتى عشرة سنة الى أن بلغ طرف الظلمة فاذا هى مثل الدخان وليست كظلمة الليل فعسكر هنالك ثم جمع علماء عسكره فقال انى أريد أن أسلك هذه الظلمة فقالت العلماء أيها الملك ان من كان قبلك من الملوك والانبياء لم يطؤوا هذه الارض فلا تطأها فانا نخاف أن ينفتح عليك أمر تكرهه ويكون فيه فساد الارض ومن عليها فقال لا بد من أن أسلكها فقالوا أيها الملك كف عن هذه الظلمة ولا تطلبها فانا لو نعلم انك ان طلبتها ظفرت بما تريد ولم يسخط الله علينا لاتبعناك ولكنا نخاف من الله تعالى فسادا فى الارض ومن عليها فقال ذو القرنين لا بد

من

من أن أسلكها فقالت العلماء شأنك بها فقال ذو القرنين أى الدواب بالليل أبصر قالوا الخيل قال وأى الخيل بالليل أبصر قالوا الاناث قال وأى الاناث أبصر قالوا البكارى قال فأرسل ذو القرنين فجمع له ستة آلاف فرس أنثى أبكارا ثم انتخب من عسكره أهل الجلد والعقل ستة آلاف رجل فدفع لكل رجل منهم فرسا وعقد راية للخضر عليه السلام وجعله مقدمته فى ألفين وبقى ذو القرنين فى أربعة آلاف رجل وقال ذو القرنين لبقية عسكره لاتبرحوا من معسكركم هذا الى ثنتى عشرة سنة فان نحن رجعنا اليكم والا فارجعوا الى بلادكم فقال الخضر ايها الملك انا نسلك الظلمة ولا ندرى كم السير فيها ولا يبصر بعضنا بعضا وكيف نصنع بالضلال اذا أصابنا فدفع ذو القرنين الى الخضر عليه السلام خرزة حمراء وقال له حيث يصيبكم الضلال فاطرح هذه فى الارض فاذا صاحت فليرجع اليها أهل الضلال أين صاحت قال فسار الخضر بين يدى ذى القرنين يرتحل الخضر ويحط ذو القرنين فبينما الخضر عليه السلام يسير اذ عرض له واد فظن الخضر أن العين فى الوادى وألقى فى قلبه ذلك فقام على شفير الوادى ومكث طويلا ثم أجابته الخرزة فطلب صوتها فانتهى اليها فاذا هى على جانب العين فنزع الخضر ثيابه ثم دخل العين فاذا ماؤها أشد بياضا من اللبن وأحلى من الشهد فشرب واغتسل وتوضأ ولبس ثيابه ثم انه رمى الخرزة نحو أصحابه فوقعت وصاحت فرجع الخضر الى صوتها والى أصحابه فركب وقال لاصحابه سيروا على اسم الله وان ذا القرنين مر فأخطأ الوادى فسلكوا تلك الظلمة فى أربعين يوما ثم انهم خرجوا الى ضوء ليس كضوء شمس ولا قمر والارض حمراء ورملة خشخاشية فاذا هم بقصر مبنى فى تلك الارض طوله فرسخ فى فرسخ عليه باب فنزل ذو القرنين بعسكره ثم انه خرج وحده حتى دخل القصر فاذا حديدة قد وضع طرفاها على جانب القصر من ههنا وههنا واذا طائر أسود يشبه الخطاف مزموما بأنفه الى الحديدة معلقا بين السماء والارض فلما سمع الطائر خشخشة ذى القرنين قال من هذا قال أنا ذو القرنين فقال الطائر يا ذا القرنين ما كفاك ما وراءك حتى وصلت الى ثم قال يا ذا القرنين حدثنى فقال سل فقال هل كثر بناء الجص والآجر فى الارض قال نعم فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ فبلغ ثلث الحديدة ثم قال يا ذا القرنين هل كثرت شهادة الزور فى الارض قال نعم قال فانتفض الطائر ثم انتفخ حتى ملأ الحديدة وسد ما بين جدران القصر بحيث رأى ذو القرنين ذلك ففرق فرقا شديدا فقال الطائر لا تخف حدثنى قال سل قال هل ترك الناس شهادة أن لا اله الا الله بعد قال لا فانضم الطائر الى ثلثه ثم قال يا ذا القرنين هل ترك الناس غسل الجنابة بعد قال لا فعاد الطائر كما كان ثم قال يا ذا القرنين اسلك هذه الدرج درجة درجة الى أعلى القصر فسلكها ذو القرنين وهو خائف وجل لا يدرى على ما يهجم حتى استوى على صدر الدرج فاذا سطح ممدود عليه صورة رجل شاب قائم وعليه ثياب بيض رافعا وجهه الى السماء واضعا يده على فيه فلما سمع خشخشة ذى القرنين قال من هذا قال أنا ذو القرنين قال يا ذا القرنين ان الساعة قد قربت وانى منتظر أمر ربى يأمرنى أن أنفخ فى الصور ثم ان صاحب الصور أخذ شيأ من بين يديه كأنه حجر فقال يا ذا القرنين خذ هذا فان شبع هذا شبعت وان جاع هذا جعت فأخذ ذو القرنين الحجر ونزل حتى أتى الى أصحابه فحدثهم بأمر الطائر وما قال له وما أورده عليه وما قال له صاحب الصور ثم جمع علماء عسكره وقال اخبرونى ما هذا الحجر وما أمره فقالوا أيها الملك أخبرنا

ما قال لك صاحب الصور فقال ذو القرنين انه قال ان شبع هذا شبعت وان جاع جعت فوضعت العلماء ذلك الحجر فى كفة الميزان وأخذوا حجرا مثله ووضعوه فى الكفة الاخرى ثم رفعوا الميزان فاذا الذى جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذى جاء به ذو القرنين اثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذى جاء به ذو القرنين أثقل فلم يزالوا يضعون حجرا بعد حجر حتى وضعوا ألف حجر ثم رفعوا الميزان فمال بالالف جميعا فقالت العلماء انقطع علمنا دون هذا لا نعرف أسحر هذا أم علم ولا نعلمه فقال الخضر عليه السلام وكان واقفا أنا أعلم علمه فأخذ الخضر عليه السلام الميزان بيده ثم أخذ الحجر الذى جاء به ذو القرنين فوضعه فى احدى الكفتين وأخذ حجرا من تلك الحجارة فوضعه فى الكفة الاخرى ثم أخذ كفا من تراب فوضعه على الحجر الذى جاء به ذو القرنين ثم رفع الميزان فاستوى فخرت العلماء سجدا لله تعالى وقالوا سبحان الله هذا علم لم يبلغه علمنا والله لقد وضعنا معه ألف حجر فما استقل به فقال الخضر عليه السلام أيها الملك ان سلطان الله عز وجل قاهر لخلقه وأمره نافذ فيهم وحكمه جار عليهم وان الله ابتلى خلقه بعضهم ببعض فابتلى العالم بالعالم والجاهل بالجاهل والجاهل بالعالم والعالم بالجاهل وانه ابتلانى بك وابتلاك بى فقال ذو القرنين صدقت فأخبرنى ما هذا الحجر فقال الخضر أيها الملك هذا مثل ضربه لك صاحب الصور ان الله تعالى مكن لك فى الارض والبلاد فأعطاك منها ما لم يعط أحدا من خلقه وأوطأك منها ما لم يوطئ لاحد من خلقه فلم تشبع وأبت نفسك شرها حتى بلغت من سلطان الله ما لم يطأه انس ولا جان فهذا مثل ضربه لك صاحب الصور وابن آدم لا يشبع ابدا حتى يحثى عليه التراب ولا يملأ جوفه الا التراب فبكى ذو القرنين ثم قال صدقت يا خضر فى ضرب هذا المثل لاجرم لا طلبت أثرا فى البلاد بعد مسيرى هذا حتى أموت ثم انه انصرف راجعا حتى اذا كان فى وسط الظلمة وطئ الوادى الذى فيه الزبرجد فقال من معه لما سمعوا خشخشة تحت حوافر دوابهم ما هذا الذى تحتنا أيها الملك فقال ذو القرنين خذوا منه فان من أخذ منه ندم ومن تركه ندم فمنهم من أخذ منه شيأ ومنهم من تركه فلما خرجوا من الظلمة ونظروه اذا هو زبرجد فندم الآخذ والتارك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى ذا القرنين لو ظفر بوادى الزبرجد فى مبدأ أمره ما ترك منه شيأ حتى كان يخرجه الى الناس لانه كان راغبا فى الدنيا ولكنه ظفر به وهو زاهد فى الدنيا لا حاجة له فيها ثم انه رجع الى العراق وملك ملوك الطوائف كلها ومات فى طريقه قبل وصوله بشهر وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه انه رجع الى دومة الجندل وكانت منزله فأقام بها حتى مات قالوا وكان عمره ستا وثلاثين سنة وكان ملكه سبع عشرة سنة وكان قبل دارا فى أول السنة الثالثة من ملكه فلما مات حمل الى أمه بالاسكندرية ودفن هناك قالوا فلما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه اسكندروس من بعده فأبى واختار النسك والعبادة فلكت اليونانية عليهم فيما قيل بطليموس بن لوسوع وكان ملكه ثمانى وثلاثين سنة وكانت المملكة فى حياة الاسكندر وبعد وفاته الى أن تحول الملك الى الروم والمضاض واليونانية وابقى اسرائيل بيت المقدس ونواحيها الديانة والرياسة على غير وجه الملك الى أن خرب بلادهم الفرس والروم وطردوهم عنها بعد قتل يحيى بن زكريا عليهم السلام والله أعلم

(مجلس فى قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام)

وهو مجلس يشتمل على أبواب كثيرة قال محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار عبرت بنو اسرائيل بعد مرجعهم من أرض بابل الى بيت المقدس وبلاد الشام وانتظام أمورهم ولم يزالوا يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم بفضله ورحمته ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون كما قال الله تعالى حتى كان ممن بعث فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى وكانوا من آل بيت داود عليه السلام

(نسب زكريا عليه السلام) هو زكريا بن يوحنا بن ادن بن مسلم بن صدوق بن يحسان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن ناخور بن سلوم بن نهفاساط بن ايبا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليه السلام

(باب في ذكر مولد مريم عليها السلام وخبر تحريرها)

قال الله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا الآيات قال المفسرون هي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وعمران قال ابن عباس هو عمران بن ماثان وليس بعمران أبي موسى اذ بينهما ألف وثمانمائة سنة وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وأحبارهم وملوكهم * وقال ابن اسحق هو عمران بن ساهم بن أمور بن ميشا بن حزقيل بن احريف ابن يوآم بن عزازيا بن امصيا بن ناوس بن نوثا بن بارض بن يهوشافاط بن رادم بن ايبا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليه السلام وكانت القصة في ذلك ان زكريا بن يوحنا وعمران بن ماثان كانا متزوجين باختين أحدهما عند زكريا بن يوحنا وهي ايشاع بنت فاقوذ أم يحيى وكانت الاخرى عند عمران وهي حنة بنت فاقوذ أم مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وعجزت وكانوا أهل بيت من الله بمكان فبينما هي في ظل شجرة اذ نظرت طائرا يطعم فرخا فتحركت عند ذلك شهوتها للولد ودعت الله تعالى أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك على ان رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه نذرا وشكرا فحملت بمريم عليها السلام فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقالت ربي اني نذرت لك ما في بطني محررا أي عتيقا عن الدنيا واشغالها خالصا لله تعالى وخادما لبيتك المقدس حبيسا عليه مفرغا لعبادة الله ولخدمته فتقبل مني الكائن انك أنت السميع العليم قالوا وكان المحرر اذا حرر ونذر جعل المحرر والمنذور في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرح عنها حتى يبلغ الحلم فاذا بلغ خير بين أن يقيم وبين أن يذهب حيث شاء وان أراد أن يخرج بعد التخيير استأذن رفقاءه من السدنة ليكون خروجه على علم منهم ولم يكن أحد من بني اسرائيل وعلمائهم الامن في نسله محرر لبيت المقدس ولم يكن محررا الا الغلمان وكانت الجارية لا تكلف ذلك ولا تصلح لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت أم مريم ما في بطنها فلما فعلت ذلك قال لها زوجها عمران ويحك ماذا صنعت أرأيت ان كان ما في بطنك أنثى والانثى عورة لا تصلح لذلك فوقعا جميعا في هم من ذلك فهلك عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها اذا هي جارية فقالت حنة وكانت ترجو أن يكون غلاما اعتذارا الى الله تعالى رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى اى في خدمة الكنيسة والعبادة فيها لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس والاذى واني سميتها مريم وهي بلغتهم العابدة والخادمة وكانت مريم عليها السلام أجمل النساء وأمثلهن في وقتها (أخبرني) الحسن

الاسماء المذكورة هنا لم نجدها في كتب التواريخ والموجود في نسب زكريا فيها اختلاف لما هنا وكذا الاسماء بعده

ابن محمد باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين
أربع مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله
عليه وسلم وانى أعيذها أى أجيرها وأمنعها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (أخبرنا) عبد الله بن
حامد باسناده وأخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن هرون باسناده عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ما من مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان الا مريم
وابنها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (وأخبرنا)
شعيب بن محمد باسناده عن قتادة قال كل آدمى يطعن الشيطان فى جنبه حين يولد الا عيسى وامه
عليهما السلام جعل بينهما حجاب وأصابت الطعنة الحجاب ولم ينفذ اليهما منه شئ قال وذكروا لنا
انهما كانا لا يصيبان من الذنوب كما يصيبه سائر بنى آدم قال الله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن
الهاء راجعة الى النذيرة أى فتقبل الله النذيرة أى مريم من حنة وأنبتها نباتا حسنا يعنى سوّى
خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت فى المدة اليسيرة كما ينبت المولود فى المدة
الطويلة وقال ابن جريج وأنبتها ربها فى غذائها ورزقها نباتا حسنا حتى تمت امرأة بالغة قالوا
فلما ولدت مريم أخذتها أمها حنة فلفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار أبناء
هرون وهم يومئذ يلون فى بيت المقدس كما يلى الحجبة أمر الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة
فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها منكم
لان عندى خالتها فقالت له الاحبار لا تفعل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس وأقربهم اليها
لتركت لامها التى ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فاتفقوا على ذلك
ثم انطلقوا وكانوا تسعة عشر رجلا الى نهر جار قال السدى هو نهر الاردن فألقوا أقلامهم أى
سهامهم وقيل أقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة فى الماء فارتفع قلم زكريا فوق الماء
وانحدرت أقلامهم ورسبت فى الماء قاله ابن اسحق وجماعة وقال السدى بل ثبت قلم زكريا فوق
الماء كأنه فى طين وجرت أقلامهم مع جريان الماء فذهب الماء بها فسهمهم وقرعهم زكريا عليه
السلام وكان رأس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا ضمها الى نفسه وقام بأمرها
وقال ابن اسحق فلما كفلها زكريا ضمها الى خالتها أم يحيى واسترضع لها حتى اذا نشأت وبلغت
مبالغ النساء بنى لها محرابا أى غرفة فى المسجد وجعل بابه الى وسطها لا يرقى اليها الا بسلم مثل
باب الكعبة فلا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها فى كل يوم وكان زكريا عليه
السلام اذا خرج أغلق عليها بابها فاذا دخل عليها غرفتها وجد عندها رزقا أى فاكهة فى غير
حينها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف فيقول لها أنى لك هذا فتقول هو من
عند الله من قطف الجنة قال الحسن يجد عندها قوتها وكان رزقها يأتيها من الجنة فيقول لها
زكريا من أين لك هذا فتقول هو من عند الله قال الحسن وكانت وهى صغيرة يأتيها رزقها وقال
محمد بن اسحق ثم أصابت بنى اسرائيل أزمة وهى على ذلك من حالها ثم ضعف زكريا عن حملها
فخرج الى بنى اسرائيل وقال يا بنى اسرائيل تعلمون والله انى لقد كبرت وضعفت عن حمل ابنة
عمران فأيكم يكفلها بعدى فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من الجهد ما ترى فتدافعوها بينهم
ثم لا يجدون من يحملها فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم على رجل صالح نجار من بنى

اسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب بن ماثان وكان ابن عم مريم فحملها قال فعرفت مريم في وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن الظن بالله فان الله سيرزقنا فجعل يوسف يرزق لمكانها منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها وهي في الكنيسة أنماه الله تعالى وكثره فيدخل اليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف فيقول لها يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب (أخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يصب في بيت أحد منهن شيئا فاتى فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنية هل عندك شيء آكل فاني جائع فقالت لا والله بابي أنت وأمي فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندها بعثت اليها جارة لها برغيفين وبضعة لحم فاخذته منها ووضعته في جفنة وغطت عليه وقالت لاوثرن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ومن عندي وكانوا جميعا محتاجين الى شبعة من طعام فبعثت حسنا وحسينا الى جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع اليها فقالت بابي أنت وأمي يا رسول الله قد أتانا الله بشيء فخبأته لك قال فهلمي به فأتى به فكشف عن الجفنة فاذا هي مملوأة خبزا ولحما فلما نظرت اليه بهتت وعرفت انها بركة من الله فحمدت الله تعالى وصلت على نبيه فقال عليه السلام من أين لك هذا يا بنية قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني اسرائيل فانها كانت اذا رزقها الله رزقا حسنا فسئلت عنه قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي رضي الله عنه فاتى فاكل الرسول وعلي وفاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم جميعا حتى شبعوا وبقيت الجفنة كما هي قالت فاطمة رضي الله عنها وأوسعت منها على جميع جيراني وجعل الله فيها بركة وخيرا طويلا وكان أصل الجفنة رغيفين وبضعة لحم والباقي بركة من الله تعالى

(باب في مولد يحيى بن زكريا عليهما السلام)

قال الله تعالى هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء قالت العلماء بأخبار الانبياء لما رأى زكريا عليه السلام ان الله يرزق مريم الفاكهة في غير حينها قال ان الذي قدر على أن يؤتي مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب ولا فعل أحد لقادر على أن يصلح زوجتي ويهب لي ولدا على الكبر فطمع في الولد وكان أهل بيته قد انقرضوا وزكريا قد شاخ وأيس من الولد فهنالك أي فعند ذلك دعا زكريا ربه قال رب هب لي أي أعطني من لدنك ذرية طيبة نسلا نقيا صالحا رضيا انك سميع الدعاء فنادته الملائكة يعني جبريل وذلك ان زكريا كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح باب المذبح فلا يدخل أحد حتى يأذن له بالدخول فبينما هو في محرابه عند المذبح قائم يصلي والناس ينتظرونه أن يأذن لهم بالدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع منه فناداه وهو جبريل عليه السلام يا زكريا ان الله يبشرك بيحيى واختلفوا فيه لم سمي يحيى قال ابن عباس لان الله تعالى أحيا به عقر أمه وقال قتادة وغيره لان

الله تعالى أحيا قلبه بالايمان والنبوة وقال الحسين بن الفضل لان الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يتغير ولم يهم بمعصية * دليله ما أخبرني به الحسن بن فنجويه باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يلقى الله عز وجل قد هم بخطيئة أو عملها الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم ولم يعمل قال الاستاذ وكان شيخنا أبو القاسم الجنيد يقول سمي بذلك لانه استشهد والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون قال النبي صلى الله عليه وسلم من هوان الدنيا على الله أن يحيى بن زكريا قتلته امرأة قال وسمعت أبا منصور الجشاوي يقول قال عمر بن عبد الله المقدسي أوحى الله الى ابراهيم الخليل عليه السلام أن قل لسارة وكان اسمها كذلك انى مخرج منكما عبدا لا يهم بمعصية اسمه حيي فهبي له من اسمك حرفا فوهبت له أول حرف من حروف اسمها الياء فصار يحيى وصار اسمها سارة مصدقا بكلمة من الله يعني عيسى عليه السلام فسمي كلمة لان الله تعالى قال له من غير أب كن فكان فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها وجد ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وذلك أن أمه كانت حاملة به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها أم يحيى يا مريم أحامل أنت فقالت لماذا تقولين هذا قالت انى أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك تصديقه له وايمانه به وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وذلك ان مولد يحيى كان قبل مولد عيسى بستة أشهر ثم قتل يحيى قبل أن يرفع عيسى الى السماء وسنذكره قال سعيد بن المسيب وسيدا السيد الفقيه العالم وقال سعيد بن جبير السيد الذي يطيع ربه عز وجل وقال الضحاك السيد الحسن الخلق وقال عكرمة الذي لا يغضب وقال سفيان الذي لا يحسد وحصورا قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما هو الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن فعول بمعنى فاعل يعني انه حصر نفسه عن الشهوات وقال ابن المسيب والضحاك هو العنين الذي لا ماء له ودليل هذا التأويل ما أخبرني به ابن فنجويه باسناده عن أبي صالح عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد أذنبه يعذبه عليه ان شاء أو يرحمه الا يحيى بن زكريا فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ثم أومأ النبي صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الارض فأخذها قال وكان ذكره مثل هذه القذاة وقال المدني الحصور الذي لا يدخل في اللعب ولا الاباطيل قالوا فلما نادى جبريل زكريا بالبشارة قال رب أي يا سيدي قاله لجبريل هذا قول أكثر المفسرين وقال الحسين بن الفضل انما قال زكريا يا رب لله لا لجبريل أنى يكون لي غلام من أين يكون لي ولد وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر لا تلد عقيم قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة وقيل تسع وتسعين سنة وروى الضحاك عن ابن عباس قال كان زكريا ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فأجيب كذلك الله يفعل ما يشاء فان قيل لم أنكر زكريا ذلك وسأل الآية بعد ما بشرته الملائكة أكان ذلك شكا في وحيه أم انكارا لقدرته وهذا لا يجوز أن يوصف به أهل الايمان فكيف الانبياء فالجواب عنه ما قال عكرمة والسدي أن زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس من الله وانما هو صوت الشيطان يسخر بك ولو كان من الله لاوحاه اليك خفية كما ناديته خفية وكما يوحي اليك في سائر الامور فقال ذلك دفعا للوسوسة وفيه جواب آخر وهو أنه لم يشك في الولد وانما شك في كيفيته والوجه الذي يكون منه الولد فقال أنى يكون لي

ولد

ولداً كيف يكون لي ولد أتجعلني وامرأتي شابين أم ترزقه كذا على كبرنا أم ترزقني من امرأة غيرها من النساء فقال ذلك مستخبراً لا منكراً وهذا قول الحسن قال رب اجعل لي آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام وتقبل بكليتك على عبادتي وطاعتي لا انه حبس لسانه عن الكلام ولكنه نهي عنه يدل عليه قوله تعالى واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والابكار هذا قول قوم من أهل العلم وقال آخرون عقل لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ولم يقدر على الكلام ثلاثة أيام الا رمزاً أي اشارة وعلى هذا أكثر المفسرين وقال عطاء أراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا الا رمزاً فولد يحيى بن زكريا عليه السلام وفي بعض الاخبار انه لما ولد يحيى رفع الى السماء فتغذى بأنهار الجنة حتى فطم ثم أنزل الى أبيه وكان يضيء البيت لنوره وحسن وجهه وجماله

(باب في صفته وحليته عليه السلام)

قال كعب الاحبار كان يحيى بن زكريا نبياً حسن الوجه والصورة لين الجناح قليل الشعر قصير الاصابع طويل الانف مقرون الحاجبين رقيق الصوت كثير الغيرة قوياً في طاعة الله تعالى وقد ساد الناس في عبادة الله وطاعته

(فصل في نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده)

قال الله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً قيل ان يحيى قال له أترابه من الصبيان يا يحيى اذهب بنا نلعب فقال لهم ما للعب خلقت وقال آخرون انه نبي صغيراً فكان يعظ الناس ويقف لهم في أعيادهم وجمعهم ويدعوهم الى الله تعالى ثم ساح ودخل الشأم يدعو الناس ولما بعثه الله تعالى الى بني اسرائيل وأمره أن يأمرهم بخمس خصال وضرب لكل خصلة منها مثلا امرهم أن يعبدوا الله لا يشركوا به شيأ وقال مثل الشرك كمثل رجل اشترى عبيداً من خالص ماله ثم أسكنهم داراً له ودفع لهم مالا يتجرون فيه ويأكل كل واحد منه ما يكفيه ثم يؤدون اليه فضل الربح فعمد العبيد الى فضل الربح فدفعوه الى عدوّ سيدهم وأمرهم بالصلاة فقال ان مثل المصلي كمثل رجل استأذن على ملك فأذن له ودخل عليه فأقبل الملك عليه بوجهه ليسمع مقالته ويقضي حاجته فلما دخل عليه الرجل التفت يميناً وشمالا ولم يهتم بحاجته فاعرض الملك عنه ولم يقض حاجته وأمرهم بالصدقة وقال مثلها كمثل رجل أسره العدوّ فاشترى منه نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل في بلادهم ويؤدي اليهم من كسبه القليل والكثير حتى أوفى ثمنه فاعتق وأمرهم بذكره عز وجل وقال مثل الذكر مثل قوم لهم حصن ولهم عدوّ فاذا أقبل عليهم عدوّهم دخلوا حصنهم فلم يقدر عليهم كذلك من ذكر الله تعالى لا يقدر عليه الشيطان وأمرهم بالصيام وقال مثله كمثل الجنة لا تدع عدوّاً يصل اليه وتستره

(واما سيرته) فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان من زهد يحيى أنه أتى بيت المقدس فنظر الى المجتهدين من الاحبار والرهبان وعليهم مدارع الشعر والصوف وبرانس الصوف واذا هم قد خرقوا تراقيهم وسلكوا فيها السلاسل وشدّوا بها الى سواري المسجد فلما نظر الى ذلك أتى أمه فقال يا أماه انسجي لي مدرعة من شعر وبرنساً من صوف حتى آتي الى بيت المقدس واعبد الله تعالى مع الاحبار والرهبان فقالت له أمه حتى يأتي نبي الله زكريا عليه

السلام فأوامره فى ذلك فلما دخل زكريا أخبرته بما قال لها يحيى فقال له زكريا يا بنى ما يدعوك
الى هذا وانما أنت صبى صغير فقال له يا أبت أما رأيت من هو أصغر منى ذاق الموت قال بلى فقال
لامه انسجى لى مدرعة من الشعر وبرنسا من الصوف ففعلت فتدرع بالمدرعة على بدنه ووضع
البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس واقبل يعبد الله مع الاحبار والرهبان حتى أكلت
مدرعة الشعر لحمه فنظر ذات يوم الى ما قد نحل من جسمه فبكى فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى أتبكى
على ما قد نحل من جسمك وعزتى وجلالى لو اطلعت على النار اطلاعة لتدرعت مدارع الحديد
فضلا عن المسوح فبكى يحيى حتى أكل الدمع لحم خديه وبدت للناظرين أضراسه فبلغ ذلك أمه
فدخلت عليه وأقبل زكريا واجتمع الاحبار والرهبان فقال زكريا لابنه يحيى ما يدعوك لهذا
يا بنى انما سألت ربى ان يهبك لى لتقربك عينى قال أنت أمرتنى بذلك يا أبت قال ومتى قال ألست
القائل ان بين الجنة والنار عقبة كؤدا لا يقطعها الا البكاؤن من خشية الله تعالى قال بلى قال
فجد واجتهد وقام فنفض مدرعته فأخذته أمه فقالت أتأذن لى يا بنى ان اتخذ لك قطعتين
من لبد يواريان أضراسك وينشفان دموعك فقال لها شأنك فاتخذت له قطعتى لبد يواريان
أضراسه وينشفان دموعه فبكى حتى ابتلتا من دموع عينيه ثم أخذهما فعصرهما فتحدرت
الدموع من بين أصابعه فنظر زكريا الى ابنه والى دموعه فرفع رأسه الى السماء وقال اللهم ان
هذا ابنى وهذه دموع عينيه وأنت أرحم الراحمين وكان زكريا اذا أراد ان يعظ بنى اسرائيل
التفت يمينا وشمالا فاذا رأى يحيى لم يذكر جنة ولا نارا فجلس يوما يعظ بنى اسرائيل واقبل يحيى
قد لف راسه بعباءة وجلس فى غمار القوم فالتفت زكريا يمينا وشمالا فلم ير يحيى فأنشأ يقول
حدثنى حبيبى جبريل عن الله عز وجل أن فى جهنم جبلا يقال له السكران فى أصل ذلك الجبل
واد يقال له الغضبان خلق لغضب الرحمن تبارك وتعالى فى ذلك الوادى جب قامته مائة عام
فى ذلك الجب توابيت من نار فى تلك التوابيت صناديق من نار وثياب من نار وأغلال من نار
فرفع يحيى رأسه وقال واغفلتاه عن السكران وعن غضب الرحمن ثم خرج هائما على وجهه فقام
زكريا من مجلسه ودخل على أم يحيى فقال لها يا أم يحيى قومى فاطلبى يحيى فانى قد تخوفت أن
لا نراه الا وقد ذاق الموت فقامت وخرجت فى طلبه فمرت بفتيان من بنى اسرائيل فقالوا لها يا أم
يحيى أين تريدين قالت أطلب ولدى يحيى ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فمضت أم يحيى
والفتية معها حتى مرت براعى غنم فقالت يا راعى هل رأيت شابا من صفته كذا وكذا قال لعلك
تطلبين يحيى بن زكريا قالت نعم ذلك ولدى ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فقال تركته
الساعة على عقبة كذا ناقعا قدميه فى الماء رافعا بصره الى السماء يقول وعزتك يا مولاى لا أذوق
بارد الشراب حتى انظر الى منزلتى منك فأقبلت أمه فلما رأته دنت منه فأخذت برأسه فوضعته بين
يديها وناشدته بالله أن ينطلق معها الى المنزل فانطلق معها الى المنزل فقالت له هل لك أن تخلع
مدرعتك الشعر وتلبس مدرعتك الصوف فانه ألين ففعل ثم انها طبخت له عدسا فأكل
واستوفى فذهب به النوم فلم يقم لصلاته فنودى فى منامه يا يحيى أردت دارا خيرا من دارى
وجوارا خيرا من جوارى فاستيقظ وقام وقال رب أقل عثرتى وعزتك لا أستظل بظل سوى بيت
المقدس ثم قال لامه ناولينى مدرعة الشعر فقد علمت انكما ستوردانى المهالك فتقدمت اليه أمه

ودفعت

ورفعت اليه المدرعة وتعلقت به فقال له ازكريا يا أم يحيى دعيه فان ولدي قد كشف له عن قناع غفلته ولن ينتفع بالعيش فقام يحيى فلبس مدرعته ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبد الله مع الاحبار والرهبان حتى كان من أمره ما كان والله أعلم

(باب في مقتله عليه السلام)

اختلف العلماء في سبب قتله فقال بعضهم كان يحيى عليه السلام في زمن ملك من ملوك بني اسرائيل وكان له امرأة وهي ابنة ملك صيدا وكانت قتالة للانبياء والصالحين وكانت عاهرة تبرز للناس وكان يحيى يزجرها عن ذلك ويقول لها لا تبرزي كاشفة وجهك وكان كثيرا ما يقول لها مكتوب في التوراة ان الزناة يوقفون يوم القيامة وريحهم أنتن من الجيف فأمرت بيحيى فسجن وكان قد حبس رجل من أولاد الملوك وكان كثيرا ما يختلف اليها بالليل فعلم بها وبه يحيى فزجره فبلغ ذلك امرأة الملك فحملت بنتا لها واستقبلت بها زوجها فقال لها ما فعلت ذلك فقالت وجب لها عليك حق فقال سلي ماشئت فقالت البنت استوهب منك أهل الحبس أصنع بهم ماشئت فظن أبوها أنها ترحمهم وتسرحهم فقال أبوها قد فعلت فأمرت أمها بأهل السجن فعرضوا عليها فلما مر بها يحيى أمرت به فذبح وأخذ رأسه في طشت ثم حملت الطشت الى أبيها بأمر أمها وقالت أيها الملك اني قد ذبحت لك ذبيحة من أعظم ما وجدته ولو كان مثله ألف لذبحتهم لك قال وما هو قالت يحيى بن زكريا فقال هلكت وأهلكت أبويك فغير الله ما بهم من النعم وسلط عليهم عدوا فذبح البنت وأبويها وسلط عليهم الكلاب والسباع حتى أكلتهم * وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس قال وكان مما نهوهم عنه نكاح بنت الاخ وكان للملكهم بنت أخ تعجبه يريد أن يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة عنده يقضيها لها فلما بلغ أمها انه ينهى عن نكاح بنت الاخ قالت لابنتها اذا دخلت على الملك فسألك عن حاجتك فقولي حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه سألها حاجتها فقالت حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا فقال سلي غير هذا فقالت ما أسألك الا هذا فلما أبت عليه دعا يحيى بن زكريا ودعا بطست فذبحه فيه فنبذت من دمه قطرة فلم تزل تغلي حتى بعث الله عز وجل بختنصر عليهم فجاءت عجوز من بني اسرائيل فدلته على ذلك الدم فألقى الله في قلبه أن يقتل على ذلك الدم سبعين ألفا منهم على سن واحد فسكن فقتلهم فسكن وقال السدي باسناده كان ملك بني اسرائيل يكرم يحيى بن زكريا ويدني مجلسه ويستشيره في أمره ولا يقطع أمرا دونه وانه هوى أن يتزوج ابنة امرأة له فسأل عن ذلك يحيى فنهاه عنه وقال لست أرضاها لك فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها فعمدت الى ابنتها حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وألبستها من الحلي وألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه وأن تتعرض له فاذا راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله فاذا أعطاها ذلك سألته أن يأتيها برأس يحيى بن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه وتتعرض له فلما أخذ منه الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال وما تسأليني قالت ان تبعث الى برأس يحيى بن زكريا في هذا الطشت قال ويحك سليني غير هذا قالت ما أسألك الا هذا فلما أبت عليه بعث اليه فأتى برأسه والرأس يتكلم

حتى وضع بين يديه وهو يقول لا تحل لك فلما أصبح اذا دمه يغلي فأمر بتراب فألقى عليه فارتفع الدم فوقه فلم يزل يغلي ويلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلي وذكر الحديث الطويل الذي في قصة سنحاريب وبختنصر كما قدمناذكره في أخبار بختنصر * وقالت علماء النصارى الذي قتل يحيى ملك من ملوك بني اسرائيل يقال له هيردوس بسبب امرأة يقال لها هيرديا كانت امرأة أخ له يقال له فيلقوس عشقها فوافقته على الفجور فنهاه يحيى واعلمه أنها لا تحل له فسألت المرأة هيردوس ان يأتيها برأس يحيى فلما فعل ذلك سقط في يديه وجزع جزعا شديدا قال كعب الاحبار كان يحيى من أجمل الناس وجها وأحسنهم في زمانه فاحبته امرأة الملك الذي كان في زمانه حبا شديدا فارسلت اليه تراوده عن نفسه فارسل اليها أنه لا علم له بالنساء والملك أحق أن يطأ فراشه فلما انتهى اليها الرسول غضبت غضبا شديدا وقالت كيف لي أن اقتله ولا يخبر الناس اني قدراودته فلم تزل بالملك حتى وهب لها يحيى بن زكريا فأرسلت اليه وهو قائم يصلي في بيت المقدس في محراب داود من يضرب عنقه ويأخذ رأسه فلما أخذوا رأس يحيى خسف الله بها وباهلها الارض عقوبة لها بقتلها يحيى عليه السلام

(ذكر مقتل زكريا عليه السلام)

(قال) كعب الاحبار فلما سمع زكريا ان ابنه يحيى قتل وخسف بالقوم انطلق هاربا في الارض حتى دخل بستانا عند بيت المقدس فيه الاشجار فنادته شجرة يا نبي الله الى ههنا فلما أتاها انفتقت له الشجرة ودخل زكريا في وسطها فانطلق ابليس لعنه الله حتى أخذ بطرف ردائه فاخرجه من الشجرة ليصدقوه اذا أخبرهم فلذلك تصنع اليهود الخيوط في اطراف أرديتهم لا يدرون لما أمروا بذلك وأخذ الملك وأهله يلتمسون زكريا فاستقبلهم ابليس لعنه الله تعالى فقال لهم ما تلتمسون قالوا نلتمس زكريا فقال ابليس انه دخل في هذه الشجرة قالوا لا نصدقك قال فاني ان أريتكم علامة تصدقوني بها قالوا فارناها فاراهم طرف ردائه فاخذوا المناشير وضربوا الشجرة فنشروها نصفين فسلط الله عليهم أخبث أهل الارض عليها مجوسيا فانتقم الله به من بني اسرائيل بدم يحيى وزكريا فقتل عظماء بني اسرائيل وسبى منهم مائة وسبعين ألفا وقيل ان السبب في قتل زكريا ان ابليس جاء الى مجالس بني اسرائيل فقذف بمريم زكريا وقال ما أحبلها أحد غير زكريا وهو الذي كان يدخل عليها فطلبوا زكريا فهرب واتبعه سفهاؤهم وأشرارهم فسلك واديا كثير الاشجار فتشبه له الشيطان في صورة راع فقال يا زكريا قد أدركوك فادع الله ان يفتح لك هذه الشجرة ففعل ذلك فانفتحت له فدخل فيها وأخرج ابليس هدب ردائه منها فمرت بنو اسرائيل بالشيطان فقالوا يا راعي هل رأيت رجلا ههنا من صفته كذا وكذا قال نعم سحر هذه الشجرة فانفتحت له فدخل فيها وهذا هدب ردائه فقطعوا الشجرة مع زكريا وفلقوها فلقتين بالمنشار طولا فبعث الله الملائكة فغسلوا زكريا وصلوا عليه ودفنوه وفي الخبر ان الشمس بكت على يحيى أربعين صباحا وكان بكاؤها أن طلعت وغربت حمراء ويروى أن يحيى سيد الشهداء يوم القيامة وقائدهم الى الجنة والله أعلم

(مجلس في مولد عيسى عليه السلام وفي حمل مريم بعيسى عليهما السلام وما يتصل به)

قال

قال الله تعالى واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا قالت العلماء بأخبار
الانبياء لما مضى من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة أيام ومريم يومئذ بنت خمس عشرة سنة وقيل
بنت ثلاث عشرة سنة وكان مع مريم فى المسجد من المحررين ابن عم لها يقال له يوسف النجار
وكان رجلا حليما نجارا يتصدق بعمل يده وكان يوسف ومريم يليان خدمة الكنيسة
وكانت مريم اذا نفد ماؤها وماء يوسف أخذ كل واحد منهما قلته وانطلق الى المغارة التى فيها
الماء فيستقيان منه ثم يرجعان الى الكنيسة فلما كان اليوم الذى لقيها فيه جبريل عليه السلام
وكان أطول يوم فى السنة وأشده حرا نفد ماؤها فقالت ألا تذهب بنا يا يوسف فنستقى فقال ان
عندى افضلا من ماء أكتفى به يومى هذا الى غد قالت ولكنى والله ما عندى ماء فأخذت قلتها
ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت عندها جبريل عليه السلام قد مثله الله لها
بشرا سويا فقال لها يا مريم ان الله قد بعثنى اليك لأهب لك غلاما زكيا قالت انى أعوذ بالرحمن
منك ان كنت تقيا أى مؤمنا مطيعا قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه علمت أن التقى ذو رحمة
وخشية وهى تحسبه رجلا من بنى آدم * قال عكرمة وكان جبريل عرض لها فى صورة رجل شاب
أمرد وضىء الوجه جعد الشعر سوى الخلق قالت الحكماء انما أرسله الله تعالى فى صورة البشر
لتثبت مريم عليها وتقدر على استماع كلامه ولو نزل على صورته التى هو عليها لفزعت ونفرت منه
ولم تقدر على استماع كلامه فلما استعاذت منه مريم قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا
قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين الآية فلما
قال لها ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ جيب درعها وكانت قد وضعته عنها فلما انصرف عنها لبست
مريم درعها وحملت بعيسى عليه السلام ثم ملأت قلتها وانصرفت الى المسجد * وقال السدى
وعكرمة ان مريم عليها السلام كانت تكون فى المسجد مادامت طاهرة فاذا حاضت تحولت الى
بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هى تغتسل من الحيض وقد اتخذت مكانا
شرقيا اى مشرقا لانه كان فى الشتاء فى أقصر يوم فى السنة قال الحسن انما اتخذت النصارى
المشرق قبلة لان مريم انتبذت مكانا شرقيا فاتخذت فضربت من دونهم حجابا أى سترا وقال
مقاتل جعلت الجبل بينها وبين قومها فبينما هى كذلك فى تلك الحالة اذ عرض لها جبريل وبشرها
بعيسى ونفخ فى جيب درعها قال وهب فلما اشتملت على عيسى كان معها ذو قرابة لها يقال له
يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون وكان ذلك المسجد يومئذ من
أعظم مساجدهم وكانت مريم ويوسف النجار يخدمان ذلك المسجد وكان لخدمته فضل عظيم
وكانا يليان معالجته بأنفسهما وتجميره وتطهيره وكان لا يعلم فى زمانهما أشد اجتهادا وعبادة
منهما وكان أول من أنكر حملها ابن عمها وصاحبها يوسف النجار فلما رأى الذى بها استعظمه
واستفظعه ولم يدر ماذا يصنع من أمرها وكلما أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها
وأنها لم تغب عنه ساعة واحدة واذا أراد أن يبرئها رأى الذى ظهر بها من الحمل فلما اشتد ذلك
عليه كلمها فكان أول كلامه اياها ان قال لها انه قد وقع فى نفسى من أمرك شئ وقد حرصت
على أن أكتمه فغلبنى ذلك ورأيت أن الكلام فيه أشفى لصدرى فقالت له قل قولا جميلا قال لها
أخبرينى يا مريم هل نبت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل نبتت شجرة بغير غيث قالت نعم قال فهل

يكون ولد من غير ذكر قالت ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر انما
يكون من الزرع الذي أنبته من غير بذر ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجر من غير غيث وبالقدرة
جعل الغيث حياة الشجر بعد ما خلق كل واحد منهما على حدة أو تقول ان الله لا يقدر ان
ينبت الشجر حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباته قال يوسف لها لا أقول هذا ولكني
أقول ان الله تعالى يقدر على ما يشاء يقول للشئ كن فيكون فقالت له مريم ألم تعلم أن الله خلق
آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى قال بلى فلما قالت له ذلك وقع في نفسه أن الذي بها شئ
من أمر الله وأنه لا يسعه أن يسألها عنه وذلك لما رأى من كتمانها لذلك ثم تولى يوسف خدمة
المسجد وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه لما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وكلف وجهها
ونتو بطنها وضعف قوتها وكان جبل صهيون على باب بيت المقدس * وسمعت من الثقات أن
قبر داود عليه السلام فيه وثم كنيسة مشرفة على عين سلوان وسألت بعض الرهبان فقال
هذا صهيون والكنيسة التي خدمت فيها مريم ويوسف هذه وقد أفصح فيها عيسى ودعا الخلق
الى الله تعالى ثم نقل من هذه الى القمامة وهي كنيسة عظيمة داخل بيت المقدس يدعون أن
عيسى عليه السلام لما قتل دفن فيها وبعد ثلاثة أيام عرج به الى السماء فلا ينقطع أبد الدهر منها
وانه ينزل فيها والله أعلم

(باب في ذكر ميلاده عليه السلام)

قالوا فلما أثقلت مريم ودنا نفاسها أوحى الله تعالى اليها أن مسجد بيت المقدس بيت من بيوت
الله تعالى الذي طهر ورفع ليذكر فيه اسمه فابرزي الى موضع تأوين فيه فتحولت مريم الى بيت
خالتها أخت أمها أم يحيى فلما دخلت عليها قامت أم يحيى واستقبلتها فالتزمتها فقالت امرأة زكريا
يا مريم أشعرت أني حبلى قالت مريم وأنت أيضا شعرت أني حبلى قالت امرأة زكريا فاني أجد ما في
بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله فلما وافت بيت خالتها أوحى الله اليها
انك ان ولدت بين أظهر قومك عيروك وقذفوك وقتلوك وولدك فاظعني من عندهم أي فاخرجي
* وقال الكلبي قيل لابن عمها يوسف ان مريم حملت من الزنا الآن يقتلها الملك وكانت قد سميت
له فهرب بها يوسف فاحتملها على حمار له ليس بينها وبين الاكاف شئ فانطلق بها يوسف حتى اذا كان
قريبا من أرض مصر في منقطع بلاد قومها أدرك مريم النفاس فألجأها الى أصل نخلة يابسة
وذلك في زمان الشتاء * قال الكلبي لما كان يوسف ببعض الطريق أراد قتلها فأتاه جبريل عليه
السلام فقال له انه من روح القدس فلا تقتلها * واختلف العلماء في مدة حمل مريم عليها السلام
ووقت وضعها عيسى عليه السلام فقال بعضهم كان مقدار حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء
وقيل ثمانية أشهر وكان ذلك آية أخرى لانه لم يعش مولود لثمانية أشهر غير عيسى وقيل ستة أشهر
وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة * وقال ابن عباس ما هو الا ان حملت ووضعت ولم يكن بين
الحمل والوضع والانتباذ الا ساعة واحدة لان الله تعالى لم يذكر بينهما فصلا قال الله عز وجل
فحملته فانتبذت به مكانا قصيا أي بعيدا من قومها * وقال مقاتل حملته أمه في ساعة وصور في
ساعة ووضع في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشرين سنة وقد كانت حاضت
حيضتين قبل أن تحمل بعيسى قالوا فلما اشتد بها المخاض التجأت الى النخلة وكانت نخلة يابسة

ليس لها سعف ولا كرانيف ولا عروق فاحتوشتها الملائكة وكانوا صفوفا محدقين بها أى محيطين بها وكانت تلك النخلة فى موضع يقال له بيت لحم فقالت حين اشتد الامر يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا أى جيفة ملقاة فنوديت أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فذلك قوله تعالى فناداها من تحتها أن لا تحزنى من قرأ بكسر الميم والتاء فهو جبريل عليه السلام ناداها من سفح الجبل ومن قرأ بفتح الميم والتاء فهو عيسى عليه السلام لما خرج من بطن أمه ناداها وكلمها باذن الله تعالى قالوا فلما ولدت عيسى أجرى الله لها نهرا من ماء عذب بارد اذا شربت منه وفاتر اذا استعملته فذلك قوله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا وهو النهر الصغير * قال ابن عباس ضرب عيسى وقيل جبريل عليه السلام برجله الارض فظهر الماء وحييت تلك النخلة بعد يبسها فتدلت غصونها وأورقت وأثمرت وأرطبت وقيل لها هزى اليك بجذع النخلة أى حركيه تساقط عليك رطبا جنيا غضا طريا * قال الربيع بن خيثم ما للنفساء عندى خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقال عمرو بن ميمون ما أدرى للمرأة اذا عسرت عليها ولادتها خيرا من الرطب وقرأ هذه الآية * قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمضغ التمر ويحنك به أولاد الصحابة حين يولدون * وقال بعض البلغاء فى وصف التمر علة الصغير ونهلة الكبير قالوا ثم ان يوسف النجار عمد الى حطب فجعله كالحظيرة حواليها بالقرب منها اذ قد أضر بها البرد ثم أشعل لها نارا تصطلى بها ثم كسر لها سبع جوزات كانت فى خرجه فأطعمها اياها فمن أجل ذلك توقد النصارى النار ليلة الميلاد وتلعب بالجوز * قال وهب فلما ولد عليه السلام أصبحت الاصنام كلها بكل أرض منكوسة على رؤسها ففزعت الشياطين ولم يدروا لم ذلك فساروا مسرعين حتى جاؤا الى ابليس لعنه الله وغضب عليه وهو على عرش له فى لجة خضراء يتمثل بالعرش يوم كان على الماء فأتوه وقد خلت ست ساعات من النهار فلما رأى ابليس اجتماعهم فزع من ذلك ولم يرهم جميعا منذ فرقهم قبل تلك الساعة وانما كان يراهم أشتاتا فسألهم فاخبروه انه حدث فى الارض حدث فاصبحت الاصنام كلها منكوسة على رؤسها ولم يكن شئ أعون على هلاك بنى آدم منها لانهم كانوا يدخلون فى أجوافها فتكلمهم وتدبر أمرهم فيظنون أنها هى التى تكلمهم فلما أصابها هذا الحدث صغرها فى أعين الناس وأذلها وقد خشينا أن لا يعبدوها بعد هذا واعلم أنا لم نأتك حتى احصينا الارض وقلبنا البحار وكل شئ فلم نزدد بما أردنا الا جهلا فقال لهم ابليس فما يكون الا أمر عظيم فكونوا مكانكم فطار ابليس عند ذلك ولبث عنهم ثلاث ساعات فمر فيهن بالمكان الذى ولد فيه عيسى فلما رأى الملائكة محدقين بذلك المكان علم ان ذلك الحدث فيه فاراد ابليس لعنه الله أن يأتيه من فوقه قال فاذا رؤس الملائكة ومناكبهم الى السماء ثم أراد أن يأتيه من تحت الارض فاذا أقدام الملائكة راسية فاراد أن يدخل من بينهم فنعوه عن ذلك يدل عليه حديث النبى صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبيه باصبعه حين يولد الا عيسى بن مريم عليه السلام حجبه الله تعالى عنه فذهب يطعن فطعن فى الحجاب * قال وهب فذهب ابليس لعنه الله الى أصحابه فقال لهم ما جئتكم حتى أحصيت الارض كلها مشرقها ومغربها وبرها وبحرها والخافقين والجو الاعلى وكل هذا بلغته فى ثلاث ساعات ثم أخبرهم بمولد عيسى

وقال ما اشتملت قبله رحم انثى على ولد الا بعلى ولا وضعته الا وأنا حاضرها وانى لأرجو أن يضل به أكثر ممن يهتدى به وما كان نبى أشد على وعليكم من هذا المولود ثم انه خرج قوم فى تلك الليلة يؤمونه من أجل نجم طلع كانوا من قبل يتحدثون أن مطلع ذلك النجم من علامات مولود فى كتاب دانيال فخرجوا يريدونه ومعهم الذهب والمر واللبان فمروا بملك من ملوك الشام فسألهم أين تريدون فاخبروه بذلك قال فما بال المر والذهب واللبان أهديتموه بهذه الاشياء فقالوا تلك امثاله لان الذهب سيد المتاع كله وكذلك هذا النبى سيد أهل زمانه ولان المر يجبر به الكسر والجرح وكذلك هذا النبى يشفى الله به كل سقيم ومريض ولان اللبان دخانه يدخل السماء ولا يدخلها دخان غيره وكذلك هذا النبى يرفعه الله الى السماء ولا يرفع فى زمانه أحد غيره فلما قالوا ذلك لذلك الملك حدث نفسه بقتله فقال لهم اذهبوا فاذا اعلمتم بمكانه فأعلمونى بذلك فانى راغب فى مثل مارغبتم فيه من أمره فانطلقوا حتى قدموا على مريم ودفعوا ما كان معهم من الهدية اليها عليها السلام وأرادوا أن يرجعوا الى ذلك الملك ليعلموه بمكانه فلقيهم ملك وقال لهم لا ترجعوا اليه ولا تعلموه بمكانه فانه انما أراد قتله فانصرفوا فى طريق آخر * قال مجاهد قالت مريم عليه السلام كنت اذا خلوت مع عيسى عليه السلام حدثنى وحدثته فاذا شغلنى عنه انسان سبح فى بطنى وأنا أسمع والله أعلم

(باب فى رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها اياه الى جماعة قومها من بيت لحم)

قال ثم ان جماعة من قومها الماهيأ الله تعالى لامته مريم عليها السلام أمرها ويسر الله لها أسباب ولادتها قال كلى يا مريم من الرطب واشربى من الماء العذب وقرى عينا وطيبى نفسا فاما ترين من البشر أحدا فسألك عن ولدك أولامك عليه فقولى انى نذرت للرحمن صوما أى صمتا وكذلك هو فى قراءة ابن مسعود وأنس وذلك أنهم كانوا اذا صاموا أمسكوا عن الطعام والشراب والكلام فلن أكلم اليوم انسيا فأتت به قومها تحمله قال الكلبى احتمل يوسف النجار مريم وعيسى الى غار فأدخلهما فيه أربعين يوما حتى تعالت من نفاسها ثم جاء بها فأتت مريم تحمله بعد أربعين يوما فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا أماه أبشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبى بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين فقالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا فظيعا عظيما يا أخت هرون قال قتادة كان هرون رجلا صالحا من أتقياء بنى اسرائيل وليس بهرون أخى موسى وذكروا أنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بنى اسرائيل كلهم يسمى هرون * وقال وهب كان هرون من أفسق بنى اسرائيل واظهرهم فسادا فشبهوها به ما كان أبوك عمران امرأ سوء وما كانت أمك بغيا أى زانية فمن أين لك هذا الولد فأشارت لهم مريم الى عيسى أن كلموه فغضبوا وقالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا * قال وهب فأتاها زكريا عليه السلام عند مناظرتها اليهود وقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوما انى عبد الله آتانى الكتاب الآية فأقر على نفسه بالعبودية أول ما تكلم تكذيبا للنصارى والزاما للحجة عليهم * قال عمرو بن ميمون ان مريم لما أتت قومها بعيسى أخذوا الحجارة وأرادوا أن يرجموها فلما تكلم عيسى تركوها قالوا ثم لم يتكلم بشئ بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان والله أعلم

*(باب

(باب فى ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر)

قال الله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قالوا كان مولد عيسى بعد مضى اثنين وأربعين سنة من ملك اغسطوس واحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين ملوك الطوائف وكانت المملكة فى ذلك الوقت لملوك الطوائف وكانت الرياسة فى الشأم ونواحيها لقيصر ملك الروم وكان الملك عليها من قبل قيصر هردوس فلما عرف هردوس ملك بنى اسرائيل خبر المسيح قصد قتله وذلك انهم نظروا الى نجم قد طلع فعرفوا ذلك بحساب عندهم فى كتاب لهم فبعث الله ملكا الى يوسف النجار وأخبره بما أراد هردوس وأمره أن يهرب بالغلام وأمه الى مصر وأوحى الله الى مريم أن الحقى بمصر فان هردوس ان ظفر بابنك قتله فاذا مات هردوس فارجعى الى بلادك فاحتمل يوسف مريم وابنها على حمار له حتى ورد أرض مصر وهى الربوة التى قال الله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ذكر أبو اسحق الثعلبى فى التفسير ذات قرار ومعين قال عبد الله بن سلام هى دمشق وقال أبو هريرة هى الرملة وقال قتادة وكعب هى بيت المقدس وقال كعب هى أقرب الارض الى السماء وقال أبو زيد هى مصر وقال الضحاك هى غرصة دمشق وقال أبو العالية ايليا وقال القرار الارض المستوية والمعين الماء الطاهر فأقامت مريم بمصر اثنتى عشرة سنة تغزل الكتان وتلتقط السنبل فى اثر الحصادين وكانت تلتقط السنبل والمهد فى منكبها والوعاء الذى فيه السنبل فى منكبها الآخر حتى تم لعيسى اثنتى عشرة سنة وروى عن محمد بن على الباقر رضى الله عنه أنه قال لما ولد عيسى كان ابن يوم كأنه ابن شهر فلما كان ابن تسعة أشهر أخذت والدته بيده وجاءت به الى الكتاب وأقعدته بين يدى المؤدب فقال له المؤدب قل بسم الله الرحمن الرحيم فقالها عيسى فقال المؤدب قل أبجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال له هل تدرى ما أبجد فعلاه بالقضيب ليضربه فقال يا مؤدب لا تضربنى ان كنت تدرى والا فاسألنى حتى أفسر لك فقال له المؤدب فسر لى فقال عيسى الالف لا اله الا الله والباء بهجة الله والجيم جلال الله والدال دين الله هوز الهاء هى جهنم وهى الهاوية والواو ويل لاهل النار والزاى زفير أهل جهنم حطى حطت الخطايا عن المستغفرين كلمن كلام الله غير مخلوق ولا مبدل لكلماته سعفص صاع بصاع والجزاء بالجزاء قرشت تقرشهم حين تحشرهم أى تجمعهم فقال المؤدب لامه أيتها المرأة خذى ابنك فقد علم ولا حاجة له الى المؤدب (أخبرنا) الحسين بن محمد بن الحسين المفسر باسناده عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى أرسلته أمه ليتعلم فقال له المعلم قل بسم الله فقال عيسى وما بسم الله قال المعلم ما أدرى قال عيسى الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مملكته جل وعلا والله أعلم

(باب فى صفة عيسى وحليته عليه السلام)

قال كعب الاحبار كان عيسى بن مريم رجلا أحمر الى البياض ماهو سبط الرأس ولم يدهن رأسه قط وكان عيسى يمشى حافيا ولم يتخذ بيتا ولا حلية ولا متاعا ولا ثيابا ولا ورقا الا قوت يومه وكان حيثما غابت الشمس صف قدميه وصلى حتى يصبح وكان يبرئ الاكمه والابرص ويحيى

الموتى باذن الله وكان يخبر قومه بما يأكلون فى بيوتهم وما يدخرون لغد وكان يمشى على وجه الماء فى البحر وكان أشعث الرأس صغير الوجه زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة حريصا على عبادة الله وكان سياحا فى الارض حتى طلبته اليهود وأرادوا قتله فرفعه الله الى السماء والله أعلم

(باب فى ذكر الآيات والمعجزات التى ظهرت لعيسى عليه السلام فى صباه الى أن نبئ)

قال وهب كان أول آية رآها الناس من عيسى ان أمه كانت نازلة فى دار دهقان من أرض مصر أنزلها بها يوسف النجار حين ذهب بها الى مصر وكانت دار ذلك الدهقان تأوى اليها المساكين فسرق للدهقان مال من خزانته فلم يتهم المساكين فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان فلما رأى عيسى حزن أمه لمصيبة صاحب ضيافتها قال لها يا أماه أتحبين أن ادله على ماله قالت نعم يا بنى قال لها قولى له يجمع لى المساكين فى داره فقالت مريم للدهقان ذلك فجمع له المساكين فلما اجتمعوا عمد الى رجلين منهم أحدهما أعمى والآخر مقعد فحمل المقعد على عاتق الاعمى وقال له قم به فقال الاعمى أنا أضعف عن ذلك فقال له عيسى كيف قويت على ذلك البارحة فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الاعمى حتى قام فلما استقل قائما هوى المقعد الى كوة الخزانة فقال عيسى للدهقان هكذا احتالا على مالك البارحة لان الاعمى استعان بقوته والمقعد بعينيه فقال الاعمى والمقعد صدق والله فردا على الدهقان ماله كله فأخذه الدهقان ووضعه فى خزانته وقال يا مريم خذى نصفه فقالت انى لم أخلق لذلك قال الدهقان فاعطيه لابنك قالت هو أعظم منى شأنا ثم لم يلبث الدهقان أن أعرس لابن له فصنع له عيدا فجمع عليه أهل مصر كلهم فكان يطعمهم شهرين فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشأم ولم يعلم الدهقان بهم حتى نزلوا به وليس عنده يومئذ شراب فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتا من بيوت الدهقان فيه صفان من جرار فأمر عيسى يده على أفواهها وهو يمشى فكلما أمر يده على جرة امتلأت شرابا حتى أتى عيسى على آخرها وهو يومئذ ابن اثنتى عشرة سنة * آية أخرى قال السدى كان عيسى عليه السلام اذا كان فى الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبى الى أهله فيبكى عليهم حتى يعطوه ذلك الشئ فيقولون له من أخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا عنه صبيانهم وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم فى بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا له ليسوا ههنا فقال لهم فما فى هذا البيت قالوا خنازير قال كذلك يكونون ففتح عنهم فاذا هم خنازير ففشا ذلك فى الناس فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت عليه أمه حملته على حمار لها وخرجت به هاربة الى مصر * آية أخرى قال السدى لما خرج عيسى وأمه عليهما السلام يسيحان فى الارض اذ جاآ بنى اسرائيل ونزلا فى قرية على رجل فأضافهما وأحسن اليهما وكان ملك ذلك الوقت جبارا عنيدا فجاء ذلك الرجل يوما مهتما حزينا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم ما شأن زوجك أراه حزينا فقالت لها لا تسألينى فقالت أخبرينى لعل الله يفرج كربته على يدى فقالت ان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا نوبة يطعمه ويسقيه الخمر هو وجنوده فان لم يفعل عاقبه واليوم نوبتنا وليس عندنا سعة قالت فقولى له لا يهتم له بشئ فانه قد أحسن الينا وانى

آمر ابنى أن يدعوله فيكفينى ذلك ثم قالت مريم لعيسى فقال ان فعلت ذلك يقع شر قالت
فلا نبالى لانه أحسن الينا وأكرمنا قال عيسى فقولى له اذا اقترب ذلك فاملأ قدورك
وخوابيك ماء ثم أعلمنى ففعل ذلك فدعا عيسى فتحول ماء القدور والجوار وماء الخوابى خمرا
لم ير الناس مثله قط فلما جاء الملك أكل فلما شرب سأل من أين هذا الخمر قال له من أرض
كذا وكذا قال الملك فان خمرى قد أوتى بها من تلك الارض وليست مثل هذه فقال له من
أرض أخرى فلما خلط على الملك وشبه عليه قال أخبرنى على الحق قال فأنا أخبرك عندى غلام
ماسأل الله شيأ الا أعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد أن
يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام وكان أحب الخلق اليه فقال الملك ان رجلا دعا الله حتى جعل
الماء خمرا ليستجاب له حتى يحيى ابنى فدعا عيسى وكلمه فى ذلك فقال له عيسى لا تفعل لانه ان عاش
وقع شر فقال الملك لا أبالى بعد أن أراه قال عيسى ان أحييته تتركونى أنا وأمى نذهب حيث
نشاء قال نعم فدعا الله تعالى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح
وقالوا أكلنا هذا حتى اذا دنا موته يريد أن يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه فاقتتلوا
وذهب عيسى وأمه * آية أخرى قال وهب بينما عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على
صبى فوكزه برجله فقتله فألقاه بين يدى عيسى وهو ملطخ بالدم فاطلع الناس عليه فاتهموه به
فأخذوه وانطلقوا به الى قاضى مصر فقالوا له هذا قتل هذا فسأله القاضى فقال عيسى لا أدرى
من قتله وما أنا بصاحبه فأرادوا أن يبطشوا بعيسى عليه السلام فقال لهم ائتونى بالغلام
فقالوا له ماتريد منه قال أريد أن أسأله من قتله قالوا وكيف يكلمك وهو ميت فأخذوه وأتوا
به الى مقتل الغلام فأقبل عيسى على الدعاء فأحياه الله تعالى فقال له عيسى من قتلك قال
قتلنى فلان على الذى قتله فقال بنو اسرائيل من هذا قال هذا عيسى بن مريم قالوا فمن هذا
الذى معه قال قاضى بنى اسرائيل ثم مات الغلام من ساعته فرجع عيسى الى أمه وتبعه خلق
كثير من الناس فقالت له أمه يا بنى ألم أنهك عن هذا فقال لها ان الله حافظنا وهو أرحم
الراحمين * آية أخرى قال عطاء سلمت مريم عيسى بعدما أخرجته من الكتاب الى أعمال شتى
فكان آخر مادفعته الى الصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب مختلفات
فعرض للرجل سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة وأنا خارج فى سفر لا أرجع الى
عشرة أيام وهذه ثياب مختلفات الالوان وقد علمت كل واحد منها على اللون الذى يصنع به فأحب
أن تكون فارغا منها وقت قدومى ثم خرج فطبخ عيسى عليه السلام جبا واحدا على لون واحد
وأدخل فيه جميع الثياب وقال لها كونى باذن الله تعالى على ما أريد منك فقدم الصباغ
والثياب كلها فى جب واحد فقال يا عيسى ما فعلت قال فرغت منها قال أين هى قال فى الجب
فقال كلها قال نعم قال كيف تكون كلها فى جب واحد لقد أفسدت تلك الثياب قال قم فانظر
فقام فأخرج عيسى ثوبا أصفر وثوبا أخضر وثوبا أحمر الى أن أخرجها على الالوان التى
أرادها فجعل الصباغ يتعجب وعلم ان ذلك من الله عز وجل فقال الصباغ للناس تعالوا انظروا
الى مافعل عيسى عليه السلام فآمن به هو وأصحابه وهم الحواريون والله عز وجل أعلم

(باب فى ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام الى بلادهما بعد موت هردوس)

قال وهب لما مات هردوس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام أوحى الله تعالى الى مريم يخبرها بموت هردوس ويأمرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار الى الشام فرجع عيسى وأمه عليهما السلام وسكنا في جبل الخليل في قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى وكان عيسى يتعلم في الساعة علم يوم وفي اليوم علم شهر وفي الشهر علم سنة فلما تمت له ثلاثون سنة أوحى الله تعالى اليه أن يبرز للناس ويدعوهم الى الله ويضرب لهم الامثال ويداوي المرضى والزمنى والعميان والمجانين ويقمع الشياطين ويزجرهم ويذلهم وكانوا يموتون من خوفه ففعل ما أمره به فأحبه الناس ومالوا اليه واستأنسوا به وكثرت اتباعه وعلا ذكره وربما اجتمع عليه من المرضى والزمنى في الساعة الواحدة خمسون ألفا فمن أطاق منهم أن يمشي اليه مشى اليه ومن لم يطق وصل اليه عيسى عليه السلام وانما كان يداويهم بالدعاء بشرط الايمان ودعاؤه الذي كان يشفي به المرضى ويحيي به الموتى اللهم أنت اله من في السماء واله من في الارض لا اله فيهما غيرك وأنت جبار من في السموات وجبار من في الارض لا جبار فيهما غيرك وأنت ملك من في السموات وملك من في الارض لا ملك فيهما غيرك وأنت حكم من في السموات وحكم من في الارض لا حكم فيهما غيرك قدرتك في الارض كقدرتك في السماء وسلطانك في الارض كسلطانك في السماء أسألك بأسمائك الكرام انك على كل شيء قدير

* (باب في قصة الحواريين عليهم السلام) *

قال الله تعالى فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون وقال الله عز وجل واذ أوحيت الى الحواريين أي ألهمتهم ووفقتهم أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون اعلم أن الحواريين كانوا أصفياء عيسى بن مريم وأولياءه وأرضياءه وأنصاره ووزراءه وكانوا اثني عشر رجلا وأسماؤهم شمعون الصفار المسمى بطرس واندراوس اخوه ويعقوب بن زبدي ويحيى اخوه وفيلبس وبرتولوماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفا ولبا الذي يدعى تداوس وشمعون القناني ويهوذا الاسخريوطي عليهم السلام واختلف العلماء فيهم ولم سموا بذلك قال ابن عباس كانوا صيادين يصطادون السمك فمر بهم عيسى فقال لهم ما تصنعون فقالوا نصطاد السمك فقال لهم الا تمشون معي حتى نصطاد الناس قالوا وكيف ذلك قال ندعو الى الله قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله قالوا فهل يكون أحد من الانبياء فوقك قال نعم النبي العربي فاتبعه أولئك وآمنوا به وانطلقوا معه قال السدي كانوا ملاحين وقال ابن ارطاة كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أي يبيضونها * أخبرنا ابن فنجويه باسناده عن مصعب قال الحواريون اثنا عشر رجلا اتبعوا عيسى فكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده الى الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج لكل انسان رغيفين فيأكلهما واذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج الماء فيشربون فقالوا يا روح الله من أفضل منا اذا شئنا أطعمتنا واذا شئنا أسقيتنا وآمنا بك واتبعناك قال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال

فصاروا يعملون الثياب بالكراء قال ابن عون صنع ملك من الملوك طعاما فدعا الناس اليه وكان عيسى على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فقال له الملك من أنت قال انا عيسى بن مريم قال الملك انى أترك ملكي وأتبعك فانطلق عن اتبعه منهم وهم الحواريون وقيل هو الصباغ وأصحابه وقد مضت القصة. قال الضحاك سموا حواريين لصفاء قلوبهم وقال عبد الله بن المبارك سموا حواريين لانهم كانوا نورانيين عليهم أثر العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها وأصل الحور عند العرب شدة البياض ومنه الاحور والحور وقال الحسن الحواريون الانصار وقال قتادة هم الذين تصلح لهم الخلافة وقال النضر بن شميل الحوارى خاصة الرجل ومن يستعين به فيما ينوبه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حوارى وحوارى الزبير فهؤلاء حواريو عيسى بن مريم عليه السلام فأما حواريو هذه الامة فأخبرنا الحسين بن محمد الدينوري باسناده عن سفيان بن معمر ان قتادة قال ان الحواريين كلهم من قريش وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضى الله عنهم أجمعين

ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التى ظهرت على يديه بعد مبعثه الى أن رفع صلوات الله عليه

منها تأييد الله اياه بروح القدس قال عز من قائل وأيدناه بروح القدس ونظيرها فى سورة المائدة واذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس هو الروح الذى نفخ فيه الروح أضافه سبحانه الى نفسه تكريما وتخصيصا كبيت الله وناقة الله والقدس هو الله تعالى يدل عليه قوله تعالى وروح منه فنفخنا فيه من روحنا وقال آخرون أراد بالقدس الطهارة أى الروح الطاهرة وسمى عيسى عليه السلام روحا لانه لم تتضمنه أصلاب الفحول ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث انما كان أمرا من الله تعالى قال السدى وكعب روح القدس جبريل وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام هو أنه كان قرينه ورفيقه يعينه ويسير معه حيثما سار الى أن صعد به الى السماء وقال سعيد بن جبير وعبيد بن عمير هو اسم الله الاعظم وبه كان يحيي الموتى ويرى الناس تلك العجائب * ومنها تعليم الله اياه الانجيل والتوراة وكان يقرؤهما من حفظه كما قال الله تعالى واذ علمتك الكتاب أى الخط قيل الخط عشرة أجزاء فتسعة منها لعيسى والحكمة والتوراة والانجيل * ومنها خلقه الطير من الطين كما قال الله تعالى مخبرا عنه انى قد جئتكم بآية من ربكم انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وقال تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فكان يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ولم يخلق غير الخفاش وانما خص بالخفاش لانه أكمل الطير خلقا فيكون أبلغ فى القدرة لان له ثديا وأسنانا ويلد ويحيض ويطير قال وهب كان يطير مادام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق عن فعل الله تعالى وليعلم أن الكمال لله عز وجل * ومنها ابراء الاكمه والابرص كما قال تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذنى والابرص الذي به وضح والاكمه

الذى ولد أعمى ولم يرض وأقط ولم يكن فى الاسلام أكمه غير قتادة وانما خص هذين لانهما اعييا الاطباء وكان الغالب على زمان عيسى الطب فأراهم المعجزة من جنس ذلك * ويروى أن عيسى عليه السلام مر بدير فيه عميان فقال ماهؤلاء فقيل هؤلاء قوم طلبوا القضاء فقطعوا أعينهم بأيديهم فقال لهم ماد عاكم الى هذا قالوا خفنا عاقبة القضاء فصنعنا بأنفسنا ماترى فقال أنتم العلماء والحكماء والاحبار والافاضل امسحوا أعينكم بأيديكم وقولوا بسم الله ففعلوا ذلك فاذاهم جميعا قيام ينظرون * ومنها احياؤه الموتى باذن الله قال تعالى واذ تخرج الموتى باذنى وأحيا منهم أمواتا منهم العاذر وكان صديقا له فأرسلت أخته الى عيسى ان أخاك العاذر يموت فأتاه وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لاخته انطلقى بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره وهو فى صخرة مطبقة فقال عيسى اللهم رب السموات السبع والارضين السبع انك أرسلتنى الى بنى اسرائيل أدعوهم الى دينك وأخبرتهم انى أحيى الموتى باذنك فأحى العاذر فقام العاذر وخرج من قبره وبقى وولد له * ومنها ابن العجوز وكانت القصة فيه أن عيسى مر فى سياحته ومعه الحواريون بمدينة فقال ان فى هذه المدينة كنزا فمن يذهب يستخرجه لنا فقالوا ياروح الله لايدخل هذه القرية أحد غريب الا قتلوه فقال لهم عيسى مكانكم حتى أعود اليكم فمضى حتى دخل المدينة فوقف على باب فقال السلام عليكم يا أهل الدار غريب أطعموه فقالت له امرأة عجوز أماترضى أن أدعك لا أذهب بك الى الوالى حتى تقول أطعمونى فبينما عيسى بالباب اذ أقبل ابن العجوز فقال له عيسى أضفنى ليلتك هذه فقال له الفتى مثل مقالة العجوز فقال له عيسى اما انك لوفعلت ذلك زوجتك بنت الملك فقال له الفتى اما أن تكون مجنونا واما أن تكون عيسى بن مريم قال أنا عيسى فأضافه وبات عنده فلما أصبح قال له اغدوا دخل على الملك وقل له جئت أخطب بنتك فانه سيأمر بضربك واخراجك فمضى الفتى حتى دخل على الملك فقال له جئت أخطب اليك ابنتك فأمر بضربه فضرب وأخرج فرجع الفتى الى عيسى فأخبره الخبر فقال اذا كان غد فاذهب اليه واخطب بنته فانه ينالك بدون ذلك ففعل الفتى ماأمره عيسى فضربه دون ذلك الضرب الاول فرجع الى عيسى فأخبره فقال ارجع اليه فانه سوف يقول لك أنا أزوجك اياها على حكمى وحكمى قصر من ذهب وفضة ومافيه من ذهب وفضة وزبرجد فقل له أفعل ذلك فاذابعث معك أحدا فاخرج به فانك سوف تجده فلا تحدث فيه شيأ ثم انه دخل على الملك فخطب فقال تصدقها بحكمى فقال وماحكمك فحكم بالذى سماه عيسى فقال نعم رضيت ابعث من يقبض ذلك فبعث معه رجالا فسلم اليهم ماسأله الملك فتعجب الناس من ذلك فسلم اليه الملك ابنته فتعجب الفتى من ذلك وقال ياروح الله تقدر على مثل هذا وأنت على مثل هذه الحال فقال له عيسى انى آثرت مايبقى على مايفنى فقال الفتى أنا أيضا أدعه وأصحبك فخلى من الدنيا واتبع عيسى فأخذ عيسى بيده وأتى به أصحابه وقال لهم هذا الكنز الذى قلت لكم فكان معه ابن العجوز الى أن مات ومر به وهو ميت على سرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل من على أعناق الرجال ولبس الثياب وحمل السرير على عنقه ورجع الى أهله فبقى وولد له * ومنها ابنة العاشر رجل كان يأخذ العشر قيل له أتحييها وقد ماتت بالامس فدعا الله عز وجل فعاشت وبقيت

وولد

وولدابها * ومنها سام بن نوح قال له الحواريون وهو يصف لهم سفينة نوح قالوا له لو بعثت لنا من شهد السفينة فينعت لنا ذلك فقام وأتى تلا فضرب بيده وأخذ قبضة من تراب وقال هذا قبر سام بن نوح ان شئتم أحييته لكم قالوا نعم فدعا الله باسمه الاعظم وضرب التل بعصاه وقال احى باذن الله فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب نصف رأسه فقال أقد قامت القيامة قال لا ولكنى دعوتك باسم الله الاعظم قال ولم يكونوا يشيبون فى ذلك الزمان وكان سام قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب ثم اخبرهم بخبر السفينة فقال له عيسى مت فقال بشرط أن يعيذنى الله من سكرات الموت فدعا الله عيسى عليه السلام ففعل ذلك وقد ذكر هذا الخبر فى قصة نوح عليه السلام * ومنها عزير عليه السلام قالوا لعيسى عليه السلام احيه والا أحرقناك بالنار وجمعوا له حطبا كثيرا من حطب الكرم وكانوا فى ذلك الوقت يدفنون موتاهم فى صناديق من حجارة مطبقة فوجدوا قبر عزير مكتوبا على ظهره اسمه فعالجوه ليفتحوه فلم يقدروا أن يخرجوه من قبره فرجعوا الى عيسى فأخبروه فناولهم اناء فيه ماء وقال لهم انضحوا قبره بهذا الماء ففعلوا فانفتح الطبق فأتوا به عيسى وهو فى أكفانه والارض لا تأكل أجساد الانبياء ثم انه نزع ثيابه عنه ثم جعل ينضح على جسده الماء ولحمه وشعره ينبت ثم قال احى يا عزير باذن الله تعالى فاذا هو جالس وكل ذلك تراه أعينهم فقالوا العزير ما تشهد لهذا الرجل يعنون عيسى فقال اشهد أنه عبد الله ورسوله فقالوا يا عيسى ادع لنا ربك يبقيه لنا ليكون بين أظهرنا حيا فقال عيسى ردوه الى قبره فردوه الى قبره فعاد ميتا فآمن بعيسى ابن مريم من آمن وعاند من عاند قال الكلبى كان عيسى يحيى الموتى بيا حى يا قيوم * ومنها اخباره عليه السلام عن الغيوب قال الله عز وجل اخبارا عنه وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم قال الكلبى لما أبرأ عيسى الاكمه والابرص وأحيا الموتى قالوا هذا ساحر ولكن أخبرنا بما نأكل وما ندخر فكان يخبر الرجل بما يأكل فى غدائه وبما يأكل فى عشائه * ومنها مشيه عليه السلام على الماء يروى انه خرج فى بعض سياحته ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثيرا اللزوم لعيسى فلما انتهى عيسى الى البحر قال بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فقال الرجل القصير بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فداخله العجب فقال هذا عيسى روح الله يمشى على الماء وأنا أمشى على الماء قال فانغمس فى الماء فاستغاث بعيسى فتناوله عيسى من الماء وأخرجه وقال له ما قلت يا قصير فأخبره بما خامر خاطره فقال له عيسى لقد وضعت نفسك فى غير الموضع الذى وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب الى الله مما قلت فتاب الرجل وعاد الى مرتبته التى وضعه الله فيها فاتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضا وحدثنا الامام أبو منصور الحمشادى باسناده عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو عرفتم الله حق معرفته لعلمتم العلم الذى ليس بعده جهل وما بلغ ذلك أحد قط قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا قالوا يا رسول الله قد بلغنا أن عيسى بن مريم مشى على الماء قال نعم ولو ازداد خوفا ويقينا لمشى على الهواء قالوا يا رسول الله ما كنا نرى أن الرسل تقصر فقال ان الله تعالى أبلغ شانا من أن يبلغ أحد شأنه

(ذكر حديث جامع فى هذا الباب)

قال وهب خرج عيسى عليه السلام يسيح في الارض فصحبه يهودي وكان مع ذلك اليهودي
رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى تشاركني في طعامك قال اليهودي نعم فلما رأى أنه
ليس مع عيسى الا رغيف واحد ندم فقام عيسى الى الصلاة فذهب صاحبه وأكل رغيفا
فلما قضى عيسى صلاته قدما طعامهما فقال لصاحبه أين الرغيف الآخر فقال ما كان الا
رغيف واحد فأكل عيسى رغيفا وصاحبه رغيفا ثم انطلقا فجاآ الى شجرة فقال عيسى
لصاحبه لو أنا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال افعل فباتا ثم أصبحا منطلقين فلقيا
أعمى فقال له أرأيت ان أنا عالجتك حتى يرد الله عليك بصرك فهل تشكره قال نعم فمس عيسى
بصره ودعا الله له فاذا هو بصير فقال عيسى لليهودي بالذي أراك الاعمى بصيرا كم كان معك
من رغيف فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه ومرا فاذا هما بمقعد فقال
له عيسى أرأيت ان عالجتك فعافاك الله فهل تشكره قال نعم قال فدعا الله تعالى عيسى فاذا
هو صحيح قائم على رجليه فقال صاحب عيسى ما رأيت مثل هذا قط فقال له عيسى بالذي أراك
الاعمى بصيرا والمقعد صحيحا من صاحب الرغيف الثالث فحلف له ما كان معه الا رغيف واحد
فسكت عيسى عنه فانطلقا حتى انتهيا الى نهر عجاج فقال عيسى لا أرى جسرا ولا سفينة
فخذ بحجزتي من ورائي وضع قدمك موضع قدمي ففعل فمشيا على الماء فقال له عيسى بالذي
أراك أمر الاعمى والمقعد وعبورك الماء من صاحب الرغيف الثالث فقال لا والله ما كان
الا رغيف واحد فسكت عيسى ثم انطلقا فاذا هما بظباء ترعى فدعا عيسى بظبي فذبحه وشوى
منه بعضا وأكلاه ثم ضرب عيسى بقية الظبي بعصاه وقال قم باذن الله عز وجل فاذا الظبي يعدو
فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الآخر فقال
ما كان الا رغيف واحد فمرا بصاحب بقر فنادى عيسى يا صاحب البقر اجزر لنا من بقرك هذه
عجلا قال ابعث صاحبك اليهودي يأخذه فانطلق اليهودي فجاء به وذبحه وشواه وصاحب
البقر ينظر اليه فقال عيسى كل ولا تكسر عظما فلما فرغوا قذف بعظامه في جلده ثم ضربه
بعصاه وقال له قم باذن الله فقام العجل وله خوار فقال له عيسى يا صاحب البقر خذ عجلك قال
ويحك من أنت قال أنا عيسى بن مريم قال عيسى الساحر ثم فر منه فقال عيسى لصاحبه بالذي
أحيا العجل كم كان معك من رغيف فقال ما كان معي الا رغيف واحد فسكت ومضيا حتى
دخلا قرية فنزل عيسى في أسفلها واليهودي في أعلاها فأخذ اليهودي عصا عيسى وقال أنا
الآن أبرئ المرضى وأحيي الموتى قال وكان ملك تلك القرية مريضا شديدا لما فانطلق اليهودي
ينادي من يبتغي طبيبا حتى أتى باب الملك فأخبر بوجعه فقال ادخلوني عليه فأنا أبرئه وان
رأيتموه قد مات فأنا أحييه فقيل له ان وجع الملك قد أعيا الاطباء قبلك وليس من طبيب
يداويه ولا يشفيه الا صلبه فقال ادخلوني عليه فادخل عليه فضرب الملك بعصاه فمات فجعل
يضرب الملك بالعصا وهو ميت ويقول قم باذن الله فلم يقم فأخذ ليصلب فبلغ ذلك عيسى فأقبل
عليه وقد رفع على الخشبة فقال لهم عيسى أرأيتم لو أحييت لكم الملك هل تتركون لي صاحبي
قالوا نعم فدعا الله عز وجل فأحياه وقام فأنزل اليهودي من الخشبة فقال يا عيسى أنت أعظم
الناس على منة والله لا أفارقك أبدا فقال له عيسى أنشدك الله الذي أحيا الظبي والعجل بعد

ما

ما أكلناهما وأحياهذا بعد ما مات وأنزلك من على الجذع بعد ما صلبك كم كان معك من رغيف قال فحلف بهذا كله وقال والله ما كان معي الا رغيف واحد فقال عيسى لا باس فانطلقا حتى أتيا قرية عظيمة خربة فيها كنز ثلاث لبنات من ذهب قد حفرتها السباع والدواب فقال الرجل لعيسى هذا المال لك فقال عيسى أجل واحدة لي وواحدة لك وواحدة للذي أكل الرغيف الثالث فقال اليهودي لعيسى أنا صاحب الرغيف الثالث أكلته وأنت تصلي فقال عيسى هي لك كلها فانطلق عيسى وتركه ينظر وهو لا يستطيع أن يحمل منهن واحدة لثقلها عليه فقال له عيسى دعه فان له أهلا يهلكون عليه فجعلت نفس اليهودي تتطلع الى المال ويكره أن يعصي عيسى ويعجزه حمل المال فانطلق مع عيسى فبينما هو كذلك اذ مر بالمال ثلاثة نفر فأتوا عليه فقال اثنان منهم لصاحبهما الثالث انطلق الى بعض هذه القرى فأتنا بطعام وشراب ودواب نحمل عليها هذا المال فلما ذهب صاحبهما قال أحدهما للآخر هل لك أن نقتله اذا رجع ونقتسم المال بيننا قال نعم وقال الذي ذهب في نفسه أنا أجعل في الطعام سما فاذا أكلاه ماتا ونصير المال كله لي ففعل ذلك فلما رجع اليهما ووصل قتلاه ثم أكلا الطعام الذي جاء به اليهما فماتا وان عيسى عليه السلام مر به وهم حوله مقتولون فقال لا اله الا الله هكذا تصنع الدنيا باهلها ثم ان عيسى أحياهم باذن الله فاعتبروا ومروا ولم ياخذوا من المال شيأ فتطلعت نفس اليهودي صاحب عيسى الى المال فقال اعطني المال فقال عيسى خذه لك فهو حظك في الدنيا والآخرة فلما ذهب ليحمله خسف به الارض فانطلق عيسى عليه السلام

(ومنها نزول المائدة)

قال الله تعالى اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين الآية واختلف العلماء في صفة نزول المائدة وكيفيتها وما كان عليها فروى قتادة عن جابر عن عمار بن ياسر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نزلت المائدة عليها خبز ولحم وذلك أنهم سالوا عيسى طعاما يأكلون منه ولا ينفد قال فقال لهم اني فاعل ذلك وانها مقيمة لكم مالم تخبؤا أو تخونوا فان فعلتم ذلك عذبتم قال فما مضى يومهم حتى خانوا وخبؤا وفي بعض الروايات ان بعضهم سرق منها وقال لعلها لا تنزل أبدا فرفعت ومسخوا قردة وخنازير وقال ابن عباس قال عيسى لبني اسرائيل صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا ثلاثين يوما فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا ان عملنا لاحد فقضينا عمله أطعمنا طعاما وانا صمنا وجعنا فادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء فلبس عيسى المسوح وافترش الرماد ثم دعا الله تعالى فقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء الآية فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات ووضعوها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وروى عطاء بن السائب وغيره انه كانت المائدة اذا وضعت لبني اسرائيل اختلفت عليها الايدي فيها كل الطعام الا اللحم وقال عطية العوفي نزلت سمكة من السماء فيها طعم كل شئ وقال قتادة كانت مائدة تنزل من السماء وعليها ثمر من ثمار الجنة وكانت تنزل عليهم بكرة وعشية حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرائيل

وقال وهب أنزل الله أقرصة من شعير وحيتانا فقيل لوهب ما كان ذلك يغني عنهم من شيء قال بلى ولكن الله ضعف لهم البركة فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويجيء آخرون فيأكلون حتى أكلوا بأجمعهم وفضل وقال كعب الاحبار نزلت مائدة من السماء منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل طعام الا اللحم وقال مقاتل والكلبي استجاب الله لعيسى عليه السلام فقال انى منزلها عليكم كما سألتم فمن أكل من ذلك الطعام ثم لم يؤمن جعلته مثلا ولعنة وعبرة لمن بعدهم قالوا قد رضينا فدعا شمعون الصفار وكان أفضل الحواريين فقال هل معك طعام فقال معي سمكتان صغيرتان وستة أرغفة فقال علي بها فقطعها عيسى قطعا صغارا وقال اقعدوا في روضة وترافقوا رفاقا كل رفقة عشرة ثم قام عيسى ودعا الله تعالى فاستجاب له وأنزل فيها البركة فصار خبزا صحاحا وسمكا صحاحا ثم قام عيسى يمشي فجعل يلقي في كل رفقة ما حملت أصابعه ثم قال كلوا بسم الله فجعل الطعام يكثر حتى بلغ ركبهم فأكلوا ما شاء الله وفضل والناس خمسة آلاف ونيف وقال الناس جميعا شهدنا انك عبد الله ورسوله ثم سألوه مرة أخرى فأنزل الله خمسة أرغفة وسمكتين فصنع بها ما صنع في المرة الاولى فلما رجعوا الى قراهم ونشروا هذا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقال ويحكم انما سحر أعينكم فمن أراد الله به الخير ثبته على بصيرة ومن أراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا قردة وخنازير ليس منهم صبي ولا امرأة فمكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ ويروى عن عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي انه قال والله ما تبع عيسى من المساوي ولا انتهر يتيما ولا قهقه ضحكا ولا ذب ذبابا عن وجهه ولا أخذ على أنفه من شيء قط ولا عبث قط ولما سأله الحواريون أن ينزل عليهم المائدة صنوفا قال اللهم أنزل علينا مائدة من السماء الآية وارزقنا عليها طعاما نأكل وأنت خير الرازقين فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وهم ينظرون اليها فنظروا الى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا أطيب من رائحة ذلك فقال عيسى لهم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله ويأكل منها فقال شمعون الصفار رأس الحواريين أنت أولى بذلك منا فقام عيسى وتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك فيها تسيل سيلانا من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحواليها من أنواع البقول ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال عيسى عليه السلام ليس ما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكن افتعله الله بالقدرة الغالبة كلوا مما سألتم يمددكم ويزدكم من فضله قالوا يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال عيسى يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها فقال عيسى ما لكم تسألون أشياء اذا أعطيتموها كرهتموها ثم قال فما أخوفني عليكم أن تعذبوا يا سمكة عودي كما كنت باذن الله فعادت السمكة مشوية كما كانت قالوا يا روح الله كن

أول من يأكل منها ثم نأكل نحن فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمبتلين وقال كلوا من رزق الله ولكم الهناء ولغيركم البلاء فأكلوا منها وصدر عنها ألف وثلثمائة رجل وامرأة من فقير وزمن ومريض ومبتلى كلهم شبعان يتجشأ ثم نظر عيسى الى السمكة فاذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت منهم فلم يأكل منها يومئذ مريض الا برأ ولا زمن الا صح ولا مبتلى الا عوفي ولا فقير الا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات وندم الحواريون ومن لم يأكل وكانت اذا نزلت اجتمعت الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها فلبثت أربعين صباحا تنزل ضحى فلاتزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفيء طارت صعدا وهم ينظرون حتى تغيب عنهم وكانت تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقة ثمود فاوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها فقالوا أترون المائدة تنزل من السماء حقا فقال لهم عيسى هلكتم فشمروا العذاب الله فاوحى الله تعالى الى عيسى انى شرطت على المكذبين شرطا أن من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا باتوا من ليلتهم على الفرش مع نسائهم في ديارهم فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون القاذورات في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى ابن مريم فبكوا وبكى على الممسوخين أهلوهم فلما أبصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف به فجعل عيسى يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا * ومنها ما روى أن عيسى عليه السلام مر على رجل جالس عند قبر وكان يكثر المرور به فيجده جالسا فقال ياعبد الله أراك تكثر الجلوس عند هذا القبر فقال ياروح الله هذه امرأة كان لى من جمالها وموافقتها كيت وكيت ولى عندها وديعة قال أفتحب أن أدعو الله فيحييها لك قال نعم فتوضأ عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل فاذا أسود قد خرج من القبر كأنه جذع محترق فقال له من أنت فقال يارسول الله أنا رجل في عذاب منذ أربعين سنة فلما كانت في هذه الساعة قيل لى أجب فأجبت ثم قال يارسول الله قد مر على من أليم العذاب أما ان ردني الله الى الدنيا أعطيته عهدا أن لا أعصيه أبدا فادع الله لى فرق له عيسى عليه السلام ودعا الله عز وجل ثم قال له امض فمضى فقال صاحب القبر يارسول الله لقد غلطت بالقبر انما قبرها هذا فدعا الله عيسى عليه السلام فخرجت من ذلك القبر امرأة شابة جميلة فقال له عيسى أتعرفها قال نعم هذه امرأتى فدعا الله عيسى حتى ردها عليه فأخذ الرجل بيدها حتى أتى بها الى شجرة فنام تحتها ووضع رأسه في حجرها فاقربها ابن الملك فنظرها ونظرت اليه وأعجب كل واحد منهما بصاحبه فأشار اليها فوضعت رأس زوجها عن حجرها واتبعت الفتى فاستيقظ زوجها فتفقدها فلم يجدها فطلبها فدل عليها فتعلق بها وقال امرأتى فقال الفتى هى جاريتى فبينما هم كذلك اذ طلع عيسى عليه السلام فقال الرجل هذا عيسى ثم قص عليه القصة فقال لها عيسى

ماتقولين قالت أناجارية هذا ولا أعرف هذا فقال لها عيسى ردّى علينا ما اعطيناك قالت قد فعلت فسقطت مكانها ميتة فقال عيسى هل رأيتم أعجب من هذا رجلا أماته الله كافرا ثم بعثه فآمن وهل رأيتم امرأة أماتها الله مؤمنة ثم أحياها فكفرت * ومنها رفعه الى السماء اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الىّ ومطهرك من الذين كفروا الآية وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم الى قوله تعالى بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما * روى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وأمه فلما رأى ذلك عيسى دعا عليهم فقال اللهم أنت ربى وأنا من روحك خرجت وبكلمتك خلقت ولم آتهم من تلقاء نفسى اللهم العن من سبنى وسب أمى فاستجاب الله دعاءه ومسخ الذين سبوه وامه خنازير فلما رأى ذلك رأس اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه ذات يوم وجعلوا يسألونه فقال يا معاشر اليهود ان الله يبغضكم فغضبوا من مقالته غضبا شديدا وثاروا عليه ليقتلوه فبعث الله تعالى اليه جبريل عليه السلام فأدخله خوخة ووأواه فى سقفها ورفعه الله تعالى من روزنه فامر رأس اليهود رجلا من أصحابه يقال له فلطيانوس أن يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل فلطيانوس لم يرعيسى فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها فألقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه وقال وهب ان عيسى لما أعلمه الله تعالى انه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحواريين وصنع لهم طعاما وقال احضرونى الليلة فلى اليكم حاجة فلما اجتمعوا اليه من الليل عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضيهم ويمسح أيديهم بثيابه فتعاظموا ذلك وتكارهوه فقال الا من ردّ علىّ شيأ مما أصنع فليس منى ولا أنا منه فأقروه حتى اذا فرغ من ذلك قال لهم أنا ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدى الا ليكون لى لكم بى اسوة وانكم ترون انى خيركم فلا يتعاظم بعضكم على بعض وليبذلن بعضكم نفسه لبعض كما بذلت نفسى لكم وأما الحاجة التى استعنتكم عليها فتدعون الله لى وتجتهدون فى الدعاء أن يؤخر أجلى فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أرسل الله عليهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله ما تصبرون لى ليلة واحدة وتعينونى فيها فقالوا والله ما ندرى ما لنا لقد كنا نسهر فنكثر السهر وما نطيق الليلة سهرا وما نريد دعاء الا حيل بيننا وبينه فقال يذهب الراعى وتبقى الغنم وجعل يأتى بكلام مثل هذا ينعى نفسه ثم قال ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعنى أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمنى فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون احد الحواريين فقالوا هذا من أصحابه فجحد وقال ما أنا من أصحابه فتركوه ثم أخذ آخر فجحده كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه ذلك فلما أصبح أتى أحد الحواريين الى اليهود فقال لهم ما تجعلون لى ان دللتكم عليه فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فأخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون أنت كنت تحيى الموتى وتبرئ الاكمه والابرص أفلا تفك نفسك من هذا الحبل ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك ثم انهم

نصبوا

نصبوا الخشبة ليصلبوه عليها فلما أتوا به الى الخشبة ليصلبوه أظلمت الارض وأرسل الله الملائكة فحالوا بينهم وبين عيسى وألقى شبه عيسى على الذى دلهم عليه واسمه يهوذا فصلبوه مكانه وهم يظنون أنه عيسى وتوفى الله عيسى ثلاث ساعات ثم رفعه الى السماء فذلك قوله تعالى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا فلما صلب الذى هو شبه عيسى جاءت مريم أم عيسى وامرأة كان عيسى دعا لها وأبرأها من الجنون يبكيان عند المصلوب فأتاهما عيسى وقال على من تبكيان فقالتا عليك فقال ان الله تعالى رفعنى فلم يصبنى الا خير وان هذا شخص شبه لهم وقال مقاتل ان اليهود وكلوا بعيسى رجلا يكون عليه رقيبا يدور معه حيثما دار فصعد عيسى الجبل فجاء الملك فرفعه الى السماء وألقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فظن اليهود انه عيسى فاخذوه وكان يقول لهم انى لست عيسى انى فلان بن فلان فلم يصدقوه وقتلوه وصلبوه قال قتادة ذكر لنا ان نبى الله عيسى قال لاصحابه أيكم يقذف عليه شبهى فانه مقتول فقال رجل من القوم أنا يا نبى الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه وقيل ان الذى شبه بعيسى وصلب مكانه رجل اسرائيلى يسمى أشيوع بن قندرا والله أعلم

(ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة أيام)

(قال وهب) وغيره من أهل الكتب لما رفع الله عيسى عليه السلام لبث فى السماء سبعة أيام ثم قال الله له ان اعداءك اليهود اعجلوك عن العهد الى اصحابك فانزل عليهم واوصهم واهبط على مريم المجدلانية فانه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها فانزل عليها واخبرها انها أول من تلحق بك وأمرها ان تجمع لك الحواريين فتبثهم فى الارض دعاة الى الله تعالى وكانت قصة مريم المجدلانية انها كانت من بنى اسرائيل فى قرية من قرى انطاكية يقال لها مجدلان وكانت امرأة صالحة وكانت تستحاض فلا تطهر فخطبها أشراف بنى اسرائيل فامتنعت فظنوا أنها ترفعت بنفسها عنهم ولم يكن ذلك ترفعا وانما أرادت اخفاء علتها عنهم فلما سمعت بمجىء عيسى عليه السلام وبما كان يشفى الله على يديه من المرضى والزمنى أقبلت اليه رجاء الشفاء فلما رأت عيسى وما ألبسه الله من الهيبة استحت وانصرفت الى ورائه ووضعت يدها على ظهره فقال عيسى لقد مسنى ذو عاهة بنية حسنة ولقد أعطاه الله ما رجاه وطهره بطهارتى فاذهب الله عنها ما بها وبرئت وطهرت فلما أمر الله عيسى بالنزول عليها بعد سبعة أيام من رفعه هبط عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحواريين فبثهم فى الارض دعاة الى الله ثم رفعه الله وكساه الريش وألبسه النور وقطع منه شهوة المطعم والمشرب فهو يطير مع الملائكة حول العرش فكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا وتفرق الحواريون حيث أمرهم فتلك الليلة التى أهبط فيها هى الليلة التى تزخرفها النصارى قالوا فوجه بطرس الى رومية واندراوس ومتى الى الارض التى يأكل أهلها الناس وتوماولبا الى أرض المشرق وفيلبس ويهوذا الى القيروان وافريقية ويحيى الى افسوس قرية أصحاب الكهف واليعقوبين الى أورشليم وهى ايليا أرض بيت المقدس وبرتولماوس الى الاعرابية وهى أرض الحجاز وشمعون الى ارض بربر فاصبح كل واحد من الحواريين الذين بعثهم يحدث بلغة

من أرسله عيسى اليهم قال ابن اسحق ثم عمد اليهود الى بقية الحواريين أصحاب عيسى يشمسونهم ويعذبونهم ويطوفون بهم فسمع ذلك ملك الروم وكان صاحب وثن فقيل له ان رجلا كان فى هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بنى اسرائيل عدوا عليه فقتلوه وكان يخبرهم أنه رسول الله وقد أحيا لهم الموتى وأبرأ لهم الاسقام وخلق لهم من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طائرا باذن الله وأخبرهم بالغيب وأراهم العجائب فقال ملك الروم فما منعكم أن تذكروا لى من أمره فوالله لو علمت خليت بينه وبينهم ثم انه بعث الى الحواريين فانتزعهم من أيديهم فلما أتوه سألهم عن دين عيسى فأخبروه خبره فبايعهم على دينه واستنزل شبه عيسى والخشبة التى صلب عليها فأكرمها وصانها لما مسها منه وغزا بنى اسرائيل فقتل منهم خلقا كثيرا فمن هنالك كانت أصل النصرانية فى الروم وقال أهل التواريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدت عيسى ببيت لحم من أرض اورشليم لمضى خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على بابل ولاحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاسكانين وأوحى الله اليه على رأس ثلاثين سنة ورفعه من بيت المقدس اليه ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت امه مريم بعد رفعه ست سنين والله أعلم

(ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليهما السلام)

(قال وهب) لما أراد الله تعالى أن يرفع عيسى عليه السلام آخى بين الحواريين فأمر رجلين منهم يقال لاحدهما شمعون الصفار وللآخر يحيى أن يلتزما امه ولا يفارقانها فانطلقا ومعهما مريم الى ماروت ملك الروم يدعونه الى الله تعالى وقد بعث الله تعالى اليه قبل ذلك يونس عليه السلام فلما أتوه أمر بشمعون وتداوس فقتلا وصلبا منكسين وهربت مريم ويحيى حتى اذا كانا فى بعض الطريق لحقهما الطلب خافا فانشقت لهما الارض فغابا فيها وأقبل ماروت ملك الروم وأصحابه فحفروا ذلك الموضع فلم يجدوا شيأ فردوا التراب على حاله وعلموا أنه أمر من الله تعالى فسأل ملك الروم عن حال عيسى فأخبروه به فأسلم كما ذكرنا والله أعلم

(ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء فى المرة الثانية فى آخر الزمان)

قال الله تعالى وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها الآية وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى عليه السلام فى القرآن قال نعم قوله وكهلا وهو لم يكن بكهل فى الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (أخبرنا) أبو صالح شعيب بن محمد البيهقى باسناده عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة العلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وانى أولى الناس بعيسى بن مريم عليهما السلام لانه لم يكن بينى وبينه نبى ويوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا وانه نازل على أمتى وخليفتى عليهم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن رأسه تقطر ولم يصبه بلل ينزل بين ممصرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال ويهل من الروحاء حاجا أو معتمرا أو ملبيا بهما جميعا ويقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك فى زمانه الملل كلها غير الاسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله فى زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال وتقع

الامنة

الامنة فى الارض حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضا ثم يلبث فى الارض أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه فى المدينة بجنب عمر اقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا أى قبل موت عيسى يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات (وأخبرنا) محمد بن القاسم الفارسى باسناده عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أهبط الله المسيح عيسى يعيش فى هذه الامة ما يعيش ثم يموت فى مدينتى هذه ويدفن الى جانب قبر عمر فطوبى لابى بكر وعمر يحشران بين نبيين (وأخبرنى أبى) قال حدثنى الحسين بن أحمد بن محمد بن على باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يهلك الله أمة أنا فى أولها وعيسى فى آخرها والمهدى من أهل بيتى فى وسطها

باب فى قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليه السلام الى انطاكية وذلك فى أيام ملوك الطوائف

قال الله تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون يعنى رسل عيسى عليه السلام اذ أرسلنا اليهم اثنين واختلفوا فى اسميهما فقال ابن اسحق فاروص وروماص وقال وهب يحيى ويونس وقال مقاتل يومان ومالوس وقال كعب صادق وصدوق فكذبوهما فعززنا بثالث أى فقوينا برسول ثالث وهو شمعون الصفار رأس الحواريين فى قول أكثر المفسرين وقال كعب اسمه شلوم وقال مقاتل سمعان (قالت) العلماء بأخبار الانبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى مدينة انطاكية فلما قربا من المدينة أتيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه السلام يدعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن قال أمعكما آية قالا نعم نحن نبرئ المريض ونشفى الاكمه والابرص باذن الله فقال الشيخ ان لى ابنا مريضا صاحب فراش منذ سنين قالا فانطلق بنا الى منزلك فنطلع على حاله فأتى بهما الى منزله فلما نظرا الى ولد الشيخ وهو فى تلك الحالة قربا اليه ودعيا له ومسحاه بيدهما فقام فى الوقت باذن الله صحيحا ففشا الخبر فى المدينة وشفى الله على يدهما كثيرا من المرضى وكان فى مدينة انطاكية فرعون من الفراعنة يعبد الاصنام يقال له سلاحن وقال وهب اسمه أبطيحس وكان من ملوك الروم قالوا فانتهى الخبر الى الملك فدعاهما اليه وقال لهما من أنتما قالا رسولا عيسى قال وما آيتكما قالا نبرئ الاكمه والابرص ونشفى المرضى باذن الله تعالى قال وفيم جئتما قالا جئناك ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر قال الملك أولنا اله سوى آلهتنا قالا نعم قال من قالا من أوجدك بعد عدمك وآلهتك قال قوما حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما فى السوق وقال وهب بعث عيسى بهذين الرسولين الى انطاكية فأتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك فأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة قالوا فلما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفار على أثرهما لينصرهما

فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه ورضى عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك انه بلغنى انك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بينى وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فلما حضرا بين يديه قال لشمعون استخبرهما فقال شمعون لهما من أرسلكما الى هاهنا قالا الذى خلق كل شئ فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا فقالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه نبرئ الاكمه والابرص ونشفى المرضى والزمنى باذن الله قال فأمر الملك فجئ بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان الله تعالى حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت الهك حتى يصنع لك صنيعا مثل هذا فيكون لك الشرف ولالهك فقال الملك ليس لى عنك سر اعلم ان الهنا الذى نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل لدخوله ويصلى كثيرا ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان الهكما الذى تعبدانه يقدر على احياء ميت قالا الهنا يقدر على كل شئ فقال الملك ان ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن الدهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان أبوه غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو سرا فقام الميت وقال لهم انى قدمت منذ سبعة أيام مشركا فأدخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله ثم قال ان أبواب السماء فتحت لى فرأيت شابا حسن الوجه يتشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة فقال شمعون وهذان وأشار الى صاحبيه فتعجب الملك فلما علم شمعون أن قولهم قد أثر فى الملك أخبر بالحال ودعاه فآمن قوم وكان الملك ممن آمن وكفر آخرون (وقال) كعب ووهب بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيب بن مرى صاحب يس (وقال) ابن عباس ومقاتل اسمه حبيب بن اسرائيل النجار قال وهب وكان سقيما قد أثر فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب مدينة انطاكية وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه اذا أمسى فيقسمه نصفين يطعم نصفا عياله ويتصدق بالنصف الآخر فلما بلغه أن قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتم ايمانه ويعبد ربه فى غار فلما أتاه خبر الرسل أظهر دينه وذكر قومه ودعاهم الى طاعة المرسلين كما أخبر الله تعالى فى كتابه وذلك قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى الى قوله مهتدون فقال له قومه أو أنت مخالف لدينا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون الى قوله انى آمنت بربكم فاسمعون فلما قال لهم ذلك وثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن أحد يدفع عنه (وقال) عبد الله بن مسعود وطؤه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره (وقال) السدى كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى قطعوه وقتلوه وقال الحسن خرقوا خرقا فى حلقه وعلقوه فى سور المدينة ودفنوه فى سوق انطاكية فأوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى قيل ادخل الجنة فلما أفضى الى جنته بقه

وكرامته

وكرامته قال ياليت قومي يعلمون بما غفرلي ربي وجعلني من المكرمين قالوا فلما قتل حبيب غضب
الله عليهم وعجل لهم النقمة وأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى
وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين على غيرهم من كفار الامم ان
كانت الاصيحة واحدة فاذاهم خامدون أي ميتون * أخبرنا أبو بكر الجشاوي باسناده عن ابن
أبي ليلى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة
عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار مؤمن آل يس وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه
وهو أفضلهم

(قصة يونس بن متى عليه السلام)

قيل متى أمه ولم ينسب أحد من الانبياء الى أمه الاعيسى بن مريم ويونس بن متى عليهما
السلام وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لا ينبغي لاحد أن يقول أنا خير من
يونس بن متى قال الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا الآيات قالت العلماء بأخبار القدماء
كان يونس رجلا صالحا يتعبد في جبل وكان في قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان
قومه يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم يونس بن متى عليه السلام بالنهي عن الكفر والامر
بالتوحيد وكان يونس عليه السلام رجلا صالحا لا يصبر على الناس فلحق بالجبل يعبد الله تعالى
فيه وكان حسن القراءة يستمع الى قراءته الوحش كما كان لداود في زمانه وكان يعتريه حدة
ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله لخفة وعجلة ظهرت منه قال الله تعالى
فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت لانه كان قليل الصبر
على قومه والمداراة لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يونس بن متى فيه عجلة وخفة فلما
حمل أعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل ولذلك السبب ذهب مغاضبا
واختلف العلماء في صفة مغاضبته وسبب ذلك ووقته فقال قوم ذهب مغاضبا لقومه وهي رواية
الضحاك والعوفي عن ابن عباس قال كان يونس بن متى وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك
فسبى منهم تسعة أسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف وكانوا اثنى عشر سبطا فيهم النبوة والملك
فأوحى الله تعالى الى شعياء النبي ان سر الى حزقيا الملك وقل له يوجه نبيا قويا أمينا فاني ألقي
الخوف في قلوب أولئك الاسباط حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في
مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس فانه قوي أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج فقال
له يونس هل أمرك الله باخراجي قال لا قال هل سماني لك قال لا فقال ههنا غيري أنبياء أقوياء
أمناء فألحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي والملك ولقومه فأتى بحر الروم وكان من أمره ما كان
وقال الحسن البصري انما غاضب ربه من أجل أنه أمره بالمسير الى قومه لينذرهم بأسه
ويدعوهم اليه فسأل ربه أن ينظره ليتأهب للشخوص اليهم فقال له الامر أسرع من ذلك ولم
ينظره حتى سأل أن ينظر الى أن يأخذ نعله يلبسها فقيل له نحو القول الاول وكان رجلا في خلقه
ضيق فقال أعجلني ربي أن آخذ نعلي فذهب مغاضبا وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال
أتى جبريل يونس عليه السلام فقال له انطلق الى اهل نينوى فأنذرهم ان العذاب قد حضرهم
ان لم يتوبوا قال له التمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب وانطلق الى البحر فركب

سفينة فكان من أمره ما كان فعلى هذه الاقوال كانت رسالة يونس بعد نجاته من بطن الحوت قال ابن عباس انما كانت رسالة يونس بعد أن نبذه الحوت ودليل هذا القول أن الله ذكر قصة يونس في سورة الصافات ثم عقبها بقوله وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وقال آخرون بل كانت قصة الحوت بعد دعائه قومه وتبليغه الرسالة وانما ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عنهم العذاب بعدما وعدهم به وذلك أنه كره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الكذب والخلف فيما وعدهم ولم يعلم السبب الذي رفع به عنهم العذاب والهلاك فخرج مغاضبا وقال والله لا أرجع اليهم كذابا أبدا أوعدتهم العذاب في يوم ولم يأتهم * وفي بعض الاخبار ان قومه كان من عادتهم أن يقتلوا من جربوا عليه الكذب فلما لم يأتهم العذاب للميعاد الذي وعدهم خشي أن يقتلوه فغضب وقال كيف أرجع الى قومي وقد أخلفتهم الوعد ولم يعلم سبب صرف العذاب عنهم لانه قد كان خرج من بين أظهرهم لنزول العذاب قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بعث الله يونس بن متى الى قومه وهو ابن ثلاثين سنة فأقام فيهم يدعوهم الى الله تعالى ثلاثا وثلاثين سنة فلم يؤمن به الا رجلان أحدهما روبيل وكان عالما حكيما والآخر تنوخا وكان عابدا زاهدا قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما لما يئس من ايمان قومه دعا عليهم فقيل له ما أسرع ما دعوت على قومك ارجع اليهم فادعهم أربعين ليلة أخرى فان أجابوك والا فاني مرسل عليهم العذاب فرجع ودعاهم سبعا وثلاثين ليلة فلم يجيبوه فقام خطيبا فيهم وقال اني محذركم العذاب الى ثلاثة أيام ان لم تؤمنوا ثم قال لهم ان آية ذلك أن تتغير ألوانكم فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم فقالوا لبعضهم قد نزل بكم ما قال يونس وانا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم الليلة فآمنوا من العذاب وان لم يبت فيكم فاعلموا أن العذاب مصبحكم فلما كانت ليلة الاربعين ورأى يونس تغير ألوانهم علم ان العذاب نازل بهم فخرج من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب قال سعيد بن جبير كما يغشى التراب القبر اذا دخل فيه صاحبه وقال مقاتل كان العذاب فوق رؤسهم قدر ميل وقال ابن عباس قدر ثلثي ميل وقال وهب أغامت السماء غيما اسود هائلا تدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت أسطحتهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك والعذاب فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله في قلوبهم التوبة وألهمهم الرجوع اليه فخرجوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الايمان والتوبة لله وأخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب والانعام فحن بعضها الى بعض وعلت أصواتهم واختلط حنينهم وعجوا وتضرعوا الى الله وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعوتهم وقبل توبتهم وكشف عنهم العذاب بعدما أظلهم وذلك يوم عاشوراء وقيل كان يوم الاربعاء للنصف من شوال قال ابن مسعود وبلغ من توبة أهل نينوى ان ترادوا المظالم بينهم حتى ان الرجل ليأتي الى الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيقتلعه ويرده * وروى صالح المري عن عمران الجوني عن أبي الخلد قال لما غشي قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حي حين لا حي يا حي محيي الموتى لا اله الا أنت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين كما قال تعالى فلولا كانت قرية آمنت أي فلم تكن قرية آمنت وضع التحضيض

موضع

موضع النفي لان فيه ضربا من الجحد فنفعها ايمانها في وقت البأس عند معاينة العذاب الا قوم يونس لما آمنوا انفعهم ايمانهم في ذلك الوقت لما علم الله من صدقهم كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين قالوا وكان يونس قد خرج من بين أظهرهم وقام ينتظر العذاب والهلاك لقومه فلم ير شيأ وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل قال يونس كيف أرجع الى قومي وقد كذبتهم فانطلق معاتبا ربه مغاضبا الى قومه فأتى البحر كما قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه أي أن لن نقضي عليه العقوبة تقول العرب قدر الله الشئ يقدره تقديرا وقدره يقدره قدرا وقد قرئ بهما جميعا في قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وقوله تعالى الذي قدر فهدى هذا قول أكثر المفسرين وقال عطاء معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس من قول الله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي ويضيق وقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقال ابن زيد هو استفهام معناه أفظن أن لن نقدر عليه وقال الحسن معناه فظن أن يعجز ربه فلا يقدر عليه قال وبلغني أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا ربه فاستزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه وكان له سلف وعبادة فأبى الله أن يدعه للشيطان فلما أتى يونس البحر اذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير أجرة فلما دخلها احتبست السفينة ووقفت والسفن تسير يمينا وشمالا فقال الملاحون ان فيها عبدا آبقا من سيده وهذا رسم السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فقال أنا الآبق فقالوا تلق في الماء فاقترعوا ثانيا وثالثا فخرجت القرعة على يونس فزج نفسه في الماء فذلك قوله تعالى فساهم فكان من المدحضين فلما وقع في الماء وكل الله به حوتا فابتلعه وأوحى الله تعالى الى الحوت اني لم أجعله لك رزقا بل جعلناك له حرزا ومسكنا فخذه ولا تكسر له عظما ولا تخدش له لحما ولما ابتلع الحوت حوت آخر فأهوى به الى مسكنه في البحر فالتقمه حوت آخر وانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الابلة ثم مر به على دجلة ثم انطلق به الى نينوى ويقال ان الله تعالى رقق له جلد الحوت حتى كان يرى جميع ما في البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فأوحى الله تعالى اليه وهو في بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا معروفا بأرض مجهولة قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد لك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك وهو قوله فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت قال ابن عباس ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت سبحانك اني كنت من الظالمين وروى سعيد بن المسيب عن سعد بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى فقلت يا رسول الله هي ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين فقال هي ليونس خاصة ولجماعة المسلمين عامة اذا دعوا بها ألم تسمع قوله تعالى فنادى في الظلمات الى قوله وكذلك ننجي المؤمنين فلما دعا به يونس وشفعت له الملائكة أمر الله الحوت فقذفه الى ساحل نينوى كما قال تعالى فنبذناه بالعراء أي بوجه الارض وهو سقيم أي عليل ضعيف كالفرخ الممعط واختلفوا في مدة مكث يونس في بطن الحوت فقال مقاتل ثلاثة أيام وقال عطاء سبعة أيام وقال الضحاك

عشرين يوما وقال السدى والكلبي أربعين يوما فلما أخرجه الله من بطن الحوت أنبت له شجرة من يقطين وهو القرع فجعل يستظل بها ووكل الله به وعلة تختلف اليه فيشرب منها اللبن فذلك قوله تعالى وأنبتنا عليه أى عنده شجرة من يقطين قالوا فيبست الشجرة فبكى عليها فأوحى الله اليه أتبكى على شجرة يبست ولا تبكى على مائة ألف أو يزيدون أردت أن أهلكهم ثم ذهب يونس فاذا هو بغلام يرعى غنما فقال من أين أنت يا غلام قال أنا من قوم يونس فقال له اذا رجعت اليهم فقل لهم انك لقيت يونس فقال الغلام ان كنت يونس فأنت تعلم انه ان لم يكن لى بينة قتلت فمن يشهد لى فقال يونس تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة وهذه الشاة وأشار الى شاة من غنمه فقال له الغلام مرهم قال لهم يونس اذا جاءكم هذا الغلام فاشهدوا له قالوا نعم فرجع الغلام الى قومه ثم قال للملك انى قد لقيت يونس وانه يقرأ عليكم السلام فأمر الملك بقتله وقال كذبت فقال ان لى بينة فأرسلوا معى أحدا يشهد فارسلوا معه رجالا فأتى البقعة والشجرة والشاة وقال أنشدكم بالله هل أشهدكم يونس قالوا نعم فرجع القوم مذعورين وقالوا للملك شهدت له الشجرة والارض والشاة فأخذ الملك بيد الغلام وأجلسه فى مجلسه وقال أنت أحق بهذا المكان منى قال فأقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة ثم انهم خرجوا يلتمسون يونس فوجدوه ففرحوا به وآمنوا به فأقام لهم أمرهم * يروى أن يونس عليه السلام مضى من عندهم فنزل قرية ليلا فأضافه رجل وكان ذلك الرجل قد عمل كثيرا من الفخار فأوحى الله اليه يا يونس مر صاحب هذا الفخار أن يكسر تلك الفخارات فقال له يونس ذلك فلما سمع ذلك منه شتمه وقال شئ عملته بيدى أعيش فيه وأتمتع بثمنه أنا وعيالى تأمرنى بكسره فبكى يونس فأوحى الله اليه هذا عمل فخارا من طين لم تطب نفسه بكسره وأنت طبت نفسا ووطنتها على هلاك مائة ألف أو يزيدون من عبادى فمضى يونس وهبط واديا (قال) فلما شهدت الشجرة والارض والشاة للغلام وكانت الشاة التى كانت مع الغلام قالت لهم ان أردتم يونس فاهبطوا الى الوادى فهبطوا فاذا هم بيونس فانكبوا على رجليه يقبلونها وسألوه أن يدخل معهم المدينة فقال لا حاجة لى فى مدينتكم فبكوا والحوا عليه فأجابهم للدخول فأتى له بعجلة من فضة وأجلس عليها فتمثل له جبريل عليه السلام عاضا على سبابته وهو ينادى هذا مجلس الجبارين فوثب يونس من العجلة وجعل يمشى حتى دخل معهم المدينة فمكث مع أهله وولده أربعين ليلة ثم خرج سائحا وخرج الملك معه وصير الغلام الراعى ملكا لتلك المدينة كما ذكرنا فلم يزالا سائحين يعبدان الله تعالى حتى ماتا عليهما السلام وكانت نبوة يونس فى زمان ملوك الطوائف والله أعلم *

(باب فى قصة أصحاب الكهف)

قال الله تعالى أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اختلف العلماء فى الرقيم قال النعمان بن بشير الانصارى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم قال ان ثلاثة نفر خرجوا يرتادون لاهليهم فبينما هم يمشون اذ أصابتهم السماء فأووا الى الكهف فانحطت صخرة من الجبل عليهم فانطبقت على باب الكهف فأوصدت عليهم فقال قائل منهم كل منكم يذكر أحسن عمل عمله فلعل الله برحمته يرحمنا فقال رجل منهم قد عملت مرة حسنة كان لى اجراء

يعملون عملا لى فاستأجرت كل رجل منهم بأجرة معلومة فجاء رجل منهم ذات يوم وسط النهار فاستأجرته بشرط أصحابه فعمل فى بقية نهاره كعمل رجل منهم نهاره كله فرأيت على من الاكرام أن لا أنقصه شيأ مما استأجرت به أصحابه لما اجتهد فى عمله فقال رجل منهم أتعطى هذا مثل ما أعطيتنى ولم يعمل الا نصف النهار فقلت له يا عبد الله لم أبخسك شيأ من شرطك انما هو مالى أحكم فيه بما شئت قال فغضب وذهب وترك أجرته فوضعت حقه فى جانب من البيت ما شاء الله ثم مرت بى بعد ذلك بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فمر بى بعد ذلك شيخ ضعيف لا أعرفه فقال لى ان لى عندك حقا فقلت له اذكره لى حتى أعرفه قال فذكره فقلت له اياك أبغى وهذا حقك وعرضتها عليه فقال يا عبد الله لا تسخر بى ان لم تتصدق على فأعطنى حقى فقلت والله ما أسخر ان هذا الحقك ومالى فيه شئ فدفعتها اليه اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى أبصروا الضوء وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لى فضل مال وأصاب الناس شدة فجاءتنى امرأة تطلب منى معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت على وذهبت ثم انها رجعت فذكرتنى بالله فأبيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فأبت على وذهبت وذكرت ذلك لزوجها فقال لها أعطيه نفسك وأغنى عيالك فرجعت الى تنشدنى بالله فأبيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فلما رأت ذلك أسلمت الى نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت من تحتى فقلت لها ما شأنك فقالت انى أخاف الله رب العالمين فقلت لها خفتيه فى الشدة ولم أخفه فى الرخاء فتركتها وأعطيتها ما تحب بما كشفتها اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى تعارفنا وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لى أبوان كبيران وكان لى غنم فكنت أطعم أبوى وأسقيهما ثم أرجع الى غنمى قال فأصابنى يوما غيث فحبسنى حتى أمسيت فأتيت أهلى وأخذت محلبى فحلبت غنمى وتركتها قائمة مكانها ومضيت الى أبوى فوجدتهما قد ناما فشق على أن أوقظهما وشق على أن أترك غنمى فما برحت جالسا ومحلبى فى يدى حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم فافرج عنا ما نحن فيه قال النعمان لكأنى أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان الجبل طاق ففرج الله عنهم فخرجوا (وقال) ابن عباس الرقيم واد بين غطفان وايلة دون فلسطين وهو الوادى الذى فيه أصحاب الكهف قال كعب هى قريتهم وقال سعيد بن جبير وغيره من أئمة الاخبار الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص كتبوا فيه أسماء أهل الكهف وقصتهم ثم جعلوه فى صندوق ووضعوه على باب الكهف ثم ذكر الله خبر أصحاب الكهف فقال اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة قال أهل التفسير وأصحاب التواريخ كان أمر أصحاب الكهف فى أيام ملوك الطوائف بين عيسى ومحمد عليهما السلام وأما قصتهم فيقال لما ولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة أتاه قوم من أحبار اليهود فقالوا له يا عمر أنت ولى الامر بعد محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه وانا نريد ان نسألك عن خصال ان أخبرتنا بها علمنا ان الاسلام حق وان محمدا كان نبيا وان لم تخبرنا بها علمنا ان الاسلام باطل وان محمدا لم يكن نبيا فقال عمر سلوا عما بدا لكم قالوا أخبرنا عن أقفال السموات ما هى وأخبرنا عن مفاتيح السموات ما هى وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ما هو وأخبرنا

عمن أنذر قومه لا هو من الجن ولا هو من الانس (وأخبرنا) عن خمسة أشياء مشوا على وجه الأرض ولم يخلقوا فى الارحام وأخبرنا ما يقول الدراج فى صياحه وما يقول الديك فى صراخه وما يقول الفرس فى صهيله وما يقول الضفدع فى نقيقه وما يقول الحمار فى نهيقه وما يقول القنبر فى صفيره (قال) فنكس عمر رأسه فى الارض ثم قال لا عيب بعمر اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم وان يسأل عما لا يعلم فوثبت اليهود وقالوا نشهد أن محمدا لم يكن نبيا وان الاسلام باطل فوثب سلمان الفارسى وقال لليهود قفوا قليلا ثم توجه نحو على بن أبى طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه فقال يا أبا الحسن أغث الاسلام فقال وماذاك فأخبره الخبر فأقبل يرفل فى بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليه عمر وثب قائما فاعتنقه وقال يا أبا الحسن أنت لكل معضلة وشدة تدعى فدعا على كرم الله وجهه اليهود فقال سلوا عما بدا لكم فان النبى صلى الله عليه وسلم علمنى ألف باب من العلم فتشعب لى من كل باب ألف باب فسألوه عنها فقال على كرم الله وجهه ان لى عليكم شريطة اذا أخبرتكم كما فى توراتكم دخلتم فى ديننا وآمنتم فقالوا نعم فقال سلوا عن خصلة خصلة قالوا أخبرنا عن أقفال السموات ماهى قال اقفال السموات الشرك بالله لان العبد والامة اذا كانا مشركين لم يرتفع لهما عمل قالوا فأخبرنا عن مفاتيح السموات ماهى قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله قال فجعل بعضهم ينظر الى بعض ويقولون صدق الفتى قالوا فأخبرنا عن قبر سار بصاحبه فقال ذلك الحوت الذى التقم يونس بن متى فسار به فى البحار السبعة فقالوا أخبرنا عمن أنذر قومه لا هو من الجن ولا من الانس قال هى نملة سليمان بن داود قالت يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قالوا فاخبرنا عن خمسة مشوا على الارض ولم يخلقوا فى الارحام قال ذلكم آدم وحواء وناقة صالح وكبش ابراهيم وعصا موسى قالوا فأخبرنا ما يقول الدراج فى صياحه قال يقول الرحمن على العرش استوى قالوا فأخبرنا ما يقول الديك فى صراخه قال يقول اذكروا الله يا غافلين قالوا أخبرنا ما يقول الفرس فى صهيله قال يقول اذا مشى المؤمنون الى الكافرين للجهاد اللهم انصر عبادك المؤمنين على الكافرين قالوا فأخبرنا ما يقول الحمار فى نهيقه قال يقول لعن الله العشار وينهق فى أعين الشياطين قالوا فأخبرنا ما يقول الضفدع فى نقيقه قال يقول سبحان ربى المعبود المسبح فى لجج البحار قالوا فأخبرنا ما يقول القنبر فى صفيره قال يقول اللهم العن مبغضى محمد وآل محمد وكان اليهود ثلاثة نفر قال اثنان منهم نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ووثب الحبر الثالث فقال يا على لقد وقع فى قلوب أصحابى ما وقع من الايمان والتصديق وقد بقى خصلة واحدة اسألك عنها فقال سل عما بدا لك فقال أخبرنى عن قوم فى أول الزمان ماتوا ثلثمائة وتسع سنين ثم أحياهم الله فما كان من قصتهم قال على رضى الله عنه يا يهودى هؤلاء أصحاب الكهف وقد أنزل الله على نبينا قرآنا فيه قصتهم وان شئت قرأت عليك قصتهم فقال اليهودى ما أكثر ما قد سمعنا قراءتكم ان كنت عالما فأخبرنى بأسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء مدينتهم واسم ملكهم واسم كلبهم واسم جبلهم واسم كهفهم وقصتهم من أولها الى آخرها فاحتبى على كرم الله وجهه ببردة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أخا العرب حدثنى حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم انه كان بأرض رومية مدينة يقال لها افسوس ويقال هى طرسوس وكان اسمها فى الجاهلية افسوس

فلما جاء الاسلام سموها طرسوس قال وكان لهم ملك صالح فمات ملكهم وانتشر أمرهم فسمع
بهم ملك من ملوك فارس يقال له دقيانوس وكان جبارا كافرا فأقبل في عساكره حتى دخل
افسوس فاتخذها دارا لملكه وبنى فيها قصرا فوثب اليهودي وقال ان كنت عالما فصف لي
ذلك القصر ومجالسه فقال يا أخا اليهود ابتنى فيها قصرا من الرخام طوله فرسخ في عرض فرسخ
واتخذ فيه أربعة آلاف اسطوانة من الذهب وألف قنديل من الذهب لها سلاسل من
اللجين تسرج في كل ليلة بالادهان الطيبة واتخذ لشرقي المجلس مائة وثمانين كوة
ولغربيه كذلك وكانت الشمس من حين تطلع الى حين تغيب تدور في المجلس كيفما دارت
واتخذ فيه سريرا من الذهب طوله ثمانون ذراعا في عرض أربعين ذراعا مرصعا بالجوهر
ونصب على يمين السرير ثمانين كرسيا من الذهب فأجلس عليها بطارقته واتخذ أيضا
ثمانين كرسيا من الذهب عن يساره فأجلس عليها هراقلته ثم جلس هو على السرير ووضع التاج
على رأسه فوثب اليهودي وقال يا علي ان كنت عالما فأخبرني مم كان تاجه فقال يا أخا
اليهود كان تاجه من الذهب السبيك له تسعة أركان على كل ركن لؤلؤة تضيء كما يضيء
المصباح في الليلة الظلماء واتخذ خمسين غلاما من أبناء البطارقة فنطقهم بمناطق الديباج
الاحمر وسرولهم بسراويل القز الاخضر وتوجهم ودملجهم وخلخلهم وأعطاهم عمد الذهب
وأقامهم على رأسه واصطنع ستة غلمة من أولاد العلماء وجعلهم وزراءه فما يقطع امرا
دونهم وأقام منهم ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره فوثب اليهودي وقال يا علي ان كنت صادقا
فأخبرني ما كانت أسماء الستة فقال علي كرم الله وجهه حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه
وسلم ان الذين كانوا عن يمينه أسماؤهم تمليخا ومكسلمينا ومحسلمينا وأما الذين كانوا عن يساره
فرطاليوس وكشطوس وسادينوس وكان يستشيرهم في جميع أموره وكان اذا جلس
كل يوم في صحن داره واجتمع الناس عنده دخل من باب الدار ثلاث غلمة في يد أحدهم جام
من الذهب مملوء من المسك وفي يد الثاني جام من فضة مملوء من ماء الورد وعلى يد الثالث طائر
فيصيح به فيطير الطائر حتى يقع في جام ماء الورد فيتمرغ فيه فينشف ما فيه بريشه وجناحيه
ثم يصيح به الثاني فيطير فيقع في جام المسك فيتمرغ فيه فينشف ما فيه بريشه وجناحيه
ثم يصيح به الثالث فيطير فيقع على تاج الملك فينفض ريشه وجناحيه على رأس الملك بما
فيه من المسك وماء الورد فمكث الملك في ملكه ثلاثين سنة من غير أن يصيبه صداع ولا وجع
ولا حمى ولا لعاب ولا بصاق ولا مخاط فلما رأى ذلك من نفسه عتا وطغى وتجبر واستعصى وادعى
الربوبية من دون الله تعالى ودعا اليه وجوه قومه فكل من أجابه أعطاه وحباه وكساه
وخلع عليه ومن لم يجبه ويتابعه قتله فأجابوه بأجمعهم فأقاموا في ملكه زمانا يعبدونه من دون الله
تعالى فبينما هو ذات يوم جالس في عيد له على سريره والتاج على رأسه اذ أتى بعض بطارقته
فأخبره أن عساكر الفرس قد غشيته يريدون قتاله فاغتم لذلك غما شديدا حتى سقط التاج عن
رأسه وسقط هو عن سريره فنظر أحد فتيته الثلاثة الذين كانوا عن يمينه الى ذلك وكان
عاقلا يقال له تمليخا فتفكر وتذكر في نفسه وقال لو كان دقيانوس هذا الها كما يزعم لما حزن ولما
كان ينام ولما كان يبول ويتغوط وليست هذه الافعال من صفات الاله وكانت الفتية الستة

يكونون كل يوم عند واحد منهم وكان ذلك اليوم نوبة تمليخا فاجتمعوا عنده فأكلوا وشربوا ولم يأكل تمليخا ولم يشرب فقالوا يا تمليخا مالك لا تأكل ولا تشرب فقال يا اخوتي وقع في قلبي شيء منعني عن الطعام والشراب والمنام فقالوا وما هو يا تمليخا فقال أطلت فكري في هذه السماء فقلت من رفعها سقفا محفوظا بلا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها ومن أجرى فيها شمسها وقمرها ومن زينها بالنجوم ثم أطلت فكري في هذه الارض من سطحها على ظهر اليم الزاخر ومن حبسها وربطها بالجبال الرواسي لئلا تميد ثم أطلت فكري في نفسي فقلت من أخرجني جنينا من بطن أمي ومن غذاني ورباني ان لها صانعا ومدبرا سوى دقيانوس الملك فانكبت الفتية على رجليه يقبلونها وقالوا يا تمليخا لقد وقع في قلوبنا ما وقع في قلبك فأشر علينا فقال يا اخوتي ما أجد لي ولكم حيلة الا الهرب من هذا الجبار الى ملك السموات والارض فقالوا الرأي ما رأيت فوثب تمليخا فابتاع تمرا بثلاثة دراهم وصرها في ردائه وركبوا خيولهم وخرجوا فلما ساروا قدر ثلاثة أميال من المدينة قال لهم تمليخا يا اخوتاه قد ذهب عنا ملك الدنيا وزال عنا أمره فانزلوا عن خيولكم وامشوا على أرجلكم لعل الله يجعل لكم من أمركم فرجا ومخرجا فنزلوا عن خيولهم ومشوا على أرجلهم سبع فراسخ حتى صارت أرجلهم تقطر دما لانهم لم يعتادوا المشي على اقدامهم فاستقبلهم رجل راع فقالوا أيها الراعي أعندك شربة ماء أو لبن فقال عندي ما تحبون ولكني أرى وجوهكم وجوه الملوك وما أظنكم الا هرابا فاخبروني بقصتكم فقالوا يا هذا انا دخلنا في دين لا يحل لنا الكذب أفينجينا الصدق قال نعم فاخبروه بقصتهم فانكب الراعي على أرجلهم يقبلها ويقول قد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم فقفوا الى ههنا حتى أرد الاغنام الى أربابها وأعود اليكم فوقفوا له فردها وأقبل يسعى فتبعه كلب له فوثب اليهودي قائما فقال يا علي ان كنت عالما فاخبرني ما كان لون الكلب واسمه فقال يا أخا اليهود حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أن الكلب كان أبلق بسواد وكان اسمه قطميرا قال الاستاذ اختلف العلماء في لون كلب أصحاب الكهف فقال ابن عباس كان انمر وقال مقاتل كان أصفر وقال محمد بن كعب كان من شدة حمرته وصفرته يضرب الى الحمرة وقال الكلبي لونه كالثلج وقيل لون الهرة وقيل لون السماء واختلفوا في اسمه أيضا فروى عن علي كرم الله وجهه ان اسمه ريان وقال ابن عباس كان اسمه قطميرا وهي احدى الروايات عن علي وقال شعيب الجبائي كان اسمه حمرا وقال الاوزاعي نتوى وقال مجاهد قنطوريا وقال عبد الله بن سلام بسيط وقال كعب كان اصهب واسمه تغني وأخبرني ابن فنجويه باسناده عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ان اسم كلبهم كان قطمورا وقيل قطفير أخبرني أبو علي الزهري باسناده عن ابن عباس في قوله تعالى ما يعلمهم الا قليل قال أنا من أولئك القليل هم مكسلمينا وتمليخا ومرطلوس وبينونس وساونوس ودوانوس وكشطوس وهو الراعي والكلب اسمه قطمير كلب انمر فوق القلطي ودون الكركي وقال محمد بن امست القلطي الكلب الصغير وقال مابقي بنيسابور محدث الا كتب عني هذا الحديث وكتبه أبو عمرو الحيري عني * رجعنا الى الحديث قال فلما نظر الفتية الى الكلب قال بعضهم لبعض انا نخاف ان يفضحنا هذا الكلب بنبيحه فألحوا عليه طردا بالحجارة فلما نظر اليهم الكلب وقد ألحوا عليه بالحجارة والطرد أقعى على رجليه وتمطى وقال بلسان طلق ذلق يا قوم لم تطردونني وأنا أشهد

أن لا اله الا الله وحده لاشريك له دعونى أحرسكم من عدوكم وأتقرب بذلك الى الله سبحانه وتعالى نتركوه ومضوا فصعدبهم الراعى جبلا وانحط بهم على كهف فوثب اليهودى وقال ياعلى مااسم ذلك الجبل وما اسم الكهف قال أميرا المؤمنين ياأخا اليهود اسم الجبل ناجلوس واسم الكهف الوصيد وقيل خيرم * (رجعنا الى الحديث) * قال واذا بفناء الكهف أشجار مثمرة وعين غزيرة فأكلوا من الثمار وشربوا من الماء وجنهم الليل فأووا الى الكهف وربض الكلب على باب الكهف ومديديه عليه وأمر الله ملك الموت بقبض أرواحهم ووكل الله تعالى بكل رجل منهم ملكين يقلبانه من ذات اليمين الى ذات الشمال ومن ذات الشمال الى ذات اليمين * قال ابن عباس كانوا يقلبون فى السنة مرة لئلا تأكل الارض لحومهم ويقال ان يوم عاشوراء كان يوم تقلبهم قال أبو هريرة كان لهم فى كل سنة تقليبتان * (رجعنا الى الحديث) * قال وأوحى الله تعالى الى الشمس فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين اذا طلعت واذا غربت تقرضهم ذات الشمال فلما رجع الملك دقيانوس من عيده سأل عن الفتية فقيل له انهم اتخذوا الها غيرك وخرجوا هاربين منك فركب فى ثمانين ألف فارس وجعل يقفو آثارهم حتى صعد الجبل وشارف الكهف فنظر اليهم مضطجعين فظن أنهم نيام فقال لاصحابه لو أردت أن أعاقبهم بشئ ماعاقبتهم بأكثر مما عاقبوا به أنفسهم فأتونى بالبنائين فأتى بهم فردموا عليهم باب الكهف بالجبس والحجارة ثم قال لاصحابه قولوا لهم يقولوا لالههم الذى فى السماء ان كانوا صادقين يخرجهم من هذا الموضع فمكثوا ثلثمائة وتسع سنين فنفخ الله فيهم الروح وهبوا من رقدتهم لما بزغت الشمس فقال بعضهم لبعض لقد غفلنا هذه الليلة عن عبادة الله تعالى قوموا بنا الى العين فاذا بالعين قد غارت والاشجار قد جفت فقال بعضهم لبعض انا من أمرنا هذا لفى عجب مثل هذه العين قد غارت فى ليلة واحدة ومثل هذه الاشجار قد جفت فى ليلة واحدة فألقى الله عليهم الجوع فقالوا أيكم يذهب بورقكم هذه الى المدينة فليأتنا بطعام منها ولينظر أن لا يكون من الطعام الذى يعجن بشحم الخنازير وذلك قوله تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما أى أحل وأجود وأطيب فقال لهم تمليخا يااخوتى لا يأتيكم أحد بالطعام غيرى ولكن أيها الراعى ادفع الى ثيابك وخذ ثيابى فلبس ثياب الراعى ومر وكان يمر بمواضع لا يعرفها وطريق ينكرها حتى أتى باب المدينة فاذا عليه علم أخضر مكتوب عليه لا اله الا الله عيسى روح الله صلى الله على نبينا وعليه وسلم فطفق الفتى ينظر اليه ويمسح عينيه ويقول أرانى نائما فلما طال عليه ذلك دخل المدينة فمر بأقوام يقرؤن الانجيل واستقبله أقوام لا يعرفهم حتى انتهى الى السوق فاذا هو بخباز فقال له ياخباز مااسم مدينتكم هذه قال افسوس قال وما اسم ملككم قال عبد الرحمن قال تمليخا ان كنت صادقا فان أمرى عجيب ادفع الى بهذه الدراهم طعاما وكانت دراهم ذلك الزمان الاول ثقالا كبارا فعجب الخباز من تلك الدراهم فوثب اليهودى وقال ياعلى ان كنت عالما فاخبرنى كم كان وزن الدرهم منها فقال ياأخا اليهود أخبرنى حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم أن وزن كل درهم منها عشرة دراهم وثلثا درهم فقال له الخباز ياهذا انك قد أصبت كنزا فأعطنى بعضه والا ذهبت بك الى الملك فقال تمليخا ماأصبت كنزا وانما هذا من ثمن تمر بعته بثلاثة دراهم منذ ثلاثة أيام وقد خرجت من هذه

قوله وقيل خيرم فى حياة الحيوان حرم وقيل خدم فليحرر

المدينة وهم يعبدون دقيانوس الملك فغضب الخباز وقال الا ترضى ان أصبت كنزا أن تعطيني
بعضه حتى تذكر رجلا جبارا كان يدعى الربوبية قد مات منذ ثلثمائة سنة وتسخر بي ثم أمسكه
واجتمع الناس ثم انهم أتوا به الى الملك وكان عاقلا عادلا فقال لهم ما قصة هذا الفتى قالوا أصاب
كنزا فقال له الملك لا تخف فان نبينا عيسى عليه السلام أمرنا أن لا نأخذ من الكنوز الا خمسها
فادفع الى خمس هذا الكنز وامض سالما فقال أيها الملك تثبت في أمري ما أصبت كنزا
وانما أنا من أهل هذه المدينة فقال له أنت من أهلها قال نعم قال أفتعرف فيها أحدا قال نعم قال
فسم لنا فسمى له نحوا من ألف رجل فلم يعرفوا منهم رجلا واحدا قالوا يا هذا ما نعرف هذه الاسماء
وليست هي من أسماء أهل زماننا ولكن هل لك في هذه المدينة دار فقال نعم أيها الملك فابعث
معي أحدا فبعث معه الملك جماعة حتى أتى بهم دارا أرفع دار في المدينة وقال هذه داري ثم قرع
الباب فخرج لهم شيخ كبير قد استرخى حاجباه من الكبر على عينيه وهو فزع مرعوب مذعور
فقال أيها الناس ما بالكم فقال له رسول الملك ان هذا الغلام يزعم أن هذه الدار داره فغضب
الشيخ والتفت الى تمليخا وتبينه وقال له ما اسمك قال تمليخا ابن فلسطين فقال له الشيخ أعد على
فأعاد عليه فانكب الشيخ على يديه ورجليه يقبلهما وقال هذا جدي ورب الكعبة وهو أحد
الفتية الذين هربوا من دقيانوس الملك الجبار الى جبار السموات والارض ولقد كان عيسى
عليه السلام أخبرنا بقصتهم وأنهم سيحيون فأنهى ذلك الى الملك فركب الملك وأتى اليهم
وحضرهم فلما رأى الملك تمليخا نزل عن فرسه وحمل تمليخا على عاتقه فجعل الناس يقبلون يديه
ورجليه ويقولون له يا تمليخا ما فعل بأصحابك فأخبرهم أنهم في الكهف وكانت المدينة قد وليها
رجلان ملك مسلم وملك نصراني فركبا في أصحابهما وأخذا تمليخا فلما صاروا قريبا من الكهف قال
لهم تمليخا يا قوم اني أخاف أن اخوتي يحسون بوقع حوافر الخيل والدواب وصلصلة اللجم
والسلاح فيظنون أن دقيانوس قد غشيهم فيموتون جميعا فقفوا قليلا حتى أدخل عليهم فأخبرهم
فوقف الناس ودخل عليهم تمليخا فوثب اليه الفتية واعتنقوه وقالوا الحمد لله الذي نجاك من
دقيانوس فقال دعوني منكم ومن دقيانوس كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قال بل لبثتم ثلثمائة
وتسع سنين وقد مات دقيانوس وانقرض قرن بعد قرن وآمن أهل المدينة بالله العظيم وقد جاؤكم
فقالوا له يا تمليخا تريد أن تصيرنا فتنة للعالمين قال فماذا تريدون قالوا ارفع يديك ونرفع أيدينا فرفعوا
أيديهم وقالوا اللهم بحق ما أريتنا من العجائب في أنفسنا الا قبضت أرواحنا ولم يطلع علينا أحد
فأمر الله ملك الموت فقبض أرواحهم وطمس الله باب الكهف وأقبل الملكان يطوفان حول
الكهف سبعة أيام فلا يجدان له بابا ولا منفذا ولا مسلكا فأيقنا حينئذ بلطيف صنع الله الكريم
وأن أحوالهم كانت عبرة أراهم الله اياها فقال المسلم على ديني ماتوا أنا أبني على باب الكهف
مسجدا وقال النصراني بل ماتوا على ديني فأنا أبني على باب الكهف ديرا فاقتتل الملكان فغلب
المسلم النصراني فبنى على باب الكهف مسجدا فذلك قوله تعالى قال الذين غلبوا على أمرهم
لنتخذن عليهم مسجدا وذلك يا يهودي ما كان من قصتهم * ثم قال علي كرم الله وجهه لليهودي
سألتك بالله يا يهودي أوافق هذا ما في توراتكم فقال اليهودي ما زدت حرفا ولا نقصت حرفا يا أبا
الحسن لا تسميني يهوديا فأشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وأنك أعلم هذه الامة

* وقال عبيد بن عمير كان أصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوى ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا فى عيد لهم عظيم فى زى وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التى كانوا يعبدونها من دون الله فقذف الله فى قلوبهم الايمان وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد منهم الايمان عن صاحبه فقالوا فى أنفسهم من غير أن يظهر بعضهم لبعض نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبنا عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك فجلس اليه ثم خرج الآخرون فجاؤا فجلسوا اليهم واجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم عن صاحبه ايمانه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتيين منكم فيخلوا ثم ليفش كل واحد منكم أمره الى صاحبه فخرج فتيان منهم فتوافقا ثم تكلما فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه فأقبلا وهما مستبشران الى أصحابهما فقالا قد اتفقنا على أمر واحد واذا هم جميعا على الايمان واذا كهف فى الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهئ لكم من أمركم مرفقا فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلثمائة سنة وتسع سنين قال وفقدهم قومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم وكتبوا فى لوح فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم فى يوم كذا فى شهر كذا من سنة كذا فى مملكة فلان بن فلان ووضعوا اللوح فى خزانة الملك وقالوا ليكونن لهذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن * وأخبرنا الحسن بن الحسين الثقفى باسناده عن أبى جعفر الباقر قال كان أصحاب الكهف صيارفة * وقال وهب بن منبه جاء حوارى من أصحاب عيسى عليه السلام الى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقيل له ان على بابها صنما لا يدخلها أحد الا سجد له فكره أن يدخلها فأتى الى حمام قريب من تلك المدينة وأجر نفسه من الحمامى وكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام فى حمامه البركة ودر عليه الرزق فجعل يقوم عليه وتعلق به فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه وكانوا على مثل حاله فى حسن الهيئة وكان يشترط على صاحب الحمام أن الليل لى لا يحول بينى وبينه أحد فيصلى فكان على ذلك الحال حتى أتى ابن الملك الحمام بامرأة فدخل بها الحمام فعيره بها الحوارى وقال له أنت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستحى ابن الملك وذهب ثم رجع مرة أخرى فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت اليه ثم انهما دخلا معا فماتا جميعا فى الحمام فأتى الملك وقيل له قتل صاحب الحمام ابنك فالتمس فلم يقدر عليه فقال من كان يصحبه فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمروا بصاحب لهم فى زرع وهو على مثل ايمانهم فذكروا أنهم التمسوا فانطلق معهم ومعه كلبه حتى آواهم الليل الى الكهف فدخلوا وقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح ان شاء الله تعالى فترون رأيكم فضرب الله على آذانهم فخرج الملك فى أصحابه يطلبونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف وكان كلما أراد الرجل منهم أن يدخل الكهف أرعب فلم يطق أحد أن يدخله فقال قائل أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتوا عطشا وجوعا ففعل ذلك قال وهب فتركهم بعد ما سدوا عليهم باب الكهف ومضى زمان بعد زمان ثم ان راعيا أدركه المطر

عند باب الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف فأدخلت فيه غنمي من المطر فلم يزل يعالجه
حتى فتح الباب ورد الله اليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا * وقال محمد بن اسحق مرج أهل
الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت
وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله تعالى وتوحيده فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم
ملك من الروم يقال له دقيانوس كان عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه في ذلك ممن
أقام على دين المسيح وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها أحدا يدين دين المسيح الا قتله
حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهي افسوس فلما نزلها كبر ذلك على أهل الايمان فاستخفوا
منه وهربوا في كل ناحية وكان دقيانوس قد أمر حين دخلها أن يتبع أهل الايمان فيجمعوا اليه
واتخذ شرطا من كفار أهلها وجعلوا يتبعون أهل الايمان في أماكنهم فيخرجونهم الى دقيانوس
فيقدمهم الى الجامع الذي يذبح فيه للطواغيت فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح
للطواغيت فمن القوم من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله سبحانه وتعالى فيقتل
فلما رأى ذلك أهل الشدة في الايمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ثم
يقطعون ويربط ما قطع من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها كلها وعلى كل باب من أبوابها
حتى عظمت الفتنة على أهل الايمان فمنهم من أقر فترك ومنهم من صلب على دينه وقتل فلما رأى
ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا وصلوا واشتغلوا بالتسبيح والتقديس والدعاء وكانوا من
أشراف الروم وكانوا ثمانية نفر فبكوا وتضرعوا وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض
لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا ربنا اكشف عن عبادك المؤمنين الفتنة وارفع عنهم
هذا البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك فبينما هم على ذلك اذ أدركهم الشرط وكانوا
قد دخلوا في مصلى لهم فوجدوهم سجودا على وجوههم يبكون ويتضرعون الى الله تعالى
ويسألونه أن ينجيهم من دقيانوس وفتنته فلما رآهم أولئك الكفرة قالوا لهم ما خلفكم عن أمر
الملك انطلقوا اليه ثم خرجوا من عندهم ورفعوا أمرهم الى دقيانوس فقالوا تجمع الجميع وهؤلاء
الفتية من أهل بيتك يسخرون منك ويعصونك فلما سمع ذلك أتى بهم تفيض أعينهم من الدمع
معفرة وجوههم في التراب فقال ما منعكم أن تشهدوا الذبح للآلهة التي نعبدها في الارض
وأن تجعلوا أنفسكم كغيركم ثم انهم خيروا اما أن يذبحوا الآلهتهم كما ذبح غيرهم من الناس واما أن
يقتلهم الملك فقال مكسلمينا وكان أكبرهم ان لنا الها ملء السموات والارض عظمة ان ندعو
من دونه الها أبدا ولن نقر بهذا الذي تدعونا اليه أبدا ولكنا نعبد ربنا الله التحميد والتكبير والتسبيح
والتقديس من أنفسنا خالصا أبدا اياه نعبد واياه نسأل النجاة والخير وأما الطواغيت فلن نعبدها
أبدا فاصنع بنا ما بدا لك ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ما قال له قالوا فلما قالوا ذلك
أمر بهم فنزع ملبوسا كان عليهم من ملبوس عظمائهم ثم قال لهم انكم اذا فعلتم ما فعلتم فاني
سأؤخركم وأتفرغ لكم فأنجز لكم ما أوعدتكم من العقوبة وما ينبغي أن أعجل لكم ذلك لاني
أراكم شبابا حديثة أسنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا فتراجعوا
عقولكم ثم أمر بحلية كانت معهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم ثم أمر بهم فاخرجوا من عنده
وانطلق دقيانوس الى مدينة سوى مدينتهم التي هم بها قريبة منهم لبعض أموره فلما رأى الفتية

أنّ دقيانوس قد خرج من مدينتهم بادروا قدومه وخافوا اذا قدم مدينتهم أن يذكرهم فأتمروا أن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له ناجلوس فيسكنون فيه ويعبدون الله تعالى حتى اذا قدم دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما يشاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم الى بيت أبيه وأخذ نفقة فتصدقوا منها وانطلقوا بما بقي معهم من نفقتهم واتبعهم كلب كان لاحدهم حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه * قال ابن عباس هربوا ليلا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب على دينهم * وقال كعب مروا بكلب فتبعهم فطردوه فنبح عليهم ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا جانبي فاني أحب أحباب الله فناموا حتى أحرسكم * (رجعنا الى حديث ابن اسحق) * فلبثوا في ذلك الكهف ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم يقال له تمليخا فكان يبتاع لهم من المدينة طعامهم سرا وكان من أجلدهم وأجملهم فكان تمليخا يصنع ذلك فاذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا ويأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها ثم يأخذ دراهما فينطلق الى المدينة فيشتري طعاما وشرابا ويستمع ويتجسس لهم الخبر هل يذكرونهم بشيء ثم يرجع الى أصحابه فلبثوا كذلك ما لبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة فأمر العظماء فذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك أهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشتري طعاما فرجع الى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام فأخبرهم أنّ دقيانوس دخل المدينة وأنهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة ليذبحوا للطواغيت فلما أخبرهم بذلك فزعوا ووقعوا سجدا يدعون الله تعالى ويتضرعون اليه ويتعوذون به من الفتنة ثم ان تمليخا قال لهم يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم فاطعموا منه وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع حزنا على أنفسهم فطعموا منه وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضا فبينما هم كذلك اذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف فأصابه ما أصابهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض قومه لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد كانوا يحسبون أني غضبان عليهم بجهلهم ما جهلوا من أمري فاني لا أغضب عليهم ان تابوا وعبدوا آلهتي فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما مردة عصاة مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاؤا لرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا له ذلك غضب غضبا شديدا ثم أرسل الى آبائهم فسألهم عنهم وقال أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني فقالوا له أما نحن فلم نعصك ولم تقتلنا بقوم مردة وانهم خالفونا وانطلقوا الى جبل يسمى ناجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل لا يدري ما يصنع بالفتية فألقى الله في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم وأراد الله تعالى أن يكرمهم ويجعلهم آية لامة تستخلف بعدهم وأن يبين لهم أنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم وقال دعوهم كما هم في الكهف يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف وقد غشيه ما غشيهم يقلبون ذات اليمين

قوله ناجلوس الذي فسر الخطيب بخلوس وفي حياة الحيوان أن مخلوس فليحرر اه

وذات الشمال * قال ثم ان رجلين مؤمنين وكانا فى بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما
اسم أحدهما تندروس والآخر روباس ائتمرا أن يكتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم
وخبرهم فى لوح من رصاص ويجعلاه فى تابوت من نحاس ويجعلا التابوت فى البنيان
وقالا لعل الله أن يطلع على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم
خبرهم حين يقرأ هذا اللوح ففعلا ذلك وبنيا عليه فبقى دقيانوس ما بقى ومات قومه ومات
قرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس
فلما ملك بقى فى ملكه ثمانية وثمانين سنة فتحزب الناس فى ملكه أحزابا منهم من يؤمن بالله العظيم
ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فشكى الى الله وتضرع اليه
وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق وأنهم يقولون لا حياة
الا الحياة الدنيا وانما تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد وأما الجسد فيأكله التراب ونسوا ما فى
الكتاب فجعل الملك تندوسيس يرسل الى من كان يظن فيه خيرا وأنهم كانوا أئمة فى الحق فجعلوا
يكذبون بالساعة حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأى الملك الصالح
ذلك دخل بيته فأغلقه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فدأب ليله ونهاره يتضرع الى الله
تعالى ويبكى مما يرى فيه الناس ويقول أى رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم ثم
ان الرحمن الرحيم جل وعز الذى يكره اختلاف العباد أراد أن يظهر لهم الفتية أصحاب الكهف
ويبين للناس شأنهم فيجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها وأنه يستجيب
لعبده الصالح تندوسيس وأنه يتم نعمته عليه ولا ينزع منه ملكه ولا الايمان الذى أعطاه
وأن لا يعبد الا الله ولا يشرك به شيأ وأن يجمع من كان تبدد من المؤمنين فالقى الله فى
نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى به الكهف وكان اسم ذلك الرجل اولياس أن يهدم ذلك
البنيان الذى على فم الكهف فيبنى به حظيرة لغنمه فاستأجر عاملين فجعلا ينزعان تلك الحجارة
ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما على فم الكهف وفتحا عليهم باب الكهف وحجبهم الله عن
الناس فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر اليهم يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتى يرى كلبهم
نائما فلما نزعت الحجارة وفتح باب الكهف أذن الله تعالى ذو القدرة والعظمة والسلطان محيى
الموتى للفتية ان يجلسوا بين ظهرانى الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم
بعضهم على بعض حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون منها اذا أصبحوا من
ليلتهم التى يبيتون بها ثم انهم قاموا الى الصلاة فصلوا كالذى كانوا يفعلون لا يرون فى وجوههم
ولا أبشارهم ولا ألوانهم شيأ ينكرونه انما هم كهيئتهم حين رقدوا يرون أن ملكهم دقيانوس فى
طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقاتهم بين لنا ما الذى قال الناس فى شأننا عشية
أمس عند هذا الجبار وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل لهم أنهم
قد ناموا كأطول ما كانوا ينامون فى الليلة التى أصبحوا بها حتى تساءلوا بينهم فقال
بعضهم لبعض كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك فى أنفسهم
يسير فقال لهم تمليخا التمستم فى المدينة لتذبحوا للطواغيت أو تقتلوا فما شاء الله بعد ذلك فعل
فقال مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا أنكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم غدا ثم

قوله أحدهما تندروس الخ فى حياة الحيوان أن أحدهما تندروس والآخر روباس اه

قالوا

قالوا يا تمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال عنا بها اليوم وتلطف ولا تشعرن بك أحدا وابتغ لنا طعاما وائتنا به وزدنا على الطعام الذى جئتنا به أمس فانه كان قليلا وقد اصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التى كان يتنكر فيها ثم أخذ ورقا من نفقتهم التى كانت معهم التى ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف رأى حجارة منزوعة عن باب الكهف فتعجب منها ثم مر حتى أتى باب المدينة مستخفيا بعيدا عن الطريق تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه فيذهب به الى دقيانوس الجبار ولا يشعر العبد الصالح أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة فلما رأى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة لاهل الايمان فلما رآها عجب وجعل ينظر اليها مستخفيا فنظر يمينا وشمالا ثم انه ترك ذلك الباب وتحول الى باب آخر من أبوابها فنظر فرأى مثل ذلك فجعل يتخيل له ان المدينة ليست بالتى كان يعرف ورأى ناسا كثيرا محدثين لم يكونوا قبل ذلك فجعل يمشى ويتعجب ويخيل اليه انه حيران ثم أنه رجع الى الباب الذى أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول ليت شعرى أما هذه عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون بها وأما اليوم فانها ظاهرة لعلى حالم ثم يرى أنه لم ينم فاخذ كساءه وجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشى بين أظهر أهل سوقها وهو يسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا ورأى أنه حيران فقام مسندا ظهره الى جدار من جدران المدينة وهو يقول فى نفسه والله ما أدرى ماهذا أما عشية أمس فليس على الارض أحد يذكر عيسى الاقتل وأما الغداة فاسمع كل انسان يذكر عيسى ولا يخاف ثم قال فى نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التى أعرفها فانى أسمع كلام أهلها ولا أعرف واحدا منهم والله ما أعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران لا يتوجه وجها ثم انه لقى فتى من أهل المدينة فقال له ما اسم هذه المدينة يافتى فقال افسوس فقال فى نفسه لعل بى مسا أو أمرا أذهب عقلى والله يحق لى أن أبادر الخروج منها قبل أن يصيبنى شر فأهلك * هذا ما يحدث به تمليخا أصحابه حتى يبين لهم ما هم فيه * ثم أفاق وقال والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بى لكان أكيس لى فدنا من الذين يبيعون الطعام ثم أخرج الورق التى كانت معه فأعطاها رجلا منهم وقال يا عبد الله بعنى بهذه طعاما فأخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها فتعجب منها ثم طرحها الى رجل من أصحابه فنظر اليها ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل فيتعجبون منها ثم جعلوا يتشاورون ويقول بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد أصاب كنزا فى الارض منذ زمان طويل فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا فجعل يرتعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون أن يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس قال وجعل ناس آخرون يأتونه ويتعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق انفصلوا قد أخذتم ورقى فأمسكوها فلا حاجة لى فى طعامكم فقالوا يا فتى من أنت وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين فانت تريد أن تخفيه منا انطلق معنا وأرنا مكانه وشاركنا فيه نخف عليك ما وجدت فانك ان لم تفعل نأت السلطان ونسلمك اليه فلما سمع قولهم عجب فى نفسه ثم قال قد وقعت فى كل شئ كنت أحذر منه ثم قالوا والله يا فتى انك لا تستطيع أن تكتم ما وجدت ولا تظن فى نفسك أن سيخفى عليك فتحير فى نفسه وليس يدرى ما يقول لهم وما يرجع اليهم وفرق حتى ما يخبرهم بشئ فلما

رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه وطوقوه في عنقه ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة مكبلا حتى سمع به
من فيها وقيل أخذ رجل عنده كنز فاجتمع عليه أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجعلوا ينظرون
اليه ويقولون والله ماهذا الفتى من أهل هذه المدينة ومارأيناه فيها قط وما نعرفه فجعل تمليخا
مايدري مايقول لهم مع مايسمع منهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق ولم يتكلم ولو قال انه من
أهل المدينة لم يصدق وكان مستيقنا ان أباه واخوته في المدينة وأن حسبه في أهل المدينة من
عظماء أهلها وأنهم سيأتونه اذا سمعوا وقد استيقن أنه عشية أمس كان يعرف كثيرا من أهلها
وانه لايعرف اليوم من أهلها أحدا فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه
من أيديهم فبينما هو كذلك اذ قد اختطفوه وانطلقوا به الى رئيسي المدينة ومدبريها وهما
رجلان صالحان اسم أحدهما أرموس واسم الآخر اسطيوس فلما انطلقوا به ظن تمليخا أنهم
انطلقوا به الى دقيانوس الملك فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون
من المجنون والحيران فجعل تمليخا يبكي ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اله السموات والارض
أفرغ علي اليوم صبرا وأولج معي روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يبكي ويقول في
نفسه فرق بيني وبين اخوتي ياليتهم يعلمون مالقيت فيأتوني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا
كنا قد توافقنا لنكونن معا لانكفر بالله ولا نفترق في موت ولا حياة أبدا ياليت شعري ماهو فاعل
بي هل هو قاتلي أم لا * هذا ماحدث به تمليخا أصحابه عن نفسه حين رجع اليهم * فانتهى به الى
الرجلين الصالحين أرموس واسطيوس فلما علم تمليخا أنه لم يذهب به الى دقيانوس أفاق وسكن
مابه فأخذ أرموس واسطيوس الورق ونظرا اليها وعجبا منها ثم قال أحدهما أين الكنز الذي
وجدت يافتى فقال ماوجدت كنزا وانما هذه الورق ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن
والله ماأدري ماشأني وما أدري ماأقول لكم فقال أحدهما من أنت فقال له تمليخا قال فمن
أبوك ومن يعرفك بها فأنبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحدا يعرفه فقال له أحدهما أنت رجل
كذاب لاتنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا مايقول غير أنه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حضر
هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقام
أحدهم ونظر اليه نظرا شديدا وقال له أتظن أنا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك واضرب
هذه الورق ونقشها أكثر من ثلثمائة سنة وأنت غلام شاب تظن أن تأفكنا وتسخر بنا ونحن
شمط كما ترى وحولك سراة هذه المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا وليس عندنا من
هذا الضرب درهم ولا دينار لأعذبنك عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي
وجدت فلما قال له ذلك قال له تمليخا أنبئوني عن شيء أسألكم عنه فان فعلتم صدقتكم عما عندي
فقالوا سل لانكتمك شيأ قال مافعل بالملك دقيانوس قالوا ليس نعرف اليوم على وجه الارض
ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن الا ملك قد هلك منذ دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال له
تمليخا فوالله ماأجد من الناس أحدا يصدقني على ماأقول لقد كنا فتية وان الملك دقيانوس
أكرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فبتنا فلما انتبهنا خرجت
لأشتري لاصحابي طعاما وأتجسس الاخبار فاذا أنا كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف
الذي في جبل ناجلوس اريكم أصحابي فلما سمع أرموس مايقول تمليخا قال ياقوم لعل هذه آية من

آيات الله جعلها الله لكم عبرة على يد هذا الفتى فانطلقوا بنا معه يرينا أصحابه فانطلق معه أرموس واسطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم وكان الفتية أصحاب الكهف ظنوا أن تمليخا قد احتبس عنهم لانه لم يأتهم بطعامهم وشرابهم فى القدر الذى كان يأتى فيه فظنوا أنه قد أخذ وذهب به الى دقيانوس فبينماهم يظنون ذلك ويتخوفون اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة عندهم فظنوا أنهم رسل الجبار وأنه بعث اليهم ليؤتى بهم فقاموا حين سمعوا ذلك الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض ثم قالوا انطلقوا بنا نأتى أخانا تمليخا فانه الآن بين يدى دقيانوس ينتظر متى نأتيه فبينماهم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهرانى الكهف لم يشعروا الا وأرموس وأصحابه وقوف على باب الكهف وقد سبقهم تمليخا فدخل عليهم وهو يبكى فلما رأوه يبكى بكوا معه ثم انهم سألوه عن شأنه فأخبرهم بخبره وقص عليهم الحديث كله فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمان كله وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على اثر تمليخا أرموس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجالا من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت فوجد فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما ان مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونش وداسيوس وتكريوس ويطيونس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم فدخلوا هذا الكهف فلما علم مكانهم ملكهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلم من بعدهم ان عثر عليهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذى أراهم آية البعث فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر أرموس وأصحابه سجودا وحمدوا الله الذى أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأنبأهم الفتية عن الذى لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان أرموس وأصحابه بعثوا الى ملكهم الصالح تندوسيس أن عجل لعلك تنظر آية من آيات الله تعالى قد أظهرها الله فى ملكك فاعجل الى فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة فلما أتى الخبر قام من السدة التى كان عليها وقال أحمدك اللهم رب السموات والارض تطولت على ورحمتنى برحمتك فلم تطفئ النور الذى جعلته لآبائى وللعبد الصالح قسطيطوس الملك فلما نبأ به اهل المدينة ركبوا اليه وساروا معه حتى أتوا الكهف فلما رأى الفتية تندوسيس الملك ومن معه فرحوا به وخروا سجدا لله على وجوههم وقام تندوسيس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم ان الفتية قالت لتندوسيس نستودعك الله ونقرأ عليك السلام وحفظك الله وحفظ ملكك وأعاذك من شر الجن والانس فبينما الملك قائم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أرواحهم وقام الملك اليهم فجعل ثيابه عليهم وامر أن يجعل لكل رجل منهم تابوت من ذهب فلما أمسوا أتوه فى المنام فقالوا انا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا فى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر الملك حينئذ بتوابيت من ساج فجعلوا فيها وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد أن يدخل عليهم وامر الملك فجعل على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى

قوله مكسلمينا الخ قد ذكر القاموس أسماءهم ونقل الخلاف فيها فانظره

كل سنة * وقيل انهم لما أتوا باب الكهف قال تمليخا دعونى أدخل على أصحابى فأبشرهم فدخل وقبض الله روحه وأرواحهم وعمى عليهم مكانهم فلم يهتدوا اليه كما ذكر على بن أبى طالب كرم الله وجهه فهذا خبر أصحاب الكهف (وروى) أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يراهم فقال انك لن تراهم فى دار الدنيا ولكن ابعث اليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم الى الايمان بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل كيف أبعثهم قال ابسط كساءك وأجلس على طرف من أطرافه أبا بكر وعلى الثانى عمر وعلى الثالث على بن أبى طالب كرم الله وجهه وعلى الرابع أباذر ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان بن داود فان الله أمرها أن تطيعك ففعل النبى عليه السلام ما أمر به فحملتهم الريح حتى انطلقت بهم الى باب الكهف فلما دنوا من باب الكهف قلعوا منه حجرا فقام الكلب حين أبصر الضوء وهر وحمل عليهم فلما رآهم حرك رأسه وبصبص بذنبه وأومأ برأسه أن ادخلوا الكهف فدخلوا وقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد الله عليهم أرواحهم فقاموا بأجمعهم وقالوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالوا ان نبى الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليكم السلام فقالوا وعلى محمد رسول الله السلام ما دامت السموات والارض وعليكم بما بلغتم ثم انهم جلسوا بأجمعهم يتحدثون فآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقبلوا دين الاسلام وقالوا أقرئوا محمدا صلى الله عليه وسلم منا السلام ثم انهم أخذوا مضاجعهم وصاروا الى رقدتهم الى آخر الزمان عند خروج المهدى فيقال ان المهدى يسلم عليهم فيحييهم الله تعالى له ثم انهم يرجعون الى رقدتهم فلا يقومون الى يوم القيامة ثم جلس كل واحد منهم على مكانه وحملتهم الريح الرخاء فهبط جبريل عليه السلام فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما كان منهم فلما أتوا النبى صلى الله عليه وسلم قال كيف وجدتموهم وما الذى أجابوكم فقالوا يا رسول الله دخلنا عليهم وسلمنا عليهم فقاموا فردوا السلام بأجمعهم وبلغناهم رسالتك فأجابوا وأنابوا وشهدوا انك رسول الله حقا وحمدوا الله على ما أكرمهم بخروجك وتوجيه رسلك اليهم وهم يقرؤن عليك السلام فقال عليه الصلاة والسلام اللهم لا تفرق بينى وبين أصهارى وأحبائى واغفر لمن أحبنى وأحب أهل بيتى وأحب أمتى وأحب أصحابى

(مجلس فى ذكر جرجيس عليه السلام)

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبى باسناده عن وهب بن منبه اليمانى قال كان فى الموصل ملك يقال له زاذانه وكان قد ملك الشام كلها ودان له أهلها وكان جبارا عاتيا وكان يعبد صنما يقال له افلون وكان جرجيس عبدا صالحا من أهل فلسطين قد أدرك بقايا من حوارى عيسى بن مريم عليه السلام وكان تاجرا كثير المال عظيم الصدقة وكان لا يأمن ولاية المشركين عليه مخافة ان يفتنوه عن دينه فخرج يوما يريد ملك الموصل ومعه مال يريد ان يهديه اليه لئلا يجعل لاحد من تلك الملوك سلطانا عليه دونه فجاءه وقد برز فى مجلس له وأمر بصنمه افلون فنصب والناس يعرضون عليه وهو يعذب من خالفه بأنواع العذاب وقد أوقد نارا عظيمة فمن لم يسجد لافلون ألقى فى تلك النار فلما رأى جرجيس عليه السلام ما يصنع فظع منه وهاله وأعظمه وحدث نفسه بجهاده وألقى الله فى نفسه بغضه ومجاهدته له فعمد الى المال الذى أراد أن يهديه له فقسمه

في أهل ملته حتى لم يبق منه شئ وكره أن يجاهده بالمال وأحب أن يلي ذلك بنفسه فأقبل عليه وقال له اعلم أنك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيأ ولا لغيرك وان لك ربا هو الذي يملكك وغيرك وهو الذي خلقك ورزقك ويحييك ويميتك ويضرك وينفعك واذا قال لشئ كن فيكون وانك انما عمدت الى خلق من خلقه أصم لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يغني عنك شيأ من الله فزينته بالذهب والفضة وجعلته فتنة للناس ثم عبدته من دون الله فكان من جواب الملك له ان سأله عن حاله وأمره ومن هو ومن أين هو فقال جرجيس أنا عبد الله وابن عبده وابن أمته أذل عباده وأفقرهم اليه من التراب خلقت واليه أصير فقال له الملك لو كان ربك الذي تزعم كما تقول لرؤي أثره عليك كما رؤي أثري على من حولي ومن هو في طاعتي فاجابه جرجيس بتمجيد الله وتعظيم أمره ثم قال له أتعدل افلون الاصم الابكم الذي لا يغني عنك شيأ برب العالمين الذي قامت السموات والارض بامره أم تعدل طوقليا وما نال بولايتك فانه عظيم قومك بما نال الياس من ولاية الله تعالى فان الياس كان في بدو أمره آدميا يأكل الطعام ويمشي في الاسواق فاكرمه الله تعالى حتى أنبت له الريش وكساه النور فصار انسيا ملكيا سماويا أرضيا يطير مع الملائكة أم تعدل مخاليس وما نال بولايتك فانه عظيم قومك بالمسيح بن مريم وما نال بولاية الله تعالى فان الله تعالى فضله على رجال العالمين وجعله وأمه آية للمعتبرين أم تعدل هذه الروح الطيبة التي اختارها الله بكلمته وفضلها على امائه وما نالت بولاية الله بازبيل وما نالت بولايتك فانها كانت من شيعتك وعلى ملتك فاسلمها الله مع عظيم ما كانا حتى اقتحمت عليها الكلاب في بيتها فانتهشت لحمها وولغت في دمها وقطعت السباع أوصالها فقال له الملك انك لتحدثنا بشئ ليس لنا به علم فأتنا بالرجلين اللذين ذكرتهما حتى أنظر اليهما فاني أنكر ان يكون هذا من أمر البشر فقال له جرجيس انما جاءك الانكار من قبل الغرة بالله تعالى وأما الرجلان فلن تراهما ولن يرياك الا ان تعمل بعملهما فتنزل منازلهما فقال له الملك أما نحن فقد أعذرنا اليك وتبين لنا كذبك لانك فخرت بامور عجزت عنها ولم تأت بتصديقها ثم ان الملك خير جرجيس بين العذاب وبين السجود لافلون فقال له جرجيس ان كان افلون هو الذي رفع السماء ووضع الارض فقد أصبت ونصحت لي والا فاخسأ أيها النجس الملعون فلما سمعها الملك غضب وشتمه وسب الهه وأمر بخشبة فنصبت له وجعل عليها أمشاط الحديد فخدش بها جسده حتى تقطع لحمه وجلده وعروقه ونضح عليه في خلال ذلك بالخل والخردل فحفظه الله من ذلك الالم والهلاك فلما رأى الملك ان ذلك لم يقتله أمر بستة مسامير من حديد فاحميت حتى جعلت نارا فسمر بها رأسه حتى سال دماغه فحفظ من الالم والهلاك فلما رأى ذلك انه لم يقتله أمر بحوض من نحاس فاوقد عليه حتى اذا جعله نارا أمر به فادخل في جوفه وأطبق عليه فلم يزل فيه حتى برد حره فلما رأى ذلك لم يقتله دعا به فقال له يا جرجيس أما تجد ألم هذا العذاب الذي تعذب به فقال ان ربي الذي أخبرتك به حمل العذاب عني وصبرني لاحتج عليك فلما قال له ذلك أيقن بالشر وخافه على نفسه وملكه وأجمع رأيه على أن يخلده في السجن فقال له الملأ من قومه انك ان تركته طليقا في السجن يكلم الناس أوشك أن يميل بهم عليك ولكن مر له بعذاب في السجن فيشغله عن كلام الناس فامر به فبطح على وجهه ثم أوتد في يديه ورجليه أربعة أوتاد من حديد في كل ركن منها وتد وأمر باسطوانة من رخام فوضعت على ظهره ثم انه حمل

على تلك الاسطوانة ثمانية عشر رجلا فقال يومه ذلك موتدا تحت الحجر فلما أدركه الليل أرسل الله
تعالى اليه ملكا وذلك أول ما أيده الله تعالى بالملائكة وأول ما جاءه الوحى فقلع عنه الحجر ونزع
الاوتاد من يديه ورجليه وأطعمه وسقاه وبشره بالنصر فلما أصبح أخرجه من السجن ثم قال له
الحق بعدوك فجاهده فى الله حق جهاده فان الله يقول لك اصبر وابشر فانى قد ابتليتك بعدوى
هذا سبع سنين يعذبك ويقتلك فيهن أربع مرات وفى كل ذلك أرد اليك روحك فاذا كان فى
القتلة الرابعة تقبلت روحك وأوفيتك أجرك فلم يشعروا الا وقد وقف جرجيس على رؤسهم
يدعوهم الى الله تعالى فقال له الملك ياجرجيس من أخرجك من السجن فقال أخرجنى الذى
سلطانه فوق سلطانك فلما قال له ذلك ملئ غيظا ودعا باصناف العذاب حتى لم يخل منها شيأ فلما رآها
جرجيس أوجس فى نفسه خيفة وجزعا ثم أقبل على نفسه يعاتبها بأعلى صوته وهم يسمعون فلما
فرغ من عتابه قال لهم الملك مدوه بين خشبتين فمدوه ثم انهم وضعوا سيفا على مفرق رأسه فنشروه
حتى سقط من بين رجليه وصار جزأين ثم عمدوا الى اجزائه فقطعوها قطعا ودعوا له سبعة أسود
ضارية كانت له فى جب وكانت صنفا من أصناف عذابه فرموا بجسده اليها فلما هوى نحوها
أمرها الله عز وجل فخضعت برؤسها وأعناقها وقامت على براثنها تقيه الالم فظل يومه ذلك ميتا
وكانت أول موتة ماتها فلما أدركه الليل جمع الله له جسده الذى قطعوه وضم بعضه الى بعض حتى
سواه ثم رد الله اليه روحه وأرسل الله له ملكا فأخرجه من قعر الجب فأطعمه وسقاه وبشره
بالنصر فلما أصبحوا قال له الملك ياجرجيس قال لبيك قال له اعلم ان القدرة التى خلق الله بها آدم
هى التى أخرجتك من قعر الجب اخرج فالحق بعدوك وجاهده فى الله حق جهاده ومت موت
الصابرين فلم يشعر الملك وأصحابه الآخرون الا وقد أقبل جرجيس وهم عكوف على عيد لهم
قد صنعوه فرحا بموت جرجيس فلما نظروا الى جرجيس مقبلا قال الملك ما أشبه هذا الرجل
بجرجيس فقالوا كأنه هو فقال الملك ليس هو حقا ألا ترون الى سكون ريحه وقلة هيبته فقال
جرجيس بل هو أنا فلبئس القوم أنتم قتلتم ومثلتم فأحيانى الله تعالى بقدرته فهلموا الى الرب
العظيم الذى أراكم ما أراكم فلما قال لهم ذلك أقبل بعضهم الى بعض وقالوا ساحر سحر أعينكم
فجمعوا له من كان ببلاد الملك من السحرة فلما جاء السحرة قال الملك لكبيرهم أعرض على من كبير
سحرك ما يسر عينى فقال ادع لى بثور من البقر فلما أتى به نفث فى احد أذنيه فانشقت باثنين ثم
نفث فى الاذن الاخرى فاذا هو ثوران ثم دعا ببذر فحرث وبذر ونبت الزرع وحصد ثم داس وذرى
وطحن وعجن وخبز كل ذلك فى ساعة واحدة وهم يرون فقال له الملك هل تقدر أن تمسخ لى
جرجيس دابة فقال الساحر أى دابة تطلب أمسخه لك قال كلبا فقال الساحر ادع لى بقدح من
ماء فلما أتى بالقدح نفث فيه الساحر ثم قال للملك اعزم عليه أن يشربه فشربه جرجيس حتى أتى
على آخره فلما فرغ منه قال له الساحر ماذا تجد قال ما أجد الا خيرا كنت قد عطشت
فلطف الله لى بهذا الشراب وقوانى به عليكم فلما قال ذلك أقبل الساحر على الملك وقال له اعلم
أيها الملك انك لو كنت تقايس رجلا مثلك اذا لكنت غلبته ولكنك تقايس جبار السموات
والارض وهو الملك الذى لا يرام وقد كانت امرأة مسكينة من أهل الشام قد سمعت بجرجيس
وما يصنع من الاعاجيب فأتته وهو فى أشد ما فيه من البلاء فقالت له ياجرجيس أنا امرأة

مسكينة

مسكينة ولم يكن لي مال الا ثوران كنت أحرث عليهما فماتا فجئتك لترحمني وتدعو الله أن يحيي لي
ثوري فلما سمع كلامها ذرفت عيناه ثم دعا الله أن يحيي لها ثوريها ثم انه أعطاها عصا وقال لها
اذهبي الى ثوريك فاقرعيهما بهذه العصا وقولي لهما احييا باذن الله تعالى فقالت له يا جرجيس
ان ثوري قد ماتا منذ سبعة أيام ومزقتهما السباع وبيني وبينهما أيام فقال لها لو لم تجدي منهما
الا شعرا يسيرا وقرعتيه بالعصا قاما يقومان باذن الله تعالى فانطلقت المرأة حتى أتت مصرعهما
وكان أول شئ بدا لها من ثوريها قرن أحدهما وشعر أذني الآخر فجمعت أحدهما الى الآخر
وقرعتهما بالعصا وقالت كما أمرها فقام الثوران باذن الله تعالى وعملت عليهما
حتى جاءهم الخبر بذلك فلما قال الساحر للملك ما قال قال رجل من أصحاب الملك وكان
أعظمهم عند الملك انكم قد وضعتم أمر هذا الرجل على السحر وانكم قد عذبتموه فلم
يصل اليه عذابكم وقتلتموه فلم يمت فهل رأيتم ساحرا يدرأ عن نفسه الموت أو أحيا ميتا قط
فقالوا له ان كلامك لكلام رجل قد صغا اليه فلعله استهواك اليه فقال آمنت بالله وأشهد اني
بريء مما تعبدون فقام اليه الملك وأصحابه بالخناجر فقتلوه فلما رأى القوم ذلك اتبع جرجيس
أربعة آلاف آمنوا فعمد اليهم الملك فلم يزل يعذبهم بألوان العذاب حتى أفناهم فلما
فرغ منهم قال لجرجيس هلا دعوت ربك فأحيا لك أصحابك هؤلاء الذين قتلوا بجريرتك فقال له
جرجيس ما خلي بيني وبينهم حتى حانت آجالهم فقال له رجل من عظمائهم يقال له مخلطاس انك
زعمت يا جرجيس ان الهك هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده واني سائلك أمرا ان فعله آمنت بك
وصدقتك وكفيتك نحن قوم حولنا أربعة عشر كرسيا ومائدة بيننا عليها أقداح وصحاف من
أشجار شتى فادع ربك ينشئ هذه الكراسي والاواني كما بدأها أول مرة تعود خضراء فيعرف كل
عود منها بلونه وورقه وزهره فقال له جرجيس لقد سألت أمرا عزيزا علي وعليك وانه على الله
لهين فدعا الله عز وجل فما برحوا من مكانهم حتى اخضرت تلك الكراسي والاواني كلها وساخت
عروقها وتلبست اللحم وتشعبت وأورقت وأزهرت وأثمرت فلما نظروا الى ذلك انتدب لهم
مخلطاس الذي تمنى عليه ما تمنى فقال أنا أعذب لكم هذا الساحر عذابا يبطل به كيده ثم انه عمد
الى نحاس فصنع منه صورة ثور له جوف واسع ثم حشاها نفطا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا ثم
أدخل جرجيس مع الحشو في جوفها ثم أوقد على الصورة حتى التهب وذاب كل شئ فيها واختلط
جرجيس في جوفها فلما مات جرجيس أرسل الله ريحا عاصفا فملأت السماء سحابا أسود فيه رعد
وبرق وصواعق وأرسل الله اعصارا ملأت بلادهم عجاجا وقتاما حتى اسود ما بين السماء
والارض فمكثوا أياما متحيرين في تلك الظلمة لا يفصلون بين الليل والنهار وأرسل الله ميكائيل
فاحتمل الصورة التي فيها جرجيس حتى اذا أقلها ضرب بها الارض ففزع من روعها أهل الشام
فخروا لوجوههم صاعقين وانكسرت الصورة فخرج منها جرجيس حيا فلما وقف يكلمهم
انكشفت الظلمة واسفر ما بين السماء والارض ورجعت اليهم أنفسهم فقال له رجل يقال له
طرقليا لا ندري يا جرجيس ان كنت أنت تصنع هذه الاعاجيب أم ربك فان كان ربك هو الذي
يصنع فادعه يحيي لنا موتانا التي في هذه القبور فان فيها أمواتا منهم من نعرفه ومنهم من لا نعرفه
فقال له جرجيس لقد علمت ان ما يصفح الله عنكم هذا الصفح ويريكم هذه الاعاجيب الا لتكون

عليكم حجة فتستوجبوا بها غضبه ثم انه أمر بالقبور فنبشت وهى عظام رفات وأقبل جرجيس
على الدعاء فما برحوا من مكانهم حتى نظروا الى سبعة عشر انسانا تسعة رجال وخمس نسوة وثلاث
صبية واذا فيهم شيخ كبير فقال له جرجيس يا شيخ ما اسمك فقال يا جرجيس اسمى توبيل قال متى
مت قال فى زمان كذا وكذا فحسبوا فاذا هو قد مات منذ أربعمائة عام فلما نظر الملك وأصحابه الى
ما فعل قالوا ما بقى من أصناف العذاب شئ الا وقد عذبتموه به الا الجوع والعطش فعذبوه بهما
فعمدوا الى بيت عجوز كبيرة فقيرة كان لها ابن أعمى أصم أبكم مقعد فحصروه فى بيتها وكانوا
لا يوصلون له من عند أحد طعاما ولا شرابا فلما بلغ به الجوع قال للعجوز هل عندك من طعام
أو شراب فقالت لا والذى يحلف به ما عهدنا الطعام منذ كذا وكذا وسأخرج التمس لك شيأ
فقال لها جرجيس هل تعرفين الله تعالى قالت نعم قال اياه تعبدين قالت لا فدعاها الى الله
فصدقته ثم انها انطلقت تطلب له شيأ وكان فى بيتها دعامة من خشب يابسة تحمل خشب البيت
فأقبل على الدعاء فاخضرت تلك الدعامة وأنبتت له كل فاكهة تؤكل أو تعرف حتى كان مما
أنبتت اللوبيا والباذهو مثل البردى يكون بالشام وظهر للدعامة فرع من فوق البيت أظله من
فوقه فأقبلت العجوز وهو فيما شاء يأكل رغدا فلما رأت الذى حدث فى بيتها من بعدها قالت آمنت
بالذى أطعمك فى بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم أن يشفى ابنى قال لها ادنيه منى فأدنته فبصق
فى عينيه فأبصر ونفث فى أذنيه فسمع فقالت له اطلق لسانه ورجليه رحمك الله فقال لها أخريه فان
له يوما عظيما وكان الملك قد خرج يوما يسير فى مدينته اذ وقع بصره على الشجرة فقال انى أرى
شجرة بمكان ما كنت أعرفها به فقالوا له ان تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذى أردت أن تعذبه
بالجوع فهو فيما يشاء يأكل وقد شبع منها وأشبع العجوز الكبيرة الفقيرة وشفى لها ابنها فأمر
الملك بالبيت فهدم وبالشجرة أن تقطع فلما هموا بقطعها ايبس الله الشجرة وردها كما كانت أول
مرة فتركوها وأمر بجرجيس فبطح على وجهه وأوتد له أربعة أوتاد وأمر بعجل فأوقر اسطوانا
وجعل فى أسفل العجل خناجر وشفارا ثم أمر بأربعين ثورا فنهضت بالعجل نهضة واحدة وجرجيس
تحتها فانقطع ثلاث قطع فأمر بقطعه أن تحرق فالقيت فى النار حتى عادت رمادا فبعث بذلك
الرماد وبعث معه رجالا فذروه فى البحر فما برحوا عن مكانهم حتى سمعوا صوتا من السماء يا بحر
ان الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب فانى أريد أن أعيده كما كان ثم أرسل الله
الرياح فأخرجته من البحر ثم جمعته حتى صار الرماد صبرة واحدة كهيئته قبل أن يذرى فخرج منه
جرجيس مغبرا ينفض رأسه فرجعوا ورجع جرجيس وأخبروا الملك خبر الصوت الذى سمعوه
والريح الذى جمعته فقال له الملك يا جرجيس هل لك فيما هو خير لى ولك مما نحن فيه ولولا أن يقول
الناس انك غلبتنى وقهرتنى لاتبعتك وآمنت بك ولكن اسجد لافلون سجدة واحدة واذبح له شاة
واحدة ثم انى أفعل ما يسرك فقال له نعم مهما شئت فعلت فادخلنى على صنمك ففرح الملك بقوله
وقام اليه وقبل يديه ورجليه ورأسه وقال له اعزم عليك أن لا تظل هذا اليوم ولا تبيت هذه
الليلة الا فى بيتى وعلى فراشى وفى كرامتى حتى تستريح ويذهب عنك وصب العذاب ويرى الناس
كرامتك على فأخلى له بيته فظل فيه جرجيس حتى اذا أدركه الليل قام يصلى ويقرأ الزبور وكان
أحسن الناس صوتا فلما سمعته امرأة الملك استجابت له فلم يشعر الا وهى خلفه تبكى فدعاها

جرجيس

جرجيس الى الايمان فآمنت به وأمرها فكتمت ايمانها فلما ان اصبح الصبح غدا به الى بيت الاصنام ليسجد لها فلما سمعت العجوز بذلك خرجت تحمل ابنها على عاتقها تتبع جرجيس والناس مشتغلون عنها فلما دخل جرجيس بيت الاصنام ودخل الناس معه نظروا واذا بالعجوز وابنها على عاتقها أقرب الناس اليه مقاما فلما رآها جرجيس دعا ابن العجوز باسمه فنطق وأجابه ولم يكن يتكلم قبل ذلك قط ثم اقتحم عن عاتق أمه يمشي على رجليه ولم يكن يطأ الارض قبل ذلك بقدميه قط فلما وقف بين يدي جرجيس قال له اذهب فادع لي هذه الاصنام وهي يومئذ سبعون صنما على منابر من ذهب وهم يعبدونها ويعبدون معها الشمس والقمر فقال له الغلام كيف أدعو الاصنام فقال له قل لها ان جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذي خلقك الا ما أجبتيه فلما قال لها الغلام ذلك أقبلت تتدحرج الى جرجيس فلما انتهت اليه ركض الارض برجله فخسف بها وبمنابرها وخرج ابليس لعنه الله من جوف صنم منها هاربا فرقا من الخسف فلما مر بجرجيس أخذ بناصيته فخضع له وكلمه جرجيس فقال له جرجيس أخبرني أيها الروح النجسة والخلق الملعون ما الذي يحملك على أن تهلك نفسك وتهلك الناس معك وأنت تعلم انك وجندك تصيرون الى جهنم فقال له ابليس لعنه الله لو خيرت بين ما أشرقت عليه الشمس وبين ما أظلم عليه الليل وبين هلكة واحدة من بني آدم وضلالته لاخترت هلكته على ذلك كله وانه ليقع لي من الشهوة واللذة في ذلك مثل جميع ما يتلذذ به جميع الخلق ألم تعلم يا جرجيس ان الله تعالى اسجد لابيك آدم جميع الملائكة فسجدوا له كلهم وامتنعت من السجود وقلت أنا خير منه قال فلما قال هذا خلى سبيله جرجيس فما دخل ابليس من يومئذ جوف صنم ولا يدخله بعدها فيما يذكرون أبدا فقال الملك يا جرجيس غررتني وخدعتني وأهلكت آلهتي فقال جرجيس انما فعلت ذلك لتعتبر ولتعلم انها لو كانت آلهة لامتنعت مني فكيف ثقتك ويلك بآلهة لم تمنع نفسها مني وانما أنا مخلوق ضعيف لا أملك الا ما ملكني ربي فلما قال هذا جرجيس أقبلت امرأة الملك وكلمتهم وكشفت لهم عن ايمانها وعددت لهم أفعال جرجيس والعبر التي أراهم الله تعالى اياها وقالت لهم ما تنتظرون من هذا الرجل الا دعوة فيخسف بكم الارض كما خسف باصنامكم الله الله أيها القوم في أنفسكم فقال لها الملك ويحك يا اسكندرة ما أسرع ما اضلك هذا الساحر في ليلة واحدة وأنا أقاسيه منذ سبع سنين فلم يظفر مني بشيء فقالت له أما رأيت الله كيف يظفره بك ويسلطه عليك فيكون له الفلاح والحجة عليك في كل موطن فلما سمع كلامها أمر بها الملك عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس التي كان علق عليها وجعلت عليها الامشاط التي جعلت على جرجيس فلما آلمها قالت ادع ربك يا جرجيس فيخفف عني فاني قد آلمني العذاب فقال لها انظري فوقك فلما نظرت ضحكت فقال لها الملك ما الذي يضحكك قالت أرى ملكين فوقي معهما تاج من حلي الجنة ينتظرون به خروج روحي فلما خرجت روحها زيناها بذلك التاج ثم صعدا بها الى الجنة فلما قبض الله روحها أقبل جرجيس على الدعاء وقال اللهم أنت أكرمتني بهذا البلاء لتعطيني منازل الشهداء فهذا آخر أيامي الذي كنت وعدتني فيه الراحة من بلاء الدنيا اللهم اني أسألك أن لا تقبض روحي ولا أزول من مكاني هذا حتى تنزل بهؤلاء المتكبرين من سطواتك ونقمتك ما لا قبل لهم به حتى تشفي به صدري وتقر به عيني فانهم ظلموني وعذبوني فيك اللهم وأسألك أن لا يدعو بعدي داع في بلاء

وكرب فيذكرني ويشدك بأسي الا فرجت عنه ورحمته وأجبته وشفعتني فيه فلما فرغ من هذا الدعاء أمطر الله عليهم نارا فلما رأوا ذلك عمدوا اليه فضربوه بالسيوف غيظا من شدة الحريق ليعطيه الله بالقتلة الرابعة ما وعده ثم احترقت المدينة بجميع ما فيها وصارت رمادا فحملها الله من وجه الارض وجعل عاليها سافلها فمكثت زمانا من الدهر يخرج من تحتها نار ودخان منتن لا يشمه أحد الا سقم سقما شديدا وكان جميع من آمن بجرجيس وقتل معه أربعة وثلاثين ألفا وامرأة الملك قال الاستاذ وكانت قصة جرجيس في أيام ملوك الطوائف والله أعلم

(باب في قصة شمسون النبي عليه السلام)

قال الله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر الى قوله تعالى خير من ألف شهر (أخبرنا) أبو عمرو العراقي باسناده عن ابن أبي نجيح أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فتعجب المسلمون من ذلك فانزل الله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر التي لبس الرجل فيها السلاح في سبيل الله تعالى (أخبرنا) عبد الله الضبي باسناده عن وهب بن منبه أن رجلا من أهل قرية من قرى الروم يقال له شمسون بن مصوح كان فيهم مسلما من أهل الانجيل وكانت أمه قد جعلته نذرا وكان قومه أهل أوثان يعبدونها من دون الله وكان منزله منها على خمسة أميال وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم في الله فيقتل منهم ويسبي ويصيب الاموال وكان اذا أتاهم لقيهم بالجفة لا يلقاهم بغيرها وكان اذا قاتلهم وقاتلوه فتعب وعطش انفجر له من الحجر ماء عذب فيشرب منه حتى يروى وكان قد أعطي قوة في البطش وكان لا يوثقه حديد ولا غيره فجاهدهم في الله ألف شهر يصيب منهم حاجته ولا يقدرون منه على شيء فاحتالوا عليه وقالوا لا نأتيه الا من قبل امرأته فجعلوا لها جعلا على ذلك فاجابتهم وقالت أنا أوثقه لكم فاعطوها حبلا وثيقا وقالوا لها اذا نام فاوثقي يديه الى عنقه حتى نأتيه فنأخذه فلما نام أوثقت يديه الى عنقه بذلك الحبل فلما انتبه من نومه جذبه بيده فوقع من عنقه فقال لها لم فعلت ذلك فقالت له أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فارسلت اليهم وقالت لهم اني قد ربطته بالحبل فلم يغن عنه شيئا فارسلوا اليها بجامعة من حديد وقالوا لها اذا نام فاجعليها في عنقه فلما نام جعلتها في عنقه ثم أحكمتها فلما هب جذبها فوقعت من عنقه ويده فقال لها لم فعلت هذا قالت أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فهل في الارض شيء يغلبك قال لا الا شيء واحد قالت وما هو قال ما أنا بمخبرك به فلم تزل تسأله عن ذلك وكان ذا شعر طويل كثير فقال لها ويحك ان أمي كانت أخبرتني أن لا يغلبني شيء أبدا ولا يغيظني الا شعري فلما نام أوثقت يده الى عنقه بشعر رأسه فاوثقه ذلك فبعثت الى القوم فجاؤا واخذوه فجدعوا أنفه وأذنيه وفقؤا عينيه وأوقفوه للناس بين ظهراني المدينة وكانت مدينة ذات أساطين وكان ملكهم قد اشرف عليها هو والناس لينظروا الى شمسون وما يصنع به فدعا الله شمسون حين مثلوا به وأوقفوه على الناس ان يسلطه عليهم فامر ان يأخذ بعمودين من عمد المدينة التي عليها الملك والناس معه فيجذبهما جميعا فجذبهما فانهارت المدينة بمن فيها فهلكوا فيها هدما وهلكت ايضا امرأته معهم ورد الله تعالى عليه بصره وما أصابوا من جسده تاما وعاد كما كان وكانت قصة شمسون في ايام ملوك الطوائف والله اعلم

*(باب

(باب فى قصة اصحاب الاخدود)

قال الله تعالى قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود الآيات (روى) عطاء عن ابن عباس انه كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل فى الفترة قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما كبر قال للملك انى قد كبرت فابعث لى غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يقال له عبد الله بن الساحر يعلمه السحر فكره الغلام ذلك ولم يجد بدا من طاعة الملك وطاعة ابيه فجعل يختلف الى الساحر وكان فى طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فقعد الغلام عنده وسمع كلامه فاعجبه وكان يبطئ عند الراهب ويأتى المعلم فيضربه ويقول له ما الذى حبسك واذا انقلب الى ابيه يجلس عند الراهب فيضربه ابوه ويقول له ما ابطأك فشكا الغلام ذلك الى الراهب فقال له الراهب اذا اتيت الى المعلم فقل له حبسنى ابى واذا اتيت اباك فقل حبسنى المعلم وكان فى تلك البلاد حية عظيمة قد قطعت الطريق على الناس فرّ بها الغلام ورماها بحجر وقال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك من امر الساحر فاقتلها فلما رماها قتلها فاتى الراهب وأخبره فقال له الراهب انت قتلتها قال نعم قال ان لك لشأنا وقد بلغ من امرك ما ارى وانك ستبتلى فاذا ابتليت فلا تدل على فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويشفى المرضى وكان للملك ابن عم مكفوف البصر فسمع بالغلام وقتله الحية فجاءه مع قائد وقال له أنت قتلت الحية قال لا قال فمن قتلها قال الله تعالى قال فمن الله قال رب السموات والارض وما بينهما ورب الشمس والقمر والليل والنهار والدنيا والآخرة قال ان كنت صادقا فادع الله أن يرد على بصرى فقال له الغلام أرأيت ان رد الله عليك بصرك تؤمن بالله قال نعم قال اللهم ان كان صادقا فاردد عليه بصره فرجع الى منزله بلا قائد ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه وقال له من فعل هذا بك فقال الله قال ومن الله قال رب السموات والارض فقال له الملك أخبرنى من علمك هذا فابى فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجئ بالغلام فقال له الملك يا بنى قد بلغ من سحرك هذا فقال له الغلام انى لا أشفى أحدا وانما يشفى الله فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجئ بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار ووضعه فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقتين ثم جئ بابن عم الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فوضع المنشار فشقه مثل ذلك ثم التفت الى الغلام وقال له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من أصحابه وقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا واصعدوا به الى ذروة الجبل فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به الى الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وهلكوا ثم جاء الغلام يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله فغاظ الملك ذلك فدفعه الى نفر من أصحابه وقال لهم اذهبوا به فى قرقور وهى السفينة واطرحوه فى البحر ولجوا به فيه فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فى البحر وغرقوه فذهبوا به الى البحر فقال الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فقال الملك اقتلوه بالسيف فنبا السيف عنه وفشا خبره فى الارض وعرفه الناس وعظموه وعلموا أنه هو وأصحابه على الحق ثم ان الغلام

قال للملك انك لاتقدر على قتلى الا ان تفعل ما آمرك به فقال وما هو قال تجمع أهل مملكتك
وأنت على سريرك فتصلبنى على جذع وترمينى بسهم وتقول بسم الله رب الغلام ففعل الملك ذلك
ثم رماه وقال بسم الله فاصابه فى صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس لا اله الا الله آمنا بدين
عبد الله بن الثامر ولا دين الا دينه فلما آمن الناس برب العالمين رب الغلام قيل للملك قد والله
نزل بك ما كنت تحذر فغضب الملك وأغلق أبواب المدينة وأخذ أفواه السكك وخد أخدودا
وملأه نارا ثم عرض الناس عليه رجلا رجلا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن لم يرجع ألقاه فى
الاخدود فاحترق وكانت امرأة قد أسلمت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاثة أحدهم رضيع فقال
لها الملك أترجعين عن دينك والا ألقيتك أنت وأولادك فى النار فابت فأخذ ابنها الاكبر فألقى فى
النار ثم أخذ الاوسط وقال لها ارجعى عن دينك فأبت فألقى أيضا فى النار ثم أخذ الرضيع
وقال لها ارجعى فأبت فامر بالقائه فى النار فهمت المرأة بالرجوع فقال لها الصبى الصغير يا أماه
لا ترجعى عن الاسلام فانك على الحق ولا بأس عليك فالقى الصبى فى النار وأمه على اثره وقد روى
هذا بنحو ما ذكرنا مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخبرنا) أبو القاسم الحسن بن
محمد بن الحسين بن جعفر المذكور باسناده عن صهيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل معناه
وقد تكلم ستة فى المهد شاهد يوسف الصديق عليه السلام وابن ماشطة بنت فرعون ويحيى بن زكريا
وعيسى ابن مريم وصاحب جريج الراهب وصاحب الاخدود وقال سعيد بن المسيب كنا عند عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه اذ ورد عليه كتاب أنهم وجدوا ذلك الغلام بنجران وهو واضع يده على
صدغه فكلما مدت يده عادت الى الصدغ فكتب اليهم عمر واروه حيث وجدتموه وقال مقاتل
كان الاخاديد ثلاثة واحد بنجران اليمن وآخر بالشام وآخر بفارس حرقوا بالنار أما الذى بالشام
فانطياخوس الرومى أحرق قوما من المؤمنين وأما الذى بفارس فهو بختنصر وكانت قصته ما
أخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن ابن أبزى قال لما هزم المسلمون أهل الاسفندهار وانصرفوا
جاءهم نعى عمر فاجتمعوا وقالوا أى شئ نجرى على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا بأهل كتاب
وليسوا من مشركى العرب فقال على كرم الله وجهه بل هم أهل كتاب وكانوا متمسكين
بكتابهم وكانت الخمرة قد أحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فتناول أخته
فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذى أتيت وما المخرج منه فقالت
المخرج منه أن تخطب الناس فتقول أيها الناس ان الله قد أحل لكم نكاح الاخوات اذا
ذهب هذا فى الناس تناسوا حرمته عليهم فقام فيهم خطيبا فقال أيها الناس ان الله أحل
لكم نكاح الاخوات فقال الناس باجمعهم معاذ الله أن نؤمن بهذا أو ما جاءنا به نبى ولا أنزل
علينا فى كتاب فرجع الى أخته وقال ويحك ان الناس قد أبوا على فقالت ابسط فيهم السوط فأبوا
أن يقروا فقال لها ان الناس قد أبوا قالت جرد فيهم السيف فأبوا أن يقروا قالت خد لهم
الاخدود ثم أعرضهم عليه فمن تابعك خل عنه ومن أبى فاقذفه فى النار فخد الاخدود وأوقد
فيه النيران وعرض أهل مملكته على ذلك فمن أبى قذفه فى النار ومن أجاب خلى سبيله فأنزل الله
تعالى فيهم قتل أصحاب الاخدود الى قوله تعالى عذاب الحريق وأما الذى فى اليمن فهو يوسف
ذو نواس بن شرحبيل بن تبع بن يشرخ الحميرى وقد ذكرنا قصته وذكر محمد بن اسحق بن يسار

عن

عن وهب بن منبه أن رجلا كان بقي على دين عيسى فوقع الى نجران فدعاهم فأجابوه فخيرهم ذونواس بين النار أو اليهودية فأبوا عليه فأحرق منهم اثنى عشر ألفا وقال مقاتل انما قذف في النار بوتذ تسعة وسبعين انسانا وقال الكلبي كان أصحاب الاخدود سبعين ألفا فلما قذفوا المؤمنين في النار خرجت النار الى أعلى شفير الاخدود فأحرقتهم وارتفعت النار فوقهم اثنى عشر ذراعا ونجي ذونواس فسلط الله عليهم أرياط الحبشي حتى غلب على اليمن فخرج هاربا فاقتحم البحر فأغرقه الله فيه وفيه يقول عمرو بن معديكرب

أتوعدني كأنك ذو رعين * بأنعم عيشه أو ذو نواس
وقدما كان قبلك في نعيم * وملك ثابت في الناس راسي
فقدتم عهده من عهد عاد * عظيم قاهر الجبروت قاس
فأمسى أهله بادوا وأمسى * ينقل في أناس من أناس

باب قصة أصحاب الفيل وبيان ما فيها من الفضل والشرف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر السورة قال محمد بن اسحق بن بشار كان من حديث أصحاب الفيل ما ذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وعمن بقي من علماء اليمن وغيرهم أن ملكا من ملوك حمير يقال له زرعة ذونواس كان قد تهود واجتمعت معه حمير على ذلك الا ما كان من أهل نجران فانهم كانوا على دين النصرانية على حكم الانجيل ولهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر فدعاهم الى اليهودية فأبوا فخيرهم فاختاروا القتل فخدلهم الاخدود وصنف لهم أصناف القتل فمنهم من قتل صبرا ومنهم من ألقى في النار الا رجلا من أهل سبا يقال له دوس بن ثعلبان فذهب على فرس له يركض حتى أعجزهم في الرمل فأتى قيصر فذكر له ما بلغ منهم واستنصره فقال له بعدت بلادك عنا ولكني اكتب لك الى ملك الحبشة فانه على ديننا فينصرك فكتب له الى النجاشي يأمره بنصره فلما قدم على النجاشي بعث معه رجلا من الحبشة يقال له ارياط فلما بعثه قال له ان دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها وأخرب ثلث بلادها وابعث الى بثلث سباياها فلما دخلها ناوشهم القتال فتفرقوا عن ذي نواس واقتحم به فرسه فاستعرض به البحر فهلكا جميعا فكان آخر العهد به ودخلها ارياط فعمل بما أمره النجاشي فقال ذو جدن الحميري فيما أصاب أهل اليمن

دعيني لا أبالك لم تطيقي * لحاك الله قد انزفت ريقي
بذا عزف القيان اذا انتشينا * واذ نسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس على عارا * اذا لم يشكني فيها رفيقي
وان الموت لا ينهاه ناه * ولو شرب الشفا مع النشوق
ولا مترهب في اسطوان * يناطح جدره بيض الانوق
وغمدان الذي نبئت عنه * بنوه ممسكا في رأس نيق
لتهمه وأسفله جروب * وحر الموحل اللثق الزليق
مصابيح السليط يلحن فيه * اذا يمسي كومضان البروق

فأصبح بعد جدته رمادا * وغير حسنه لهب الحريق
ونخلته التي غرست اليه * يكاد البسر يهصر بالعذوق
وأسلم ذو نواس مستبينا * وحذر قومه ضنك المضيق

قال فأقام ارياط باليمن وكتب اليه النجاشي أن اثبت بجندك ومن معك فأقام حينا ثم ان أبرهة
ابن الصباح ساخطه في أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت معه طائفة ومع أبرهة
طائفة ثم تزاحفا فلما دنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة الى ارياط انك لا تصنع شيأ فلا تلق الحبشة
بعضها على بعض ولكن اخرج الى فأينا قتل صاحبه انضم اليه الجند فأرسل اليه انك قد
أنصفت ثم انهما خرجا وكان ارياط جسيما عظيما وسيما في يده حربة وكان أبرهة رجلا قصيرا حادرا
لحيما وكان ذا دين في النصرانية وكان خلف أبرهة وزير له يقال له عتودة فلما دنوا رفع ارياط الحربة
فضرب بها رأس أبرهة فوقعت على جبينه فشرمت عينه وجبينه وأنفه وشفته فلذلك سمي أبرهة
الاشرم فلما رأى عتودة ذلك حمل على ارياط فقتله فاجتمع الجيش على ابرهة فبلغ النجاشي ماصنع
أبرهة فغضب عليه وحلف لايدع أبرهة حتى يجز ناصيته ويطأ بلاده ثم انه كتب الى أبرهة انك
عدوت على أميري فقتلته بغير أمري وكان أبرهة رجلا ماردا فلما بلغه قول النجاشي حلق رأسه
وملأ جرابا من تراب أرضه وكتب الى النجاشي أيها الملك انما كان ارياط عبدك وأنا عبدك
اختلفنا في أمرك وكنت أعلم بأمر الحبشة وأسوس لها وكنت أردته أن يعتزل فأبى فقتلته وقد
بلغني الذي حلف عليه الملك وقد حلقت رأسي وبعثت به اليك وملأت جرابا من تراب أرضي
وبعثته اليك ليطأه الملك فيبر قسمه فلما انتهى اليه ذلك رضي عنه وأقره على عمله وكتب اليه أن
اثبت بمن معك من الجند ثم ان أبرهة بنى كنيسة بصنعاء يقال لها القليس ثم انه كتب الى
النجاشي اني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن الملك مثلها قط ولست منتهيا حتى أصرف اليها
حج العرب فسمع بذلك رجل من بني ملك بن كنانة فخرج الى القليس فدخلها ليلا فقذر فيها تهاونا
بها وتغضبا للكعبة فبلغ ذلك أبرهة ويقال انه أتاها ناظرا اليها فدخلها فوجد العذرة فيها فقال
من اجترأ على هذا فقيل فعل هذا رجل من العرب من أهل ذلك البيت الذي يحجونه سمع بالذي
قلت فصنع هذا فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فخرج سائرا من الحبشة
الى مكة وأخرج معه الفيل فبلغ ذلك العرب فأعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج
ملك من ملوك حمير يقال له ذو نفر بمن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه وأخذ ذو نفر فأتي به أبرهة
فقال له أيها الملك لا تقتلني فان استبقاءك لي خير لك من قتلي فاستحياه وأوثقه وكان أبرهة رجلا
حليما ثم خرج سائرا حتى اذا دنا من ديار خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي
خثعم وهما شهران وناهس ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيلا أسيرا
فقال له أيها الملك اني دليلك بأرض العرب فلا تقتلني وها أنا ذا على قومي بالسمع والطاعة
لك فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب الثقفي في رجال
من ثقيف وقال له أيها الملك انما نحن عبيدك فليس لك عندنا خلاف وليس بيتنا هذا الذي تريد
يعني به اللات انما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا أبا رغال
مولاهم فخرجوا حتى اذا كانوا بالمغمس مات أبو رغال فهو الذي ترجم قبره العرب وبعث أبرهة

من

من المغمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على مقدمة خيله فجمع اليه أموالا وأصاب لعبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتى بعير ثم ان أبرهة بعث حناطة الحميرى الى أهل مكة سفيرا فقال له سل عن شريفها ثم أبلغه انى لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حناطة حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب بن هاشم فقال له ان الملك أرسلنى اليك لاخبرك انه لم يأت لقتال الا أن تقاتلوه انما أتى لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب سنخلى بينه و بين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام و بيت خليله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه و بين ذلك فهو كذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق معى الى الملك فزعم بعض العلماء انه أردفه على بغلة له كان راكبا عليها و ركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فأتاه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال ما غناء رجل أسير لا يأمن من ان يقتل بكرة أو عشيا ولكنى سأبعث لك الى أنيس سائس الفيل فانه صديق لى فاسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع اليه من الخير و يعظم منزلتك وحظك عنده قال فارسل الى انيس فأتاه فقال له ان هذا سيد قريش صاحب عير مكة يعطى و يطعم الناس من السهل والجبل والوحوش والطير فى رؤس الجبال وقد أصاب له الملك مائتى بعير فان استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لى وانى أحب ما يصل اليه من الخير ثم ان انيسا دخل على أبرهة هو وعبد المطلب فقال له أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والجبل والطير والوحش فى رؤس الجبال وقد جاء نا غير ناصب لك حربا ولا مخالف عليك يستاذن عليك وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما دخل عليه جلس بين يديه فاقامه واجلسه معه على السرير ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب حاجتى أن يرد على مائتى بعير أصابها الى فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ولقد زهدت فيك الآن فقال له ولم قال حيث جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك لاهدمه لم تكلمنى فيه وتكلمنى فى مائتى بعير اصبتها فقال له عبد المطلب قل له أنا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه منى فقال له أنت وذاك ثم أمر له بابله فردت عليه قال محمد بن اسحق وكان فيما يزعم بعض أهل العلم أن عبد المطلب قد ذهب الى أبرهة بعمرو بن معديكرب بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وهو يومئذ سيد بنى كنانة وخويلد بن واثلة الهذلى وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى أن يرجع قال فلما ردت الابل على عبد المطلب رجع فاخبر قريشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا فى الشعاب و يتحرزوا فى رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش اذا دخل ففعلوا ذلك ثم أتى عبد المطلب الى الكعبة فاخذ حلقة الباب وجعل يقول

يا رب لا أرجو لهم سواكا ❊ يا رب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا ❊ فامنعهم ان يخربوا قراكا

وقال أيضا

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم أبدا محالك
جروا جموع بلادهم * والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك

ثم ان عبد المطلب ترك الحلقة وتوجه فى بعض الوجوه مع قومه واصبح أبرهة بالمغمس وقد تهيأ لدخول مكة وعبى جيشه وهيأ فيله وكان اسم الفيل محمودا وكان من قبل النجاشي بعثه الى أبرهة وكان فيلا لم ير مثله فى الارض عظما وقوة وجسما وقال الكلبي لم يكن عندهم الاذلك الفيل الواحد فلذلك قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل وقال الضحاك كانت الفيلة كثيرة و يقال كان معه اثنى عشر فيلا وانما وجهه على هذا التأويل لوفاق رؤس الآى و يقال نسبهم الى الفيل الاعظم قالوا فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم فاخذ باذنه وقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فأبى أن يقوم فضربوه بالمعول فى رأسه فأبى فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه ورفعوه ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ثم وجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وأبى أن يقوم ثم ان نفيلا خرج من عندهم وصعد فى الجبل وارسل الله تعالى طيرا من البحر كامثال الخطاطيف مع كل طير منهم ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره امثال الحمص والعدس فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا الا هلك وليس كل القوم أصابت فذلك قوله تعالى طيرا أبابيل أى متفرقة من ههنا وههنا قال ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطيور وأكف كاكف الكلاب وقال عكرمة كان لها رؤس كرؤس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقال ربيع لها انياب كانياب السباع وقال سعيد بن جبير طير خضر لها مناقير صفر وقال أبو الجوزا انشأها الله فى الهواء فى ذلك الوقت ترميهم بحجارة من سجيل أى سنك كل قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها قوة فما وقع منها حجر على جنب رجل الا خرج من الجانب الآخر واذا وقع على رأس رجل خرج من دبره فجعلهم كعصف مأكول أى كزرع قد أكل حبه وبقى تبنه فلما رأت الحبشة ذلك خرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى جاؤا منه ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق فقال نفيل ابن حبيب حين رأى أنزل الله بهم من نقمته

أين المفر والاله الطالب * والاشرم المغلوب غير الغالب

وقال أيضا فى ذلك

الا حييت عنا يا ردينا * نعمنا كم مع الاصباح عينا
ردينة لو رأيت ولم تريه * لدى جنب المحصب ما رأينا
اذا لعذرتنى وحمدت أمرى * ولم تأسى على مافات بينا
حمدت الله اذ عاينت طيرا * وخفت حجارة تلقى علينا

وكل

وكل القوم يسأل عن نفيل * كان علي للحبشان دينا

وذكر زياد عن عبد الله بن عمر أن طير الابابيل كانوا أقبلوا من قبل البحر لرجال الهند ترميهم بحجارة أصغرها مثل رؤس الرجال وأكبرها كالابل البزل مارمت أصابت وما أصابت قتلت ونفيل ينظر اليهم من بعض تلك الجبال وقد خرج وخرج القوم وصاح بعضهم على بعض فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وبعث الله تعالى على أبرهة داء في جسده فجعل تتساقط أنامله كلما سقطت أنملة اتبعتها أنملة وقيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فيمابقي من أصحابه فمامات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك وزعم مقاتل بن سليمان أن السبب الذي جر حديث أصحاب الفيل هو أن فئة من قريش خرجوا تجارا الى أرض النجاشي فساروا حتى دنوا من ساحل البحر وفي سند حقف من أحقافها بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل ويسميها النجاشي وأهل أرضه الماسرحسان فنزل القوم في سندها فجمعوا حطبا وأججوا نارا واشتووا لحما فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم صائف فهبت الرياح فاضطرم الهيكل نارا وانطلق الصريخ الى النجاشي فاخبروه فاسف عند ذلك غضبا للبيعة فبعث أبرهة لهدم الكعبة وكان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا عاقلا وكان لعبد المطلب خليلا فقال عبد المطلب يا أبا مسعود هذا يوم لانستغنى فيه عن رأيك فما رأيك فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فاجعلها هديا لله تعالى وقلدها نعلا وابثثها في الحرم لعل بعض هؤلاء السودان يعقر منها فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود ان لهذا البيت ربا سيمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن بصحراء هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام فلما رأى ذلك تبع كساه القباطي البيض وعظمه ونحر له جزرا ثم قال أبو مسعود لعبد المطلب انظر الى بحر اليمن هل ترى شيأ فقال أرى طيرا بيضا نشأت من جانب البحر وحلقت على رؤسنا فقال له هل تعرفها فقال عبد المطلب والله ما أعرفها ماهي بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية وأنها لطير بأرضنا غير مؤنسة قال ماقدرها قال أمثال اليعاسيب في مناقيرها حصى كأنها حصى الخزف قد أقبلت كالليل المظلم يتبع بعضها بعضا أمام كل فرقة طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤسهم فلما توافت الرجال كلها أجبالهم أهالت الطير ما في مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها رجعت من حيث جاءت فلما أصبح عبد المطلب وأبو مسعود انحطا من ذروة الجبل فمشيا ربوة فلم يؤنسا أحدا ثم انهما مشيا فلم يسمعا حسا فقالا لبعض مابات القوم سامدين فاصبحوا نياما فلما دنوا من معسكر الفيل فاذا هم خامدون وكان الحجر ينزل على بيضة أحدهم فيفجرها ويقع في دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الارض من شدة وقعه ثم ان عبد المطلب أخذ فأسا وحفر حتى أعمق في الارض فملاها من الذهب الاحمر والجوهر الجيد ثم حفر لصاحبه حفرة فملاها ثم قال لابي مسعود هات خاتمك وأخيرك فاختر فان شئت أخذت حفرتي وان شئت أخذت حفرتك وان شئت فهمالك معا فقال له أبو مسعود اختر لي على نفسك

فقال عبد المطلب انى جعلت أجود المتاع فى حفرتى فهو لك ثم جلس كل واحد منهم على حفرته ونادى عبد المطلب فى الناس فرجعوا وأصابوا من فضلها حتى ضاقوا بذلك ذرعا وساد عبد المطلب بذلك على قريش وأعطته الرياسة فلم يزل أبو مسعود وعبد المطلب غنيين من ذلك المال الى أن ماتا وقال الواقدى باسانيده أغذ النجاشى ارياط فى أربعة آلاف الى اليمن فغلب عليها فاكرم الملوك واستذل الفقراء فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الاشرم أبو يكسوم فدعا الى طاعته فاجابوه فقتل ارياط وغلب على اليمن فرأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج فسأل أين تذهب الناس فقيل يحجون بيت الله بمكة قال مما هو قال من حجر قال فما كسوته قالوا ما يأتى من ههنا من الوصائل فقال والمسيح لابنين خيرا منه فبنى لهم بيتا بالرخام الابيض والاسود والاحمر والاصفر وحلاه بالذهب والفضة وحفه بالجواهر وجعل له أبوابا عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب ورصعها بالجواهر وجعل فيها ياقوتة حمراء وجعل لها حجابا وكان يوقد بالمندل ويلطخ جدرانه بالمسك حتى تغيب الجواهر وأمر الناس بحجه فحجه كثير من قبائل العرب سنين ومكث فيه رجال يتعبدون ويتنسكون فامهل نفيل الخثعمى حتى كان ليلة من الليالى لم ير أحدا يتحرك فجاء بعذرة فلطخ بها قبلته وألقى فيه الجيف فاخبر أبرهة بذلك فغضب أبرهة غضبا شديدا وقال انما فعلت العرب ذلك غيظا لاجل بيتهم ثم انه قال لانقضنه حجرا حجرا ثم انه كتب الى النجاشى يخبره بذلك ويسأله أن يبعث اليه بفيله محمود وكان فيله لم ير مثله فى الارض عظما وجسما وقوة فبعثه اليه فغزا البيت كما ذكرنا الى ان قال أقبلت الطير من البحر أبابيل مع كل طير ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره فقذفت الحجارة عليهم لا تصب شيأ الا هشمته وبعث الله سيلا أتى عليهم فذهب بهم الى البحر فألقاهم فيه وولى أبرهة ومن معه هاربا فجعل أبرهة يسقط عضوا عضوا حتى مات وأما محمود فيل النجاشى فربض ولم يشجع على الحرم فنجا وأما الفيلة الاخر فتشجعت فحصبت وهلكت وهو أول وقت رؤى فيه الجدرى والحصبة وقال امية بن ابى الصلت فى ذلك

ان آيات ربنا بينات * ما يمارى بهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كأنه معقور
حوله من رجال كندة فتيا * ن مصاليت فى الحروب صقور
غادروه وقد تولوا سراعا * كلهم عظم ساقه مكسور

وقال الكلبى لما أهلكهم الله بالحجارة لم يفلت منهم الا أبرهة الاشرم بن يكسوم فسار وطائر يطير فوقه ولم يشعر به حتى دخل على النجاشى فاخبره بما أصابهم فلما استتم كلامه حتى رماه الطائر فسقط ميتا فأرى الله النجاشى كيف كان هلاك أصحابه وقال الواقدى كان أبرهة جد النجاشى الذى كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به واختلفوا فى تاريخ عام الفيل فقال مقاتل كان أمر الفيل قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة وقال عبيد بن عمير والكلبى كان قبل مولده بثلاث وعشرين سنة وقال آخرون كانت قصة الفيل فى العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا أكثر العلماء وهو الصحيح يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الجوزقى قال حدثنا عبد العزيز بن أبى ثابت حدثنا الزبير بن موسى عن أبى الجوزاء قال

سمعت

سمعت عبد الملك بن مروان يقول لغياث بن أسيم الكنانى يا غياث أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر منى وأنا أسن منه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ووقفت بى أمى على روث الفيل ويدل عليه أيضا ما روى أن عائشة رضى الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان فلما كفى الله أمر أصحاب الفيل عظمت العرب قريشا وقالوا هم أهل الله وان الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم والله عز وجل أعلم وأحكم وحسبنا الله ونعم الوكيل * تم كتاب العرائس بحمد الله وعونه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم

بعد حمد الله الذى تزول به عن القلب الغصص والصلاة والسلام على من أنزل عليه سورة القصص يقول المتوسل الى الله بالجاه الصديقى ابراهيم عبد الغفار المعروف بالدسوقى مصحح دار الطباعه جعل الله طباعه تم كتاب عرائس المجالس المشتمل على قصص الانبياء النفائس تأليف الفاضل الماجد الورع الزاهد صاحب الاسلوب البديع اليعربى أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى على ذمة ذى الرأى السديد والمسعى الحميد الخلى عن التكاسل والعى الامثل المكرم الشيخ محمود الشافعى بدار الطباعة العامرة ذات الادوات الباهرة المتوفرة دواعى مجدها المشرقة كواكب سعدها فى ظل من تعطرت الافواه بثنائه وبلغ من كل وصف جميل حد انتهائه وارث الملوك الاماجيد وسلالة السراة الصناديد الجامع بين تالد المجد وطارفه والمسند أحاديث الخديوية عن والده وسالفه عزيز الديار المصرية وحامى حمى حوزتها النيلية مخجل فيضان النيل بعطائه الجزيل جناب الخديو اسمعيل متع الله الوجود بدوام وجوده ولا زالت منهلة علينا سحائب كرمه وجوده وكان طبع هذا الكتاب وتمثيله المستطاب مشمولا بهمة فريد الادارة ماضى العزيمة والمهارة من لم يزل لثمر المروءة يجنى حضرة حسين بك حسنى وقد وافق تمام طبعه وتمثيله وعموم نفعه وتحصيله أواسط ثانى الربيعين من سنة ست وثمانين وألف ومائتين من هجرة من سلمت عليه الغزالة وختم الله به النبوة والرسالة صلى الله عليه وعلى آله وكل ناسج على منواله ماهبت الرياح وتوالى الغدو والرواح

تم






VETUS & TESTA-
NOVUM MENTUM
DEI SUB NUMINE VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

